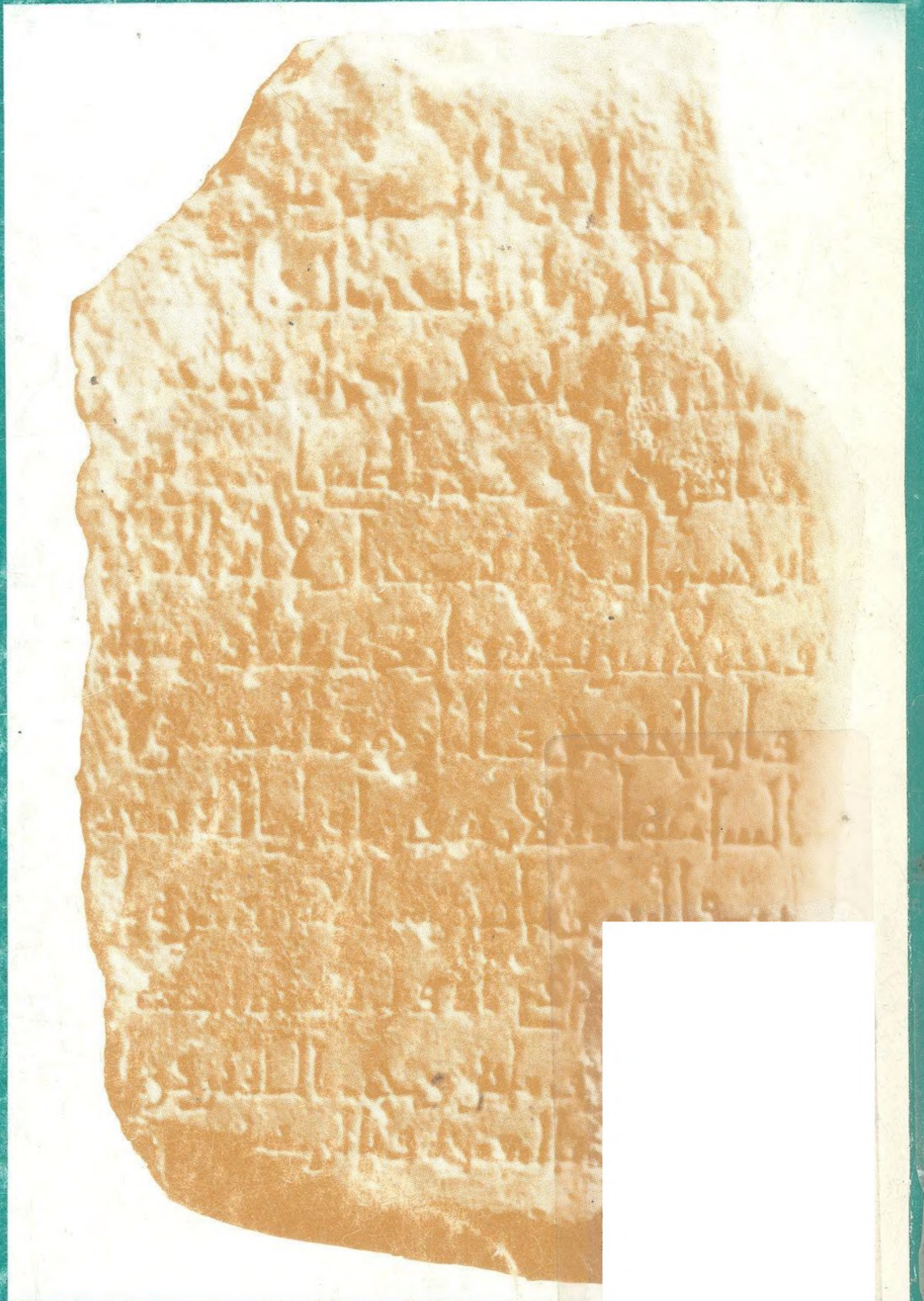




المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي





المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
إدارة برامج الثقافة والاتصال

المنقاش والرّسوم الصخرية ففي الوطن العربي



النقاش والرّسوم الصّخرية في الوطن العربي / المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة برامج الثقافة والإتصال، - تونس : المنظمة ، 1997 -- 398 ص.

(المؤتمر الثالث عشر للآثار. طرابلس : 1 - 7 أكتوبر 1997)

ق / 1997 / 09 / 008

جميع حقوق النشر والطبع محفوظة للمنظمة

ISBN 9973 - 15 - 044 - 9

الفهرس

5	تقديم
7	- النقائش والرسوم الصخرية في الآثار العربية أ. منى المؤنن
	- الموانئ البحرية التاريخية في السودان كإحدى المنشآت
32	المائية في الوطن العربي أ. صلاح عمر الصادق
44	- الرسوم والنقائش الصخرية في الوطن العربي د. منير يوسف طه
60	- المنشآت المائية التاريخية في الجزائر د. علي خلاصي
	- نقائش أغلبية جديدة القرن الثالث هجري / التاسع ميلادي
80	دراسة تاريخية وأثرية د. خالد مودود
	- المنشآت المائية في البلاد التونسية خلال
138	الفترة الإسلامية د. محمد الباجي بن مامي
160	- الرسوم والنقائش الحجرية في القديم في تونس أ. منصور غاقي
165	- بعض المنشآت المائية القديمة في الجماهيرية أ. محمد عطية الله الشلماني
174	- مصادر المياه والنشاط الزراعي في إقليم المدن الثلاث .. د. سعيد علي حامد
185	- مصادر المياه في المدن الخمس من خلال النقوش د. فضل علي فضل
	والمخلفات الأثرية
194	- دراسة لنقش قرطاجي - ليبي قديم د. علي فهمي خشيم
228	- نقوش ما قبل التاريخ في الصحراء الليبية أ. جمعة محمد العناق
237	- الرسوم والنقائش الصخرية في موريتانيا أ. القاسم بن محمد كابر
	- النقوش الصخرية المكتشفة في دولة الإمارات
244	العربية المتحدة د. ناصر حسين العبودي

- 256 - نقوش وادي الكوف أ. صالح ونيس عبد النبي
- المنشآت المائية في مصر الإسلامية من الفتح العربي
- 274 حتى نهاية العصر الأيوبي د. عاصم محمد رزق
- ملاحظات حول تاريخ المنشآت المائية بأفريقية
- 334 في العهد الإسلامي المبكر د. مراد الرماح
- 351 - ظاهرة النقوش الفينيقية الجديدة اللاتينية في إقليم طرابلس د. عبد الحفيظ فضيل الميار
- 386 - مقررات المؤتمر وتوصياته

تقديم :

يتزامن صدور هذا الكتاب الذي يتضمن وقائع وقرارات وتوصيات المؤتمر الثالث عشر للآثار والتراث الحضاري مع مرور نصف قرن بأكمله على انعقاد أول مؤتمر للآثار في سنة 1946 . وذلك بحد ذاته ليس بالقليل فلم يعهد أن مؤسسة قومية تابرت على التواصل والانتظام والانعقاد مثل مؤتمرات الآثار التي انطلقت قبل ظهور المنظمة الأم الى الوجود في سنة 1970، ثم أصبحت دائرة من دوائرها بل ركنا مكيئا من أركانها.

واحتفاء بهذه المناسبة قامت ادارة برامج الثقافة والاتصال باعداد سجلّ حافل شامل مدقق لكل المؤتمرات، ووضعت قوائم بأسماء من شاركوا فيها من علماء وخبراء ومدراء ادارات وأساتذة وفنيين، احياء لذكراهم وللدور الذي اضطلعوا به في ارساء هذه المؤسسة التراثية.

كما اشتمل هذا السجل على كلّ القرارات والتوصيات التي صدرت عن كلّ هذه المؤتمرات، وما نفذ منها وما تعذر تنفيذه، وقد قدم كوثيقة الى الندوة العاشرة لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي التي انعقد بتونس في شهر فيفري 1997 التي رحبت بهذا العمل، وحيّت هذا المؤتمر وحثت على مواصلة انتظامه، ودعت الدول العربية الى الاستمرار في احتضانه وتقديم الدعم المادي والمعنوي له.

واحساسا من المؤتمر الثالث عشر للآثار الذي عقد بالجماهيرية الليبية التي احتضنته واستضافته استضافة كريمة سخية بأهمية الدور المناط به والرسالة التي حملها طيلة نصف قرن، فقد انصبت كل قراراته في اتجاه التطوير والتحديث والمراجعة في ضوء وثيقة التطوير والتحديث التي كانت المنظمة العربية قد اعدتها في الآونة الأخيرة، وانسجاما مع المستجدات على الساحة العربية والدولية، والنظرة المتجددة للتراث الحضاري العربي الاسلامي، والآثار حيث يعد الوطن العربي أحد مواطن هذا التراث وأكثر

مناطق العالم ثراءً وغنىً بما يزخر من آثار الحضارات المختلفة والمتنوعة والمتعددة التي تعاقبت عليه.

لقد دأب مؤتمر الآثار منذ دورات سابقة على أفراد كل دورة من دوراته لمعالجة موضوع من الموضوعات العلمية الهامة التي تندرج في طلب اهتمامات المختصين بشؤون الآثار والتراث. ومواصلة لهذا التقليد كان الموضوعان الأساسيان للمؤتمر الثالث عشر المذكور هما : النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، المنشآت المائية التاريخية في الوطن العربي.

فبالنسبة للنقائش والرسوم الصخرية يعدّ الوطن العربي من أكثر المناطق الجغرافية في العالم التي تزخر بهذه النقائش والرسوم، من جباله الى واهده الى صحاريه وكهوفه.

أما بالنسبة للمنشآت المائية التاريخية ومصادر المياه، فما كان الموضوع يهدف احياء هذه المصادر والمنابع التي كان الوطن العربي يعج بها إنما أريد بذلك التنبيه الى ما ينبغي التفكير فيه من وسائل لاثراء الثروة المائية التي أخذت تتناقص في العقود الأخيرة :

بالاضافة الى الخلاقات والمشاكل التي تثار حالياً حول قضايا المياه على المستوى العالمي . وفي الصراعات الاقليمية.

لا شك أن قارئ الكتاب سوف يجد متعة في قراءة الدراسات العديدة التي أعدها أخصائيون وعلماء عرب... وسوف يشاركونهم همومهم واهتمامهم وتطلعاتهم، وسوف يكتشف أن وطننا العربي يتوافر على ثروة من المعالم.. وأن اجدادنا الذين كانوا فنانيين وأصحاب ذوق رفيع تركوا بصمات من الابداع فوق كل رسم وكل صخرة وبكل واد.. وان ما تركوا من ثورة فنية يؤهلنا الى نعدّه مصاف الدول المتحضرة ويملي علينا واجب مواصلة رسالتهم.

والله الموفق والهادي.

ادارة برامج الثقافة والاتصال

النقائش والرسوم الصخرية في الآثار العربية

أ. منى المؤذن(*)

المقدمة:

يقصد بكلمة النقائش الكتابات المدونة على الآثار الثابتة أو المنقولة، وتعتبر من العلوم الأساسية المساعدة لعلم الآثار والتاريخ، لأن الوثيقة الكتابية مهما كانت أسطورة أو نصباً تذكاريًا أو قصة أدبية أو وثيقة شرعية أو رسالة... الخ، تعتبر شيئاً مهماً جداً بالنسبة للآثاري والمؤرخ، فمن خلالها يستطيع التوصل الى طريقة تفكير الانسان القديم ومعرفة صلاته الاجتماعية ووسطه الجغرافي والتاريخي وحتى حالته النفسية.

ويهتم هذا العلم بتاريخ شكل الحروف وتطوراتها وأساليب نقش الكتابة، ودراسة النصوص لتحديد موضوعاتها وتاريخها ومشابهاتها واكمال الناقص منها عن طريق التوقع والمقارنة.

إن للكتابة أهمية خاصة في تاريخ المنطقة فقد بدأت مع استقرار الانسان وحيث الشروط المناسبة لنشوء الحضارة مثل توفر الأرض الخصبة والمياه والمناخ الملائم للزراعة... وغيره، ويمكن القول إن المنطقة الواقعة شرق البحر المتوسط وبلاد ما بين النهرين وبلاد النيل وجنوب شبه الجزيرة العربية كانت الساحة المناسبة لتطورات من هذا النوع.

وأخذ تاريخ الكتابة يحتل مكانة بارزة في تاريخنا ولأهميته فقد قسم تاريخ المنطقة الى مرحلتين فاصلتين:

أ- مرحلة ما قبل الكتابة أو عصور ما قبل التاريخ.

ب- مرحلة ما بعد الكتابة أو العصور التاريخية.

(*) أمانة الآثار العربية الاسلامية بالجمهورية العربية السورية.

ومع فجر الحضارة الانسانية في وطننا كان التطور باتجاه الوثيقة المكتوبة في كل مجال. فالقانون المكتوب حل محل القانون الشفهي، وحل العقد المدون مكان الاتفاق الكلامي، وحلت الديانات السماوية المكتوبة محل العقائد المحكية، والتاريخ لا يعتبر موثقا الا بقدر اعتماده على النصوص المدونة.

وبشكل عام اذا أردنا تعريف الكتابة فيمكننا القول أولا: بأنها الأثر الذي يتركه الخط على المادة. وهي نوعان كتابة منقوشة وتسمى في اللغات الأوربية Epigraphy وهي موضوع بحثنا، وأما أن تكون خطا وعندها تدخل في علم Paleography، ويحدد ذلك الأداة التي تستخدم في التدوين والمادة التي تنفذ عليها الكتابة، وأن للأداة والمادة تأثيرا كبيرا في شكل الحرف وتطوره، فإما أن تكسبه الشكل القاسي أو اللين، ولعل مادة الكتابة تفرضها البيئة المحيطة فقد استخدم الحجر أولا في كل مكان، ثم أخذ الانسان يستخدم مواد أخرى ففي مصر مثلا كتبوا على البردي، وفي بلاد ما بين النهرين استعملوا ألواح الطين، وكان الجلد من أوائل المواد التي دون عليها العرب... وهكذا.

ولعل التعريف الأهم للكتابة أنها التعبير الخطي عن اللغة ووسيلة للقبض على الكلام المنطوق ولدورها الهام أقسم تعالى بها فقال "ن. والقلم وما يسطرون" وقال أيضا "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "قيدوا العلم بالكتابة"، ومن الناحية الزمنية فإن اللغة أسبق من الكتابة بمراحل طويلة مثال ذلك اللغة العربية التي تستعمل في المنطقة منذ عصور سحيقة، وقد أجمع علماء اللغة والباحثون على أنها من أعرق اللغات السامية فهي تحوي على عناصر ومفردات لغوية قديمة جدا. ومع ذلك فإن بواكير الكتابة العربية تعود الى القرون الميلادية الأولى.

وكما هو معروف للجميع أن هناك خضما واسعا من أنواع الكتابات قد نشأت في وطننا العربي الكبير قبل ظهور الكتابة العربية، وقامت دراسات عديدة في هذا الميدان، تبين منها أن عرب الشمال قد كتبوا أولا بالمسمارية المقطعية التي عرفت في بلاد ما بين النهرين وإبلا والساحل السوري في الألف الثالثة قبل الميلاد، ثم اخترع الكنعانيون -الفنيقيون الأبجدية بشكليها المسماري في اجاريت والخطي اللين في جبيل (بيبلوس) وذلك في الألف الثانية قبل الميلاد، وفيما بعد تبنى الآرميون الأبجدية

الكنعانية نفسها، ومع الزمن تفرع عن هذا الخط أشكال متعددة منها النبطي والتدمري والحضري والسرياني والآرامي المربع والفهلوي وهذا الأخير انتشر في إيران وأصبح الخط الرسمي للامبراطورية الساسانية.

أما عرب الجنوب فقد احرزوا تقدما واسعا في شتى المجالات مثل إخوانهم في الشمال وأسسوا دولا حضارية لها انتصاراتها في ميادين مختلفة، وظهرت لديهم أبجدية خاصة بهم دعيت بالخط المسند الذي تفرع عنه عدة خطوط أيضا منها الحبشي واللحياني والثمودي والصفائي ولعل الخط الأخير هذا هو المقصود في بحثنا، فهو الذي يعبر عن ثقافتنا العربية قبل بزوغ فجرها مع الاسلام.

النقائش والرسوم الصخرية في الآثار العربية:

- - - النقائش الصفائية:

اهتم المستشرقون بأمر هذه النقائش القديمة منذ القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن فجابوا المنطقة وأخذوا ينسخون هذه الكتابات ويصنفونها ويعكفون على دراستها، وقد وجدوا الكثير من هذه النقوش في تلول الصفا فنسبوا هذه الكتابة الى المكان، وقد وجد حاليا بأنها منتشرة في شمال شبه الجزيرة العربية وفي الاردن وجنوب سورية، لكنها تتركز في المنطقة بين جبل العرب والرحبة وتمتد شمالا حتى دورا اوربوس على الفرات.

- السمات الأساسية لهذه الكتابة:

إن من السمات الأساسية لهذه الكتابة أنها تنسب الى القلم المسند وتتألف من 28 حرفا، (انظر الجدول التالي) وأن لغتنا تعتبر من اللهجات العربية الأصلية لا سيما وأن القبائل التي كتبتها هي من عرب الجنوب الذين استقروا في شمال شبه الجزيرة وعلى مفارق الطرق التجارية، ولكن من خلال حركتهم في المنطقة واحتكاكهم بأهل القرى من حولهم لا سيما أهل تدمر، فاننا نجد دخول الكثير من القواعد والمفردات الآرامية في تعابيرهم.

أما مميزات نصوصهم فهي تعتبر رسائل سريعة محددة تدون على أحجار طبيعية غير مشذبة، منفذة بأداة حادة دقيقة أو ثخينة مثل سكين أو خنجر أو أية أداة حادة مسنونة، وكثيرا ما تتنوع أشكال الحروف باختلاف كاتبها، وربما نجد على الحجر الواحد

كتابة لأكثر من شخص، أما بالنسبة لاتجاه الأسطر وبداية كل سطر فعلى الدارس للنقش التفتيش والمتابعة بصبر وأناة فهي أما من اليمين الى اليسار أو بالعكس أو من الأسفل الى الأعلى أو العكس وكثيرا ما نجد أكثر من اتجاه في النص الواحد. ولكن غالبا يبدأ بالنقش بالحرف لام المقصود به: إلى أو كتب لخلاف أو من قبل فلان.

أما إذا أردنا البحث في أسلوب النقش فاننا نجده كالتالي:

(1) التنسيب:

وهي عملية توثيق للاسم، وعلينا أن لا ننسى ما لعلم الأنساب من أهمية خاصة عند العربي، وتتراوح الأسماء المدونة في بداية النص من اسم الى (13) اسما وقد يصل النسب الى القبيلة مثال (ذ - آل - عوذ) أي أنه من قبيلة عوذ، ومعظم الأسماء معروفة لدينا ومتداولة حتى الآن مثل آدم، أمير، حاج، خالد، مطر، غيث، أوس... وهناك أسماء استعيرت من أسماء الحيوانات مثل ثمر عقاب أسد سبع... الخ كما نجد أسماء مركبة مثل عبد - إل (عبد الله) خر- إل (خير الله) خل- إل (خليل الله)، سمع- إل (اسماعيل أو الله سميع) عذر- إل (عزرائيل أو عون الله) غير- إل (غيره الله)... وهكذا.

وهناك أسماء لها صيغة الصفات مثل: سكران - سهران - نازل - فالح - راضي - غاير - حامي... وهكذا.

(2) النص:

وهو عبارة عن جملة خبرية مختصرة جدا تبدأ غالبا بفعل ماض ومن هذه الأفعال: نجي (أو نفر (نجي)، وجد (أي أنه وجد أثرا)، وجم (وضع حجرا أو أحجارا على قبر)، دثا (قضى الربيع)، شتي (شتى)، خرص (ترقب)، رعي (رعى)... وهكذا. وفي حالات قليلة يستعمل الفعل المضارع مثل تشوق (يشاق) يعور (يعمى)، يجور (ينزل الجور والحيف على الآخرين).

(3) الدعاء:

ويأتي غالبا باتجاهين للخير والسلامة واعطاء نعمة لمن يدع النص ولا يشوّهه وبأنواع الشرور والعقاب وانزال النعمة على من يطمس النص أو يحرفه.

الأبجدية الصفائية

8 8] > > r

1 2 3 4 5

1 / 1

٧ ٨ () ٩

V 3 7 6

7 1 0 2

◇ Δ ○ ℓ

d d p u

5 2 9 3

Y >

3 } } ف

Y D

۲ ۱ ۳

① ② 9

من # III

Y i

ϕ \circ \bar{c}

W V Z

C 1 >)

III HH NN b



ظ ن ر ط

+

990 5

g b p o Δ

7 3 5

X Z.

17 / J

أمثلة عن الاتجاه الأول:

سلم لذ دعي هسفر وغنمت (السلام لمن يدع هذه الكتابة ولا يمسه والغنيمة)

سلم وأركرح لذ دعي هخطط (السلام والحلم لمن يدع هذه الكتابة والرسم)

هنيت لذ دعي (هنيئا لمن يدع الكتابة)

أمثلة عن الاتجاه الآخر:

عور لذ عور هسفر (العمى لمن يطمس النص)

نقات لذ عور هخطط (الرجم لمن يطمس هذا الخط والرسم)

شجن لذعور هخطط (الحزن للذي يطمس هذا الخط والرسم)

ويصحب هذه العبارات نداء للآلهة المعروفة لديهم وهي إل (الله) اللات ورضي

ورضو وشيع - القوم . . . وغيرها.

(4) التاريخ :

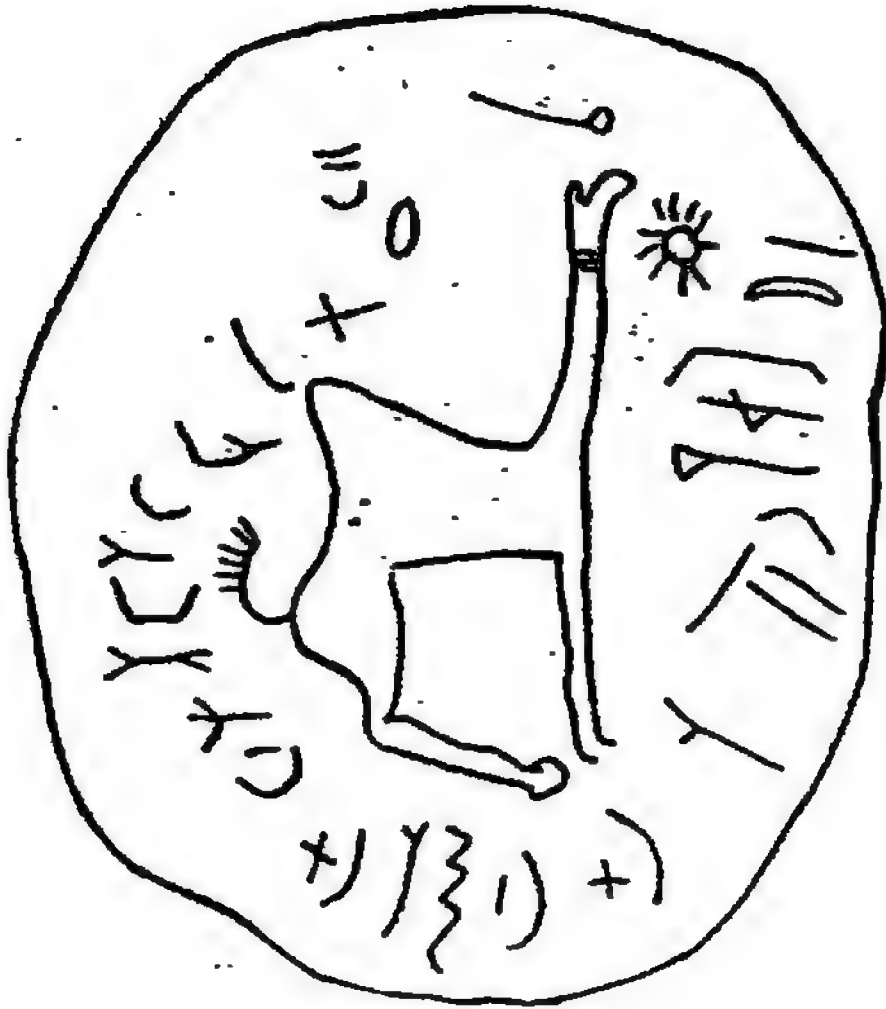
يأتي التاريخ في نهاية النص وتستعمل كلمة سنة للدلالة على العام ويذكر بعد هذه الكلمة رقم أو حدث، ولكن في معظم الأحيان تذكر أحداث تافهة بالنسبة لنا مثل "في سنة رعي القطعان" أو "سنة قتل معن" وفي بعض النصوص تذكر حوادث هامة ولكن غير معروفة لدينا حتى الآن مثال "سنة غزا فيها الملك قبيلة عوذ".

ولكن في بعض الحالات يمكننا التحديد بشكل ثابت فهناك ذكر لرقم معين، وهذه التواريخ تابعة لتأريخ بصرى 106م مثال ذلك لجل بن غنث ونفر من رم فهيلت سلم سنة (من جال بن غانث وهرب من الروم فيا أيتها اللات سليمه سنة 3) فهذا النص يؤرخ بـ 108م وهناك نصوص مؤرخة مجازا وهي معروفة مثل "سنة حرب النبط".

أما النصوص التي يرد فيها اسم أدنيت تؤرخ بالنصف الثاني من القرن الثالث الميلادي لأن هذا الاسم لا يعتبر من الأسماء العربية الأصلية وبدأ يظهر في النقوش الصفائية بعد شهرة الملك أدينة في تدمر.

وبشكل عام يمكن القول بأن هذه النقوش تعود للقرن الأول والثاني والثالث بعد الميلاد أخيرا لا بد من القول أن هذه العناصر الأربعة (التنسيب - النص - الدعاء - التاريخ) نادرا ما تأتي في نص واحد وعندها نعتبره نصا نموذجيا والغالب يأتي عنصر واحد أو إثنان فقط.

- الرسوم الصخرية:



(الشكل 1)

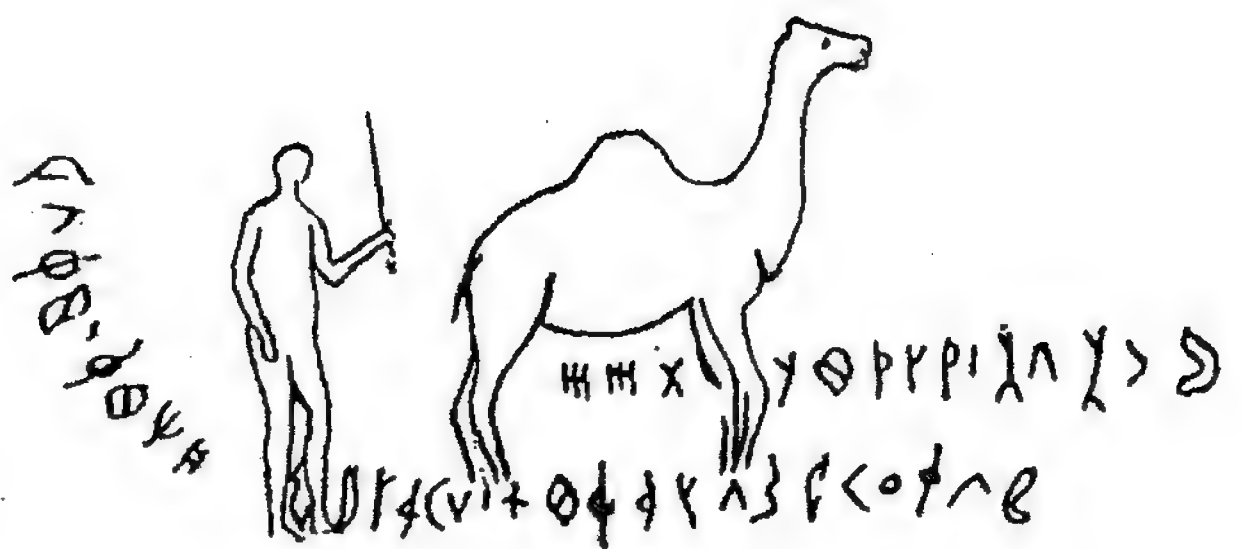
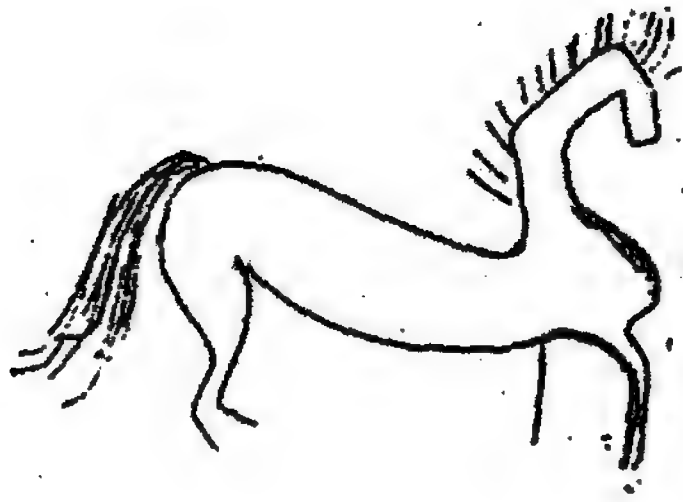
يلحق بهذه النصوص الكثير من الرسوم، ولعل أهم العناصر التي رسمها الفنان الصفائي الشمس والجمال، والسبب واضح جداً، فالشمس ملازمة له طوال النهار والجمال من الحيوانات الصبورة التي تشاركه هذه الطبيعة القاسية، أما بالنسبة للنصوص الكتابية فهي غالباً تحيط بالرسم كإطار (انظر الشكل 1).

ويدل على الرسم والكتابة في النصوص كلمتا هخط أو هخطط وتعنيان الرسم أو النقش أو كليهما معاً، وهناك عدد لا بأس به من النقوش يظهر بها الرسم ويحيط به اسم الراسم أو مصمم المشهد ويعتبر ذلك حالياً وكأنه توقيع الرسام مثال ذلك "جل بن عليهم هأسد" وهناك رسم أسد قرب النص وهنا نترجمه كالتالي: رسم هذا الأسد من قبل جل بن عليهم. أما بالنسبة لأسلوب الرسم فانه يتراوح من رسم سريع يتحدد من خلاله الأشكال والحجوم بدون أية تفاصيل (انظر المجموعة الأولى الشكل أ-ب) الى رسوم لها أسلوبها المتقدم في عرض الأشكال سواء الحيوانية أو الانسانية لكن وبطبيعة الحال يبقى لكل فنان طريقته الخاصة في التشكيل والعرض (لاحظ المجموعة الأولى ج-د-ه-و).

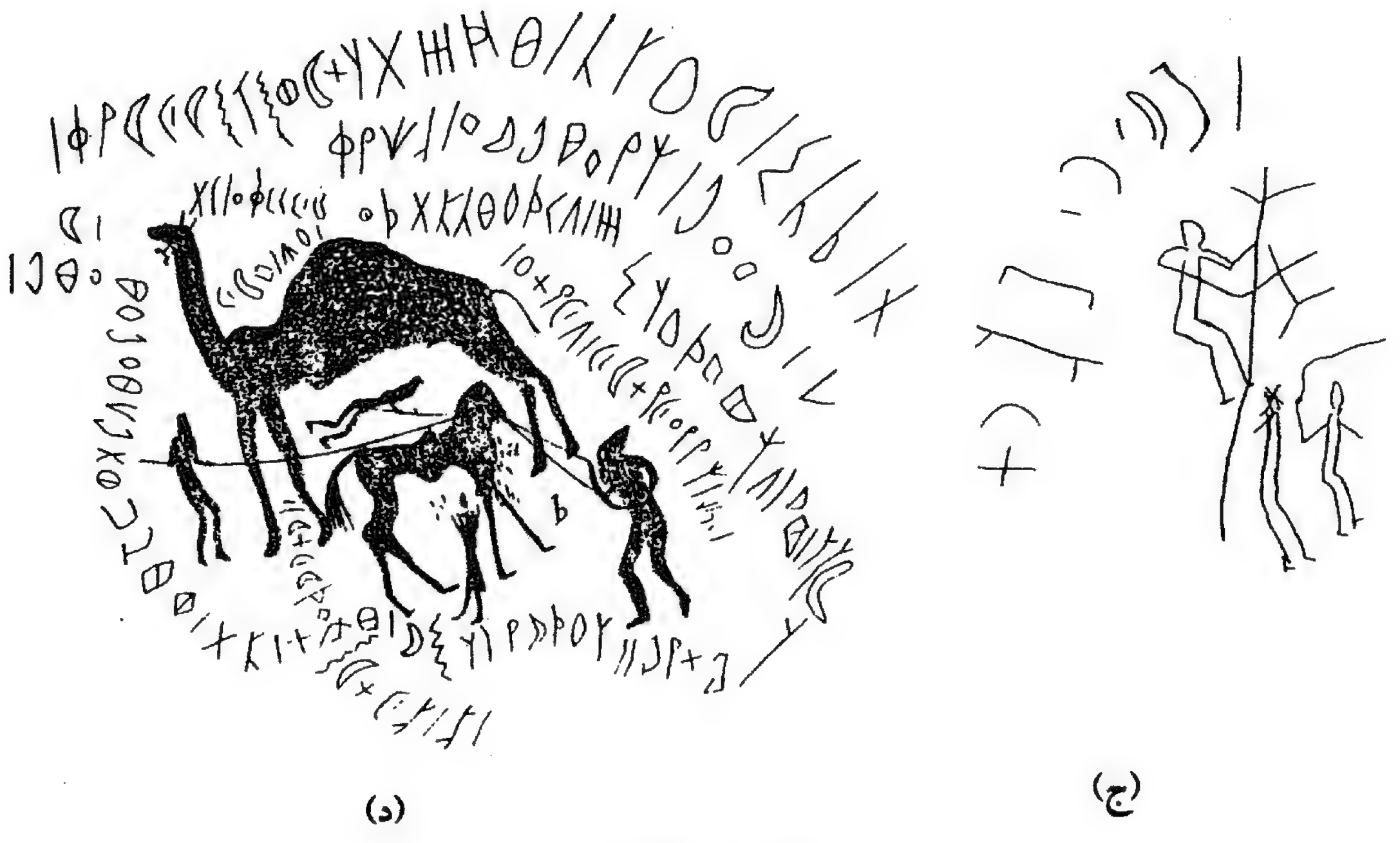
أما بالنسبة للمواضيع المطروحة من خلال هذه الرسوم فاننا نجد أولاً المشاهد التي تعطينا فكرة عن حياتهم اليومية المألوفة مثل رجال يقومون بقطف التمور، أو ناقة ترضع صغيرها، أو مجموعة من الرجال يقومون بترويض خيل، ويتأثر الفنان بأحداث الحزن والأسى ويصور حالات الشدة بصورة امرأة تشد شعرها بكتلتا يديها (انظر المجموعة الثانية أ - ب - ج - د).

ومن المواضيع الأخرى التي تطرق اليها الفنان، المشاهد الطبيعية لتشكيلات مختلفة من الحيوانات الأليفة التي كانت تسرح معه ضمن مجموعات مثل (الغزلان والنعام والجمال والكلاب وغيرها) (انظر المجموعة الثالثة أ - ب - ج - د - ه).

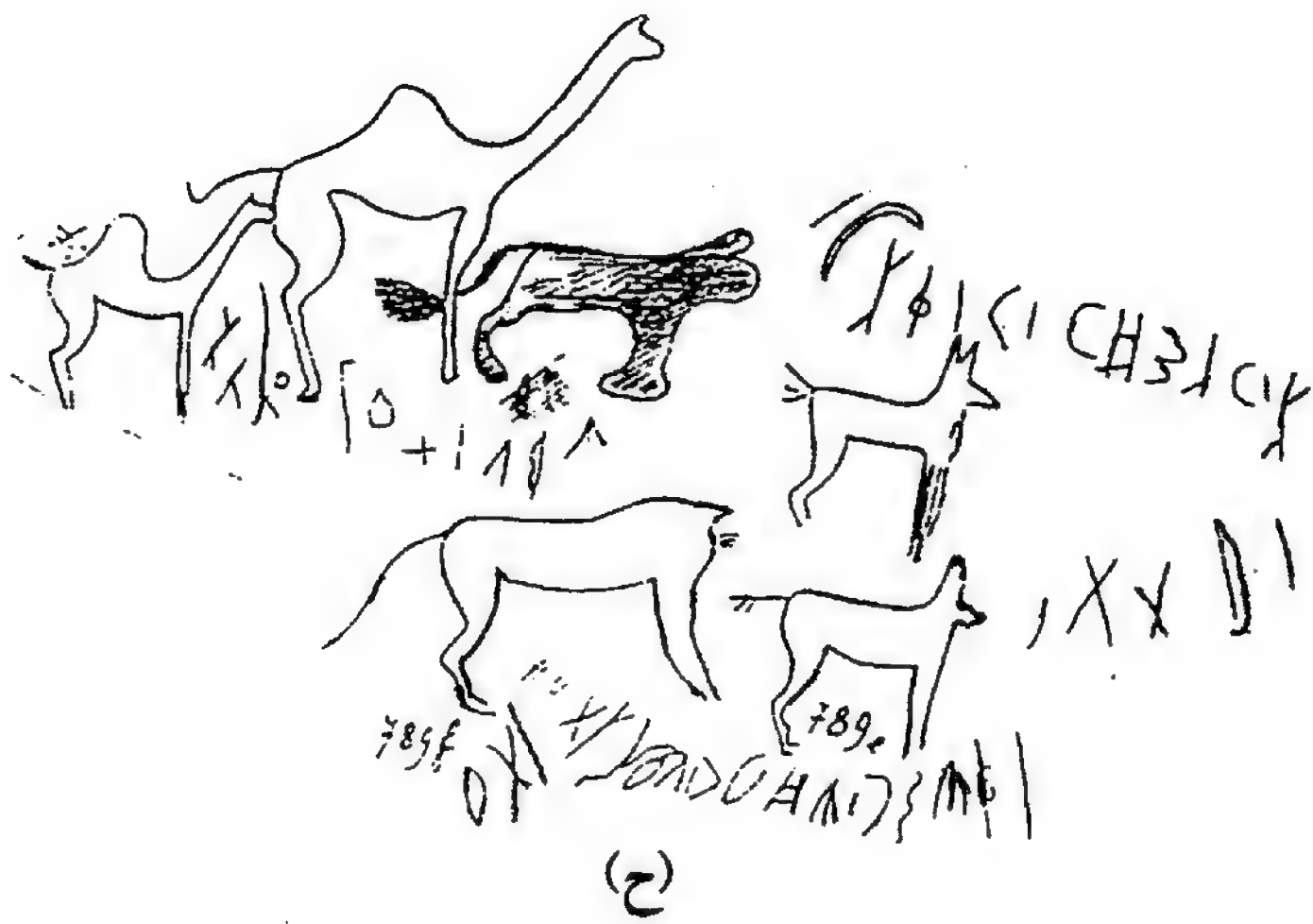
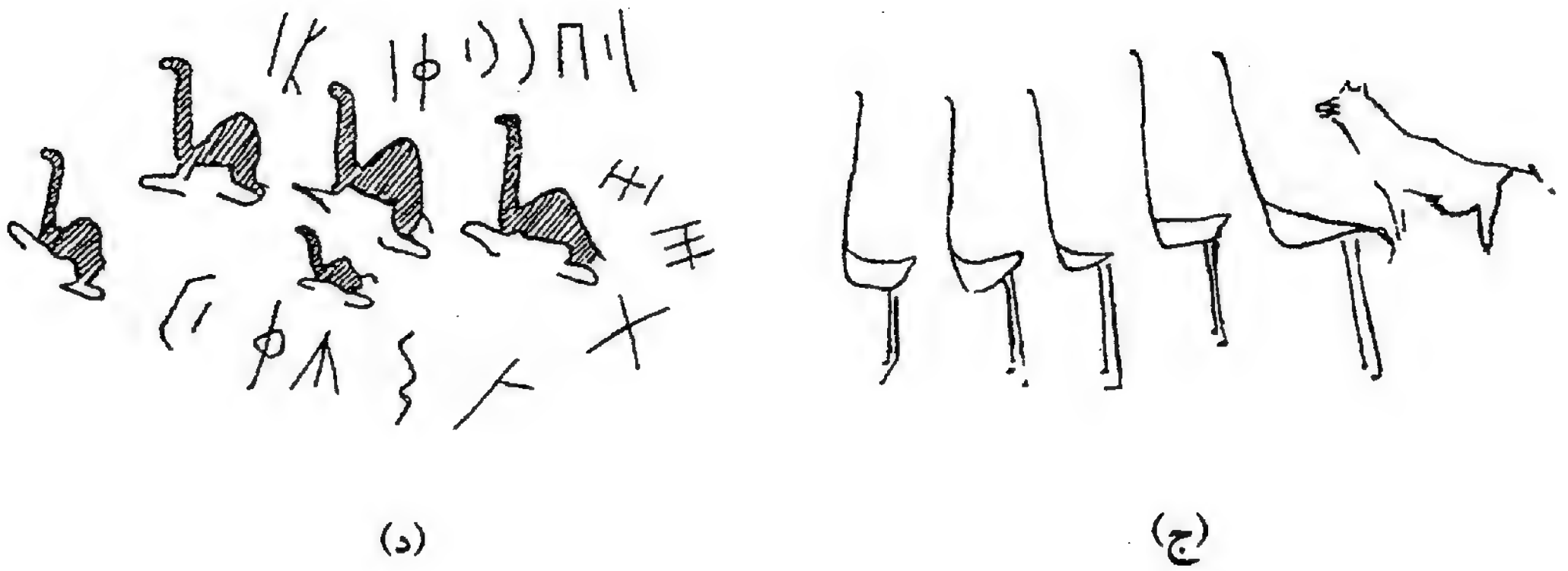
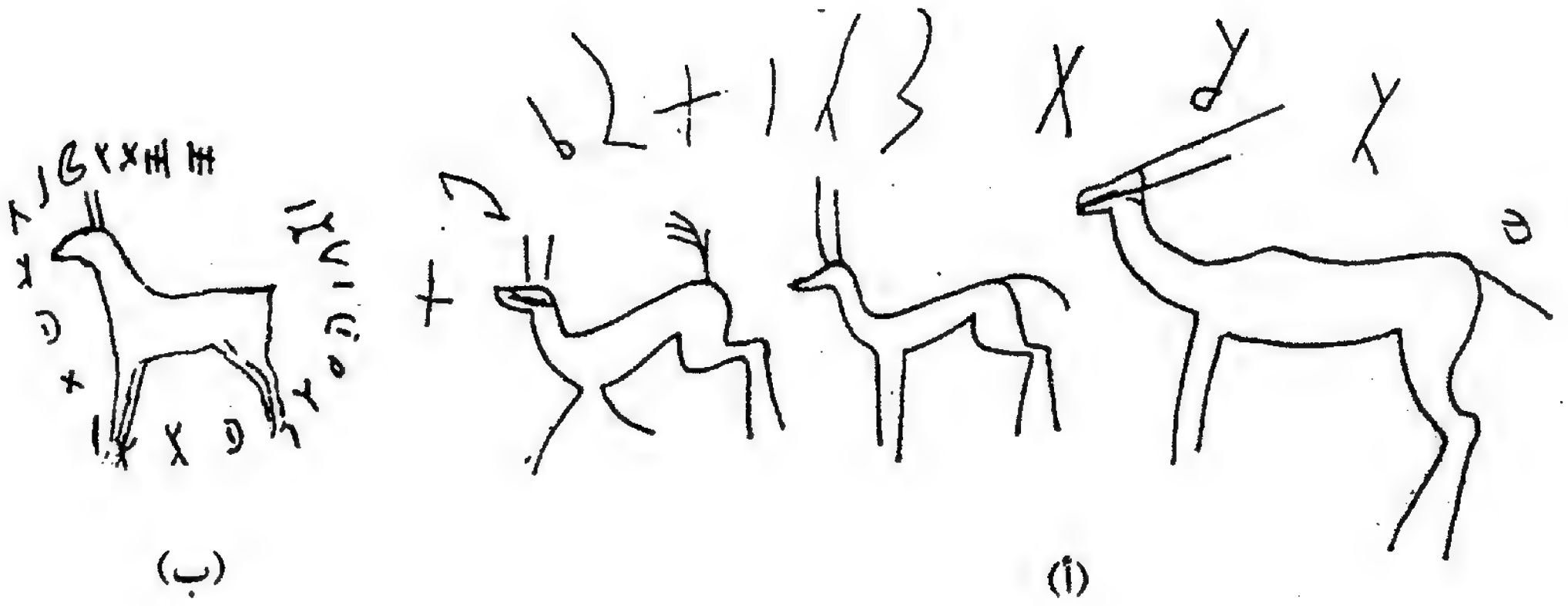
أما الحيوانات الضارية فانه يسجل صراعه معها ومطاردتها ضمن رسوم رائعة (انظر المجموعة الرابعة أ - ب - ج).



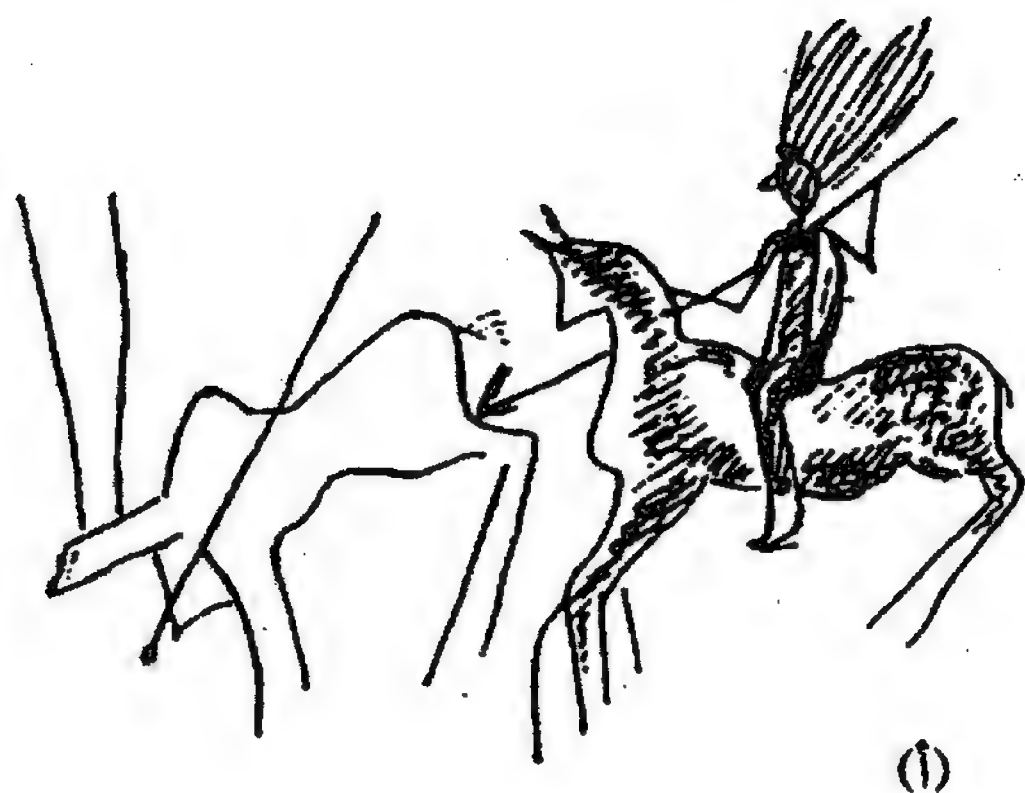
المجموعة الأولى



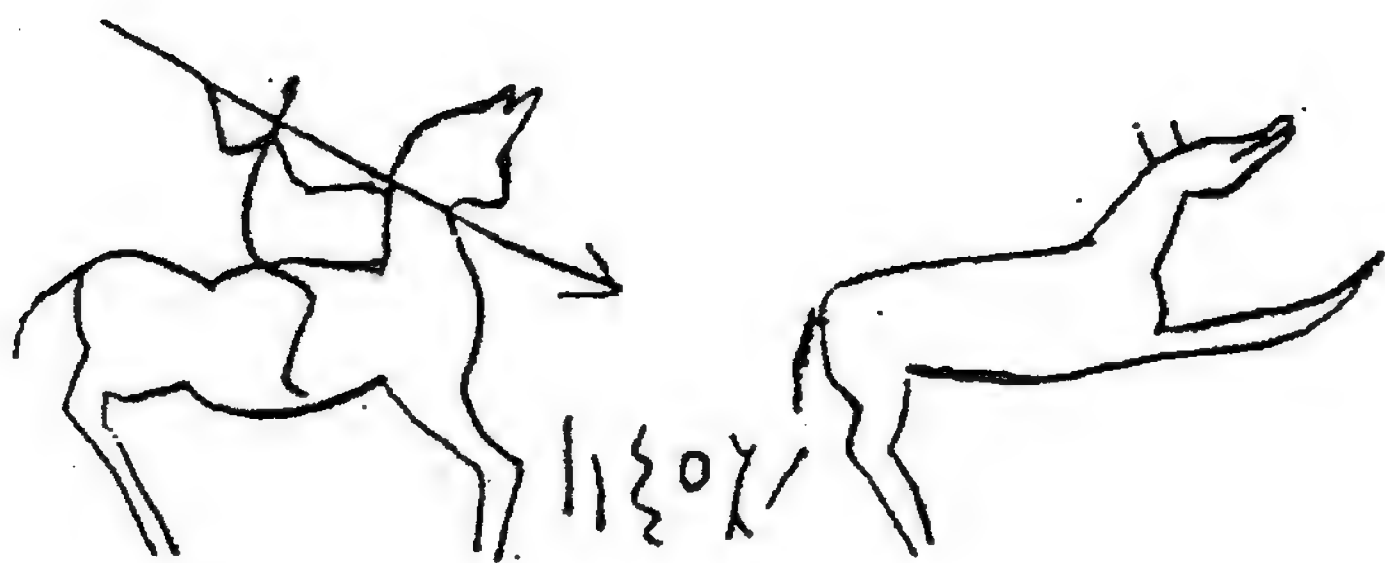
المجموعة الثانية



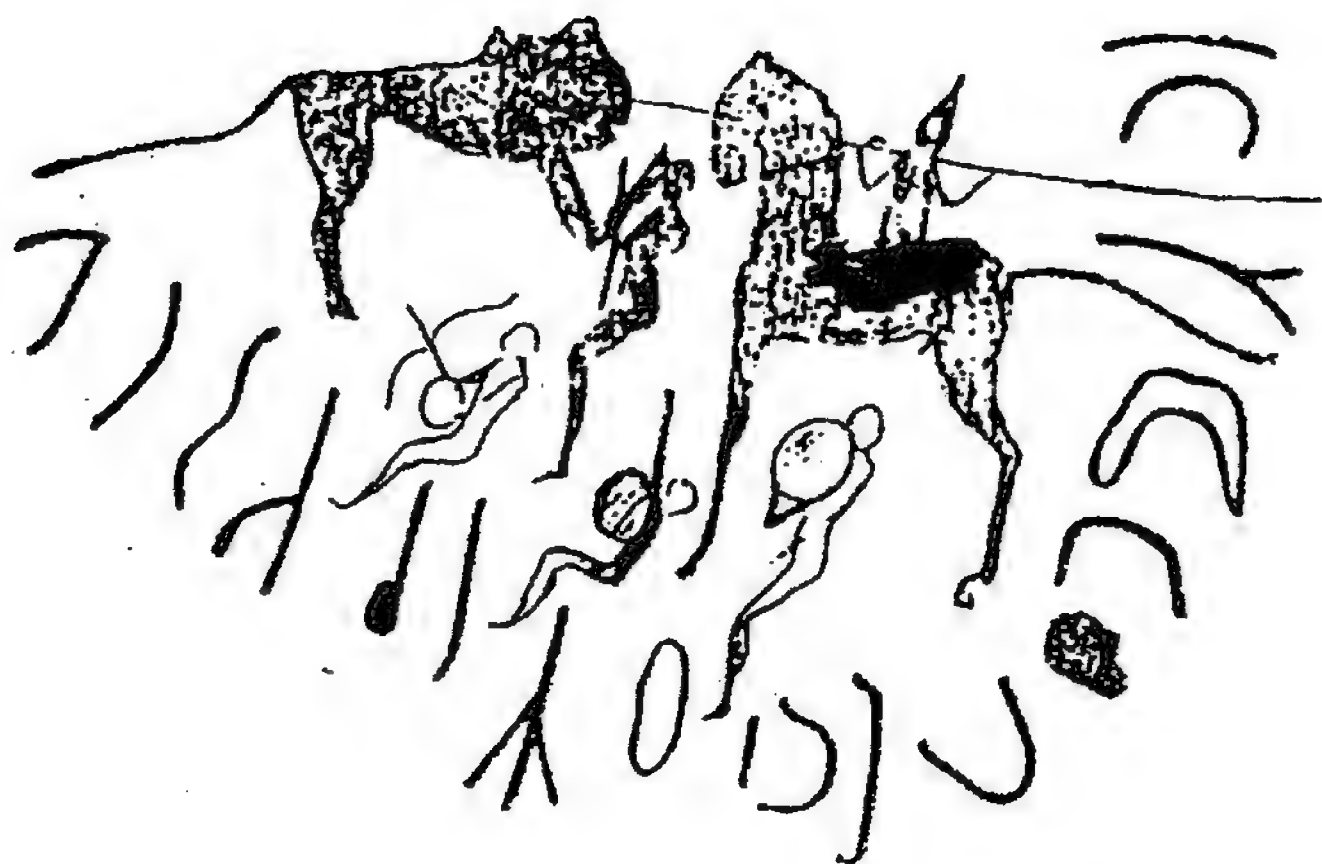
المجموعة الثالثة



(١)



(ب)



(ج)

المجموعة الرابعة

ومن المواقف التي يعتز بها العربي الشجاعة والصمود والبأس عند القتال والغزو ونجد رسوما عديدة لمثل هذه المشاهد، ويتجلى لنا من خلالها أنواع وأشكال الأسلحة التي استعملها في حروبه (انظر المجموعة الخامسة أ-ب-ج-د-هـ).

ولا بد من القول بأن هذه الرسوم الصخرية واقعية جدا، فنحن لا نرى أشكالا خرافية أو مشاهد لأساطير ميثولوجية، أو تصويرا لآلهة أو غير ذلك، وإن الحركة والحياة واضحة من خلالها، علما بأنها رمزية جدا فهي لا تتناول التفاصيل لأي شكل من الأشكال فاذا رسم انسان ما فإنه يحدد برأس وجذع وأطراف في وضعية وحركة معينة أما الملابس أو تفاصيل الوجه أو غطاء الرأس فلا نجد شيئا من هذا مطلقا، وبشكل عام فإنها لا تخدم هدفا فنيا أو دينيا أو جماليا بقدر ما تساعد على فهم النص المكتوب. هذا عن الرسوم والمواضيع التي تطرق اليها الفنان أما مواضيع النصوص فهي:

(1) النصوص التذكارية:

وفيها جملة تدل على أن الكاتب أو الذي كتب له النص كان يرعى الحيوانات التي يربيهها أو أنه صارع حيوانات ضارية، أو نجا من الأعداء أو من الجيش الروماني أو خرج يبحث عن صديق أو خصم، أو أنه خيم في هذا المكان، أو رحل للتخيم في مكان آخر (بعد هذه الدراسة النظرية ألحقت نموذجين من نصوص صفائية تنشر لأول مرة انظر النقش الأول السطر الأول لأخذ فكرة عن النص التذكاري).

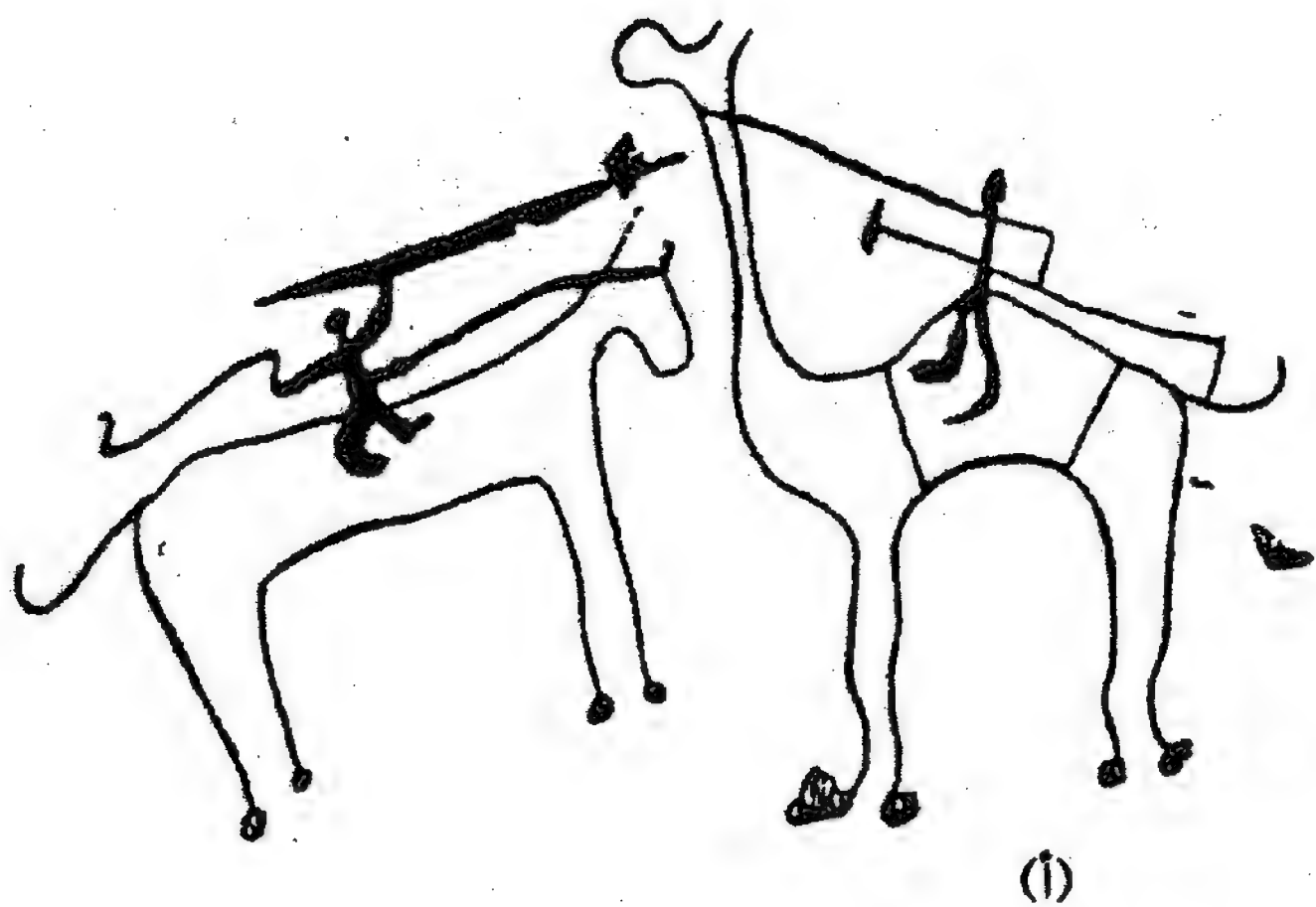
(2) النصوص الوثائقية:

ومواضيعها ادعاء ملكية أرض أو مكان معين، ادعاء ملكية مخيم، أو حيوانات أو عين ماء، أو توثيق بيع (انظر النص الأول السطر الثاني، والثالث) والنص الثاني السطر الأول).

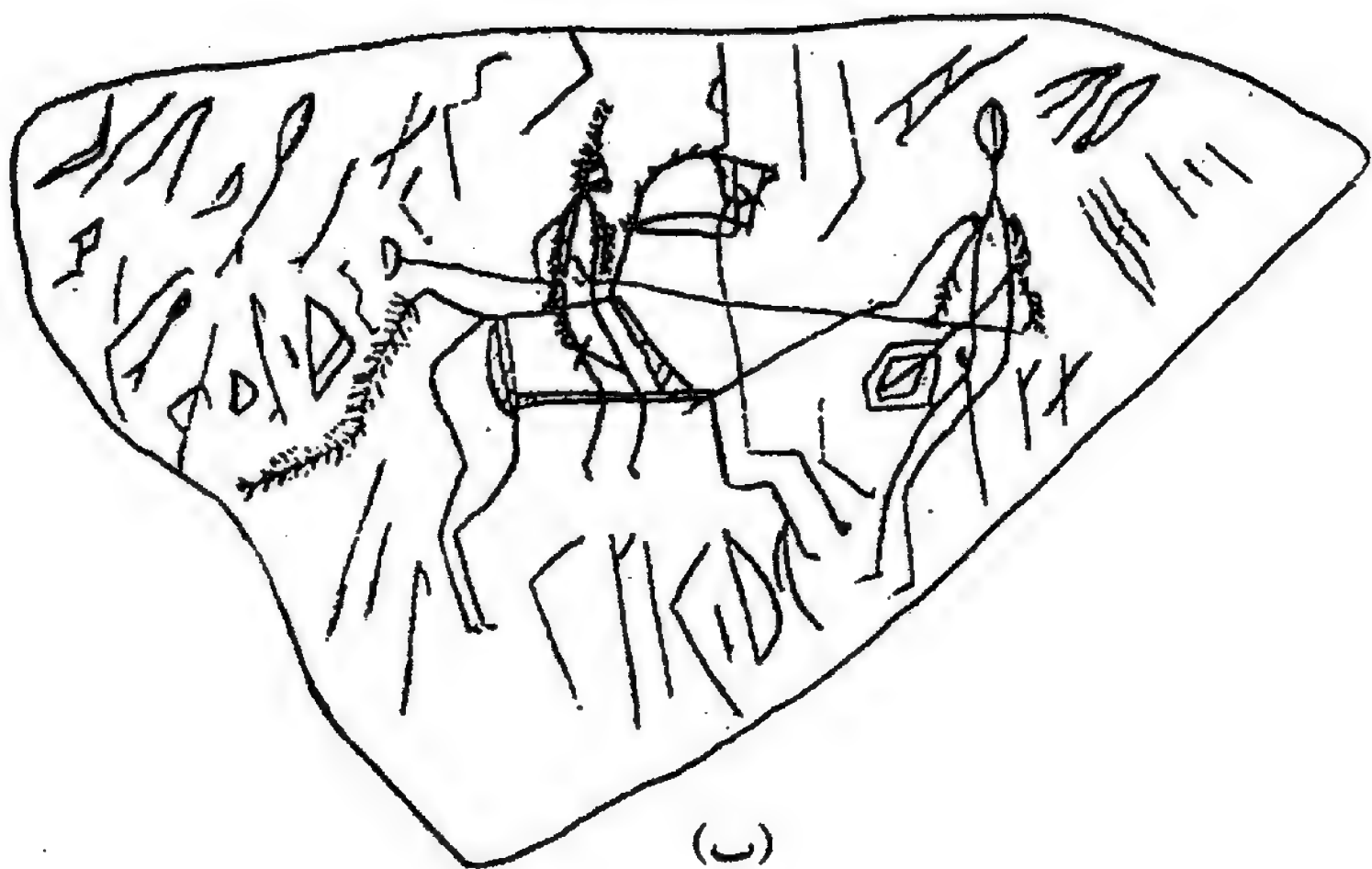
(3) النصوص الجنائزية:

ويمكن اعتبارها شواهد قبور حيث يذكر فيها اسم المتوفي والمقتول وكلمة صرح أو نفس فهي من الآرامية نفشا، في السبئية واللحيانية كلمة مقام تعني القبر أما في الصفائية فإنها مقل أو مقليل والمعنى مكان الراحة الأبدية كناية عن القبر أما كلمة نيت فتعني الغاية والهدف المقصود للمسافر ويقصد بها القبر أيضا.

أما كلمة وجم التي ترد كثيرا في النصوص الجنائزية الصفائية فإنها تعني وضع حجرا أو أحجارا على قبر المتوفي ويمكن أن يلحق بهذا النوع من النصوص دعوة للثأر. (انظر النقش الأول السطر الخامس)



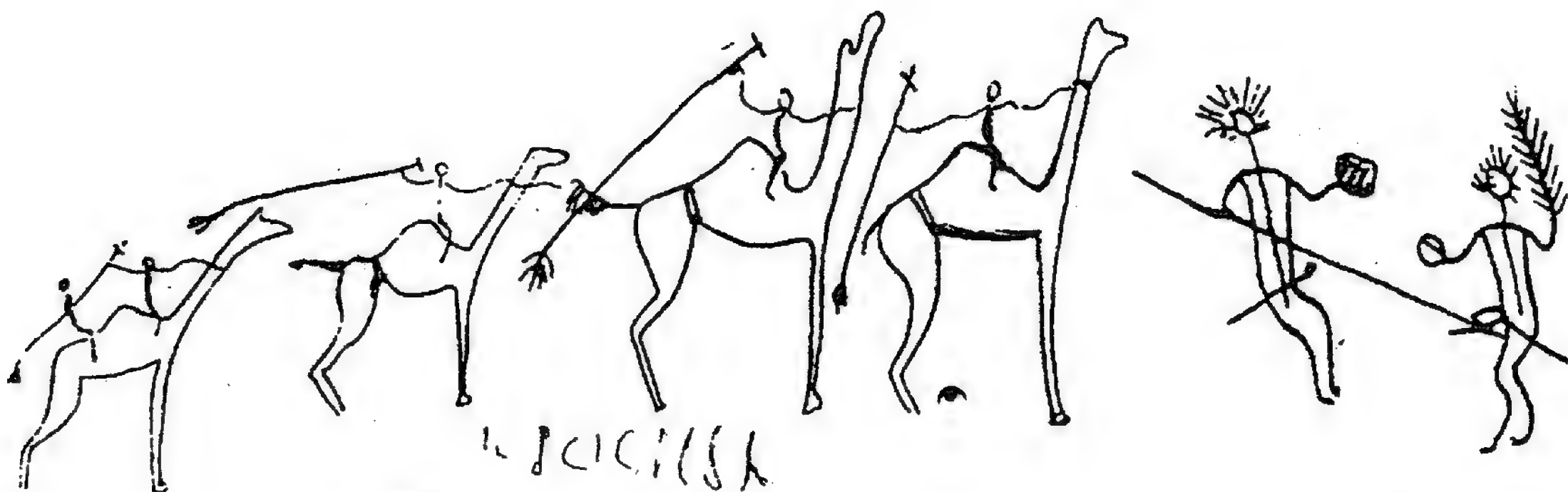
(١)



(ب)



(ج)



(د)

(هـ)

المجموعة الخامسة



التعليق :

حجر بازلتي طبيعي عليه نقش صفائي، محفوظ في المتحف الوطني بدمشق فرع الآثار الكلاسيكية برقم 29644، الطول 25سم والعرض 24سم والنص مؤلف من خمسة أسطر ويعتبر من النصوص التذكارية عليه رسم فارس يحمل سهما طويلا أو جبلا ويحاول به مسك أو اصطياذ غزال أو مهره، خلف هذا المشهد هناك رسم لجملين بحجم صغير أحدهما خلف ذيل الحصان والآخر في الأعلى، وهناك شكل انسان بحجم صغير جدا تحت الجمل العلوي يحمل بيده اليمنى عصا وفي اليسرى شكل راية.

يتداخل مع هذه الرسوم الكتابة فالأسطر 1-2-3-4 لنفس الكاتب فالأداة وطريقة الكتابة واحدة، أما حجم الحروف فتختلف حسب سعة المكان وهذا يدل على ان الرسوم قد نفذت أولا ونلاحظ ذلك واضحا في السطر الثاني حيث يكون الحرف في البداية واضحا وكبيرا أما في نهاية السطر فتظهر الحروف صغيرة ومتراصة.

بالنسبة للسطر الخامس فله موضوعه الخاص وكتب بأداة تختلف عن أداة الأسطر السابقة وحجم الحروف أكبر لذا فهو لكاتب آخر.

أسماء الأعلام الواردة في النص معروفة مثل عبط ومطر وعرس وغيرهم ويرى د. ليتمان ان اسم حاج يعود الى أن ميلاد هذا الشخص كان في موسم الحج أما شبحر فهو اسم علم مركب من شب - حر أي شاب حر أو ولد حرا أو نشأ حرا، اسم العلم شهية ربما تصغير من الكلمة شهوه في الصفوية كالعربية يردّ الاسم الى أصله ثم يحول الى صيغة للتصغير.

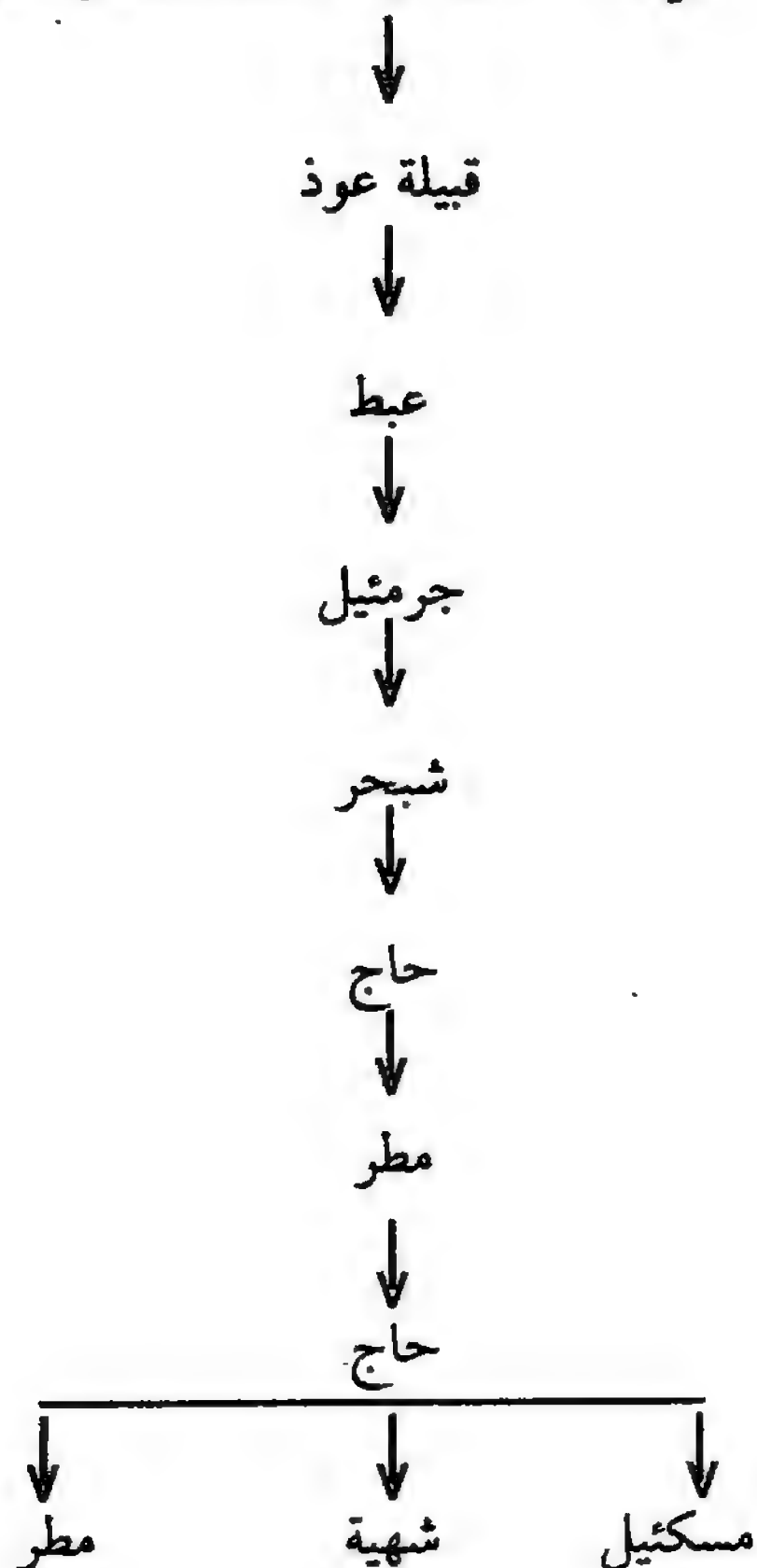
ومن الأسماء المركبة الواردة في النص ولها طابع ديني جرم - إل ويعني كمال الله أو الكمال لله، ومسك - إل ويعني سند الله أو منعة الله، اسم العلم شع هقوم مركب من شيع القوم وهو اسم إله صفائي ربما مأخوذ من العربية شيع القوم أي ودعهم حتى مشارف الديار وهو اسم إله القوافل عند العرب، وربما شيع آرامية وتعني معين ويصبح المعنى معين القوم ويتضح من النص طلب السلامة منه، اسم الالهة الثاني اللات ويطلب منها أن تنزل الجور والظلم على من يطمس الكتابة ويحل في هذا المكان.

من الناحية اللغوية نرى الكاتب استعمل صيغة الفعل المضارع (يجر - يعور) وذلك ليدل على استمرارية الطلب.

ونجد اسم الإشارة الحرف ذ الوارد في السطر الثاني (ذال) أي ذى آل و(ذ رحل) أي هذه الراحلة.

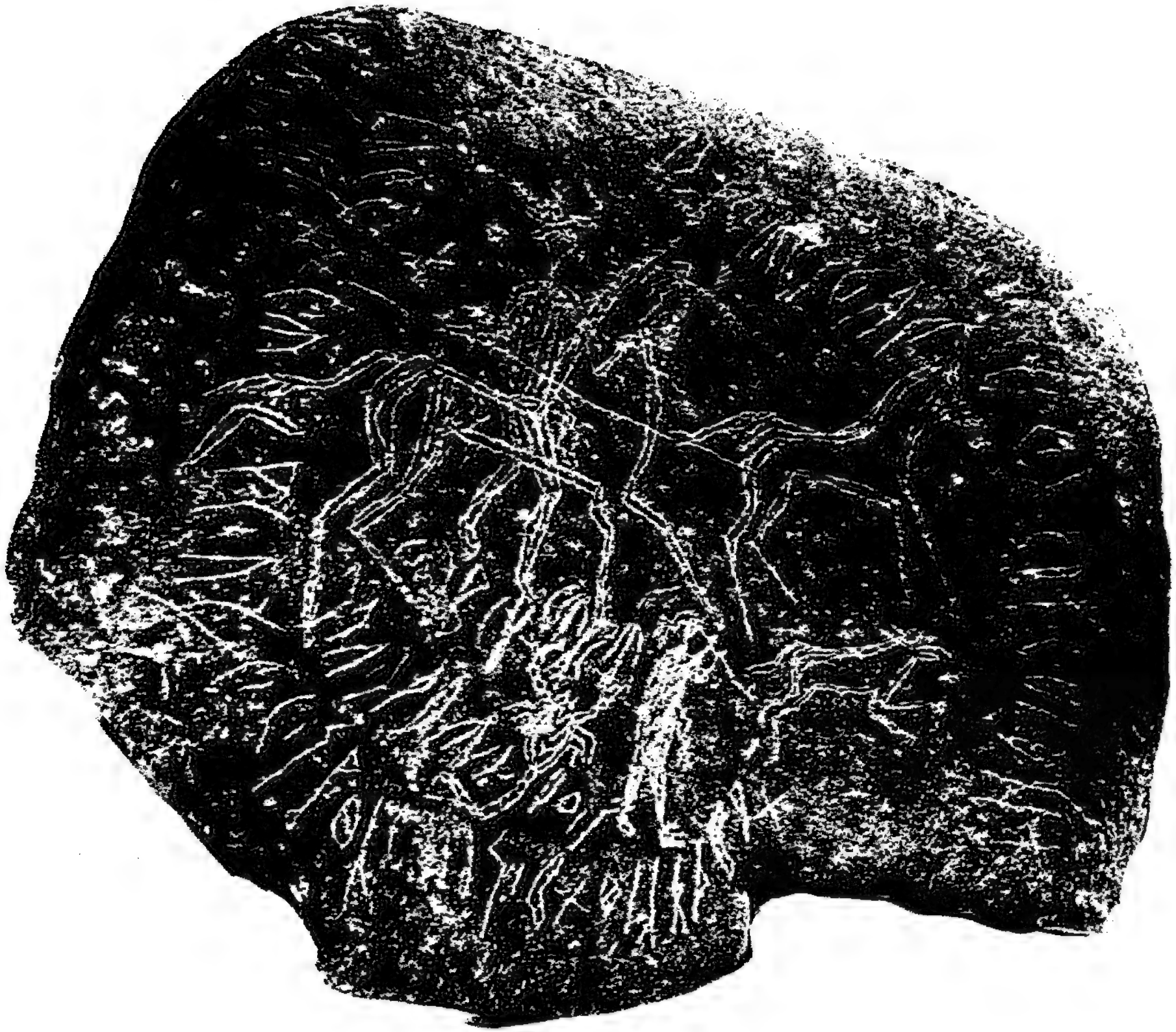
وهكذا يتبين أن مطر وشهية ومسك - إل إخوه والدهم حاج وجدهم مطر، نزلوا في المنطقة ومعهم حيواناتهم وان عملية تنسيبهم واضحة في السطر الثاني فهم من قبيلة عوذ وهي معروفة في النصوص الصفائية.

ونجد في السطر الأول اغفالا لاسم والد جدهم (حاج) وأظن بأن الاسم قد سقط سهوا ويبدو لي بأنها عائلة معروفة فأكثر من نص صفائي يتحدث عن أفراد هذه العائلة⁽¹⁾، ولكن التنسيب في هذا النص أوثق بحيث يتصل حتى القبيلة.



السطر الخامس دخیل على النص الأساسي، وله صفة جنائزية وفيه دعوة للثأر. فالكاتب يذكر بأن لعرس هذه الورقاء وأنه بحزن شديد وضع حجرا على قبر أوس (أي وضع شاهدة القبر أو علامة) وأنه حان وقت الهجوم أو الانقضاض. وتمة النص فيها تشويه ولكن الكلمة الأخيرة واضحة وفيها نداء للثأر.

1) D. Ennolittmann : Syria, Publication of the Princeton University, Archaeological Excpeditions to Syrian in 1904-5 and 1909



التعليق :

حجر بازلي طبيعي عليه هذا النقش الصفائي ، محفوظ بالمتحف الوطني بدمشق قسم الآثار الكلاسيكية برقم 29067 ، مؤلف من أربعة أسطر ، يعتبر من النصوص التذكارية ، يتوسطه رسم لفارس على جواده يحمل سهمًا طويلًا أو جبالًا يمتد حتى المهرمة التي تعدو أمامه ، تحت هذا المشهد هناك رجل يحمل عصا صغيرة يبدو وكأنه راع وأمامه كلبه ، أسفل الرسم هناك شكل عقرب ، ويظهر لنا بأن الرسم قد تم أولاً ثم الكتابة ويبدو ذلك واضحاً في أسفل الحجر عندما نلاحظ التداخل بين الكتابة والرسم .

وإذا عدنا الى النص فإن الكاتب يصرح في السطر الأول عن عملية غزو قد تمت وان الغنيمة قد سيقّت الى سكران.

بالنسبة لاسم العلم سكران وارد في النقوش الصفائية ويعني الذي فقد وعيه من الشراب ومؤنث الكلمة سكرى والاسم وارد الى الآن في منطقة حوران والبادية.

أما اسم والده حامي فهو من المصدر الحماية، والمقصود عند التسمية، انه يتوسم بهذا الشخص أن يكون حاميا للقبيلة، يلي ذلك اسم جده غوث وهو من الغوث والمعنى معروف وهو من الصفات العربية الأصيلة، وفي بعض النصوص يأتي اسم غثثيل والمعنى الله المغيث وفي النبطية يأتي اسم غوث إل وغوث الهي.

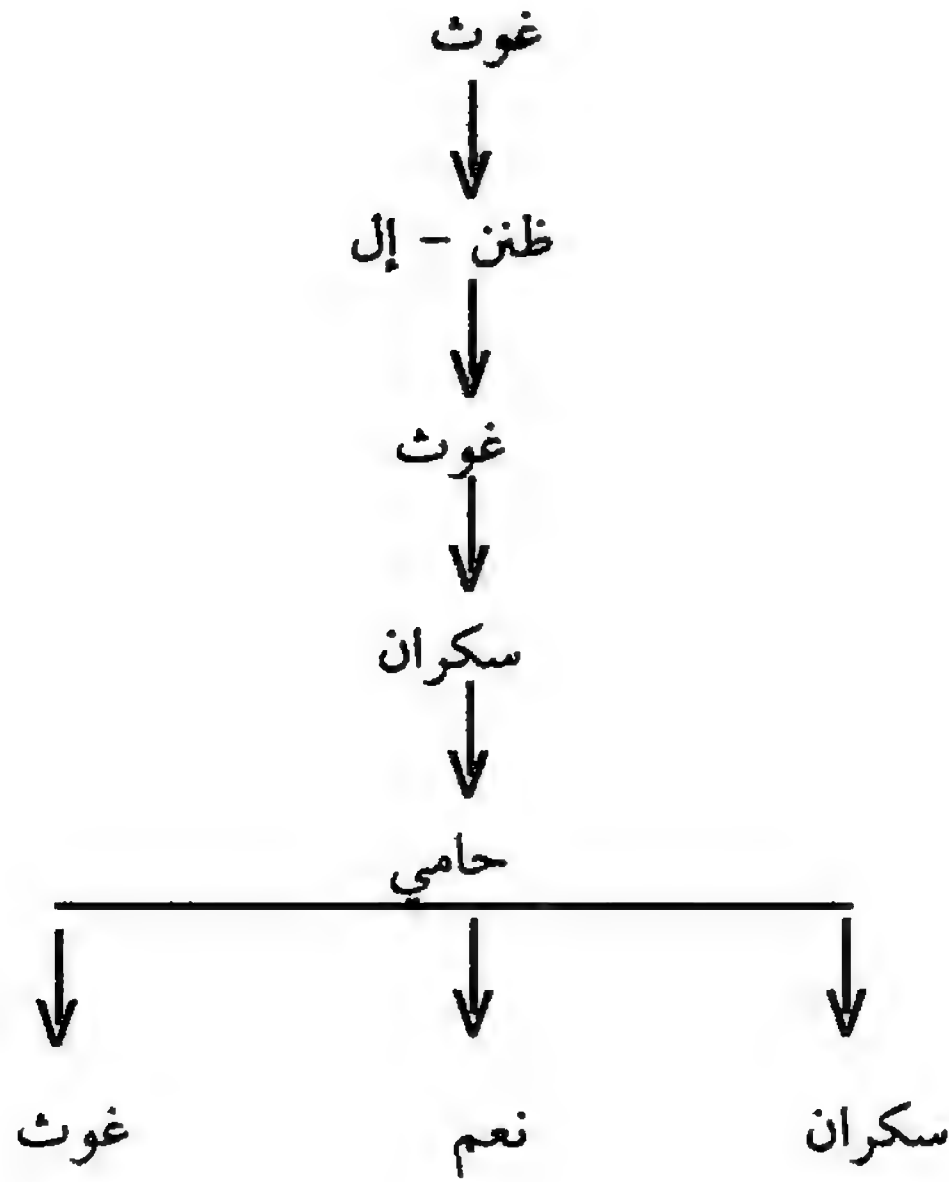
أما كلمة هرج فإنها تعني ذهبت اليه الغنيمة وهدميت وهذه الكلمة تعني أما أنثى الجمل أو أنثى الخيل الخاصة بالعدو والسباق وهناك أسماء أماكن مثل هودوم ودوما نسب اليها هذا النوع من الجمال أو الخيول.

في السطر الثاني يبين الكاتب ان نعم سيحل في المنطقة في هذا الشهر.

أما في السطر الثالث نجد اسم غوث بن حامي بن سكران بن غوث وقد قرن اسمه باسمي الآلهة الرضي واللات ومن المعتاد طلب السلامة له، ولكن اكتفى هنا بهذا الاقران فرجما يقوم غوث بمهمة لا يود الكاتب التصريح عنها أو ربما هو من الأموات وغالبا عند ذكر أسماء أعلام مع أسماء الآلهة يكون طلبا للتبريك والحماية.

في السطر الرابع تم ذكر ثلاثة أسماء غوث بن ظنن إل بن غوث، إن اسم العلم ظنن إل مركب ومعناه غيرة الله أو حمية الله وجاء حرف النون مكررا إما لتدليل المسمى أو لعدم وجود الشدة في الكتابة الصفائية ونلاحظ هذا السطر جاء ليوضح النسب.

وبعد دراسة النص نرى بأن هناك تصريحاً بثلاثة اخوة هم سكران ونعم وغوث ويمكن ملاحظة نسبهم من خلال المخطط التالي :

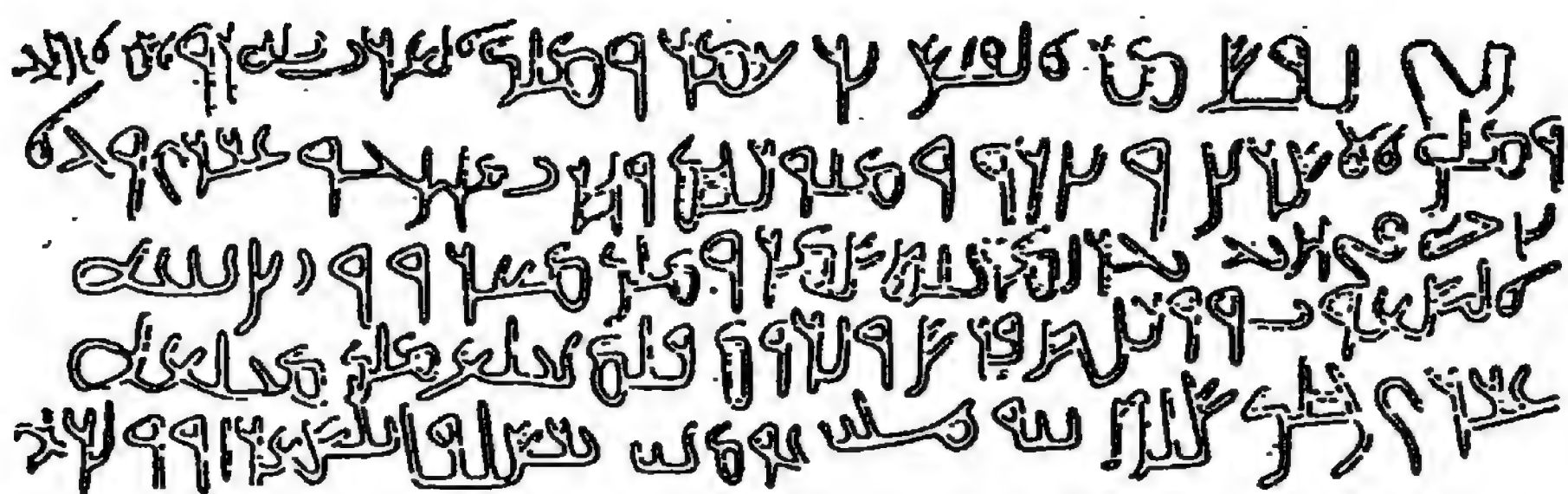


أعود للتأكيد بأن هذه النقائش بكتابتها ورسومها وموضوعاتها وبيئتها ولغتها عربية أصيلة فهي التي تعبر بشكل وثائقي عن الحياة العربية في البادية قبل الاسلام، ويجب أن لا ننسى بأن جميع المؤرخين العرب قالوا بأن الكتابة العربية قد جازمت أي قطعت من الخط المسند وفي هذه المنطقة بالذات.

إن هذه القبائل التي استقرت في شمال شبه الجزيرة وعلى مفارق الطرق لتحكم قبضتها على الحركة التجارية، قد عاصرت مدنا ومشيخات وممالك عامرة مثل مملكة الانباط ومملكة تدمر وكان لها اتصالاتها مع الممالك العربية الجنوبية من معنية وسبئية وحميرية قد خلقت لنا نقوشا بالقلم المسند تقدر بالآلاف وهي بحاجة لدراسة أوسع وأشمل لاستكمال الدراسة الموضوعية لتاريخ الكتابة في المنطقة.

كما ان هذه المجموعات من ثمودية ولحيانية وصفائية قد أسهمت فيما بعد بوجود أمارتين عربيتين من أصل يمني هما دولة الغساسنة ودولة المناذرة، ويعيدا عن الأحداث التاريخية المعروفة لهاتين الدولتين واتجاها الى النقوش الكتابية التي هي محور بحثنا نرى أن بواذر الكتابة العربية قد ظهرت في هذه الساحة، وهذا يعني تفاعلا ثقافيا ناضجا بين الخطين الشمالي والجنوبي أعطى ما يسمى بالخط الجزم.

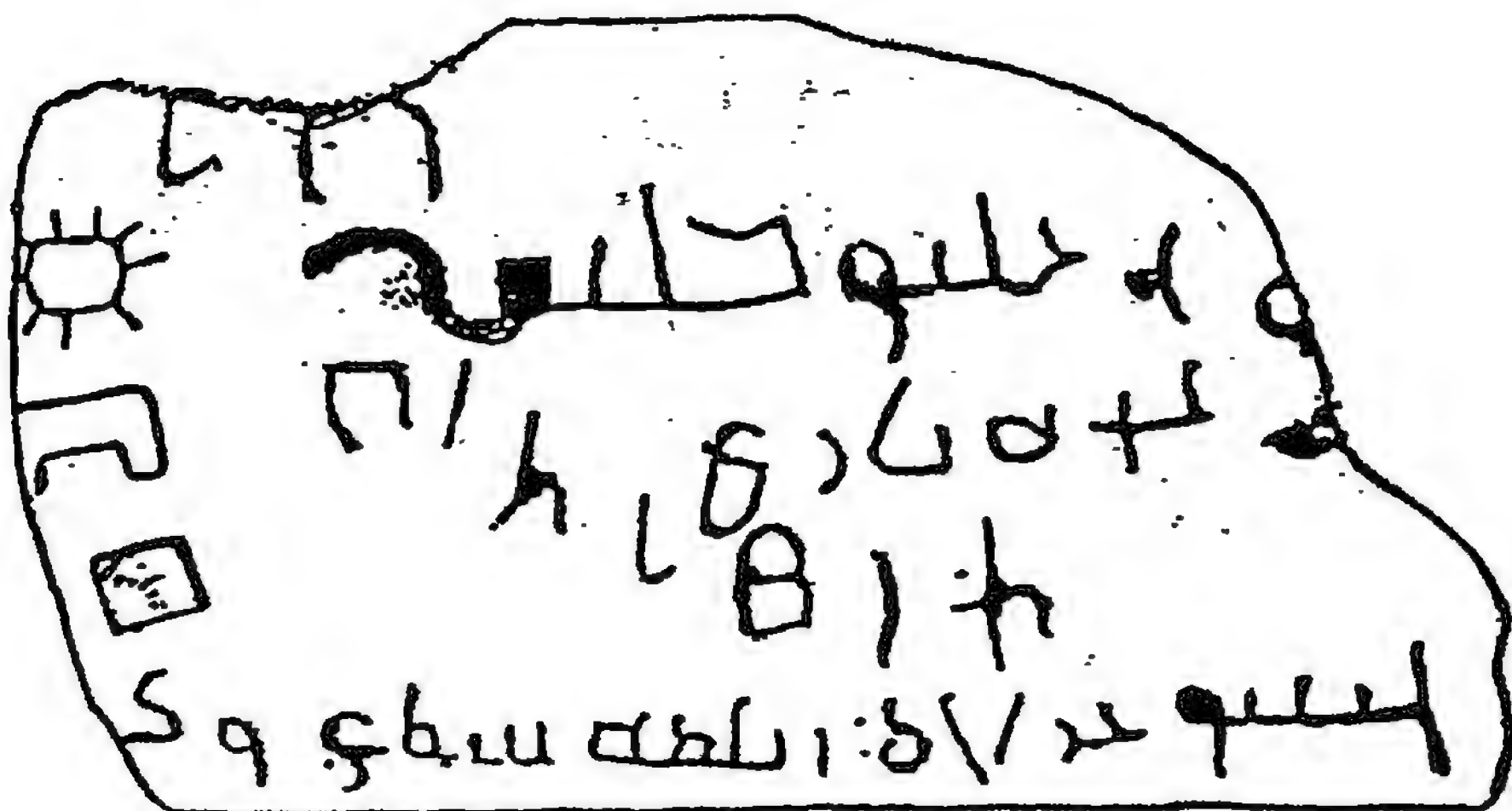
ولعل أقدم النصوص الآرامية النبطية التي ظهر فيها عبارات عربية قريبة من لهجتنا الحالية هو نقش النمارة الذي وجد على قبر أحد ملوك الحيرة اللخمين ويعود تاريخه إلى 328م حيث نشعر بأن الكاتب كان عربيا ويتقن الآرامية.



(نقش النمارة)

وذلك لظهور بعض العبارات ذات الأسلوب العربي الصريح لغة وكتابة مثل " فلم يبلغ ملك مبلغه " " ملك العرب كله " . وكذلك الفعل في جملة " وكلهم فرسو لروم " وتعني " وكلهم الفرس (لصد) الروم " جاء الفعل بصيغة الجمع العربية وليس الآرامية حيث يجب أن يقول " وكلهن " .

ومن النصوص الانتقالية أيضا باتجاه أبجديتنا بالعربية نقش رم الثاني حيث تظهر كلمات بأحرف عربية وأخرى صفائية أي أنها تعود إلى الخط المسند (انظر نقش رم الثاني التالي)



(نقش رم الثاني)

أما النقوش العربية الواضحة والصريحة فهي محدودة جدا تكاد لا تقابل عدد أصابع اليد الواحدة وهي نقش حران وزيد وأم الجمال الثاني ونقش أسيس .

وكما هو معلوم لدينا فإن عرب الحجاز لم يكونوا بمعزل عن الحضارة والفكر والثقافة قبل الاسلام فهم وبحكم صلاتهم التجارية المعروفة بين الشمال والجنوب كانت لديهم معرفة جيدة بالخطين الرامي والمسند وعلى مساس مباشر بظهور بوادر الأبجدية العربية في هذه المنطقة، ونهضت قبيلة قريش واستطاعت أن تعقد الايلافات أي المعاهدات التجارية مع سائر القبائل وأوجدت رحلتين في السنة إحداهما في الصيف الى بلاد الشام والأخرى في الشتاء الى اليمن قال تعالى " لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف " .

وظهرت الأسواق العربية المختلفة التي ارتبطت بالتجارة في الحجاز وبمكة بالذات فكان من أهمها سوق عكاظ الذي يعتبر مركز نشاط اقتصادي في ظاهره وهو مجمع لغوي في حقيقته فهو يجمع شتى القبائل العربية بمختلف لهجاتها وثقافاتهما، وبدأ طغيان لغة الشمال على لغة الجنوب وبالمقابل فإن الخط المسند أخذ بالتراجع ليفسح المجال للخط العربي بالظهور والتداول ولكن الاشراق والانتشار الحقيقي لهذا الخط كان مع الاسلام، ولحكمة إلهية كان القرآن الكريم هو الكتاب الأول الذي دون بالخط العربي .

التوصيات

- 1- ان هذه النقوش موزعة الآن في عدد من الدول العربية لذا أرى وضع مشروع مشترك لحصر هذه النقوش وتحديد حركة هذه القبائل في المنطقة .
- 2- جمع النقوش الهامة وحفظها وعدم تركها معرضة لعوامل الطبيعة سيما وأنها على سطح الأرض وغير محفوظة ضمن تلال أثرية كغيرها من أنواع الكتابات .
- 3- في حال الترخيص لاي بعثة أجنبية للعمل في هذا المجال يجب أن تكون بعثة عربية - أجنبية مشتركة وأن يكون العمل والبحث والدراسة والنشر من قبل الطرفين بشكل متكافئ وكما يحدث في سورية حالياً .
- 4- يعتبر سكان البادية من المواطنين المحافظين على آثار منطقتهم، لذا علينا حالياً تحديد مواقع النقوش وأماكن تجمعها وفي حال قيام أي مشروع في البادية يجب اعلام السلطات الأثرية لدراسة الوضع في سبيل الحفاظ على هذه النقائش .
- 5- اقامة متاحف تخصصية لعرض النقائش ليتم توضيح تاريخ الكتابة في المنطقة آخذين بعين الاعتبار الأهمية الأثرية القومية لمثل هذا النوع من النشاط الحضاري الذي تم إبداعه في المنطقة وتقديمه للعالم .

المصادر والمراجع

Reférences

1- Corpus Inscriptionum Semiticarum Tomus I.

2- D. Enno Littmann: Syria - Publication of the Princeton University- Archaeological Expeditions to Syria 1904- 5 and 1909, Division IV.

- تاريخ اللغات السامية، د.أ. ولقنسون

- محاضرات الدكتور عدنان البني في علم المنقوشات 1985-1984

- الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد الثالث عشر 1963

كتابات عربية في جبل أسيس، د. أبو الفرج العث

- الحوليات الأثرية العربية السورية، 1973

نشأة الخط العربي وتطوره، د. أبو الفرج العث

كتابات عربية صفوية جديدة، د. علي أبو عساف

الموانئ البحرية التاريخية في السودان

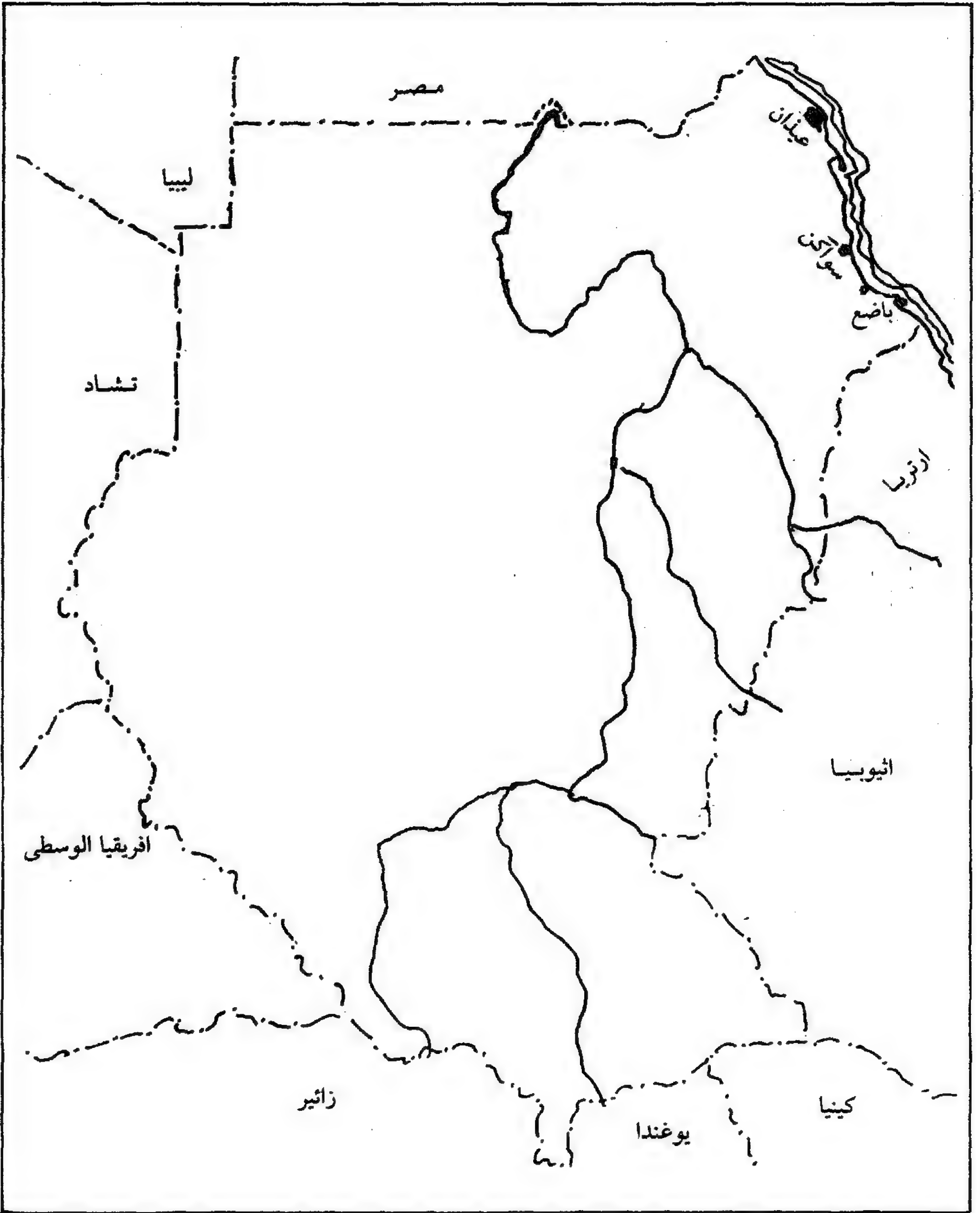
كإحدى المنشآت المائية في الوطن العربي

أ. صلاح عمر الصادق

ان اسم السودان مشتق من الاسم الذي أطلقه الرحالة والجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الأراضي التي تقع جنوب مصر "بلاد السودان" أي أرض السود وهو اسم مبني على لون سحنة العنصر البشري الذي كان يقطن المنطقة في تلك الفترة التاريخية.

وتبلغ مساحة السودان حالياً حوالي المليون ميل مربع، وتمتد من قروره وغلى في الجنوب حتى شلاتين وارقين في الشمال. ويجاور السودان مصر في الشمال وفي الشرق أثيوبيا وارتريا والبحر الأحمر الذي يمتد خط ساحله بطول 80كم، وكينيا وبنوغندا وزائير في الجنوب وافريقيا الوسطى وتشاد في الغرب وليبيا في الجنوب الغربي.

ويشكل الجزء الغربي للبحر الأحمر في السودان ونهر النيل والأنهر التي تصب فيه المسطحات المائية الرئيسية وذلك اذا تغاضينا عن الأودية والخيران والأنهر الموسمية التي تكثر بالسودان (انظر خريطة رقم 1). هذا الموقع الجغرافي المتميز للسودان كملتقى للطرق التجارية الافريقية وذلك لتوسطه القارة الافريقية وامتداد حدوده بين تسع دول مما أدى الى تداخل بين القبائل في هذه الحدود، اضافة الى امتداد ساحله على البحر الأحمر وتفرد هذا الساحل بكثرة الخلجان مما أدى الى قيام كثير من المراسي والموانئ الطبيعية منذ أقدم العصور فأصبح إحدى بوابات الثقافة والتجارة لدواخل القارة الافريقية. والموانئ البحرية التاريخية الثلاثة هي باضع على الجزء الجنوبي وعيذاب في الشمال وسواكن في الوسط.



خريطة رقم 1 : خريطة السودان موضح فيها المسطحات المائية والموانئ الثلاثة
(باصح وعمدان وسواكن) والدول التسعة التي تحيط بالسودان

كل المعطيات السابقة أدت الى قيام حضارات مزدهرة في كل أنحاء السودان منذ عصور ما قبل التاريخ فقد نشأت في العصور الحجرية حضارات في أماكن متعددة ومن أهم مواقعها خور أبو عنجة ومستشفى الخرطوم والشهيناب في أواسط السودان، وقد بدأت هذه العصور قبل 500+ ق-م. أما منطقة النوبة في شمال السودان في هذه الفترة كانت تواصل تطورها الحضاري فنجد نشوء حضارة المجموعة الأولى والثالثة التي استمرت منذ (3100 ق-م حتى 2150 ق-م) ثم تلا ذلك مرحلة المملكة المصرية الوسطى والحديثة (2150-1100 ق-م) والتي ازدهرت حضارة كرمه في الجزء الأول منها، ثم تابع السودان تطوره الحضاري فنجد عصر نبته مروي (750 ق-م-350 م) ثم العصر المسيحي (450-150 م) وكان بعد ذلك قيام أول سلطنة اسلامية في أواسط السودان وهي سلطنة الفونج الاسلامية (1504-1821 م).

هذا ما كان من أمر شمال السودان أما شرق السودان منطقة ساحل البحر الأحمر فقد تفاعل في تطوره التاريخي بالأحداث التي تجري في بقية السودان وان ارتبط في مجريات تطوره التاريخي بالموانئ البحرية على الساحل التي ارتبطت بالتوزيع القبلي، كما لعبت الهجرات العربية الوافدة من الجزيرة العربية دورا هاما في تاريخ هذا الساحل من خلال المواني التي انشئت وقد تميزت هذه المواني باستقلالية ذاتية حتى سقوطها مع بقية موانئ البحر الأحمر تحت يد السلطنة العثمانية في بداية القرن السادس عشر الميلادي (1).

- الموانئ البحرية التاريخية السودانية وتوزيع قبائل الساحل :

لعبت القبائل السودانية القاطنة للساحل والظهير دورا أساسيا في تاريخ هذه المواني منذ أقدم العصور فقد ذكر هذه القبائل كثير من الرحالة والجغرافيين العرب ومنهم اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن جعفر اليعقوبي) - 895م- في كتابه "تاريخ اليعقوبي" فقد ذكر قبائل الحدارب والحباب والأمرار (2).

وأول العناصر البشرية التي قطنت هذه المواني التاريخية الثلاثة (باضع وعيذاب وسواكن) ووجدت الآثار الدالة عليهم هم العرب الذين قدموا من الجزيرة العربية

(1) محمد صالح ضرار. «تاريخ سواكن والبحر الأحمر». دمشق، الدار السودانية للكتب، 1981، ص 53 .

(2) مصطفى محمد مسعد «المكتبة السودانية العربية»، القاهرة، جامعة القاهرة بالخرطوم، 1972، ص 22 .

وخاصة حضرموت باليمن وعرفوا محليا باسم الحدارية (الحضارمة) وقد عمل هؤلاء على التمازج مع السكان المحليين وقاموا مجتمعين على التنشيط الحركي والعمراني لهذه المنشآت المائية وتبادلوا التجارة مع القبائل في الظهيرة ومع الموانئ الأخرى في البحر الأحمر (3).

لقد شاركت قبائل الساحل في هذا النشاط وتوزع هذه القبائل حسب النشوء التاريخي للموانئ أي حسب تسلسلها التاريخي (باضع وعيذاب وسواكن). ففي ميناء باضع جنوب الساحل السوداني عند عقيق نجد أن القبيلة التي تقطن هناك هي قبيلة البني عامر الذين يمتدون جنوبا من طوكر حتى الحدود السودانية الأثرية. أما في ميناء عيذاب في شمال الساحل السوداني فنجد قبيلة البشارين التي تمتد من شمال مدينة محمد قول حتى الحدود السودانية المصرية، أما آخر الموانئ التاريخية السودانية فهو ميناء سواكن فتقطنه قبائل الهدندوه التي تمتد مناطقها من سواكن في الساحل باتجاه الداخل أما قبائل الأمرار فهي تمتد من سواكن حتى دنكناب شمال بورتسودان.

ان القبيلة التي تميزت بتوزعها على كافة هذه الموانئ الثلاثة فهي قبيلة الرشايدة والتي تمثل آخر الهجرات العربية الى السودان فقد قدموا من الجزيرة العربية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي (+). (انظر خريطة رقم 2).

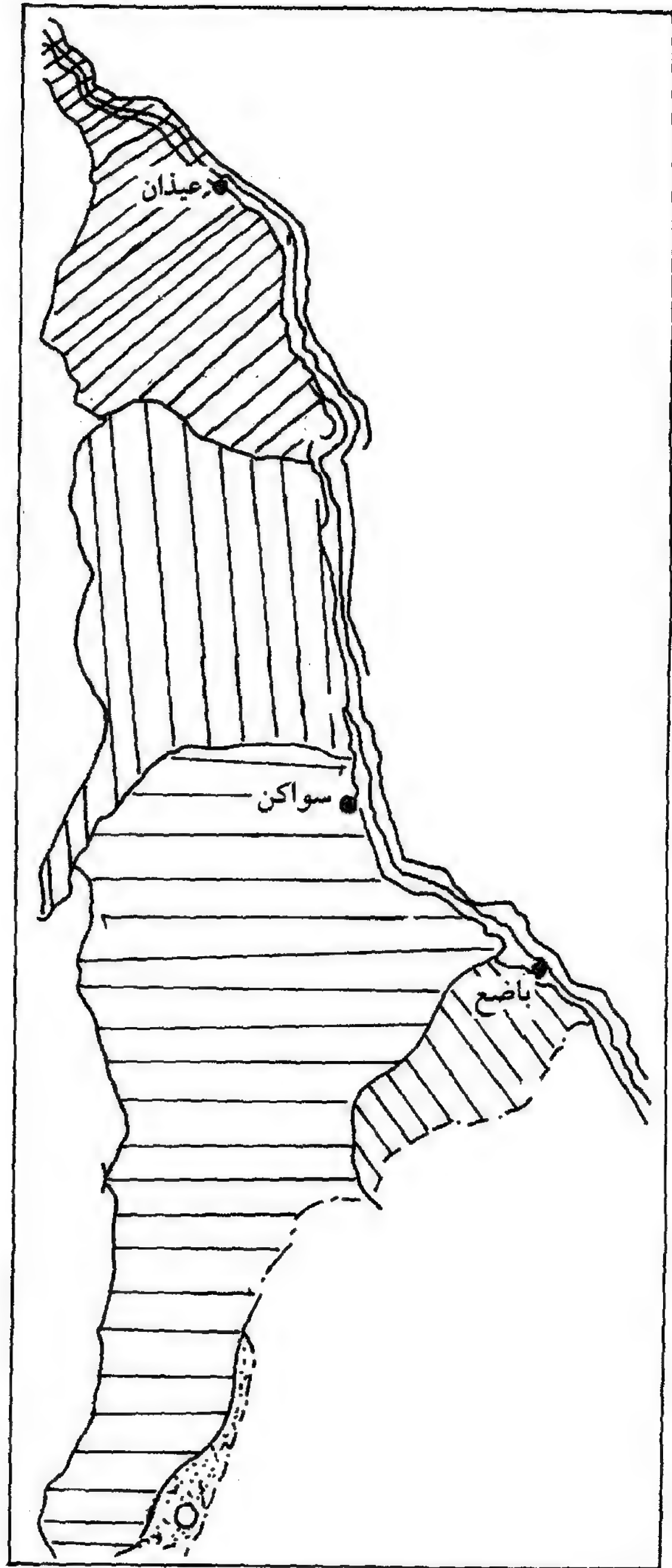
التكوين الجيولوجي للساحل السوداني وأسباب نشوء الموانئ البحرية:

إن إبراز التكوين الجيولوجي لساحل البحر الأحمر السوداني يمكن أن يلقي الضوء على الأسباب الطبيعية لنشوء هذه الموانئ البحرية والمواد التي استخدمت في بنائها وبناء السكان لمنشآتهم. ففي عصر البليستوسين تكونت الشعب المرجانية على شكل كورنيش بطول الساحل السوداني الذي يبلغ 800 كم ويعرض كيلو ونصف وبسمك مترين فوق سطح البحر.

وتتكون هذه الشعب المرجانية من صخور مرجانية ورسوبيات لحفريات اختلطت ببعضها بواسطة الحجر الجيري الرملي. وتعتبر الشعب المرجانية المصدر الأساسي لمواد

(3) ابن بطوطة. «رحلة ابن بطوطة»، القاهرة، دار الكتاب المصري، بدون تاريخ، ص 164.

(4) يوسف فضل حسن «دراسات في تاريخ السودان»، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1975، ص 173.



خريطة رقم 2 :
توزيع القبائل السودانية على ساحل البحر الأحمر (المواني الثلاثة باضع وعيدان وسواكن)

البناء في كل ساحل البحر الأحمر وقد بنيت منها كل الموانئ التاريخية الثلاثة (باضع وعيذاب وسواكن) كما بنيت منها منشآت السكان من منازل ومساجد وغيرها. كما يستخرج الجير من هذه الشعب ويوجد كثير من هذه المحاجر وتسمى محليا (مناقب) إضافة الى ذلك فان الجير يستخدم في الطلاء وأيضا يخلط مع الرملة ويخمر ويستخدم كملاط رابطا لكتل الصخور المرجانية التي تستخدم في البناء وتقف مباني مدينة سواكن شاهدا على هذا الاستخدام ويؤكد ماذكر سابقا قرين لو Greenlaw حينما يقول :

The houses and mosques of Suakin were built of modrepore, or rock-coral, brought from the sea-bed (5) .

ان هناك عدد كبير من الخيران والأودية تأتي من الجبال (جبال البحر) محملة بمياه الأمطار في فصلي الخريف والشتاء وتقطع الساحل لتصب مياهها في البحر وعند فتحات هذه الخيران والأودية تكون مصبات خليجية أو مراسي قاطعة في الشعب المرجانية ومن هنا تتكون موانئ ومراسي للمراكب والسفن ونسبة لكثرة هذه الخيران والأودية فقد كثرت الموانئ والمراسي الطبيعية (6).

ومن هنا فقد عمل التكوين الجيولوجي والطبوغرافي لساحل البحر الأحمر على نشوء الموانئ وعلى توفير مواد بنائها وبناء مدتها.

الموانئ البحرية التاريخية السودانية (باضع وعيذاب وسواكن):

بدأ نشاط موانئ الساحل السوداني منذ فجر التاريخ فقد ورد ذكرها منذ عهد المملكة المصرية القديمة (2635-2570 ق-م) كما ذكرت في عهد المملكة المصرية الحديثة الأسرة الثامنة عشرة (1550-1305 ق-م) في زمن الملكة حتشبسوت (1490-1468 ق-م) حيث ذكرت أنها أرسلت بعثة بحرية الى بلاد بونت جنوب ساحل البحر الأحمر المصري ويؤكد كثير من علماء المصريات بأنها في السودان.

(5) Jean-pierre Greenlaw. "The Coral Buildings of Suakin. London. Oriel Pres, 1976, p. 87.

(6) احمد محمد علي حاكم ومحمد طاهر «المشروع السوداني الفرنسي للابحاث العلمية في منطقة البحر الاحمر» مجلة آداب، جامعة الخرطوم، العدد 5 لسنة 1983، ص 52 .

ارتبط نشاط هذه الموانئ اضافة الى التجارة بحركة التعدين في الظهيرة وقد وجد هذا النشاط اهتمام فراعنة مصر وخاصة الأسرة الثامنة عشرة (7). واستمر الدور التاريخي للموانئ السودانية وخاصة في العصر البطلمي والروماني وقد أشار المؤرخ الروماني بليني الأكبر الى أن بطلميوس الثاني والثالث أقاما محطات تجارية على الموانئ الساحلية السودانية وخاصة في باضع وكانت هذه المحطات اضافة الى نشاطها التجاري تقوم باستيراد الحيوانات من داخل القارة الافريقية للملوك البطالسة (8) وتواصل الدور التاريخي في العهد البيزنطي المسيحي ولكن قمة ازدهارها وتشكيل تاريخها كان على يد العناصر العربية قبل وبعد الاسلام بصورة أكبر.

بناء على ما سبق ذكره سنركز دراستنا على هذه الموانئ الثلاثة في الفترة العربية الاسلامية ونبدأ بأقدمها وهي:

ميناء باضع:

ألف العرب السواحل الافريقية للبحر الأحمر قبل الاسلام في زمن الخلفاء الراشدين وكانت لهم مراكز وتجمعات هامة حيث وصلوا الى صيغة تعايش مع العنصر المحلي، وميناء باضع كان حجر الزاوية في هذه العلاقة فقد كانت ميناء هاما ومدينة تحت امرة المسلمين نفى اليها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي الجليل أبا محجن الثقافي في السنة السادسة للهجرة وقد أورد الطبري في كتابه (تاريخ الرسل والملوك): " وقال الواقدي: وفي هذه السنة غرب عمر أبا محجن الثقفي الى باضع " (9).

ونستخلص من ذلك أنها كانت تابعة للخلافة الاسلامية وسيطرتها عليها تامة حتى غدت سجنا ومنفى، وعلى ما يظهر فان المسلمين استطاعوا أن يحولوا هذه العلاقة والسيطرة الى علاقة تجارية مزدهرة واتفاق متبادل حتى غدت مركزا تجاريا هاما اذ

(7) Zyhlarz, Ernest. "The Countries of the Ethiopian Empire of (Kush) and Egyptian Old Ethiopia in the New Kingdom". *Kush* VI, 1958, p. 24.

(8) Pliny the Elder. "The Natural History" Book, VI, 34. H. Rackham. M. A. (tran). London. Harvard University Press, 1947, p.465

(9) الطبري، محمد بن جرير «تاريخ الرسل والملوك»، مجلد 97، القاهرة، دار المعارف، 1962، ص 28.

صدرت كثير من المنتجات السودانية التي تتوافر في الداخل في أراضي الظهيرة حيث ذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب بنى مسجدا بجدة وجعل له ساريتان من خشب الابنوس. وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان تطور ميناء جدة وأصبح ميناء مكة الرئيسي ليسهل أمر الامدادات والحجاج الوافدين بالبحر الأحمر، وربما كان لهذا أثره في ازدهار باضع حيث انجذب كثير من المهاجرين العرب المسلمين نحو الساحل الافريقي وأصبحت علاقة المسلمين بسكان الداخل ثابتة ومؤسسة.

تقف آثار مدينة باضع هذه شاهدا على العلاقة الوثيقة التي كانت قائمة، وموقعها اليوم في الطرف الجنوبي لجزيرة الريح على ارض خبيل عقيق عند الحدود السودانية الارترية ويشتمل الموقع على مساحة تقدر بحوالي الستمائة متر طولاً ومائتي متراً عرضاً، تتبعثر على هذه المساحة بقايا أطلال مبان من حجارة المرجان المحلية، بعض هذه المباني كبير في حجمه وهي مرصوفة حول شارع يخترق المدينة وتلتحق به بعض الميادين والساحات (10) أحد هذه المباني يظهر أنه كان مسجداً شبيه بالطراز الحجازي زمن الخلفاء الراشدين، ويشبه المسجد المجيدي الموجود حالياً بجزيرة سواكن والمشيّد سنة 1853 (11).

وتغذى المدينة بالمياه بواسطة مجموعة كبيرة من الخزانات متصلة بقنوات مغطاة وعليها طبقة من الجبس والجير (12) وهذا النظام ليس معروفاً في دواخل السودان وإن وجدت هذه الخزانات في كل من عيذاب وسواكن كما أنه شائع في الجزيرة العربية. تلتحق بهذه الآثار مقبرة واسعة تفوق أعدادها الألف قبر مختلفة في أشكالها وأحجامها بعضها شبيه بقبور البجة وبعضها مندثر تماماً وبلا مميزات كمقابر البقيع بالحجاز وكثير منها يتجه نحو القبلة وبعضها لا يتقيد بذلك، ووجدت شواهد قبور مخطوطة بالخط الكوفي وبعضها مؤرخ يشير إلى استمرارية هذه المواقع حتى القرن الثالث والرابع الهجريين الموافقين للقرن الحادي عشر الميلادي.

ميناء عيذاب:

لعبت عيذاب دوراً هاماً بالنسبة للسودان حيث كانت نقطة انطلاق للدعوة الإسلامية إلى داخل السودان فمنذ خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي

J.W. Crowfoot. "Some Red Sea Ports In the Anglo-Egyptian Sudan". Geographical Journal, Vol. (10) XXXVII, May 1911, p. 542-4.

Hinkel, F.H. "The Archaeological Map of the Sudan, The Area of The Red Sea Coast and Northern (11) Ethiopian Frontier, VI, Berlin, 1992, p. 319.

H.E. Hebbert. "El Rih - A red Sea Island" S.N.R., Vol. XVII, 1935, pp. 312-13. (12)

اللّه عنهما تواتر ورود المسلمين عليها - وترتبط عيذاب بطرق مواصلات مباشرة بوسط السودان وشرقه، وكانت مخرجا لمتوجات منطقة المناجم⁽¹³⁾ توجد بعيذاب مقابر كثيرة لا تتناسب وحجم المدينة وهذا يشير الى زيادات فجائية مثل الحجاج الموسمي ومن بين هذه المقابر هناك مجموعات غير اسلامية ويعزى ذلك الى طبيعة مجتمع عيذاب المركب الذي ضم عناصر غير مسلمة كتجار اليهود والنصارى والبجة الوثنيين.

لقد اشتهرت عيذاب بالمباني الكبيرة فقد ذكر ابن بطوطة جامع القسطلاني كأحد المعالم المعروفة في العالم الاسلامي وقتها، كما توجد بها صهاريج حفرت في الأرض وغطت جدرانها بالجبس لحفظ المياه. ومما يؤكد طبيعة ميناء عيذاب التجارية وجود كميات كبيرة من قطع الخزف والزجاج والفخار وكلها من الأنواع الرفيعة الغالية الثمن وفيها الخزف الفاطمي والمملوكي الشهير والذي يشبه انتاج القسطنطين وكذلك أعداد هائلة من الخزف الصيني الذي انتج خصيصا في مصانع اندونيسيا وفيتنام والصين وقطع الزجاج الملون التي تشير الى ارتباط عيذاب بسواحل الشام وجمهوريات ايطاليا⁽¹⁴⁾ كل هذا يؤكد حقيقة أن ميناء عيذاب له صلات بعواصم العالم والعالم الاسلامي بصفة خاصة خلال فترة ازدهارها وقد زارها كثير من الرحالة والجغرافيين العرب أمثال ابن جبير وابن بطوطة وابن خلدون، وقد دمر ميناء عيذاب على يد السلطان المملوكي بارسباي في حدود عام 126م.

ميناء سواكن:

يقع ميناء سواكن جنوب ميناء بورتسودان وعلى بعد 50 كم منها، عند خط عرض 19,06 شمالا وخط طول 37,20 شرقا خريطة رقم NE-37-A مقياس 1:250,000 (مصلحة المساحة السودانية) وتقع سلسلة جبال البحر الأحمر غرب سواكن على بعد عشرات الكيلومترات منها ممتدة جنوب- شمال.

وكانت سواكن تعتبر أهم ميناء على البحر الأحمر حتى عام 1909م. عندما فتح ميناء بورتسودان⁽¹⁵⁾ وتربط سواحل البحر الأحمر بدواخل السودان وافريقيا، كما

(13) بشير ابراهيم بشير. «هيذان : حياتها الدينية والأدبية» مجلة الدراسات السودانية - جامعة الخرطوم، العدد الثاني، المجلد 5، يوليو 1979، ص 74.

(14) Mutsuo Kawatoko, "Preliminary Survey of 'Aydhah and Badi' Sites" *Kush*, Vol. XVI, 1993, pp. 204, 7,212.F.2,

(15) Roden, D. "The twentieth Decline of Suakin. SNR, Vol. LI, 1970, p. 9.

أنها تتاجر مع الموانئ الشرقية على الساحل الآخر مثل ميناء مخا والحديدة في اليمن وجدة وينبع في السعودية والعقبة في الأردن وقد وجدت كثير من الوثائق الخاصة بالتعاملات التجارية ما بين سواكن وهذه الموانئ وهي تعكس كثيرا من أوجه الحياة في تلك الفترة ولكن هذه الوثائق لم تدرس من قبل الدارسين. وقد أضاف أهمية لموقعها أنها كانت تتوسط موانئ الساحل الغربي مثل عصب ومصوع في ارتريا وعيذاب في السودان ورأس بنياس والقصير في مصر. وقد تعاصرت مع عيذاب قبل نهاية عيذاب في العقد الثالث من القرن الخامس عشر الميلادي.

يتكون ميناء سواكن من ثلاثة أجزاء متكاملة بحيث يقع الجزء الأول منها على الأرض الساحلية ثم يأتي الجزء الثاني وهو الرئيسي ويقع داخل الجزيرة وقامت عليه كل مباني سواكن الهامة ومحيط الجزيرة كيلومتران ونصف كيلو متر وتبعد عن البر أو الجزء الأول بحوالي 40 مترا، أما الجزء الثالث فهو جزيرة تعرف باسم الكوندنسر أو جزيرة الكنداسه تبعد حوالي 80 مترا شمال سواكن (الجزء الثاني) وكانت تستعمل الجزيرة في أعمال تتعلق بالميناء مثل مربط للسفن وبعض الأعمال الإدارية وترتبط هذه الجزيرة في الجزء الشمالي الغربي منها بالبر وذلك من خلال أرض محاطة ببرزخ يقل فيها مياه البحر، وجزيرة الكنداسه أصغر من الجزيرة الرئيسية.

ويعود تاريخ سواكن الى العصور الفرعونية⁽¹⁶⁾ ولكن مباني المدينة تبرز لنا الفترة الاسلامية (642-1909م) ويعود تاريخ المباني الحالية في الجزيرة الى (1531-1909م). وتتكون المباني من المنازل والجوامع والمنشآت الحكومية مثل مبنى المحافظة والجمارك والمحكمة والرصيف كما تشمل المباني أيضا المنشآت العسكرية مثل الطوابي والأسوار. وقد بنيت المباني على أسس العمارة العربية الاسلامية وهي تنقسم معماريا الى ثلاث فترات هي:

- 1- الفترة القديمة وترجع الى الفترة التركية (القرن الخامس عشر حتى الثامن عشر).
- 2- الفترة الوسيطة وترجع الى أواخر القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر وتعود المباني الى العمارة التركية، وتعلو المباني الى ثلاثة طوابق بنسب متناسقة.
- 3- الفترة الثالثة وتتميز بالعمارة التركية - المصرية وترجع الى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

(16) ضرار - تاريخ سواكن، ص ص 37 - 8 .

ان مباني سواكن ذات الأشكال المربعة الفنية في معمارها وزخارفها ومشربياتها البارزة وخير ما يمثل هذا الابداع المعماري جوامع الجزيرة وخاصة الجامع الحنفي والجامع الشافعي التي تقول الروايات أنه قد بنته الملكة شجرة الدر (1250م) (17) .

لقد لعبت الموانئ البحرية السودانية على ساحل البحر الأحمر دورا هاما في تاريخ المنطقة وعملت على انصهار العناصر العربية والمحلية في تمازج متفرد عاملا على اثراء شعوب المنطقة العربية برفاهية مادية وثقافية مما أدى إلى تشكيل الوجدان الواحد في كلّ حوض البحر الأحمر ولا زال دور هذه الموانئ حيويا ومستمر لان عند ازدهار هذه الموانئ ازدهرت الأمة العربية والاسلامية وأبرزت حضارة لا زالت شواهدا المادية تقف شامخة الى اليوم .

(17) ضرار - تاريخ سواكن، ص ص 148 .

المراجع

المراجع العربية:

- (1) ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي) " رحلة ابن بطوطة " ، القاهرة، دار الكتاب المصري، بدون تاريخ.
- (2) احمد محمد على حاكم ومحمد طاهر " المشروع السوداني الفرنسي للأبحاث العلمية في منطقة البحر الأحمر " ، مجلة آداب، جامعة الخرطوم، العدد 5 لسنة 1983م.
- (3) الطبري (محمد بن جرير) " تاريخ الرسل والملوك " ، مجلد 17، القاهرة، دار المعارف، 1963.
- (4) بشير ابراهيم بشير " عذاب: حياتها الدينية والأدبية " مجلة الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم، العدد الثاني، المجلد 5، يوليو 1979م.
- (5) محمد صالح ضرار " تاريخ سواكن والبحر الأحمر " الخرطوم، الدار السودانية للكتب، 1975م.
- (6) مصطفى محمد مسعد " المكتبة السودانية العربية " ، القاهرة، جامعة القاهرة بالخرطوم، 1972.
- (7) يوسف فضل حسن " دراسات في تاريخ السودان " ، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1975م.

المراجع الأجنبية:

- 1) Hinkel, F.H.: "The Archaeological Map of the Sudan, The Area of the Red Sea Coast and Northern Ethiopian Frontier VI ". Berlin. 1992.
- 2) Jean-Pierre Greenlaw : "The Coral Building Of Suakin " London, Oriel Press, 1976.
J.W.Crowfoot: "Some Red Sea Ports In the Anglo-Egyptian Sudan ", Geographical Journal, Vol. XXXVII, May 1911.
- 4) Mutsuo Kawatoko: "Preliminary Survey of 'Aydhhab and Badi' Sites " Kush, vol. XVI, 1993.
- 5) Pliny the Elder: "The Natural History ". Book, VI, 34. H. Rackham. M.A. (tran) London. Harvard University Press, 1947.
- 6) Roden D.: "The Twentieth Century Decline Of Suakin ", SNR, vol. LI, 1970.
- 7) Zyhars Ernest: " The Countries of the Ethiopian Empire of (Kush) and Egyptian Old Ethiopia in the New Kingdom ", Kush, vol. VI, 1958.

الرسوم والنقائش الصخرية في الوطن العربي

د. منير يوسف طه(*)

نظرا لأهمية الترابط الحضاري ما بين بلاد وادي الرافدين، ومنظمة الخليج العربي فان بحثي هذا سيتناول جانب من جوانب النقائش الصخرية في العراق القديم، والرسوم الصخرية في بعض دول الخليج العربي.

ومن خلال متابعتنا لهذين الموضوعين الحيويين تبين لنا أن النقائش الصخرية البارزة تعرف بالتعبير اللاتيني (Relief)، وقد ظهرت هذه النقائش في بلاد وادي الرافدين منذ العصر المسمى بجمده نصر والذي يؤرخ ما بين نهاية الألف الرابع والبدایات الأولى للألف الثالث قبل الميلاد.

أما الرسومات الصخرية والتي تعرف بالكرافيتو (Graffito) فانها ظهرت في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية منذ عصور حضارية مبكرة أيضا يمكن أن تنسب وحسب الاجتهادات الخاصة بهذه الدراسات إلى الألف الثالث، أو الثاني قبل الميلاد.

ولسهولة متابعة البحث فاننا سنقتصر على ذكر أهم النقائش الصخرية والمعروفة بالنحت البارز (Relief)، في بلاد وادي الرافدين، والرسوم الصخرية والمعروفة بالكرافيتو (Graffito) في منطقة الخليج العربي.

1- النقائش الصخرية في بلاد وادي الرافدين

بالامكان تقسيم هذه النقائش إلى مجموعتين هما:

أ) النقائش الصخرية المنقولة، وتشمل المسلات والنصب التذكارية، التي لها عدة مدلولات خاصة كأن تكون مواضيع ملكية، أو مواضيع عامة وقد تكون نقائش تمثل

(*) مدير المركز الاقليمي لعناية الممتلكات الثقافية

عدة جوانب من الحياة الدينية والدنيوية وخير دليل على هذا النوع من النقائش ما يعرف بالاختام الاسطوانية (Cylinder Seals) والألواح الجدارية (Plaques).

ب) النقائش الصخرية الغير منقولة، وتشمل هذه النقائش التي تعكس جنباً من جوانب سيرة أحد ملوك بلاد وادي الرافدين وقد نقشت هذه السيرة على سبيل المثال على سفوح أو أعالي الجبال الصخرية.

أ- النقائش الصخرية المنقولة:

ان انعدام الأحجار التي تصلح لعمل النقائش عليها في بلاد سومرواكد والغنيتان بالفائض الزراعي والمنتوجات الحيوانية والمتاخمتين لمنطقة الخليج العربي التي تزخر بأنواع لا بأس بها من الأحجار التي يمكن استعمالها في النقائش والنصب التذكارية كصخور الكلورايت والهماتيت، والستياتيت، قد أتاح لهما تبادل هذا الفائض الزراعي والحيواني بأنواع عدة من الصخور المتوفرة محلياً، أو التي كانت تجلب من مناطق لها علاقات تجارية مع منطقة الخليج العربي.

ان غالبية هذه الصخور وعلى ما يظهر كانت توظف لعمل النقائش الملكية، وان أول دليل لنا للنقائش الصخرية في بلاد وادي الرافدين قد جاءنا من مدينة الوركاء التي كانت إحدى مدن بلاد سومر المقدسة.

وقد تبين من الدراسات الأركيولوجية أن نقش مدينة الوركاء الصخري هذا يمثل مشاهد صيد أسود يعزي تاريخها إلى العصر المبكر للسومريين وبالتقدير العصر المسمى بعصر جمدة نصر والذي يؤرخ إلى نهاية الألف الرابع قبل الميلاد وقد عرف هذا النقش الصخري في الأواسط الأثرية باسم مسلة صيد الأسود.

وصف المسلة

نقشت مشاهد هذه المسلة بما يعرف بالنحت البارز (Relief) على قطعة صخرية سوداء اللون بيضوية الشكل تقريبا. يبلغ الارتفاع الكلي المتبقي للمسلة حوالي ثمانين سنتمترا، وقد نقشت المشاهد على سطح محدب مقبول صقلا جيدا.

في أعلى المسلة يشاهد شخصا يقاتل أسدا بالرمح وهو يرتدي مغضنه وغطاء رأس. ان ذات المشهد يشاهد أسفل المسلة الا أنه بحجم أكبر، والشخص في المشهد الأسفل يصطاد الأسد بالقوس والسهم.

ان المتطلع إلى شخوص هذه النقوش يجد ان أسلوبها العام يميل إلى الأسلوب الطبيعي الذي يعتمد على اظهار الجوانب البارزة للمواضيع المراد نقشها .

ان هذا الأسلوب تجلى أيضا في نقائش صخرية أخرى ظهرت على اناء معمول من الحجر وصف الاناء النذري .

وصف الاناء النذري

يبلغ الارتفاع الكلي لهذا الاناء حوالي مترا واحدا وهو معمول من حجر أبيض اللون على الأكثر حجر المرمر، وقبل الجوج في اعطاء تفاصيل محددة عن ماهية هذا الاناء لا بد من الاشارة إلى تاريخه الذي حدد إلى العصر المسمى بعصر فجر السلالات الثاني والذي يؤرخ خلال الربع الأول من الالف الثالث قبل الميلاد، وخلال هذا العصر ظهرت كثيرا من النصب والنقائش الصخرية التي تمثلت بما يعرف بالألواح الصخرية التي هي الأخرى تمثل مواضيعها الحياة الدنيوية والدينية في بعض الاحيان في بلاد سومر .

يحتوي الاناء النذري هذا أربعة أفاريز تحوى على مشاهد متنوعة يعتقد أنها مشاهد تمثل عطاء نذريا إلى المعبد لذلك سمي بالاناء النذري .

في الفريز الأول من الأعلى يشاهد رجل عاري حليق الرأس لربما كان كاهنا يحمل في يده سلة أو اناء مخروطي الشكل يحوي على غلات وفواكه، وأمام هذا الكاهن والذي تبدو على ملامح وجهه الصرامة والاصرار، امرأة ترتدي ثوبا طويلا وغطاء رأس تخرج منه على الأكثر ريشة طويلة . يدها اليمنى مثناة على صدرها، أما يدها اليسرى فهي مثناة أمامها . أصابع يدها ملمومة ما عدا ابهامها الذي يشير إلى فاهها . ولا يستبعد أن تكون هذه المرأة التي يشاهد خلفها حزم من القصب احدى الالهات السومرية .

وفي ذات الافريز هذا يشاهد سلال، أو آنية تحوى على غلال زراعية وحيوانية برية، وشخص آخر حليق الوجه، ذو شعر طويل يرتدي مفضنة تصل إلى الركبتين وهو يحمل بيده حزام (الآلهة) .

كما يشاهد في هذا الافريز أيضا ثورا، وأشخاص يقفون على منصات وقلال، أو آنية تحوى على غلات زراعية، وحيوانات برية كالأسد، والغزلان مع كأسين يشبهان إلى حد قريب شكل هذا الاناء .

أما الفريز الثاني فيحوى على شريط من (الكهنة)، وهم عراة ويحملون بأيديهم سلال، أو آنية فيها غلات زراعية أيضا، وفي الافريز الثالث يشاهد قطع من البقر، أما الفريز الرابع والأخير فيحوى على نقوش تمثل بعض النباتات وعلى الأغلب تمثل هذه قمح أو شعير.

يعتبر هذا الاناء الصخري من نفائس الفن السومري لما له من أهمية خاصة لبعض جوانب التقاليد الدينية في العصر السومري المبكر - استمرت تقاليد النقائش الصخرية تظهر في بلاد سومر، وكان معظمها وعلى ما يظهر تمثل الجوانب للحياة اليومية، الدينية في أرض سومر - كذلك لا تخلو تلك النقائش من بعض مواضيع الأساطير الدينية والدنيوية وخاصة الأساطير التي كانت لها علاقة بالآلهة - فعلى سبيل المثال كشف في عدة مواقع تعزي إلى العصر السومري على أواني معلومة من حجر الستياتيت عليها نقائش بهيئة نحت بارز تمثل هذه النقائش جانبا من صراع البطل الأسطوري كلكامش مع وحوش الغاب، أو أنها تصور صراع حيوانات وطيور برية.

وخير دليل على ذلك هو الاناء المعمل من حجر الستياتيت والذي لم يتعرف الباحثين على مصدره الحقيقي لحد الآن، ان هذا النزع من الأنية الذي يحمل نقوشا أو نقائش بارزة قد ظهر أيضا في عدة مناطق في الجانب الغربي للخليج العربي وخاصة في منطقة تاج وفي جزيرة تاروت في المملكة العربية السعودية.

يبلغ ارتفاع هذا الاناء أكثر من عشرة ستمترات أما قطره فيبلغ حوالي عشرين ستمترا وبعد مقارنة مواضيع نقائشه اجتهد بعض الباحثين ونسبه إلى العصر السومري المسمى بعصر فجر السلالت الثاني.

ومن نقائش العصر الذي تلا عصر فجر السلالات الثاني، والمعروف بعصر فجر السلالات الثالث مسلة العقبان (Stele of Vultures) وتنسب هذه المسلة إلى الملك السومري أناتم والذي حكم حوالي 2250 قبل الميلاد.

مسلة العقبان:

ان هذه المسلة تسمى أيضا مسلة النصر (Stele of Victory) وقد عثر عليها في موقع تلو والذي يعرف باسم مدينة (مرسو) ابان العصر السومري القديم. يبلغ ارتفاع هذه المسلة (1،80 مترا)، أما عرضها فيبلغ (1،30 مترا) والملاحظ أن على هذه المسلة

كتابات مسمارية على سطحها المنقوشين بمواضيع تمثل انتصار إناتم ملك مدينة لكش على مدينة أوما السومرية، يشاهد على أحد سطحي هذه المسلة وبالنحت البارز نقش الاله نكرسو وهو يحمل بيده اليسرى شبكة كبيرة الحجم مملوءة بالأسرى وهم عراة، والملاحظ ان هذه الشبكة تنتهي من الأعلى برأسي أسدين يقف عليها نسر والمعروف في الأساطير السومرية باسم الامدكور وهو علامة الاله نكرسو. وخلف هذا المشهد الذي يمثل الاله نكرسو وهو يحمل صولجان العرش في يده اليمنى وذو شعر ولحية طويلة يشاهد أعمدة من الكتابات السومرية التي تمجد هذا الانتصار.

وعلى الوجه الآخر من المسلة يشاهد في الأعلى الملك إناتم وهو يسير على رأس جيشه لملاقاة الأعداء كما يشاهد على هذا الوجه أيضا مشاهد من المعركة التي تزخر بالأعداء وهم عمدةين تحت أقدام جيش إناتم الذي يبدو ورجاله بكامل عدتهم العسكرية المكونة من رماح طويلة ودروع وخوذته تغطي كل رؤوسهم حتى الرقبة. كما يشاهد هنا أيضا نقائش للعقبان وفي منقار كل واحد منهم رأس من رؤوس الأعداء مع أعمدة من الكتابات السومرية التي تمجد أيضا هذه الحملة.

تعتبر هذه المسلة التي تحوى على نقائش بارزة وكتابات أول نصب تذكاري في التاريخ حيث أنها تعطي إلى جانب روعتها الفنية تفاصيل العقلية التاريخية للملك السومري إناتم والعلاقة ما بين الالهة والملوك مع بعض الطقوس الدينية والعسكرية...

لقد تلا عصر فجر السلالت الثالث العصر الاكدي والذي يعتبر مؤسس السلالة الأكديّة سرجون الأول 2225 - 2279 قبل الميلاد أول ملك في التاريخ البشري قام بتكوين امبراطورية تمتد تخومها خارج حدود بلاده. ونظرا للرفاه الاقتصادي والمادي الذي تمتعت به الدولة الأكديّة وخاصة خلال عصرها الأول فقد برزت معالم الفنون إلى أوج عظمتها... وظهر أسلوب جديد اتسم بالطابع الذبّيعي المتكامل الجوانب والذي لا يضاهيه أي أسلوب سوى الأسلوب الكلاسيكي (اليوناني والروماني) واللذان ظهرا بعد أكثر من عشرين قرنا.

ومن نقائش النقائش على الصخر تعود إلى العصر الأكدي مسلة النصر للملك نرام سن (2389-2353 قبل الميلاد) حفيد الملك سرجون الأول مؤسس الدولة الأكديّة. تمثل مواضيع هذه المسلة الحجرية والتي يبلغ ارتفاعها أكثر من مترين للملك

نرام سن هجوم الأكديين على أحد الأقوام الجبلية حيث يشاهد في أعلى المسلة رمز الشمس والذي هو عبارة عن قرص الشمس يخرج منها شعاع والملاحظ ان هذا الرمز قد أعيد مرتين في أعلى المسلة. وتحتها مباشرة يشاهد قمة للجبل وهو على شكل مخروط عليه كتابات أكديّة تنص على تمجيد الملك نرام - سن على أعداءه، وأمام هذا جبل الشامخ يقف الملك نرام - سن وهو بهيئة صعود إلى الجبل وفي يده اليسرى القوس، والسهم، وفي اليمنى رمحا طويلا ويتردى على رأسه تاج الألوهية ذو القرنين ومغضنه تصل إلى ركبتيه.

وقد ظهر نقش الملك نرام - سن أكبر من المجاميع البشرية التي تظهر على هذه المسلة والتي تمثل جند الجيش الاشوري وهم ينقضون على أعدائهم وفي أسفل المسلة تقريبا وعلى الجهة اليمنى يشاهد شجرة كبيرة ذات أغصان باسقة للدلالة على طبيعة المنطقة التي غزاها (نرام - سن). هو وجيشه المدجج بالرماح والفؤوس.

للأسف الشديد فان جزء من أعلى المسلة وأسفلها قد فقد أو أصابه التلف وقد عثر على هذه المسلة في سوسة في ايران، حيث تبين من خلال الكتابات اللاحقة عليها ان الملك شتروك - ناخوشي قد أخذها إلى بلاده عندما غزا بابل في النصف الأخير من الألف الثاني قبل الميلاد وبعد نقلها إلى سوسة حور في مضامين الكتابات التي عليها.

ومن النقائش الحجرية ذات الأسلوب الطبيعي أيضا والتي تعود إلى العصر الأكدي قسما من مسلة تدعى مسلة الأسرى، وقد عثر على هذه المسلة في مدينة الناصرية الواقعة جنوب العراق لذلك يطلق عليها في بعض الأحيان (مسلة الناصرية). وقد حدد تاريخ هذه المسلة بعد دراستها ما بين (2451-2290 قبل الميلاد) أي ما بين العصر الامبراطوري الثاني والثالث.

يبلغ ارتفاع المتبقى من هذه المسلة الحجرية حوالي عشرين سنتمترا، وهي معمولة من حجر أبيض اللون شفاف (شمعي). في القسم الأعلى من المسلة يشاهد ثلاثة زسرى مشدودين بالحبال من زنودهم وهي عراة ولهم لحاة أحدهم الذي يظهر في الوسط حليق الرزس ما عدا ظفيرة من الشعر تتدلى على كتفه... وقد ربطت أعناق هؤلاء الأسرى بخشبتيّن متوازيّتين.

أما أسفل المسلة يشاهد حامل الغنائم وفي يده اليمنى خنجر كبير الحجم يتدلى من جبل طويل . . . وفي يده اليسرى يحمل أشبه ما يكون بالآنية . وهو يرتدي رداء طويل ، وذو لحية كثة ويضع على رأسه غطاء يمتد إلى ما دون الرقبة كما يحمل على جانبه فأس خلفه شخص آخر لم يبق من معاله سوى جزءا من جسمه ورأسه ويده وذراعه اليمنى الذي يحمل فيها خنجر يشبه الخنجر الذي يحمله الشخص الواقف أمامه .

تعتبر نقائش هذه المسلة ونقائش المسلات الحجرية الأخرى التي تعزى إلى العصر الأكدي من روائع الفن الأكدي الذي اتسمت مواضيعه بالواقعية ذات الأسلوب الفني الطبيعي الخالي من المغالاة . . .

خلال العصر المسمى بعصر أور الثالث جآدتنا نقوش على الحجر معظمها يمثل نقائش على الأواني الحجرية ، أو ألواح جدارية عليها كتابات مسمارية وخير ما وصلنا من هذه النقائش كسره من اناء معمول من حجر السيتاتيت عليها نقوش بارزة تمثل مشهد مراسيم دينية حيث يشاهد في هذا المشهد كهنة حليقي الرأس وهم بحالة تعبد وشخص يقرع الطبل بكلتا يديه يقابله شخص آخر يبدو هو الآخر يقرع على الطبل - ان المتطلع إلى هذا المشهد الديني يجده وكأنه صورة فوتغرافية لمراسيم حية .

أما الألواح الجدارية والتي هي الأخرى نقشت بالنحت البارز فقد تمثلت بمشاهد الالهة ، أو الحياة اليومية وغالبا ما يكون على هذه الألواح كتابات . ان مواضيع هذه الألواح تغاير في بعض مضامينها الألواح التي ظهرت ابان العصر السومري القديم والتي كانت تمثل مشاهدا كثيرا من الحياة اليومية للمجتمع السومري .

ان ابداع ما وصل الينا خلال العصر البابلي القديم من النقائش الصخرية وهو مسلة الملك حمورابي (1792-1750 قبل الميلاد) ، حيث تمثل هذه المسلة إلى جانب (282 مادة) قانونية كتبت بالخط المسماري بكل أبعاده التقنية يشاهد في أعلى المسلة التي يبلغ ارتفاعها المترين الملك حمورابي وهو يتسلم الشرائع من اله الشمس (شمس) ، وهو جالس على عرشه الملكي .

يبدو الملك حمورابي الذي يرتدي رداء طويلا ذو عدة طيات وغطاء رزس نصف كروي وذو لحية كثة أمام الاله شمس وكأنه (الملك) المطيع لأوامر الالهة . حيث بدت على ملامح وجهه الانعكاسات النفسية التي طالما تظهر عندما يقف الانسان أمام شخص مبجل .

أما الاله شمس والذي يجلس على عرش ذو منصة تمتد طويلا إلى الأمام، ويحمل في يده اليمنى عصي (الملك)، ويده اليسرى مضمومة قرب صدره قد ظهر وهو يرتدي رداء ذو طيات عدة، ويغطي هذا الرداء كرداء الملك حمورابي جميع مناطق الجسم ما عدا الجزء الأيمن، والذراع الأيمن.

كما يشاهد على رأس الاله شمس تاج الالهية المكون من عدة قرون على هيئة مخروط، ويخرج من كل جانب من كثفية شعاع الشمس، وله لحية كثة ويضع في كلا معصميه بعض الحلوى.

ان الأسلوب الانشائي المستوحى من الأساطير البابلية، والأسلوب الفني الطبيعي التي اتسمت به المدرسة البابلية القديمة قد ظهر في هذا المشهد لذلك يبدو وكأنه من المراسيم الواقعية التي تظهر الملك حمورابي وهو يتسلم القوانين من اله الشمس (شمس). لذلك فان روعة القوانين المكتوبة على هذه المسلة بأسلوب دقيق ومنسق قد تلاشت بسبب قوة الأسلوب الواقعي لهذا المشهد.

النقائش الصخرية في العصر الاشوري

لم تشهد النقائش الصخرية في الرافدين تطورا وتنوعا كالذي شهدته ابان العصر الاشوري وخاصة العصر الاشوري الحديث أو ما يسمى بالعصر الامبراطوري (911-612 قبل الميلاد) فقد كشفت الحفائر الأثرية التي أجريت في العواصم الاشورية آشور، ونمرود، وخرسباد ونيوى مئات من النقائش الصخرية التي كانت تحلي قصور هذه العواصم الأربعة.

ومن بين النقائش الصخرية التي عثر عليها في مدينة آشور العاصمة الأولى للدولة الأشورية قاعدة صخرية معمولة من حجر رمادي أخضر اللون عثر عليها في معبد عشتار الذي شيده الملك تكولين - نورتا الأول (1241 - 1205 قبل الميلاد).

يشاهد على أحد جوانب هذه القاعدة والتي يبلغ ارتفاعها حوالي ستين سنتمترا نحت بارز (Relief) لرجلين، احدهما راكعا على كلتا ركبتيه ليعتبد أمام (قاعدة) عليها شعارا وبالأحرى رمز الاله نابو اله الكتابة. ان هذا الشعار هو عبارة عن (قلم) ورقم طيني. يقف خلف هذا الشخص المتعبد والذي يبدو وكأنه ذات لشخص (الملك) الذي يحمل بيده اليسرى صولجان لحكم وهو يرتدي رداء طويل يغطي كل جسمه ويده اليمنى تشير إلى شعار الاله نابو، وله شعر طويل ولحية كثة طويلة.

كما يشاهد على الزوايا العليا لهذه القاعدة نقش وردتين كثيرا ما تظهر على النقائش الصخرية الآشورية وهي أشبه ما تكون بوردة نبات البيون أو ما يسمى محليا (بالبانك).

بعد انتقال العاصمة الآشورية من آشور إلى نمرود عمل الملوك الآشوريين وعلى ما يبدو بتزيين قصورهم بعشرات النقائش الصخرية التي نقشت بشتى المواضيع الدينية والدنيوية إلا أن أغلبها وعلى ما يبدو مواضيع خاصة بانتصارات ملوك الآشوريين على خصومهم...

ففي قصر الملك آشور ناصر بال الثاني (883-859 قبل الميلاد) في نمرود عثر على عشرات من النقائش الصخرية المنقوشة بالنحت البارز وهي تمثل مواضيع شتى لمسيرة هذا الملك. وفي أحد النقائش يشاهد الملك آشور ناصر بال لثاني وقد نحت بالنحت البارز على صخرة كبيرة الحجم مرتين وما بين هذين النحتين البارزين للملك آشور ناصر بال الشجرة الآشورية المقدسة ذات السعف الذي يشبه سعف النخيل وفوق الشجرة يشاهد شعار الإله آشور، وخلف كل نقش من نقشي الملك يقف إله مجنح يحمل في يده اليسرى اناء وفي اليمنى شكل بيضوي زشبه ما يكون بالاسفنج أو ثمرة شجرة الصنوبر يشاهد هذا الإله وكأنه يصب الماء المقدس على ظهر الملك.

كما يشاهد في وسط وعلى طول المنحوتة شريط من الكتابة المسمارية التي تمجد الملك آشور ناصر بال الثاني.

لقد تكررت هذه المواضيع على كثير من النقائش الصخرية الآشورية كما تكررت مشاهد الجلسات الملكية أو ما يسمى (بالحفلات الملكية) حيث يظهر الملك جالسا على كرسي وهو يحتسي الشراب ومن حوله أزواجه وحاشية القصر مع الخدم.

ومن المشاهد الرائعة الأخرى التي اتسمت بها النقائش الصخرية الآشورية مشاهد صيد الأسود والثيران الوحشية... ومشاهد الحملات العسكرية الآشورية وإبرام المعاهدات.

وفيما يخص مواضيع صيد الأسود فقد عثر في القصر الشمالي في نينوى على منحوتات حجرية عدة تعود إلى الملك آشور بانيبال (668-627 قبل الميلاد)، ومن بين تلك المنحوتات منحوتة عليها نقائش صيد الأسود.

يشاهد في هذه المنحوتة الرهيبة الملك أشور بانيبال وهو يسدد سهامه على الأسود من عربة ملكية يجرها حصان واحد وهي ذات عجلتين ومع الملك سائق العربة واثنان من حاشيته وهما يسددان رمحيهما إلى صدر الأسد الذي يقفز عليها بعد أن ضربه الملك أشور بانيبال بسهمين أحدهما اخترق رأسه والآخر جسمه - وما خلف هذا الأسد يشاهد أسود أخرى ولبوات ممددين على الأرض وفي أجسامهم سهام الملك أشور بانيبال .

ان المتطلع إلى وجوه الأسود واللوات الجريحة التي تزف الدماء بعد ضربه كل سهم في جسمها وحتى من فمها يتحسس مقدار الألم الذي يعاني منه هذه الحيوانات الفتاكة التي بدت على وجوهها معالم سكرات الموت بكل تفاصيلها المؤلمة . . . كما يشاهد أيضا كيف ان قواها الجسمية قد انهرت من جراء الاسهم والرماح لتي أصابتها فبدت كأنها أجساد بلا روح . . . قبل أن تموت .

لقد عني الفنان بهذه التحفة الفنية الرهيبة كل العناية لا من الناحية المضمون الفني فحسب بل في اظهار أدق التفاصيل أيضا لذلك بدت هذه القطعة الصخرية وكأنها صورة فوتغرافية لا يبعد واحد بل بثلاثة أبعاد . . .

ومثلما يقال هذه المنحوتة يقال على منحوتة صيد الشيران الوحشية وصيد الحمر الوحشية التي تعزى إلى الملك أشور بانيبال أيضا . والملاحظ أن زغلب هذه النقائش الصخرية عليها كتابات مسمارية تمجد أعمال الملك .

وبعد أفول الدولة الاشورية وانتقال مقاليد حكم بلاد وادي الرافدين الى بابل تناقصت النقائش الصخرية بشكل كبير وذلك بسبب انعام الاحجار في منطقة بابل وكثرت الأعمال الفنية على الاجر وخير دليل على ذلك هو ظهور هذه الأعمال الاجرية في مدينة بابل ابان سلالة بابل الأخير أو ما بعد العصر البابلي الحديث (622-539 قبل الميلاد) .

وما وصلنا من العصر البابلي الحديث من نقائش على الصخر هي مسلة على شكل أحجار حدود تؤرخ إلى حكم الملك ماردوخ ابلا ايدينا الثاني (721-710 قبل الميلاد) حيث يظهر أعلى هذه المسلة المعمولة من حجر أسود اللون رموز عدة آلهات بابلية تحتها يشاهد الملك وهو يقدم سند ملكية أرض إلى أحد الأشخاص .

يرتدي الملك البابلي ثوبا يغطي كل جسمه ، وغطاء رأس مخروطي الشكل يتدلى منه شريط ويصل إلى نهاية ظهره وله شعر طويل مجعد ولحية كثة مجعدة زيباء ، ويحمل في يده اليسرى رمح طويل بينما يحمل في اليمنى سند ملكية الأرض يقف أمامه الشخص المستلم وهو أقصر منه ، يحمل في يده اليسرى رمحا ، أو عصا طويلة ويرفع يده اليمنى للدلالة على تقديم الطاعة إلى الملك أو زداء التحية . وعلى ظهر المسلة هناك كتابات مسمارية توضح تقديم سند ملكية الأرض ومدى الحياة إلى هذا الشخص من قبل الملك البابلي .

بعد سقوط الدولة البابلية افلت جميع النقائش الصخرية في بلاد وادي الرافدين حين ظهور مدينة الحضر العربية في البادية الشمالية . ان توفر الأحجار في هذه لمنطقة قد ساعد كثيرا على إعادة أحجار النقائش في بلاد وادي الرافدين إلى جانب انتعاش الفنون الأخرى ذات البعد الثالث .

ومن الأمثلة على النقائش الصخرية التي وصلت إلينا من الحضر منحوتة نركول - أو نرجول .

لقد نقشت هذه المنحوتة بالنحت البارز على قطعة من الرخام لرمادي اللون . يبلغ طولها تسعين سنتمترا ، وعرضها خمسة وسبعون سنتمترا . وقد عثر عليها في المعبد الأول في الحضر حيث يشاهد عليها شخص واقف يعتقد أنه الاله نرجول اله الحرب والعالم السفلي عند الاشوريين - وقد ظهر الاله نرجول هنا بصورة مخيفة جدا حيث ظهر له شعرا أشعث ولحية وشاربان كثان جدا وفي يده اليمنى فأس لها رأس أشبه ما يكون ثعبانا . أما يده اليسرى فتمسك قبضة سيف يمتد غمده إلى الأرض . وفي حزامه من الجهة اليمنى يلاحظ مقبض خنجر .

ويخرج من كلا جانبي رقبته ثعبان ومن جانبي جبينه ثعابين . كما يشاهد نقوش الثعابين على قدمي وعلى الجهة اليمنى من هذا الاله ويرتدي الاله نركول ثوب ذو طيات يغطي كل جسمه وسروال معقودا على القدمين وحذاء مزين بأقراص تشبه الأقراص التي تزين سرواله .

وعلى يمين الاله راية من رايات الحضر تتألف من سارية يقف عليها نسر ، رابض وهلال ، وقرص عليه رأس انسان تخرج من حول رأسه أشعة الشمس وخلف رقبته

هلال . وإلى يمين الاله يشاهد مشاهد للثعابين وعقرب وعلى جانبها الايسر نحت
للالة اترعتا وهي جالسة على كرسي على جانبيه نحت لأسدين، وتحت قدميهما
سمكتين، وعلى رأسها تاج اسطواني الشكل عليه نسر باسطا جناحيه .

والملاحظ هنا أن الاله نركول يخرج من حزاميه سلسلة على هيئة ظفيرة مربوطة
بطوق حول رقبتة كاب ذي ثلاثة رؤوس . ان هيئة هذا الكلب تذكرنا بالكلب
المعروف لدى اليونانيين باسم سربيروس والذي حسب ما تذكر الأساطير اليونانية كان
يحرس مدخل العالم السفلي، يمنع الأرواح من الصعود الى الأرض ثانية، وللكلب
هذا ذنب على هيئة ثعبان . .

ان الشيء الملفت للنظر ان هذه اللوحة لونت بألوان صارخة من بينها اللونين الأسود
والأحمر . . كي تعطي حيوية للمشاهد هذه التي يمثل معظمها العالم السفلي . .

ان المسيرة الفنية للنقائش الصخرية في بلاد وادي الرافدين لا تقل أهمية عن مسيرة
الفنون الأخرى وان الصور في أعماقها يحتاج إلى أكثر من وقفة لذلك فقد تطرقنا في
هذا البحث المتواضع على أهم الأعمال الفنية لهذا النمط من الفنون .

ب - النقائش الصخرية غير المنقولة

ومثلما برع سكان وادي الرافدين القدامى بفن النقائش الصخرية المنقولة التي جاء
ذكر البعض منها انفا، برعوا في مواضيع وأساليب النقائش الصخرية الغير منقولة
والتي تعرف بالمنحوتات الجبلية . . . ونظرا لتوفر مقومات هذه المنحوتات في شمال
العراق التي تتميز بجبالها الصخرية الشاهقة فقد كثرت فيها هذه النقائش .

ان أقدم مثال لهذه لنقائش قد جاءنا من الفترة الأكديّة، حيث كشف في الطريق ما
بين السليمانية وكركوك وبالذات في أحد الممرات المعروفة بممرات جبال (قره داغ)
والتي يبلغ عددها عشرة ممرات اعتبارا من الغرب الى الشرق ولكل ممر من هذه
الممرات العشر اسم خاص بها . . . وفي الممر المسمى (دربندی كوور) وعلى الجهة
اليسرى من الممر وضمن تجويف منحوتا نحتا طبيعيا يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار ونصف
تقريبا وعرضه لا يتجاوز المترين، خلد الملك الأكدي نرام - سن حملته العسكرية
على بعض الزقوام الجبلية المعروفة باسم (اللؤلؤبو). حيث يشاهد في هذه المنحوتة
الملك نرام - سن يمشي على جثث أعداءه وفي يده اليسرى قوسا مركبا يضمه إلى
صدره . اما في يده اليمنى التي تنساب إلى الخلف فيحمل فيها فأسا .

كما يشاهد في المنحوتة الملك نرام - سن وعلى رأسه تاج الالوهية المكون من الخوذة الحربية ذات القرنين رافعا رجله اليسرى وكأنه يتسلق الجبال بكل عزم وثبات، ويتعل في قدميه نعلا ذات أشرطة ويشد وسطه حزام عريض مكون من أربعة أشرطة .

أما الأشخاص الذين ظهروا في هذه المنحوتة التي نفذت بأسلوب النحت البارز أيضا (Relief) فقد ظهروا صغار الأجسام بالنسبة إلى حجم الملك نرام - سين وذلك للدلالة على عظمة هذا الملك .

ان موضوع هذه المنحوتة يكرر وبكل وضوح مشاهد مماثلة ظهرت على مسلة النصر المعروفة والتي جاء ذكرها آنفا حيث هي الأخرى تخلد انتصار الملك نرام - سين على الأقوام الجبلية المعروفة باسم اللولوبو وملكها المسمى (ساتوني).

ومن المنحوتات الجبلية البارزة الأخرى منحوتة تعرف باسم " منحوتة قزقaban " ، ويمكن الوصول إلى هذه المنحوتة عن طريق السليمانية - دوكان وعند الوصول إلى منطقة تدعى ناحية سورداش الواقعة على يمين الطريق، وبعد الوصول إلى قزقaban يشاهد طريق ترابي يوصل إلى هذه المنحوتة التي تقع بالقرب من ناحية زرزي .

تعلو منحوتة قزقaban عن سطح الأرض المجاور حوالي تسعة أمتار وقد نحت بالنحت البارز على واجهة أحد جبال المنطقة ضمن مساحة مستطيلة الشكل وتمتد إلى عمص الجبل .

ويشاهد في هذه المنحوتة كثيرا من العناصر المعمارية كأعمدة والسقوف والنقوش الهندسية حيث يظهر في وسطها مدخل على جانبيه عمودان ينتهيان بتاج مزخرف . وفوق المدخل هذا مباشرة هناك دكة على كل جانب منها يشاهد رجل واقف مشيرا بإحدى يديه نحو الدكة، ويحمل في يده الأخرى قوسا . ويعلو هذه الدكة رموز دينية من بينها دائرة يتوسطها (اله) .

ان الأسلوب المعماري والفني لهذه المنحوتة يدل انها نقشت ما بين القرن السادس والرابع قبل الميلاد لأغراض دينية أكثر مما تكون لتمجيد أحد الملوك . . . وعلى أي حال فان هذه النقائش ان دلت على مدلول فانها تدل على الذوق الفني البارع الذي امتازت به بلاد وادي الرافدين خلال عصورها الحضارية التي امتاز كل عصر فيها بأسلوب فني وانشائي يختلف عن سلفه وسابقه . .

ومن النقش الصخرية الغير منقولة منحوتة الملك الأشوري سنحاريب (704-681 قبل الميلاد) وقد نحتت هذه المنحوتة عند صدر قناة في القرية المسماة خنس في قضاء الشيخان. حيث يشاهد على وجه صخرة شاهقة منحوتات تمثل الالهة الاشورية المختلفة مع كتابات مسمارية توجز مشروع سنحاريب بجلب الماء من المنابع الخاصة بنهر لكومل عبر المرتفعات الجبلية والوديان إلى العاصمة نينوى.

والملاحظ ان قسما من هذه المنحوتة قد سقط في الماء الذي يمر أسفل هذه المنحوتة. ويمثل القسم الساقط هذا ثلاثة أشخاص يرتدون الملابس الاشورية.

كما خلد الملك سنحاريب أعماله على منحوتة جبلية أخرى في مدخل وادي دهوك في منطقة تدعى معلثاي. ويشاهد في هذه المنحوتة أشخاص لعلهم يمثلون آلهة تقف على ظهور الحيوانات وهم يرتدون التيجان والملابس الاشورية ويتربطون أسلحة.

2- الرسوم الصخرية والمعروفة بالكرافيتو (Graffito)

تعرف الرسوم الصخرية بفن الصخور (Rock Art) ذات البعد الواحد بفن الكرافيتو (Graffito) أيضا. وقد كثر هذا الفن في القارة الافريقية وكشف على الكثير منه في الكهوف والملاجئ التي ينسب البعض منها إلى عصور ما قبل التاريخ.

ومن المعروف ان هذا النوع من الفنون قد كشف عنه وسط صحراء وهضاب اثيوبيا، وكينيا القريتا من مناطق الجزيرة العربية الجنوبية الغربية. وقد تبين ان تلك الرسومات تختلف باختلاف الأقاليم. فعلى سبيل المثال تسود الأشكال الآدمية والحيوانية في مناطق جنوب افريقيا. أما مواضيع شرق افريقيا فقد اتسمت بالبساطة ويكثر فيها صور الأشخاص والماشية.

وقد كشف بعض الرحالة على مثل هذه النقوش في بعض أجزاء الجزيرة العربية وخاصة في المناطق الجبلية منها أي المناطق الجنوبية الشرقية، والجنوبية الغربية. وقد كتب أولئك الرحالة عن هذه الرسومات بعض المعلومات المغتضبة. والملاحظ ان كثيرا من الدارسين قد نسب فن الصخور في الجزيرة العربية إلى الالف الأول قبل الميلاد أي حينما كانت المنطقة الجنوبية للجزيرة العربية في أوج اتصالها الحضاري والتجاري مع بلاد وادي الرافدين والقارة الافريقية وعلى الأخص ساحلها الشرقي، وبلاد وادي النيل.

ونظرا لاتساع، وتشعب فن الصخور في الجزيرة العربية وخاصة في شبه جزيرة عمان فان بحثنا هذا سلط الضوء على منطقة واحدة في دولة الامارات العربية المتحدة كشف فيها هذا النوع من الفنون.

فأثناء عملنا في موقع " امليحة " في اماره الشارقة في عام (1973) قمنا بزيارة إلى منطقة (مصفوت)، وقرب قرية تعرف باسم حذف تقع عند سفوح جبال عمان التي تمتد من الشمال إلى الجنوب موازية لساحل خليج عمان شاهدنا هناك صخورا متساقطة قرب عيون مياه جرية وبساتين نخيل.

وعلى سطوح تلك الصخور يشاهد رسومات ملونة باللون الأسود، يبلغ طول احدى هذه الصخور حوالي ثلاثة أمتار أما عرض قاعدتها فلا يتجاوز المترين والنصف. على يسارها يوجد شروخ كثيرة وعريضة تمتد إلى يمينها ثم تضيق وتتلاشى قبل أن تصل إلى حافتها. في القسم الأعلى منها تقريبا يشاهد بعض النقوش التي تمثل أشخاص عدة، البعض منهم متشابك، والبعض الآخر بمفرده... ان المتطلع إلى هؤلاء الأشخاص وحركتهم المتناسقة يجدهم وكأنهم يؤدون رقصة جماعية، أو يقيمون بطقوس دينية أو سحرية.

وفي القسم الأسفل من الصخرة وعلى الجهة اليمنى يشاهد شكلين بيضاوين لكل منهما (راس)، وإلى يمينها شكلين بيضوين آخرين.

ان المتأمل في الرسومات هذه يجدها نقشت بزلوب فني أشبه ما يكون بالأسلوب التجريدي الرمزي (Abstrac) حيث أراد الفنان من خلال هذه الرسومات التعبير عن مجموعة بشرية تودي رقصة جماعية أو تقوم باداء مراسيم دينية.

أما النقوش الهندسية أي البيضوية الشكل التي هي أسفل مشهد الرقص هذا فلربما تعود إلى (فنان) آخر بدليل أن أسلوب هذه النقوش تختلف كلياً عن النقوش الأولى.

وعلى أي حال فان هذه الرسومات الصخرية هي بحد ذاتها رمزا حيويا لا يقل أهمية عن أي قطعة فنية لها وقيمها الحضارية.

وعلى صخرة ساقطة أخرى يشاهد رسما باللون الأسود لهيئة انسان رأسه نقش بهيمة حيوان على الأغلب (عجل)، له ذيل طويل ويحمل عصا طويلة في احدى يدا.

يتبين من خلال هذا لرسم ذات المواصفات العالية بأنه انسان يرتدي جلد حيوان (عجل أو ثور) ، ويقوم بأداء بعض الطقوس الدينية أو تزدية بعض الشعائر التي كانت سائدة في عصره الذي لا يستبعد كان قبل أكثر من ألفين عام.

والملاحظ أن نقوش مصفوث هذه عملت على الصخور بواسطة آلة حادة الرأس. ثم لونت باللون الأسود الفاحم، شأنها شأن كثيرا من النقوش الصخرية التي تعزى الى العصور الحجرية القديمة لا سيما تلك الرسومات التي عثر عليها في فرنسا واسبانيا. ومهما تنوعت مواضيع فن الصخور فانها تبقى فنون رمزية لها مدلولت عميقة تعكس قيم المجتمعات التي عاصرت تلك النقوش.

المنشآت المائية التاريخية في الجزائر

د. علي خلاصي

يعتبر الماء أهم مصادر الثروة وأثمنها وهو أصل كل شيء حي لقوله تعالى :

﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ وقوله أيضا ﴿وننزل من السماء ماء فنحي به الأرض بعد موتها، إن ذلك لآية لقوم يعقلون﴾⁽¹⁾ كما يقول عز وجل: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم بها الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، إن ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾⁽²⁾ وفي سورة الفرقان يقول تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورا﴾⁽³⁾ كما نجد نفس المعنى في العديد من سور القرآن الكريم تعظيما وتكريما للماء، هذا العنصر الذي ليس له لون ولا رائحة ولا شكل ولا طعم.

اعتنى العرب بمصادر المياه قديما وحديثا، فكان ذلك ايزانا بنشوء حضارات سادت ثم بادت الى أن جاء الإسلام، فربط المسلمون إعتباراتهم العمرانية بتوافر المياه لضمان طهارته وصفائه لأن عماد الدين لا يقوم الا بقاء طهور وهذا لقوله صلى الله عليه وسلم : ﴿لا تقبل صلاة بغير طهور﴾⁽⁴⁾ فالمسلم يتوضأ لصلاته خمس مرات في اليوم، وبه تتم طهارة الجسم والثياب. فكثر بذلك المرافق ذات الخدمات المشتركة مثل العيون والحمامات والحدايق وقناطر المياه والسدود وحفرت الآبار وشقت الترعة، وتفنن العرب في بناء مطاحن الماء، فنشأ بذلك نظام السقاية.

(1) سورة الروم، الآية 24.

(2) سورة النحل الآية 10 و11.

(3) سورة الفرقان، الآية 48.

(4) صحيح مسلم ج 3، باب وجوب الطهارة.

والمتبع لما ذكره الرحالة من أخبار عن المسالك والممالك والنجوع والأمصار التي زاروها يجد حتما وصفا مسهبا للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وعن مصادر المياه.

سنحاول الآن أن نقدم بعض ما ذكر عن أهم المدن الإسلامية الأولى في الجزائر من مصادر للمياه باختصار شديد قبل أن نتطرق إلى مصادر المياه بعاصمة الجزائر في العصر الحديث وكذا الأنماط المختلفة من طرق الري التقليدية بكل من ولايتي أدرار وغرداية، لنقدم صورة أدق عن المنشآت المائية التاريخية في الجزائر.

إستفادت المدن الإسلامية من المنشآت المائية التي خلفها الفنيقيون والرومان، فكانت أول مدينة يبنى فيها مسجد جامع بالجزائر (ميلة) تتزود من عين تسمى عين الروم أو عين الرومان، ما زالت المياه بها جارية الى اليوم. كما نجد بمدينة طنبه صهريجاً يقع فيه نهرها ومنه تسقى بساتينهم وجداول الماء العذب⁽⁵⁾ كما أن مدينة تاهرت بها مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون بها⁽⁶⁾ وبداخل أسوار مدينة أشير كانت توجد ثلاث عيون وهي عين سعود وعين سليمان وعين تلاثبراغ⁽⁷⁾ وضربت مدينة مجانة الرقم القياسي في عدد المنشآت المائية إذ أحصى بها البكري ثلاث مائة وستون جباً⁽⁸⁾.

ويذكر البكري أن الماء في الصحراء متوفر ويوجد على مسيرة يومين أو ثلاثة من وادي درعة الى وادي تارجا ومن جبل أدرار مجبأة مأوها على ثمانية أيام وهي المجبأة الكبرى⁽⁹⁾ ويقدم الشيخ الأمين عوض الله شهادة على وفرة المياه في الصحراء التي بها عيون ومياه جارية، أثناء تعرضه لتجارة القوافل بالدراسة⁽¹⁰⁾.

إن المثل القائل بأن زيت التجارة أوقد فتيل الحضارة ينطبق تماما على المنشآت الحضارية المائية التي شهدت تطورا كبيرا بترسيم طرق القوافل التي كانت تربط بين الشمال والجنوب والتي تتبع عادة مجاري الأودية وآبار المياه فتمكن التجار من قطع

(5) البكري، كتاب المغرب ص 50.

(6) الإدريسي، وصف إفريقيا والمغرب ص 70.

(7) بوروية، الدولة الحمادية : تاريخها وحضارتها، ص 157.

(8) البكري، نفس المرجع، ص 145.

(9) البكري، المرجع السابق، ص 163.

(10) الأمين عوض الله، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي، ص 69-106. مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1984.

المسافات وشق الصحراء لتبادل المتوجات الصناعية والفلاحية من جهة ونشر الدين الخفيف من جهة ثانية، فنشأت مدنا وقصورا صحراوية برزت معها أنماط جديدة من طرق الري وجلب المياه لم تكن معروفة من قبل.

وكانت الأساطيل التجارية والبحرية تتزود بالمياه الصالحة للشرب من الموانئ التي غالبا ما كانت تربط بشبكة من القنوات تجلب الماء من المرتفعات التي تحيط بها مثل ميناء عنابة وبيجاية ودلس والجزائر، تنس، مستغانم وهران وهنين، وكانت هذه المدن تتوفر على مياه دافقة نذكر منها على وجه الخصوص مدينة الجزائر.

مصادر المياه بمدينة الجزائر:

لقد عرفت مدينة الجزائر تطورا كبيرا من الناحية العمرانية والإدارية فمن ميناء صغير إلى مرفأ فينيقي باسم إيكوسيم إلى ميناء روماني (ريكوزيوم) إلى مدينة عربية (جزائر بني مزغنة) إلى عاصمة للدولة الجزائرية، ومن أهم ما يؤكد هذا التسلسل الزمني المنشآت المائية التي عثر عليها سنة 1952 أثناء إعادة بناء ما خربته الحرب العالمية الثانية إذ عثر العمال على بئر بشارع "أول نوفمبر" حاليا بينما كانوا يحفرون أسس البنايات الجديدة، فعثروا بها على أواني فخارية وطينية ترجع إلى عصور مختلفة وأقوام متعددة قد تداولت النفوذ في هذه المنطقة أقدمها ترجع إلى العهد الفينيقي⁽¹¹⁾ كان عمق البئر يزيد عن 14،50م.

ومن المؤكد أن تكون عين البحرية الموجودة بأقصى رصيف خيرالدين قد وجدت منذ القديم فنجد ابن حوقل (977) الذي دخل الجزائر على أيام زيري بن مناد يقول: "... لها عيون على البحر وشربهم منها... ولهم جزيرة تحاديها (المدينة) في البحر إذا نزل بينهم عدو لجؤوا إليها فكانوا في مناعة وأمن ممن يحذرونه"⁽¹²⁾.

كما يقول أبو عبيد الله البكري المتوفي سنة 487م (1094) وهو يحدثنا عن الجزائر: مرساها مأمون وله عين عذبة يقصد إليها أهل السفن من إفريقيا والأندلس وغيرها⁽¹³⁾.

(11) عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر... ص 144.

(12) ابن حوقل، المسالك والممالك (صورة الأرض) ص 78.

(13) البكري، المغرب... ص 66.

ثم إن إختيار الإنسان لهذا المكان بالذات لبناء برج البنيون لم يكن صدفة بل كان بعد دراسة للموقع فبقاء الحامية داخل أسوار البرج طيلة التسعة عشر سنة التي دام بقاؤها به وصمودها أمام ضربات المدفعية والمقاطعة والحصار المضروب عليها من طرف خير الدين وأتباعه يرجع لوفرة المياه⁽¹⁴⁾.

من مميزات فحص مدينة الجزائر الثروة المائية الضخمة التي كانت تسد حاجيات المدينة من مياه الشرب وتوفر ماء السقي الضروري لحدائق ويساتين الأراضي حيث كانت في نهاية القرن السادس عشر تزيد عن (1000) ألف بستان حسب تقديرات الأسير (هايدو)⁽¹⁵⁾ وأصبحت تبلغ ثمانية عشر ألف (18000) بستان حسب الأب (دان) في نهاية القرن 18⁽¹⁶⁾.

ويذكر بيزونيل ودي فونتان: " أنه في سنة 1611 م اقترح أحد الأندلسيين جلب المياه التي كانت على بعد فسحة قليلة من المدينة، قرب حصن الإمبراطور، فبعد هذا المشروع ومن حينها أصبحنا نشاهد عددا من العيون بالمدينة، كانت مزدانة بحفريات، وكل القنوات كانت تصب في خزان يوجد في بداية الميناء أين كانت المراكب تتزود بالمياه بسهولة⁽¹⁷⁾.

كما أن الجاسوس بوتان (BOUTIN) قد وصف المنشآت المائية في الجزائر سنة 1808 بقوله " إن المياه في مدينة الجزائر جيدة ومتوفرة وأن المدينة كانت تضم خزانات وأبار عديدة بكل المنازل المسورة، وبعدهد كبير من العيون العمومية تزود بواسطة قنوات آتية من البادية"⁽¹⁸⁾.

أما الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر فيحدثنا عن أعمال آخر الدايات قائلا . . . " صنع الداوي حسين طريقا لماء عين الزبوجة⁽¹⁹⁾ واشترى مياهها أخرى ضمها للماء الوارد الى المدينة، فكثر الماء بها حتى أعلاها⁽²⁰⁾.

(14) علي خلاصي، العمارة العسكرية العثمانية بمدينة الجزائر، ص 52-55.

(15) F.D.D. HAEDO, Histoire des Rois d'Alger, p.169

(16) Le Père DAN, Histoire de Barbarie et de Corsaires des Royaumes et de Villes d'Alger et de Tunis, p. 87.

(17) BISONEL et DES FONTAINES, Voyage dans la Régence de Tunis et d'Alger, p. 462.

(18) BOUTIN, Reconnaissance des Villes, Ports et Batteries d'Alger, p.65

(19) الزهار، مذكرات، ص 158.

(20) عين الزبوجة تقع بقرب ابن عكنون بالجهة الجنوبية من الجزائر.

بينما يقدم الطبيب شو (SHAW) ملاحظاته عن الموضوع بقوله "لقد عرفت الجزائر في الفترة الحديثة تطورا في طرق جلب المياه وحفظها في صهاريج وخزانات، أو توزيعها على المساجد والحمامات والمرافق العمومية، فقد استغلت كل قطرة من مياه الأمطار المتساقطة على سطوح القصور والمنازل والأبنية، كما مدت القناطر لجلب المياه من المناطق البعيدة ولو أن هذا العمل ليس وليد القرون الحديثة، إلا أنه عرف أنواعا جديدة من الملاط والمونات العازلة لتسرب المياه عبر الدعائم والقنوات⁽²¹⁾.

رغم ندرة الوثائق المتعلقة بالمرافق العمومية فإن الدارس للمنشآت المائية يستدل على أهميتها من كثرة عدد العيون التي أنشئت داخل مدينة الجزائر وبأرباضها والتي كان عددها يزيد عن مائة عين⁽²²⁾.

ثم إن هناك تقديرات أخرى جاءت في ملاحظات وليم سبنسر حول مدينة الجزائر في عهد رياس البحر بقوله "فالتجهيز المائي كان يأتي إليها عادة من خمس خزانات منفصلة عن الآبار وقد إمتدت منها سواقي جوفية بنيت وفق توجيه مهندس مهاجر من غرناطة، كان واحدا من بين الكثيرين الذين استعمل الاتراك حذقهم الفني، وكنتيجة لذلك قد تجهزت البيت الجزائرية جيدا بماء الشرب والغسل زيادة على ما كان يسرا لها من بئرها الصغير.

وقد وصف بعض الكتاب المصاحبين للجيش الفرنسي في 1830 بأن الفحص كان من أكثر جهات العالم اشراقا وبهجة، وأبدو إعجابهم بتلك المنازل الريفية التي كانت تنشر على المنحدرات المواجهة للبحر بفحص باب عزون وغيرها⁽²³⁾.

استفادت المدينة أيضا من توفر الحمامات العامة والحنفيات، فقد كانت هناك في أيام (هايدو) حنفية من المرمم كبيرة تمتلئ وتجري مياهها ليلا ونهارا أمام قصر البابلربايات، كما كان هناك عبر المدينة عدة آلاف من الحنفيات الصغيرة التي تجمل المقاهي والدكاكين ومختلف الساحات العامة للمدينة⁽²⁴⁾. من بين أهم العيون التي كانت منتشرة في الجزائر في العصر الحديث نقتصر على ذكر:

(21) D. SHAW, Voyage dans la Regence d'Alger, p. 64

(22) سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص 191.

(23) ROUSSET C. L'Algérie 1830 à 1840, les Commencements d'un Empire T.1, p. 24.

(24) وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ص 46.

- عين البحرية تم بناءها في 1765 من طرف بابا علي .
- العين الزرقاء بناها علي باشا الملقب بعلي نكسيس 1766 .
- عين شارع بابا عزون الموجودة قرب جامع علي بتشين .
- عين سيدي محمد الشريف بنهج المخيل (1541) .
- عين بئر جباح بنهج سيدي محمد الشريف .
- عين الهجاجل في نهج الاسكندرية .
- عين سيدي رمضان قرب المسجد .
- العين الحمراء بنهج الإستقلال .
- عين علي مدفع بنهج ابراهيم فاتح .
- عين سيدي الأخضر بنهج الكندور .
- عين سيدي علي زاوي كان منبعها في نهج باتريس لومومبا .
- عين الشابة في نهج القصبة .
- عين زنقة العطش بقرب زقاق سيدي عبد الله .
- عين الشيخ حسين بعلي بنهج الباب الجديد .
- ثم هناك عدد من العيون العامة بضواحي المدينة نذكر منها على سبيل المثال :
- عين الحامة بضاحية بالوزداد (1759) .
- بئر مرادرايس بالجبهة الجنوبية الشرقية من المدينة .
- بئر الخادم جنوب بئر مرادرايس (1797) .
- عين الله غرب مدينة الجزائر .
- تالا أوملي تليملي على بعد كيلومترين من المدينة .
- عين النعجة تقع شرق مدينة الجزائر .

وكانت بهذه العيون صهاريج تملأ وتهيء لشرب القوافل القادمة من الجنوب والشرق والغرب في الوقت الذي كانت براميل المياه الفارغة التي تؤخذ من السفينة عند رسوها تعاد إليها عند الرحيل مليئة وقد عبأها العبيد من عين عذبة المياه تقع قريبا من البحرية⁽²⁵⁾ .

كانت مدينة الجزائر تتزود بالمياه بواسطة أربع قناطر تختلف مصادر مياهها ومنطلقها وهي :

(25) كاتكارت، أسير الداوي، مذكرات، ص 78 .

1- قنطرة المياه الجنوبية :

تعتبر القنطرة الجنوبية التي كانت تغذي القصبة (القلعة وقصر الداوي) أقدم قنطرة بمدينة الجزائر، وقد أسست على مرحلتين ففي المرحلة الأولى ربطت بين القصبة وعنصر قرب حصن الإمبراطور وقد أسس هذا الجزء مصطفى كوسي سنة 1611 وفي عهد الداوي حسين أضيف إليها عنصر مياه عين الزبوجة فأصبحت تمتد على مسافة قدرها تسعة عشر (19) كليومتر.

تحيط هذه القنطرة بالقصبة من جهتها الجنوبية والجنوبية الغربية، وتغذي بالإضافة الى القصبة بطاريات وبروج الباب الجديد حتى الجزء الجنوبي من السور الغربي (الشكل 1) كما تتصل هذه القنطرة منذ القرن السابع عشر عن طريق قنوات من الفخار مدت فوق أسطح المباني لتصب في خزان يقع بقرب برج راس المول بميناء الجزائر⁽²⁶⁾ (الشكل 2).

تصب مياه القنطرة داخل القصبة في خزانات كبيرة معدة لذلك وتنقسم إلى قسمين :

- الخزان الغربي له شكل مضلع دعمت اقبيته المتقاطعة بدعائم رباعية الشكل تكون خزاناً تحت المنحدر الذي كانت ترفع بواسطته المدافع الى احدى بطاري القصبة (الباطرية الخامسة).

أما الخزان الشرقي فهو رباعي الشكل مقبي تبلغ مساحته 74،52 متراً مربعاً، وإرتفاع قبوه المهدى الشكل 2،25م وبالجزء الخارجي من الجدار يوجد حوض سداسي الشكل يصب فيه الماء الزائد بدون إنقطاع⁽²⁷⁾ (الشكل 2).

2- قنطرة المياه الشرقية :

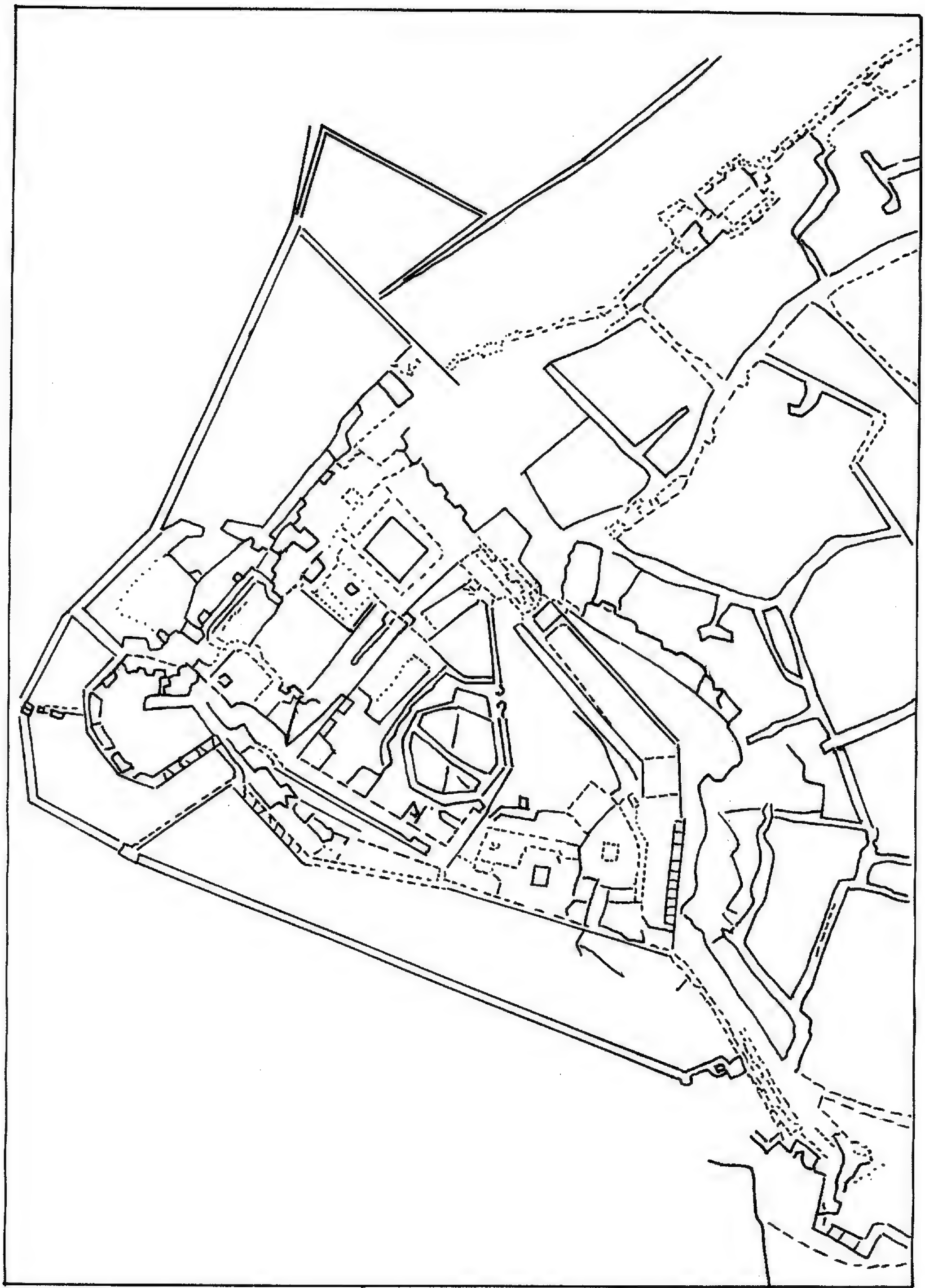
تسمى هذه القنطرة بقنطرة الحامة أسست في عهد خضر باشا سنة 1662 من طرف المهندس الشهير أسطى موسى أو المعلم موسى الأندلسي الذي كانت له عدة مآثر عمرانية بمدينة الجزائر. يبلغ طول القنطرة خمسة كيلومترات، وكانت تغذي القسم الأسفل من المدينة من ناحية باب عزون (الشكل 3).

(26) LAYE, (eve) le port d'Alger, p.29.

(27) خلاصي ، قصبة الجزائر ص 34.

- x المطاحن
- قناطر المياه
- المساجد
- العيون
- الحمامات





القصة سنة 1830 م قنطرة المياه

3- قنطرة التيليملي أو تالاوملي :

كانت هذه القنطرة تتغذى من عين قرب جنان مصطفى باشا أي قصر الشعب حاليا، مرورا بوادي بساكرة الذي كانت عليه عدة مطاحن مائية، ليصل الماء الى الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة وكان طول القنطرة لا يتعدى الكيلومترين، لكن أضيف الى هذا الجزء القناة التي تجلب الماء من وادي القلاي شرق حيدرة فأصبح هذا الجزء يعرف بقنطرة حيدرة وأصبحت القنطرة تبتعد عن المدينة بما يزيد عن خمسة كيلومترات.

4- قنطرة بئر طرارية :

تبتدئ من نبع غرب ربض باب الوادي بالصنائجية أي بالجنوب الغربي من مصنع البارود التابع للداي. وتتواصل عبر قنوات رباعية الشكل مغطاة في جهات عديدة وخاصة بعد اجتياز وادي المغاسل أو وادي قريش ليتزود به الجزء الجنوبي من المدينة (الشكل 1).

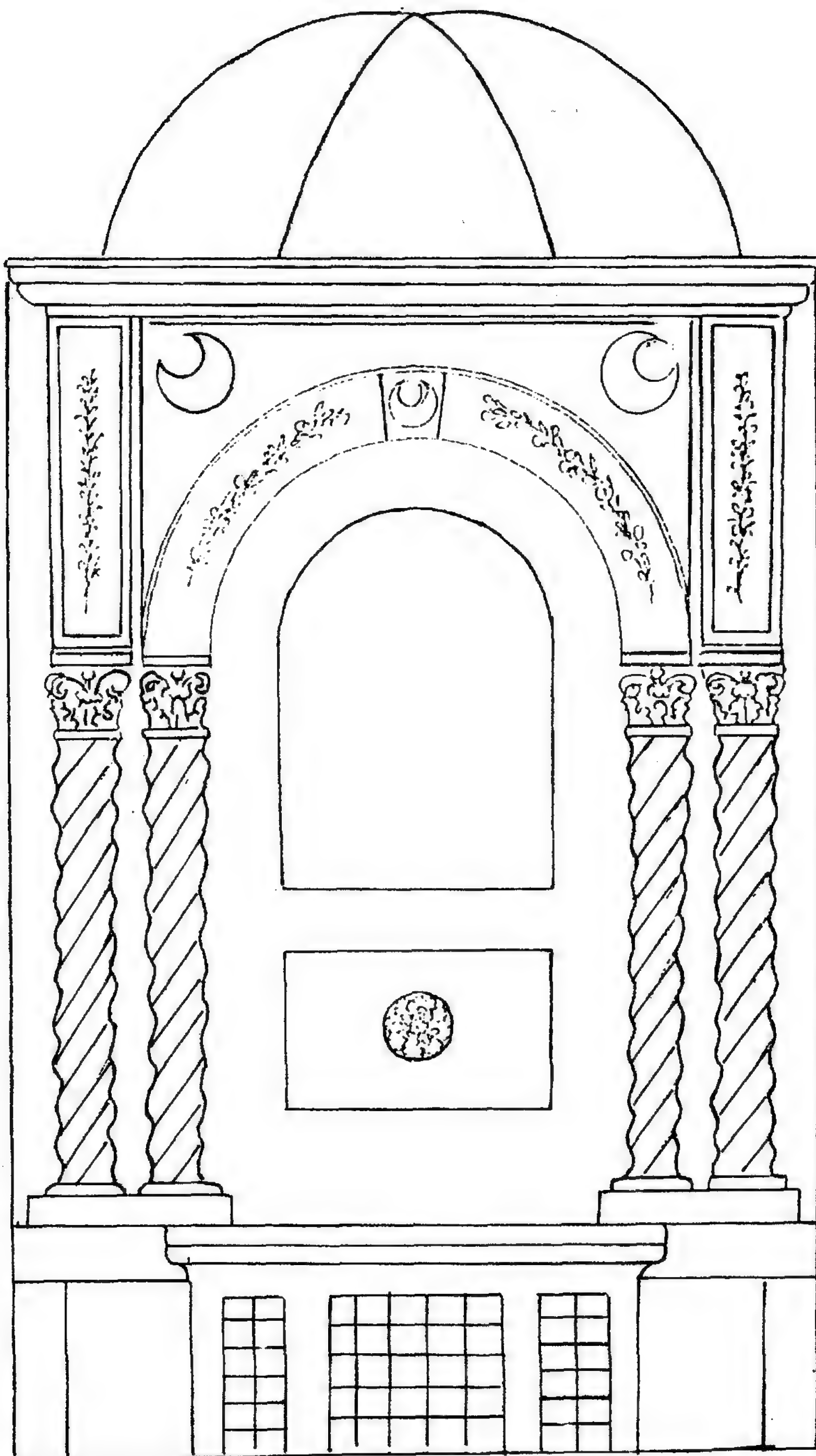
وبهذا العمل نلاحظ أن مدينة الجزائر كانت تزود بالمياه بطريقة جيدة ودائمة ويفضل الاستغلال الأمثل لعناصر المياه والينابيع استغلت هذه الطاقة الهامة في تسيير وإدارة المطاحن حيث كانت على وادي المغاسل ووادي قريش ووادي البساكرة ووادي الحراش عدة مطاحن مائية. ويذكر في هذا الشأن "دوغرامون" أنه كان بمدينة الجزائر 25 مطحنة كما كانت هناك مطاحن يديرها البغال بالمدينة⁽²⁸⁾.

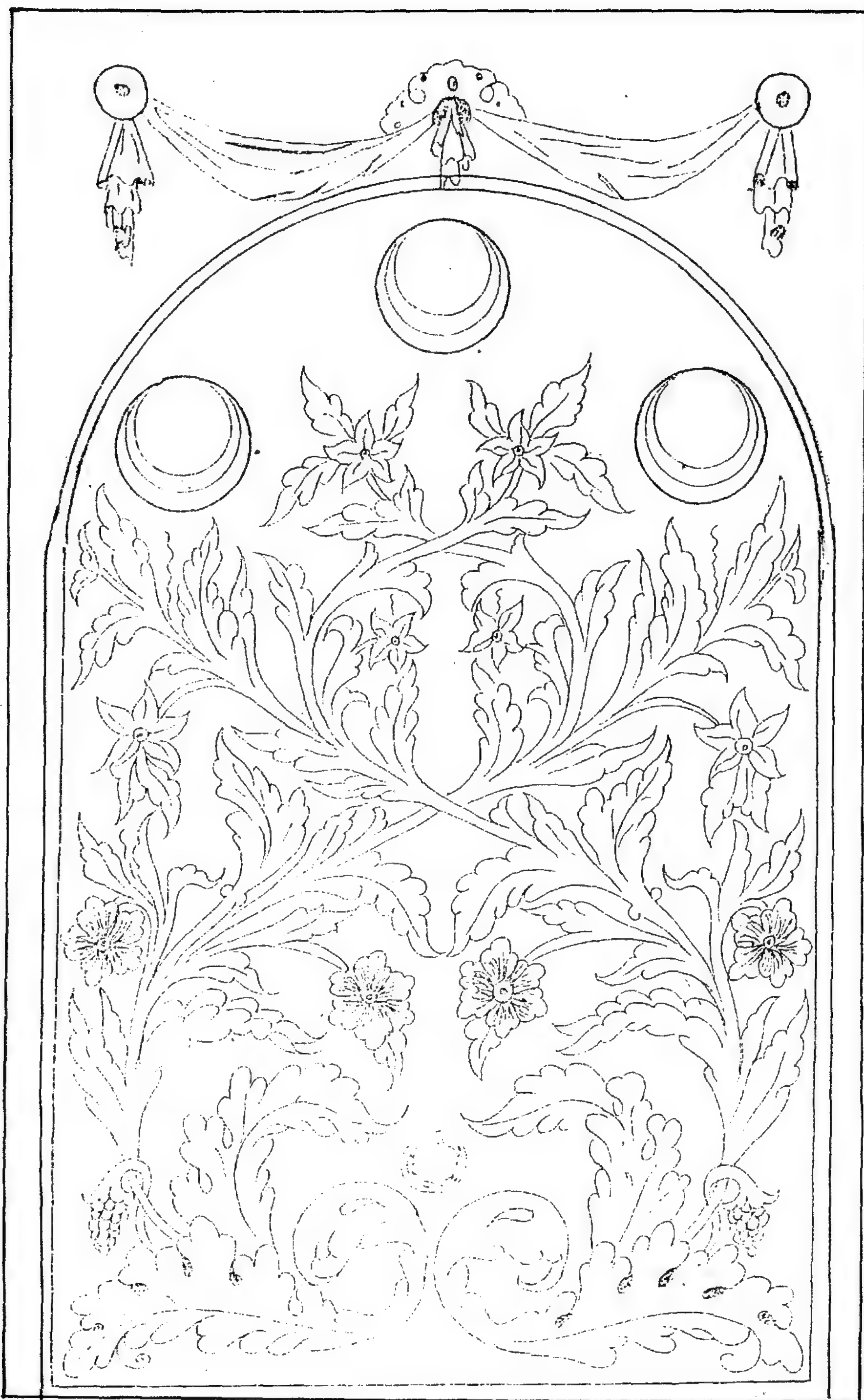
واستغلت المياه أيضا في صناعة البارود وفي هذا الشأن استغلت مياه العيون السبعة قرب ضريح سيدي يعقوب بباب الوادي، لصناعة البارود بالمصنع الذي أنشأه على خوجة في 1817 بعد أن صعد الى القصبة ونقل عتاد الصناعة للمكان المسمى بئر طرارية وبنى مصنع البارود الجديد.

كانت معظم القنوات مبنية بالأجر والحجر والطين وهي اما مكشوفة أو مغطاة، يبلغ عرض الفتحات أو قواعد الأقواس بين مترين 50،2م بينما يبلغ سمك الدعائم والأسوار بين 60،0م و 1،02م حسب قطر القناة المحمولة كما ان قناة بئر طرارية وقناة حيدرة تمتدان على عقود مركبة من صفيين⁽²⁹⁾.

(28) DE GRAMMONT, Correspondances des Consuls d'Alger, p. 206

(29) نشرة بلدية الجزائر ، عدد خاص 1955 .





رف عين حربة

أما عن الخزانات أو الصهاريج التي ذكرها بوتان في 1808 فيمكن أن نقدم وصفا عاما لها حسب النماذج التي عثرنا عليها بين شهري سبتمبر ونوفمبر 1983 بالجزء الشمالي من المدينة بنهاية شارع محمد بوراس بالقصبة السفلي ولكي أقدم صورة عن العيون في الجزائر يمكن الاعتماد على الملاحظات التي كانت قد سجلتها حول عين قصر الداوي التي اعتبرها من أجمل العيون في الجزائر⁽³⁰⁾.

تتكون العين من ثلاثة أقسام متبانية:

يتكون القسم الأول من خزان يتزود مباشرة من قنطرة المياه الجنوبية أي قنطرة حصن الإمبراطور الموجود بالتاقران ويتميز الخزان بقبته الإهليلجية الشكل التي تغطي المساحة المضلعة والإطار الرخامي.

أما القسم الثاني أو الواجهة الرخامية التي تتكون من الإطار شبيهة بأطر الأبواب (الشكل 6) وهو مزدان بزخارف نباتية على مستوى العقد التام والجانبين، ثم الزخرفة الرمزية الممثلة في ثلاثة أهلة بالبنيتين والفقرة الوسطى.

وأخيرا القسم الثالث المتمثل في الحوض الرخامي أيضا وكانت تصب فيه مياه حنفية نحاسية، والجزء المضلع الأسفل وهو مكسو بقطع من الزليج في مجموعات متجانسة.

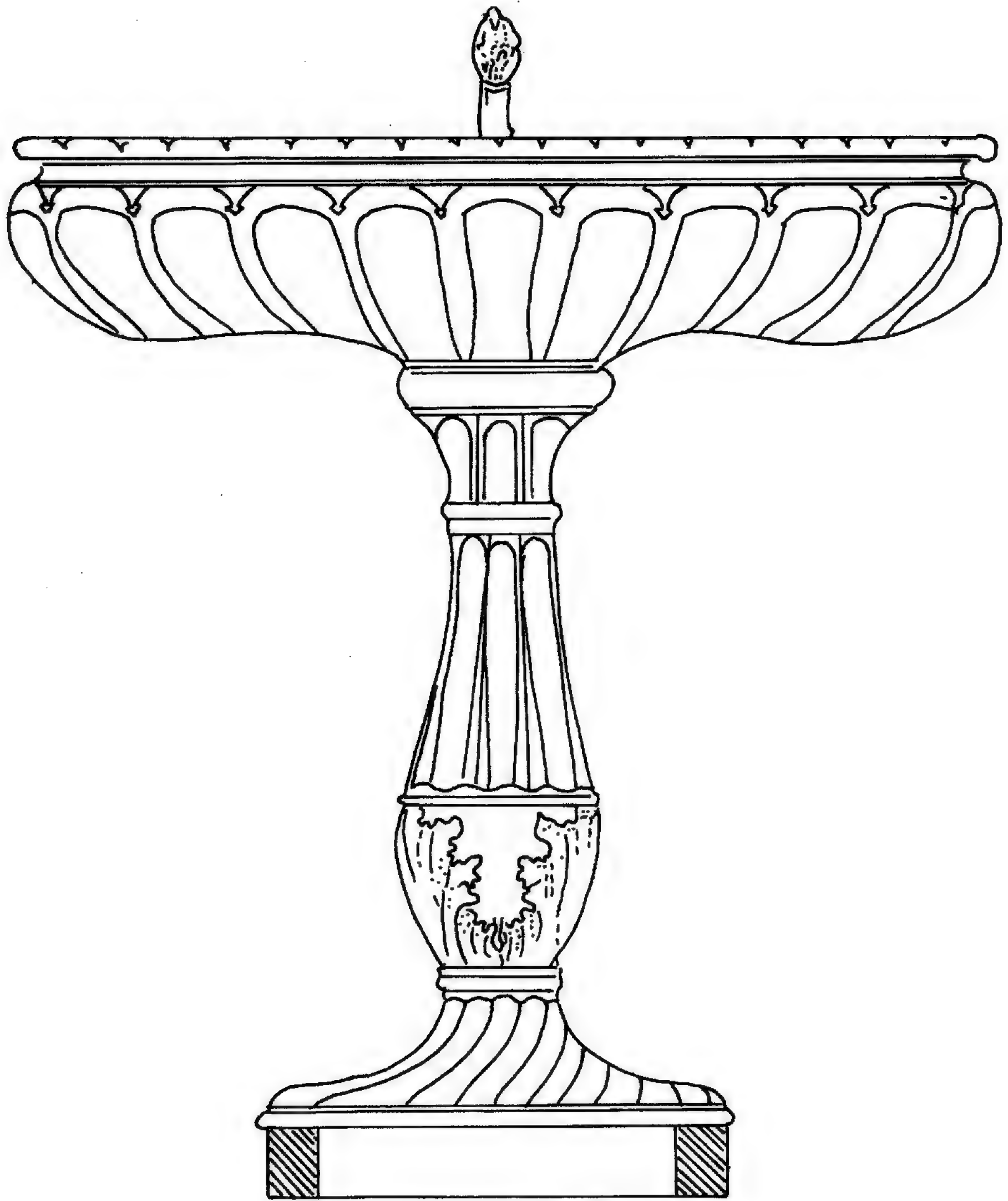
ترتبط العين بالقنطرة المذكورة بواسطة قناة مبنية بقطع الأجر وعند مستوى العين نجد أنابيب من الرصاص، الأول يغذي العين. والثاني يتجه نحو حمام الجيش والأنبوب الثالث استعمل لصرف المياه المتدفقة الزائدة.

أ) المنشآت المائية الإستحمامية:

أعتبر الحمام قديما وحديثا من أهم المرافق ذات الإستعمال المشترك وقد كانت له حظوة وعناية في كل الحضارات لإرتباط عمليات الإستحمام بالفوائد الصحية والعلاجية بالإضافة الى الأغراض الإجتماعية الهامة المتعلقة بالحياة اليومية للمواطن وكذا بمقوماته الدينية وهو ما يفسر الفروق بين الحمامات الإسلامية والحمامات القديمة.

والحمامات من حيث تزويدها بالمياه نوعان: حمامات طبيعية معدنية وحمامات إنشائية: هذه الأخيرة إمتازت في العصر الحديث على حمامات العصور التي سبقت

(30) لقد قمنا بدراسة تاريخية، أثرية ومعمارية وفنية لمختلف أقسام قصبة الجزائر بين 1978 و 19



بعدة مميزات معمارية وفنية وفي طرق التهوية والإضاءة. حيث تم الكشف عن ستة خزانات كانت تابعة للمنازل التي غطت هذا الجزء الجنوبي من شارع باب عزون سابقا.

الخزانات في مجموعها متشابهة من حيث التنظيم المعماري والمواد المستعملة في ذلك، يتراوح عرضها بين 2،50م و 2،80م، استعملت في تغطيتها أقبية مهدية الشكل، توجد عادة في إحدى زوايا الشكل الرباعي فتحة اسطوانية تسمح بسحب الماء وتصعد حتى الصحن أو أرضية البناء يتراوح إرتفاع القبوبين 2،50 و 300م ويكون الخزان في مجمله مستوى دون مستوى الأرضية أو الصحن (الشكل 5).

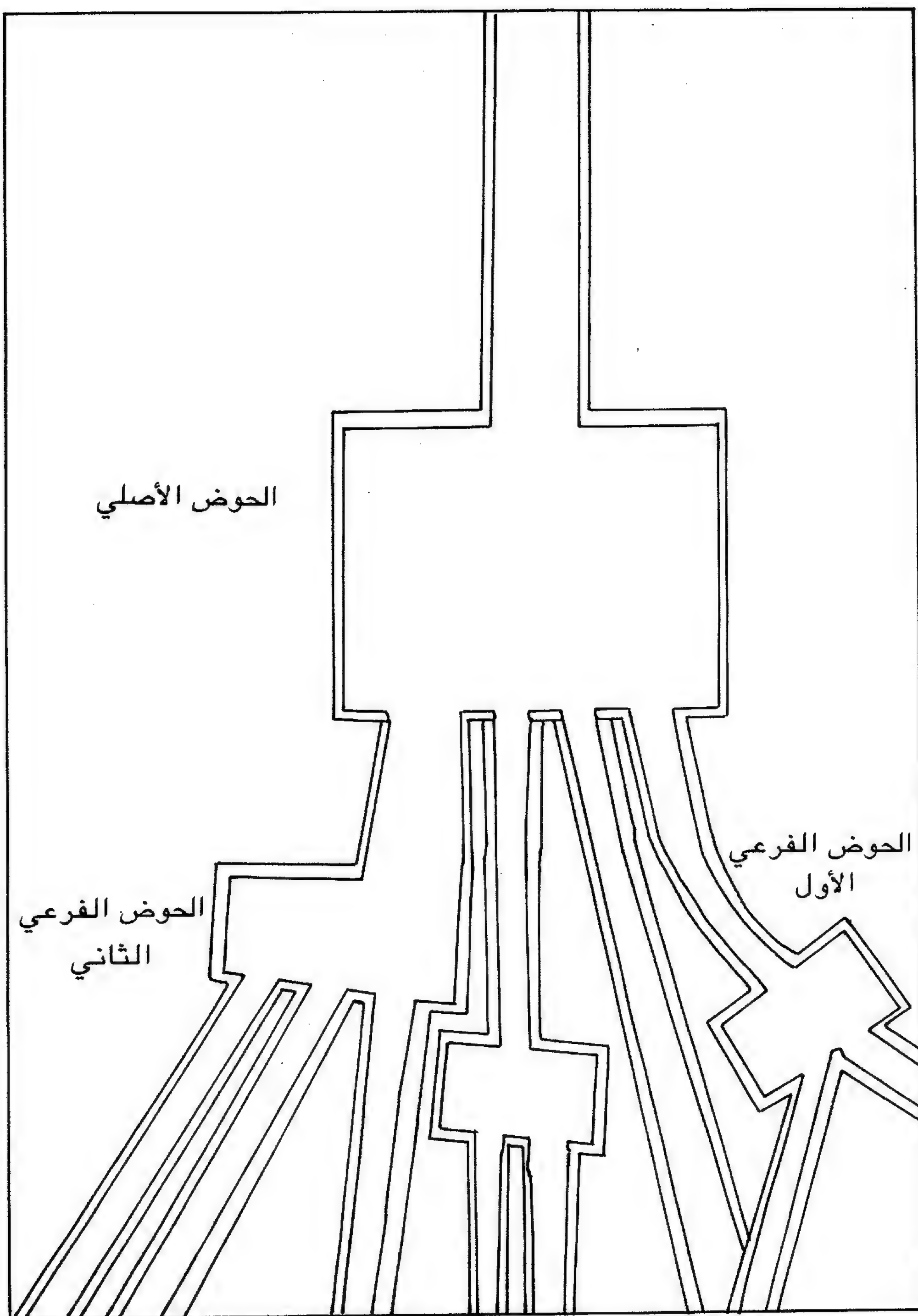
كما أن المواطنين صنعوا مجاري للمياه المستعملة بطريقة بسيطة تتمثل في قنوات رباعية الشكل، يتراوح آرتفاعها بين 0،40 و 0،50م مغطاة بقطع حجرية تنقل الفضلات نحو البحر⁽³¹⁾ ومن هذه القنوات ما يبلغ إرتفاعها 1،20م عند الجزء الأسفل من المدينة. أي بالقرب من شاطئ البحر حيث كانت تصب ونظرا لكبر هذه الفتحات فقد كان الفرنسيون يعتقدون أنها كانت عبارة عن أنفاق سرية لكبار رجال الدولة في العصر الحديث.

تنقسم الحمامات العمومية الى قسمين، يخص القسم الثاني القصور والمنازل، في حين يكون القسم الأول من إرتياد العامة سواء من الرجال أو النساء وأهم هذه الحمامات: حمام الداوي أو حمام سيدنا يقع بشارع أحمد ومحمد مشري وحمام سيدي بوقدور الموجود قرب مسجد سفير، حمام سيدي عبد القادر الموجود بممر سيدي عبد الله وحمام سرکاجي وحمام فويطة قرب دار الصوف.

يتكون الحمام عادة من ثلاث قاعات للاستحمام هي : القاعة الحارة التي تميزها الأرضية الرخامية والعيون النحاسية والبخار الزائد والمتصاعد من الفتحة التي تعلو خزان الماء الحار والقبة الثمانية الاضلاع والنوافذ والمشكوات الجانبية (بجوار القبة).

القاعة الدافئة: وقد فقدت أهميتها في الكثير من الحمامات الخاصة وبعض الحمامات العمومية وتكون بين القاعة الحارة والقاعة الباردة وبها عدد من فتحات التهوية والإضاءة على شكل نجوم أو دوائر.

(31) KADDACHE, la Casbah sous les Turcs, Documents Algérien 1951, p. 209-219.



والقاعة الباردة أو المسلخ أو قاعة نزع الثياب وبها ما يلزم المستحم من فراش وغطاء ومشروبات وكذا زخارف معمارية مثل الأعمدة بتيجانها والنافورة المرمية.

يضاف الى هذه القاعات المرجل أو الفرن وخزانات الماء الحار والبارد والمخازن وطرق التسخين وصرف المياه المستعملة.

ومن بين المؤسسات الكبرى التي كانت الدولة تقوم على تعظيم دورها وعلى الاهتمام بها هي المساجد حيث أن بجوار معظم المساجد نجد عينا ناضحة وبكل مسجد نجد ميضأة أو قاعة للوضوء، ثم المقاهي والمخابر والثكنات والبروج وغيرها من المرافق كمصانع البارود ومصنع الأسلحة ومصانع السفن بالحدائق العمومية والرياض، وبكل قصر نجد نافورة من الممر تبعث الدفء والحركة الدائمين في جو المكان.

لم يتوقف إعتناء الدولة بعنصر المياه بإيصاله الى المدن بل شمل أيضا التنظيم الإداري حيث عين موظف سامي للإشراف على المصالح المائية، وهو خوجة العيون الذي يرعى الأوقاف المحبوسة والمخصصة للإنفاق على هاته العيون العمومية وقناطر المياه والسواقي والقنوات وكان شيخ البلد يقوم بمراقبة عملية صرف تلك الأموال من طرف خوجة العيون⁽³²⁾.

كما عين لتسيير ومراقبة الحمامات العمومية خوجة الحمامات ويشرف الشيخ الناظر على الحمامات والموقوفة على المساجد.

إن العلاقة بين المياه النقية والمرافق الصحية والصحة علاقة توافقية علاقة قوية، فالأمراض التي تنقلها المياه هي السبب الرئيسي في الوباء الذي كان يضرب المدن بين الحين والآخر في جميع أنحاء العالم.

(ب) المنشآت المائية التاريخية في الصحراء الكبرى (ولاية أدرار):

تختلف أساليب جلب المياه وتوزيعها والاستفادة منها بين العاصمة (الجزائر) والقصور الصحراوية وخاصة قصور منطقة توات وقورارة المنطقتان اللتان تكونان ولاية أدرار الموجودة بالجزء الأوسط من الصحراء الكبرى الجزائرية.

إذا حاولنا أن نقارن بين مصادر المياه في الشمال والجنوب لوجدنا أن الشمال يعتمد على مياه الأمطار بالدرجة الأولى لماً الطبقات الجوفية بينما الصحراء تعتمد

(32) KLEIN H. Feuilles d'Eldjazair, Alger 1909, p.p.37-84.

على المياه الجوفية التي كانت قد استفادت من الكميات الكبيرة التي سقطت منذ عصور بعيدة إمتصتها طبقات الحجر الرملي واختزنتها في جوف الصحراء حيث أثبتت العديد من المصادر والدراسات أنه لاعلاقة للمياه الجوفية في الصحراء بمياه البحار والأنهار⁽³³⁾.

ان الدراسة التي قدمت لنا احصائيات دقيقة في هذا الموضوع هي التقرير الذي وضعته شركة (سوفرات) للدراسات الهندسية في 1961⁽³⁴⁾ الذي جاء فيه ان عدد الفقارات بمنطقة توات وقورارة كان يبلغ حوالي 700 فقارة حية و96 فقارة ميتة (غير منتجة) يبلغ الطول الاجمالي لهذه الفقارات 1700 كلم تنتج 2,76 متر مكعب في الثانية، وتتراوح درجة حرارة المياه بين 24 درجة و40 درجة مئوية تبعا لفصول السنة، وهي غنية بالأملاح المعدنية والجيرية.

يتطلب انجاز فقارة واحدة عناية فائقة ودراسة علمية تعتمد على حساب دقيق ومعرفة ارتفاع مستوى الأرض وعمق المياه الجوفية ودرجة انسيابها بالاضافة الى التقدير الصحيح لمخزون المياه، وبمجرد ارتكاب خطأ بسيط في التقديرات فان المنشئ لها سيفني ماله وجهده فيها.

بعد عملية الانجاز للفقارة توزع مياهها على المساهمين في الانجاز حسب درجة المساهمة في المصاريف والأعباء وتقسم بطريقة رياضية معقدة تعرف بطريقة (تكيل الماء) أما الآلة التي تستخدم في ذلك فتعرف بالصيارة أو الخلافة ويشرف على عملية توزيع المياه اختصاصي له سجل خاص تضبط فيه حصص كل مستفيد⁽³⁵⁾.

ويذكر مباركى عبد السلام آلة الصيارة هي عبارة عن صفيحة من النحاس توزع عليها ثقب في ثلاثة صفوف نلاحظ في الصف الأول ثقب متساوية تسمح بادخال راس اصبع الابهام " تسمى بالحبة أو العود " .

وفي الصف الثاني هناك ثقب أيضا متساوية تساوي الواحدة منها سبع حبات، أما في الصف الثالث فهناك ثقب غير متساوية تعتبر تجزيئات للحبة، جزء من اثني عشر الحبة وأخيرا جزء من أربع وعشرين الحبة⁽³⁶⁾.

(33) ميزور محمد، الفقارة ماضيا وحاضرا، مجلة الأحياء ع اص 31-37،

(34) فقارات ثوات وقورارة، الشركة الفرنسية للدراسات الهندسية 1961 .

(35) ميروز محمد، المرجع السابق، ص 34.

(36) مباركى عبد السلام، حساب المياه بمنطقة تسابيت مجلة الاحياء ص 38-43.

ويسمى هذا الجزء بالفلس أو القراط، وهناك تجزيئات للقراط كذلك والتي هي بمقدار رأس شوكة النخيل وأصغر جزء هو واحد على أربعة وعشرين من الجزء، وتكون الحبة في مجملها تتكون من 576 فلسا.

أما عن طريقة بناء الفقارة، فبعد إختيار مصدر الماء وحفر البئر يوجه الماء في قناة إلى الحوض الأول حيث تستعمل الصحيفة المذكورة سابقا في تحديد الكمية الموجهة لكل بستان أو كل مجموعة عن البساتين في حي واحد، بعدها توجه المجموعات إلى أحواض أصغر لتوزع وهكذا الى أن يصل الماء الى كل بستان على حدة عبر قنوات رباعية الشكل بعضها مغطى والبعض الآخر مكشوف، وهذا الجزء تنظم له في كل مناسبة عمليات تطوعية (تويضة) لتنظيمه وترميمه.

ج) المنشآت المائية بولاية غرداية

إن الإعتماد على المياه الجوفية في ولايات الشمال (بالإعتماد على المياه الأمطار) وعلى المياه الجوفية المخترنة بالطبقات الباطنية التي تجمعت منذ العصور القديمة بولاية أدرار خاصة جعلت منطقة غرداية تنفرد بنوع آخر من طرق الري التقليدية حيث أن القنوات الكبيرة التي تنطلق من الأودية والأخاديد والمنحدرات التي تحدد سير الأمطار بالمنطقة يجلب مياه الأمطار الى البساتين والسدود.

شيدت قنوات الري منذ حوالي عشرة قرون باتجاه التجمعات السكنية وكان أقدمها ما يزود مدينة العطف ثم مدينة غرداية فمدن بنورة بني يزقن، المدن التي تشكل ضاحية وادي مزاب أو ما يسمى بالشبكة.

تنتهي هذه القنوات بالشوارع الرئيسية وتغذي الفتحات التي شيدت بإحكام من طرف لجنة المدينة حيث توزع حسب نظام دقيق يستعمل في قياس الفتحات نوعان من الأدوات: الأولى تستعمل فيها نواة التمر الجاف (الكربوش) كوحدة أساسية وتتفرع منها وحدات أصغر بسمك ورقة جريد النخيل حيث أن النواة تتكون من حوالي 10 إلى 12 ورقة أو إبرة ويكون نصيب كل فرد حسب عدد النخيل الموجود بالبستان أو حسب مساحة البستان.

يوجه الماء الزائد إلى السد الذي يتكون من حاجز قوي وحوض يربط بين النهر (مزاب)، يوجد بالشبكة ثلاثة سدود أهمها سد العطف الي يعود تاريخ إنشائه إلى القرن العاشر الميلادي وبلغ طوله 4 كلم.

يتميز هذا السد عن غيره بوجوده ضمن الحاجز المبني بالحجر حاجز للإمان (وسط الحاجز) مبني بالتراب ومغطى بطبقة من الملاط تحميه من العوامل الطبيعية العادية، لكن عندما يمتلئ السد وخوفا من صعود منسوب المياه إلى المساكن المجاورة، ينسكب الماء على التراب فيكون فتحة في الحاجز، بطريقة آلية تسمح بخروج كميات من الماء عبر المجرى الطبيعي.

ثم يأتي بعد هذا السد، سد غرداية الذي يعود إلى القرن الثالث عشر ثم سد بني يزقن الذي يعود إلى القرن السادس عشر وهذين الأخيرين لا يختلفان عن السدود التي تعود إلى القرن الماضي إلا من حيث كبر المخزون الاحتياطي وبالتالي كمية المياه المستعملة في السقي يوميا.

أما اعتماد السكان على ماء الشرب فإن عدد الآبار بالمنطقة يقارب عدد المنازل في المدينة، حيث يبلغ عدد الآبار في مدينة غرداية وحدها 45 بئر.

أما في مدينة مليكة فقد بلغ عددها 24 بئرا، ويفوق هذا العدد ما نجده في مدن بني يزقن، العطف، بونورة، القرارة والبريان ونظرا لجفاف جل الينا بيع صيفا من ناحية ولوجود طبقات مائية مهمة، وهذه الطبقات تبين أنها تعلو طبقة هامة من البترول تم الكشف عنها منذ حوالي سنة 1978م.

هذه بعض المعلومات العامة عن المنشآت المائية التاريخية في الجزائر ورغم أنها بسيطة إلا أنها تقدم نماذج حية عن تطور هذه المنشآت ومواكبتها للتطورات الحضارية التي ظهرت سواء في أوروبا أو آسيا وإستخدام الطاقة المائية في إدارة المطاحن وفي صناعة البارود والأسلحة النارية وفي تأمين النظافة للمدن والأحياء والمنازل كما استعمل الماء في سقي البساتين العديدة التي جعلت الأوروبيين يصفون الجزائر بجنة الخلد.

نقائش أغلبية جديدة

القرن الثالث هجري / التاسع ميلادي

دراسة تاريخية وأثرية

د. خالد مودود(*)

تعد مجموعة شواهد قبور إفريقية من أهم وأجمل المجموعات التي عثر عليها بالمغرب الإسلامي. فقد احتفظت المقابر الإسلامية بمدن إفريقية مثل القيروان، تونس، سوسة، المهدية و صفاقس بما يزيد على ثلاثة آلاف شاهد قبر وهي معروضة حاليا بمختلف متاحف الجمهورية أو محفوظة بمستودعات المعهد الوطني للتراث. تتميز هذه القبريات بتعدد أشكالها و ثراء نصوصها مع أناقة كتابتها الزخرفية. وقد نحتت كتاباتها على مرمر نقي متعدد الألوان.

في نطاق مركز دراسة الحضارة والفنون الإسلامية قمنا بجرد ودراسة هذه المجموعة الهامة من القبريات. استغرق هذا العمل أكثر من خمس سنوات: 1984-1989، نشرنا نتائجه العامة في كتاب: " النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي " صدر سنة 1988 عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم⁽¹⁾.

اتضح من خلال عملية الإحصاء والجرد أن هذه المجموعة رغم الدراسات العديدة والمتنوعة التي شملتها⁽²⁾ ما زالت تضم عددا هاما (311 شاهدا) من القبريات التي لم تقع دراستها ونشرها.

(*) مكلف بالبحوث بالمعهد الوطني للتراث بتونس

- (1) انظر : خالد مودود : النقائش العربية بإفريقية وتطورها من القرن الثالث إلى نهاية النصف الأول من القرن السادس هجري. صدر في كتاب : النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1988، ص 39 إلى 52 .
- (2) حول هذه الدراسات، انظر قائمة المراجع.

يضم هذا البحث دفعة أولى من هذه النقائش الجديدة تشتمل على 19 شاهداً. وهي تعتبر من حيث تواريخها هامة جداً، إذ تعد من أقدم الشواهد الإفريقية التي تم العثور عليها إلى حد الآن.

يغطي تاريخ هذه الشواهد فترة زمنية هامة تزيد عن النصف القرن (55 سنة) أي من سنة 243هـ / 857م إلى سنة 298هـ / 911م وهي تهم أساساً الفترة الأغلبية وتعد من أقدم شواهد إفريقية. هذا مما يمكننا من دراسة دقيقة لهذه القبريات واستخلاص بعض السمات والتطورات الهامة التي طرأت على نقائش شواهد إفريقية من حيث الشكل والمضمون ودراسة أسلوب كتابة هذه القبريات وزخرفتها.

جميع الشواهد نحتت كتابتها على مرمر نقي متعدد الألوان، 12 منها في شكل عمود قبر: (رقم 1، 4، 5، 6، 7، 8، 13، 14، 16، 17، 18، 19) و 7 في شكل لوح: (رقم 2، 9، 10، 11، 12، 15). الشواهد التي تحمل أرقام: 2 و 3، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 17، 18، 19 تحمل أسماء رجال والشواهد التي تحمل الأرقام: 1، 4، 15 فهي شواهد لنساء، أما الشاهد رقم 16 فهو لطفل. والشواهد رقم: 1، 5، 7، 15، فهي مكسرة وغير كاملة أربعة منها وهي: 1، 5، 15، 16 لا تحمل أسماء.

كل الشواهد تنحصر أساساً في استعمال شكلين: عمودية أو في شكل لوح:

- قبريات في شكل عمود: تعتبر من أقدم الأشكال المستعملة في شواهد قبور إفريقية إذ تعود أقدم المشاهد المعروفة بهذا الشكل إلى أواخر النصف الأول من القرن الثالث هجري. وقد وجد هذا الصنف من القبريات بصفة مكثفة بمدينة القيروان حيث احتفظت مقابرها بأجمل الأمثلة.

- قبريات في شكل لوح: كذلك قديمة الاستعمال حيث يرجع تاريخ أول شاهد عثر عليه بهذا الشكل إلى سنة 252هـ. إلا أن شكل هذه القبريات سيعرف تطوراً ملحوظاً إذ ستظهر بمدينة القيروان انطلاقاً من سنة 387هـ مشاهد في شكل سيف⁽³⁾. وستعرف مدينة تونس ابتداءً من النصف الثاني للقرن السادس هجري شواهد قرصانية الشكل أو في شكل بلاط⁽⁴⁾.

(3) حول ظهور هذا الشكل في شواهد قبور إفريقية، انظر: El Habib Mustapha : Stèles funéraires kairouanaises d'époque Fatimide et Ziride.

أطروحة حلقة ثالثة، باريس 1972، شاهد رقم 20، صفحة 59-62

(4) حول ظهور شواهد قرصانية الشكل أو في شكل بلاط: انظر: سليمان مصطفى زيس: نقائش القرطاجني، تونس 1962، شاهد رقم 16، صفحة 15، لوحة III-16، وشاهد رقم 31، صفحة 22، لوحة V-31

- تتضمن نصوص هذه القبريات معلومات تاريخية وجغرافية واجتماعية هامة جدا مكتتنا في أغلب الأحيان من تدارك نقائص جل المراجع التاريخية المتداولة وضبط ما جاء فيها. اذ تمدنا هذه النقائص بشتى المعلومات من أسماء الأشخاص ذوي الحيثية والأهمية الخاصة والمهن أو الوظائف، أسماء الصناع والتجار، أسماء المدن والقبائل... كما توفر لنا معلومات ضافية عن شخصيات من عامة الناس غفلت كتب التراجم أو لم تهتم بتناول سيرهم، بالإضافة إلى إشارات عديدة نكتشف من خلالها دراسة رسم اللغة وأساليب الإملاء والأخطاء الشائعة والواردة بهذه النصوص.

تنحصر مقومات هذه النصوص عامة في عدة محاور أساسية:

* البسمة: نجدها في كل النصوص.

* ذكر آية أو بعض الآيات القرآنية: أهمها سورة الإخلاص الآيات 1 إلى 4: سورة البقرة الآيات 155 و 255.

* ذكر اسم المتوفي تتبعه في أغلب الحالات نسبته ومهنته.

* تاريخ الوفاة مع ذكر اليوم والشهر والسنة تتقدمهم جملة: هذا قبر...

* الشهادة: تعد من العناصر الأساسية ذكرت في كل النصوص بصفة منتظمة أو مطولة تتبعها في أغلب الحالات بعض الآيات القرآنية أو مقتبسة من القرآن الكريم مثل سورة الحج الآية 7 ثم تشفع بالتصلية.

* الدعاء لفائدة المتوفي.

غير أن هذه المحاور الأساسية قابلة للتحويل من حيث الترتيب والصيغة حسب الأساليب الجهوية المتبعة وحسب الفترات التاريخية. إذ تميز كل عصر بأسلوب خاص في تأليف نصوص شواهد القبور الإفريقية بحيث يرتبط ارتباطا وثيقا ويتأثر حسب الظروف الاقتصادية والسياسية والدينية. إذ تنفرد كل جهة بأسلوب خاص في كتابة هذه النصوص، من حيث اختيار الآيات القرآنية أو ترتيب محاور النص الأساسية والصيغ التي ذكرت بها بعض هذه المحاور كالتصلية والشهادة والأدعية. فقد تميزت هذه النصوص القيروانية بالإكثار من العديد من الجمل المقتبسة من القرآن، خلافا لنصوص قبريات مدينة تونس أو سوسة التي يطغى عليها الاختصار والبساطة⁽⁵⁾.

(5) حول نصوص قبريات مدينة تونس، انظر : Maoudoud Khaled : L'Art funéraire de Tunis sous les banu-khorasan، أطروحة حلقة ثالثة، باريس 1983، صفحات 82-69 بالنسبة لشواهد مدينة سوسة انظر :

M.M. Viré : Inscriptions arabes des tèles funéraires de musée de Sousse ; C.T. 1956.

كما يتأثر مضمون هذه النصوص بالأزمات السياسية والدينية إذ تبرز في فترات معينة بعض الجمل معبرة عن الجدل الفكري والصراع المذهبي التي عرفتة إفريقية في أواخر القرن الثالث هجري حول موضوع خلق القرآن. يظهر ذلك من خلال بعض نصوص القبريات التي تؤكد أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق: انظر الشاهد رقم 18.

كما أن هذا الصراع التقليدي بين السنة والشيعة لم يقف عند حد قضية خلق القرآن بل شمل عدة مظاهر اجتماعية وفكرية وقد حرص كل مذهب على إبراز انتمائه وشعاراته من خلال نصوص هذه الشواهد حيث ورد في نص الشاهد رقم 15: وصلى الله عليه وعلى آله الطيبين الأخيار. فانتقال الحكم من الأغلبية إلى الفاطميين سيواكبه العديد من الأدعية الشيعية المعتقدة وكذلك الأدعية السنية المعارضة للمذهب الشيعي.

علاوة على الجانب الوثائقي لهذه النصوص، توفر لنا كتابة نقائش هذه القبريات مادة قيمة لدراسة أشكال رسم الحروف وأساليب زخرفتها. فهي تعتبر سجلا ثابتا وأصيلا لدراسة الخط العربي وتطوره.

إن التمرس في دراسة كتابات هذه الشواهد وطرق زخرفتها يمكن من تتبع تطور هذا الخط وتصنيفه. إذ أن كل فترة انفردت بأسلوب خاص من حيث نحت الحروف ورسم أشكالها وزخرفتها. فقد تميزت كتابة قبريات القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي بانتشار الخط الكوفي ذي النحت الغائر، فاتسمت الكتابة ببساطتها وقلة زخرفتها مما أفضى على هذا الخط طابعا رصينا هادئا. أولى النقاشون اهتمامهم بالجانب الوثائقي لهذه الكتابة وذلك يتضح في دقة رسم الحروف وجودة نحتها. كما اتسمت بقلة زخرفتها وعدم التوازن بين الأجزاء العليا والسفلى للأشرطة الكتابية، تعزى هذه العوامل ربما إلى حدودية تقنية الآلات المستعملة وأسلوب الكتابة نفسه إذ أن النحت الغائر يحمل البساطة في ذاته.

انطلاقا من أواخر القرن الثالث هجري، عرف هذا الخط تطورا ملحوظا على المستوى العلمي والفني، تناول في مرحلته الأولى أساسا شكل الحروف نفسها وطريقة نحتها. إذ ظهر ابتداء من العشرية الثانية للنصف الثاني من القرن الثالث هجري الخط الكوفي ذي النحت البارز (أولى الشواهد تعود إلى السنوات: 258هـ، 262هـ، 265هـ) وحل تدريجيا محل الكتابة الغائرة إلا أن رسم هذه الحروف بقي

خاليا من الدقة والابتقان إذ تبدو بارزة وكبيرة الحجم لا تزال بمراحلها الانتقالية.
(انظر: رقم 7 لوحة VII، ورقم 16 لوحة XVI).

شاهد رقم 1. 243هـ / 857م

لوحة I

جزء سفلي من شاهد قبر في شكل عمود من المرمر الأصفر مساحة حقل الكتابة في حالة رديئة إذ تشوبها عدة كسور وتآكل. ويتكون حقل الكتابة من أشرطة كتابية في شكل نصف دائري ويتألف من نص بقي منه 13 سطرا كتبت بخط كوفي غائر.

تتميز الكتابة بدقة رسم الحروف وأناقة الشكل رغم بساطتها الزخرفية التي انحصرت في استعمال أشكال نباتية بسيطة تمثلت في براعم أو مشادف تحليان أواخر الأحرف.

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان⁽⁶⁾.

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان.

* الأبعاد : الارتفاع : 77صم، القطر من الأسفل : 23صم، الحروف الصاعدة 3صم.

* رقم الجرد: 396

* النشر: لم تنشر

النص:

.....

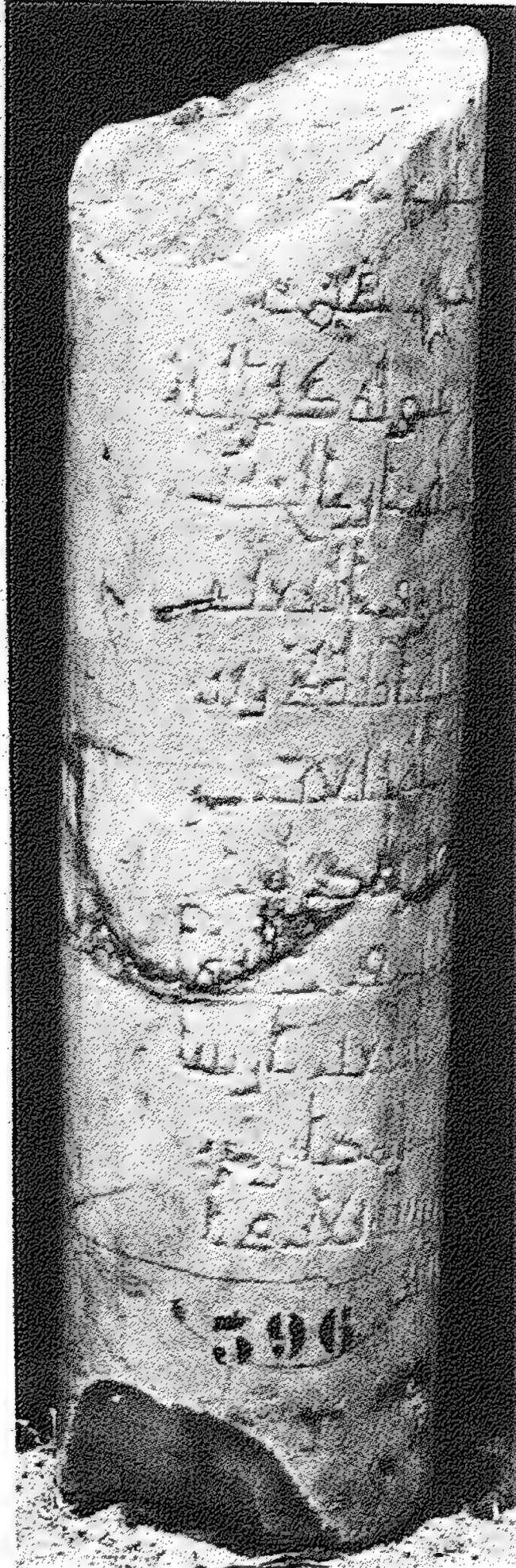
الا اله الا الله وحده لا

شريك له وان محمد

اعبده ورسوله صلى الله

(6) تعد مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان من أقدم وأعظم المقابر بافريقية وهي ما زالت تستعمل للدفن. ذكرت في النصوص القديمة باسم مقبرة قريش ثم بمقبرة باب سلم. حول هذه المقبرة انظر خاصة : ابن ناجي : معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، الأجزاء I, II, III, IV كذلك حسن حسني عبد الوهاب : بساط العقيق، صفحة 20 و R. Brnchivg : La Berbérie orientale sous les Hafside (ج 1، صفحات 360، 361، 370 و 371

لوحة 1



1 - شاهد قبر 243 هـ / 857 م

عليه وسلم وان الجنة (هكذا)

حق والنار حق والبعث

حق وان الساعة آتية لا ريب

فيها وان الله يبعث هذه ا

لشهادة ماتت وعليها

حيث وعليها تبعث ان شا

الله ماتت لعشر مضايين (هكذا) من ر

بيع الاخر من سنة ثلاث وار

ربعين ومايتين

شاهد رقم 2. العشرية الأخيرة للنصف الأول من القرن الثالث هجري/

ابتداء النصف الثاني للقرن التاسع ميلادي

لوحة II

يوجد بجامعة التوفيق⁽⁷⁾ داخل مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان مجموعة من الشواهد كانت مثبتة بالجدار الخارجي لجدار القبلة، تعود تواريخها إلى النصف الأول للقرن الخامس هجري⁽⁸⁾. من بين هذه المجموعة يوجد شاهد قبر في شكل لوح كتب عليه بخط كوفي بارز ويحمل تاريخ 422هـ / 1031م⁽⁹⁾. إثر عملية ترميم وصيانة هذا المعلم من طرف مصالح المعهد القومي للآثار وقع رفع هذا الشاهد. فأتضح أن ظهر اللوح يحمل نص شاهد قبر ثان كتب بخط كوفي غائر ويحمل ملامح وأسلوب قبريات القرن الثالث هجري. وهو مجال هذا البحث.

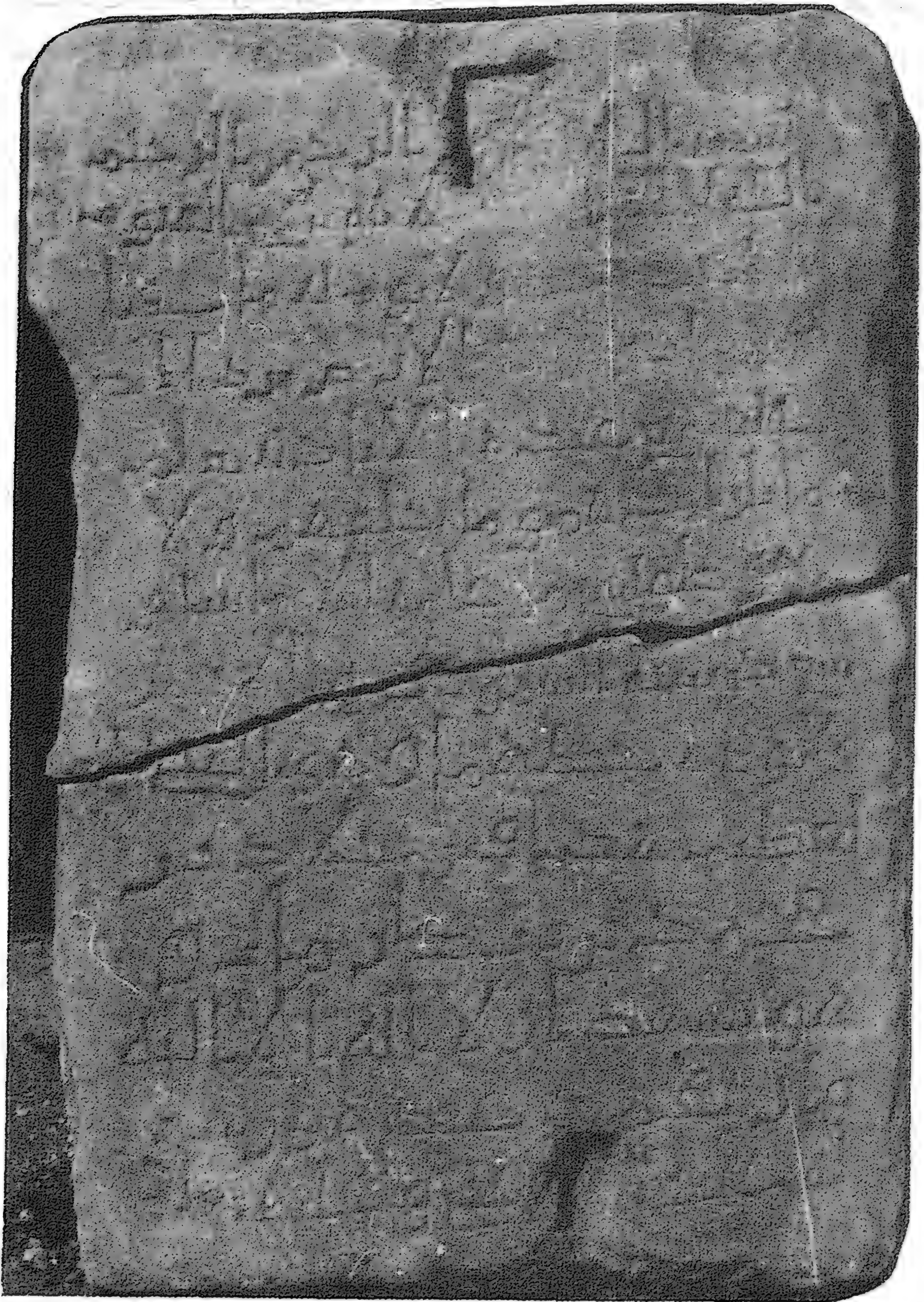
- شاهد قبر مستطيل الشكل من المرمر الرمادي اللون، منكسر إلى شطرين.

(7) حول هذا الجامع الذي ينسب تأسيسه إلى الفترة الحفصية، انظر خاصة : R. Brunschvig B.O. Hafside, ج. 1، صفحة 369

(8) توجد بجامعة التوفيق مجموعة من القبريات تضم سبعة شواهد وهي على التوالي : شاهد 414 هـ، 419 هـ، 421 هـ، 422 هـ، 438 هـ، انظر : B. Roy et P. Poinssot الكتابات العربية

القيروانية، ا، شواهد رقم : 220، 221، 249، 258، 265، 268، و II، شاهد رقم 450

(9) حول هذا الشاهد انظر نفس المصدر، I، رقم 265 صفحات 392-393



2 - شاهد قبر مسجد التوفيق :
القيروان أواخر النصف الأول للقرن الثالث هـ . منتصف القرن التاسع م .

يحمل ثقبين في جانبيهما يدل أنه استعمل في فترة سابقة كسكف لإحدى الأبواب واستجلب من خرائب المواقع الأثرية القديمة التي تعج بها منطقة القيروان ثم أعيد استعماله كشاهد قبر في الفترة الإسلامية⁽¹⁰⁾.

يتألف نص هذا الشاهد من 14 سطرا من الخط الكوفي ذي النحت الغائر.

* المصدر: جامع التوفيق: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان.

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان.

* الأبعاد: الطول : 5,5 صم، العرض: في أعلاها: 50 صم، في أسفلها

4,5 صم، السمك: 6 صم، الحروف الصاعدة: 4 صم.

* رقم الجرد: 500.

* النشر: لم تنشر

النص:

1- بسم الله الرحمن الرحيم

2- الله لا اله الا هو الحي القيوم

3- لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في ا

4- [لسموات وما [في] الأرض من ذا الذ

5- ي يشفع عنده الا باذنه يعلم

6- ما بين ايديهم وما خلفهم ولا

7- يحوطو (هكذا) بشى من علمه الا بما شا و

8- سع كرسية السموات والأرض

9- ولا يوده حفظهما وهو العلي ا

10- لعظيم هذا قبر خلاد بن

11- محمد بن زيدان مات و

12- هو يشهد ان لا اله الا الله

13- وان محمد (هكذا) عبده ورسو

14- له عليها حى وعليها مات

(10) حول هذا الموضوع، انظر : البكري : المسالك والممالك، صفحات 32، 34، 42، 44، 47،

83، 84، كذلك ابن عذارى : البيان المغرب : ا، صفحة 24

يحمل نص هذا الشاهد اسم المتوفي لكن لا يذكر تاريخ وفاته، وهذه ظاهرة لاحظناها إثر قيامنا بعملية جرد وحصر مجموعة شواهد قبور القيروان. فضمن مجموعة القرن الثالث هجري والتي تضم 112 شاهدا؛ وجدنا 13 قبرة أغلبها من الألواح ومستطيلة الشكل، تتسم نصوصها بعدم ذكر تاريخ وفاة أصحابها وفي جل الحالات لا تحمل حتى أسماء أصحابها وتواريخ وفياتهم. بل تقتصر نصوص هذه الشواهد على ذكر البسملة والتضلية ثم بعض الآيات القرآنية خاصة منها: سورة البقرة - الآية 255؛ سورة الإخلاص - الآيات 1-4؛ سورة آل عمران - الآية 182 ثم تختتم بالشهادة.

كتب هذا الشاهد بخط كوفي غائر. فاستمت الكتابة بالبساطة والتناسق. تقتصر الزخارف على مشادف نحيفة تحلي أواخر الأحرف. أما الحروف المنتهية بذيل مثل الراء، الميم، النون... فهي لا تزال غير ممددة وتقتصر على الجزء السفلي لشريط الكتابة. كل هذه الملامح وباستعراض ومقارنة أسلوب كتابات أغلب قبريات إفريقية للقرن الثالث هجري تجعلنا ندرج ونؤرخ هذا الشاهد ضمن شواهد العشرية الأخيرة للقرن الثالث هجري/ أواخر النصف الأول للقرن التاسع ميلادي.

شاهد رقم 3، 252هـ/ 866م

لوحة III

شاهد قبر مستطيل في شكل لوح من المرمر الرمادي اللون. مكسر الجوانب، تتخلل حقل الكتابة عدة ثقوب وتآكل للحجارة مما جعل قراءة النص صعبة.

يتألف النص من 12 سطرا كتبت بخط كوفي غائر بسيط يغلب عليه الطابع الوثائقي، خال من أي عنصر من عناصر الزخرفة. يذكرنا أسلوب رسم كتابة هذا الشاهد بالنقشة المرسومة على جدار قبلة مسجد رباط سوسة شمال محرابه⁽¹¹⁾.

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بأولاد فرحان بالقيروان

(11) انظر : A. Lézine، رباط سوسة، تونس 1956، صفحة 17. ولنفس المؤلف : سوسة : المعالم الإسلامية، صفحة 27، لوحة 10.



3 - القيروان : شاهد قبر 252 هـ / 866 م

* الأبعاد: الطول: 65صم، العرض: 37صم، السمك: 15صم، الأحرف
الصاعدة: 3,5 و 4صم.

* رقم الجرد: 408

* النشر: لم تنشر

النص:

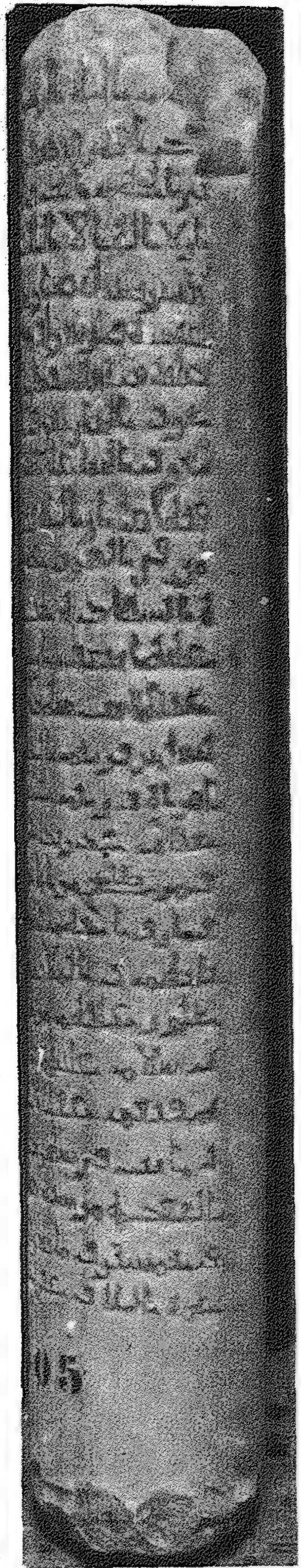
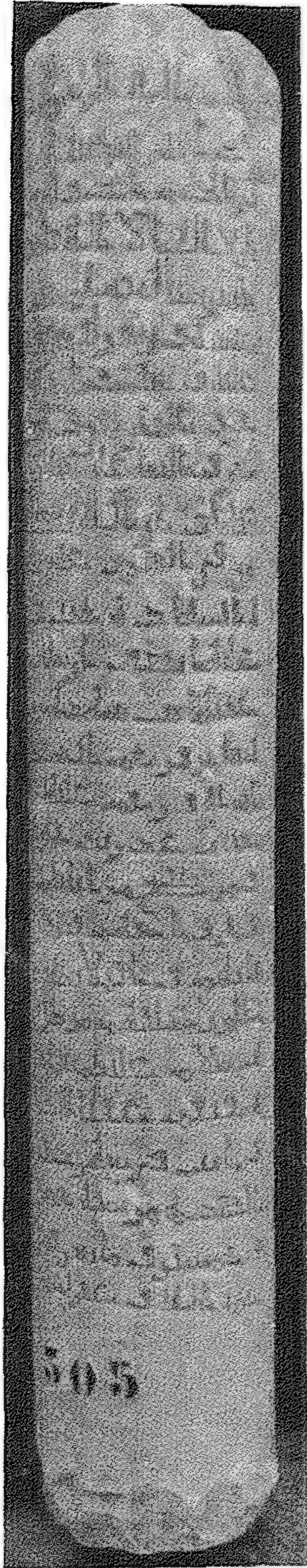
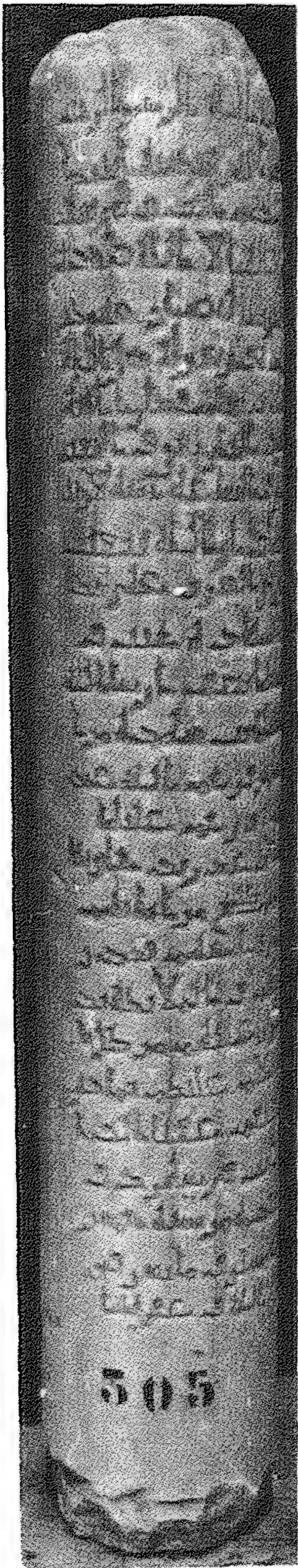
- 1- بسم الله الرحمن الرحيم
- 2- هذا قبر هارون الدليل [مات]
- 3- وهو يشهد ان لا اله الا الله
- 4- وحده لا شريك له وان الجنة حق و
- 5- النار حق وان الله يبعث من في القـ
- 6- بور..... على هذه.....ل
- 7- لشهادة حيي وعليها مات
- 8- وعليها يبعث وكانت وفاته
- 9- ليلة الجمعة من شوال سنة
- 10- اثنين وخمسين ومايتين رحم الله
- 11- هذا الكتاب (هكذا) ودعا له
- 12- بالرحمة ا

يمكن اقتراح كذلك الدليل (السطر الثاني). رغم بحثنا الحثيث في العديد من كتب
التراجم المتعلقة بهذه الفترة، لم نجد أي ترجمة لصاحب هذا الشاهد.

شاهد رقم 4 . 255 هـ / 869م

لوحة IV

شاهد قبر في شكل عمود من المرمر أبيض اللون، يتكون حقل الكتابة من أربعة
كتابية في شكل نصف دائري، ويتألف من نص يشتمل على 27 سطرا من الخط
الكوفي الغائر. تميز برداءة نحت الحروف وعدم الدقة في إبراز ملامحها.



دراسة أسلوب رسم حروف كتابة هذا الشاهد تين مقارنة بالكتابات السابقة وجود تطور طفيف طراً على شكل بعض الأحرف وعلى طريقة زخرفتها. من حيث الشكل، نلاحظ أن عديد الأحرف مثل التاء في آخر الكلمات، الحاء، الدال، الكاف، الهاء في وسط وآخر الكلمات، بدأت أجزاءها تتمدد إلى الجزء العلوي لحقل الكتابة. أما من حيث الزخارف، نلاحظ ظهور براعم ثنائية الفصوص تنشق من أواخر الحروف مثل الألف واللام، كذلك حرفي الباء والتاء. أخيراً نشير إلى الورقة الثلاثية الفصوص التي تحلي حرف الهاء في كلمة وحده، السطر الرابع.

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

* الأبعاد: ارتفاع: 105 صم، قطر قاعدة العمود: 17 صم، قطر رأس العمود: 19 صم، الأحرف الصاعدة: 2,5 صم.

* رقم الجرد: 305

* النشر: لم تنشر

النص:

1- [بسم الله الرحمن الرحيم

2- [هـ] ذا قبر سكيئة ابنت (هكذا) ا

3- بي الجهم ماتت وهي تشهد

4- لا اله الا الله وحده

5- لا شريك له وان محمد (هكذا)

6- عبده ورسوله صل (هكذا) الله

7- عليه وسلم وان الجنة

8- حق والنار حق والبعث

9- حق والساعة اتية لا ريب

- 10- فيها وان الله يبعث
- 11- من في القبور على هذ
- 12- ه الشهادة حيث و
- 13- عليها تبعث ان شا الله
- 14- ماتت من ا
- 15- فرحم الله عبد
- 16- ا قرأ وترحم عليها
- 17- جنات عدن يدخلونها
- 18- ومن صلح من آبايهم
- 19- وأزواجهم وذر
- 20- ياتهم والملايكة يد
- 21- خلون عليهم من كل با
- 22- ب سلام عليكم بما صبر
- 23- تم فنعم عقبا (هكذا) الدا
- 24- ر ماتت في شهر ذو
- 25- القعدة من سنة خمس
- 26- وخمسين ومايتين فر
- 27- حمها اله وغفر لها

شاهد رقم 5 . 260 هـ / 874 م

لوحة V

جزء سفلي لشاهد قبر عمودي الشكل من المرمر الأخضر. يتألف ما تبقى من النص من 10 أسطر كتبت بخط كوفي غائر. تميز بإتقان ودقة ورسم حروفه مع جودة نحتها.



5 - شاهد قبر 260 هـ / 874 م

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

* الأبعاد: الارتفاع: 74 سم، القطر من الأسفل: 22 سم، الحروف الصاعدة: 4 سم.

* رقم الجرد: 514

* النشر: لم تنشر

النص:

.....

.....

وان الجنة حق وان

وان (هكذا) النار حق وان

البعث حق وان السا

عة آتية لا ريب فيها

وان الله يبعث من

في القبور مات يوم

الثلاث لاحد يوم (هكذا)

مضين من شهر ربيع الآ

خر من سنت (هكذا) متين (هكذا) و

ستين

شاهد رقم 6 . 260 هـ / 874 م

لوحة VI

شاهد قبر كتب على عمود من المرمر الأبيض النقي، منكسر إلى جزئين. يتألف نصه من 29 سطرا كتبت بخط كوفي محفور كتابة أنيقة وبديعة تنم على قدرة النقاش في حذق رسم أشكال الحروف ودقة نحتها.



6 - القيروان :

شاهد قبر أبي الحسن علي بن أبي إسحاق أحمد بن علي حميد : 260 هـ / 874 م

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

* الأبعاد: الارتفاع: 17+ صم، قطر القاعدة: 20 صم، الحروف الصاعدة 3 صم.

* رقم الجرد: 421

* النشر: لم تنشر

النص:

1- [ب]سم الله الرحمن الر

2- حيم قل هو الله احد

3- الله الصمد لم يلد

4- ولم يولد ولم يكن

5- له كفوا أحد شهد

6- الله انه لا اله الا هو وا

7- لملايكة وألو العلم

8- قائما بالقسط لا اله ا

9- لا هو العزيز الحكيم هذ

10- ا قبر أبي الحسن علي ابن ا

11- بي اسحق احمد ابن علي

12- بن حميد مات وهو

13- يشهد الا اله الا الله

14- وحده لا شريك له

15- وان محمدا عبده و

16- رسوله صل (هكذا) الله عليه و

17- سلم وان الجنة حق وا

18- ن النار حق وان الساعة

19- آتية لا ربب فيها وان ا

20- لله يبعث من في القبور

21- ر على هذه الشها

22- دة حىي وعليها ما

23- ت و [عليها يبعث حيا]

24- ان شاء الله مات في

25- جمادي الأول

26- سنة ستين وما

27- يتين رحم الله

28- من قرا ود

29- عا له بالرحمة

ينتمي صاحب هذا الشاهد إلى أسرة عربية عريقة لعبت دورا سياسيا واقتصاديا في كنف الدولة الأغلبية وهي عائلة علي بن حميد.

عرض مؤلفا الكتابات القيروانية جدولا لأنساب بعض أفراد هذه الأسرة المتركة من كبار الأعيان إثر دراستهما لثلاثة شواهد قبور لأبناء وأحفاد علي بن حميد⁽¹²⁾. كما تناولت كتب التاريخ والتراجم سيرهم وأضافا العديد من المعلومات عن رجالات هذه الأسرة وخاصة ذوي الحيثة والأهمية⁽¹³⁾.

(12) انظر : الكتابات العربية القيروانية، صفحة 112، والشواهد رقم 51، صفحات 110-112، رقم 52، صفحة 113-114، رقم 154، صفحة 273-274.

(13) حول أسرة ابن حميد، انظر خاصة : القاضي أبو الفضل عياض : تراجم أغلبية، تحقيق الدكتور محمد الطالبي، تونس 1968، صفحات : 115، 322، 428، 429. والدكتور محمد الطالبي كذلك : الدولة الأغلبية 184-296، التاريخ السياسي، ترجمة الدكتور المنجي الصيادي، بيروت 1985، صفحات : 245-249.

وقد عثرنا في السنوات الأخيرة ضمن المجموعة الجديدة لقبريات مدينة القيروان على ثلاثة مشاهد جديدة تضمنت نصوصها أسماء إضافية لهذه الأسرة أدرجنا دراستها ضمن هذا البحث (انظر الشواهد رقم 6، 13 و 17). هذا مما يمكننا من إعادة عرض جدول أنساب هذه العائلة حسب الإضافات الأخيرة.

أ- علي بن حميد: يذكر أستاذنا محمد الطالبي في كتابه " الدولة الأغلبية" (14) كان علي بن حميد تميميا. فكان ينتسب إلى قبيلة الأمير. ولاء زيادة الله الأول 201-223 هـ الوزارة وكان يملك ثروة من أعظم ثروات القيروان، كان قد كسب جزءا منها في تجارة العاج.

ترك علي بن حميد العديد من الأولاد تقلد بعضهم جانبا من مقاليد الدولة كخطة الوزارة وولاية باجة (15). يذكر البكري في كتاب المسالك: " ولم يزل الناس يتنافسون في ولاية باجة. وكان المتداولون فيها لذلك بنو علي بن حميد الوزير. فإذا عزل منهم أحد لم يزل يسعى ويتلطف ويهادي ويتاحف حتى يرجع إليها... » (16). جمع أبناء علي بن حميد ثروات فاحشة ربما أثارت حولهم الأطماع والضغائن فعرف جل أبنائه نهاية أليمة ومأساوية.

ب - أبو عبد الله ابن علي بن حميد: قلده الأمير الأغلب محمد الأول 226-242 هـ الوزارة إثر ارتقائه لإمارة إفريقية. قتل أبو عبد الله بأمر من أبو جعفر أحمد بن الأغلب شقيق محمد الأول إثر ثورته. وتعرف هذه الحادثة بثورة القصر. قتل أبو عبد الله بن علي بن حميد في 16 شعبان سنة 231 هـ (17).

ت- أبو إسحاق أحمد ابن علي بن حميد: ليس لنا أي معلومة عنه إذ لم يرد ذكره في كتب التراجم والسير. لا نعرف كذلك تاريخ وفاته. ورد اسمه ضمن نص شاهد قبر ابنه أبو الحسن علي المتوفي سنة 260 هـ. عثر على هذا الشاهد في السنوات الأخيرة انظر شاهد قبر رقم 6، لوحة VI.

(14) نفس المصدر : الدولة الأغلبية، صفحة 245 .

(15) انظر : البكري : كتاب المسالك والممالك، صفحة 57 ونقلها كذلك : الدولة الأغلبية، صفحة 246، التعليق رقم 32 .

(16) نفس المصدر : الدولة الأغلبية، صفحة 245-246

(17) نفس المصدر : 247-248

ث- أبو حميد : شارك أخوه أبو عبد الله الحكيم، وربما كان وزيرا مثله. عرف أبو حميد نفس المصير، إذ قتل كذلك اثر ثورة القصر سنة 231هـ. يذكر النويري في كتاب : نهاية الأرب في فنون الأدب و أنه : " تقرر نفي أبي حميد إلى مصر. فعذبه أبو جعفر وسلبه جميع أمواله، ثم سلمه لأبي نصر أحد موالي إبراهيم الأول للخروج به رسميا إلى طرابلس. لكن أبا نصر أمر سرا بقتله عند الوصول إلى قلشانة، خنق أبو حميد... " (18).

ج- أبو العباس بن علي بن حميد: ورد اسمه كذلك لأول مرة ضمن شاهد قبر عثر عليه أخيرا بمقبرة الجناح الأخضر بالقيروان. وهو شاهد قبر أحد أبنائه هو : أبو القاسم بن أبي العباس بن علي بن حميد، توفي سنة 283هـ. انظر شاهد قبر رقم 13، لوحة XIII.

ح- أبو الفضل أحمد بن علي بن حميد: دون له القاضي عياض في كتابه المدارك ترجمة تحت رقم 89 جاء فيها: " كان أبوه وزير ابن الأغلب وخاصته، وكذلك إخوته ولم يدخل هو في شيء من هذا ". قال المالكي: كان من أهل الدين والفقه، ورعا متواضعا، ضابطا لكتبه عارفا بما فيها. سمع من أسد، وسحنون، وعليه اعتمد... (19). توفي بين سنة 251هـ وسنة 261هـ.

خ- أبو جعفر محمد بن علي بن حميد التميمي: لا نعلم شيئا عنه وعن حياته وقد عرف بفضل ما كتب على قبره. نشر مؤلفا الكتابات القيروانية نص شاهد قبره الذي يفيد بأن أبا جعفر توفي في شوال من سنة 242هـ (20).

كما مكنتنا دراسة نصوص شواهد قبور القيروان التي تم نشرها أو الجديد منها إلى التعرف على أسماء العديد من أبناء وأحفاد أبي جعفر محمد نذكر منهم:

* أبو علي محمد بن أبي جعفر محمد بن علي بن حميد. لا نعرف تاريخ وفاته لأن شاهد قبره مكسر وغير كامل (21).

(18) أوردها كذلك الدكتور محمد الطالبي : الدولة الأغلبية، صفحة 248، تعليق رقم 42 .

(19) دون القاضي عياض في كتاب المدارك ترجمة لأحمد بن علي بن حميد التميمي، أبو الفضل تحت رقم 89، صفحات 322-323

(20) انظر : الكتابات العربية القيروانية، شاهد رقم 51، صفحة 110-112

(21) نفس المصدر : شاهد رقم 52، صفحة 113-114

* أبو محمد حميد بن جعفر بن أبي جعفر بن علي بن حميد. عرف هو الآخر
نهاية مأساوية إذ يذكر نص شاهد قبره أنه استشهد سنة 290 هـ انظر شاهد قبر رقم
17، لوحة XVII.

* أبو الفضل محمد ابن جعفر بن أحمد بن جعفر بن أبي جعفر بن علي بن
حميد التميمي. توفي سنة 372 هـ.

شاهد رقم 7. 262 هـ/ 876 م

لوحة VII

قسم من شاهد قبر في شكل عمود من المرمر الرمادي اللون يتكون حقل الكتابة
من أشرطة كتابية في شكل نصف دائري. يتألف ما تبقى من النص من 9 أسطر كتبت
بخط كوفي بارز.

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقبروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بأولاد فرحان بالقبروان

* الأبعاد: الارتفاع: 73 صم، القطر: 20 صم، الحروف الصاعدة: 2,5 و
3 صم.

* رقم الجرد: 361

* النشر: لم تنشر

النص:

.....

.....

.....

... ما اتخذ الله من ولد وما

كان معه من اله ادى (هكذا) لذهب

كل اله بما خلق ولعلی (هكذا) بعضهم

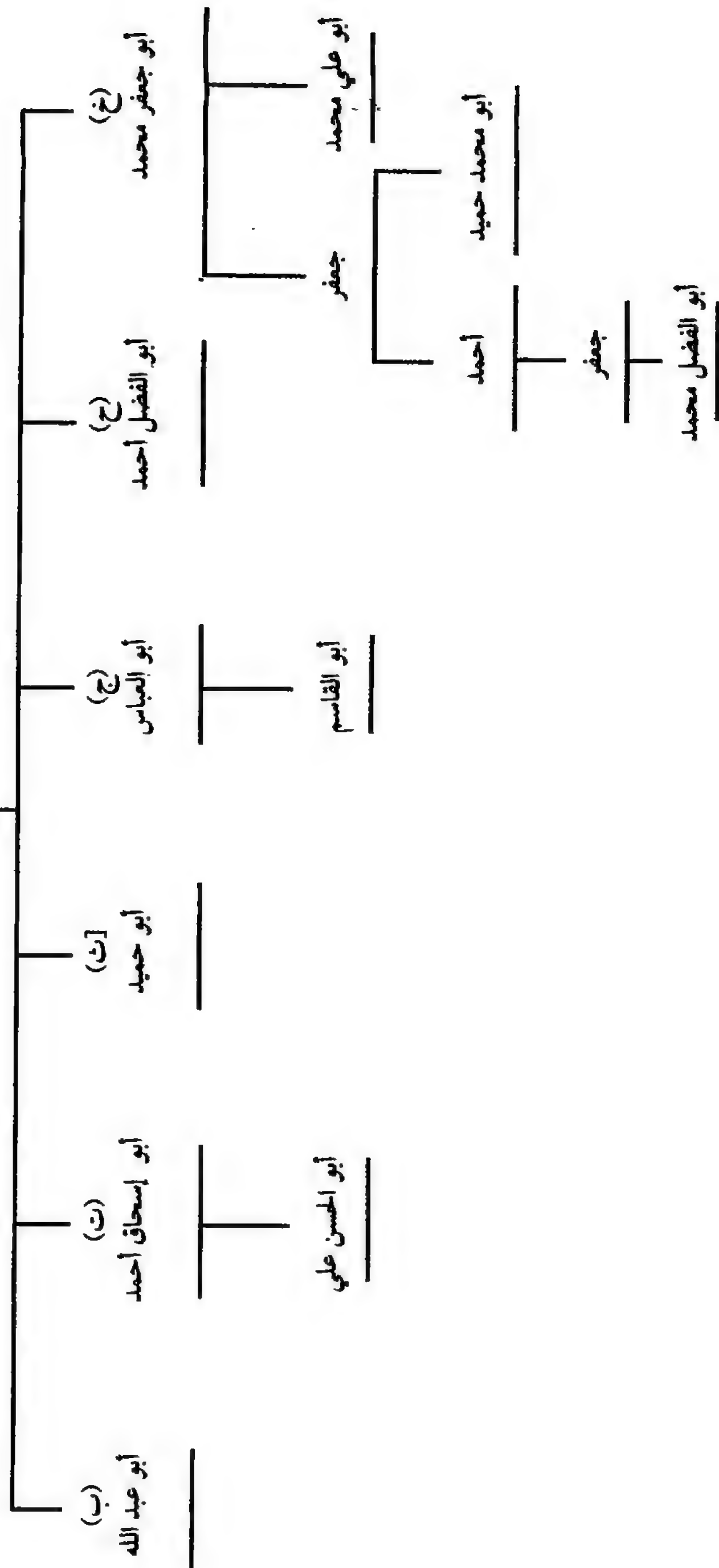


7 - شاهد قبر 262 هـ / 876 م

شجرة أنساب أسرة بني حميد

بن حميد التميمي

علي بن حميد (أ)



على بعض سبحن الله عما يصفون
ن هذا قبر عيسى بن يعيش البصر
ي مات يوم الاربعاء صبيحة ا
لفطر اول يوم من شوال من سنة
اثنين وستين ومايتين (هكذا) وهو يشهد
ان لا اله الا الله

كتب هذا الشاهد بخط ذي نحت بارز. وهو يعد من أقدم شواهد إفريقية المستعملة للنحت البارز إذ ظهرت انطلاقاً من العشرية الثانية للنصف الثاني من القرن الثالث هجري أولى الشواهد ذات الكتابة البارزة: 258هـ، 262هـ، 265هـ⁽²²⁾. إلا أن استعمال النحت الغائر هو الذي ساد أغلب قريات القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي. ويبدأ في الاختفاء في شواهد القرن الرابع هـ/ العاشر م.

كما نلاحظ أن كتابة هذا الشاهد وأسلوب رسم حروفه بقيت خالية من العناصر الزخرفية وتنقصها الدقة والابتقان إذ تبدو كبيرة الحجم لا تزال بمراحلها الانتقالية.

شاهد قبر رقم 8. 271هـ/ 884م

لوحة VIII

شاهد قبر في شكل عمود من المرمر الأبيض النقي. يتكون الحقل الذي به الكتابة من أشرطة كتابية في شكل نصف دائري، ويتألف من نص يشتمل على 25 سطراً مكتوبة بخط كوفي غائر. تتميز الكتابة بدقة رسم الحروف وأناقة الشكل رغم بساطتها الزخرفية.

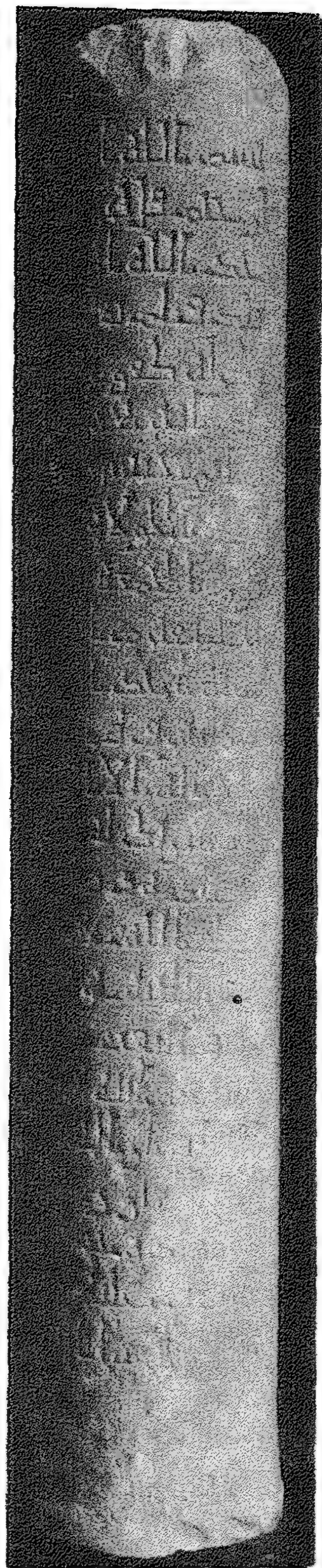
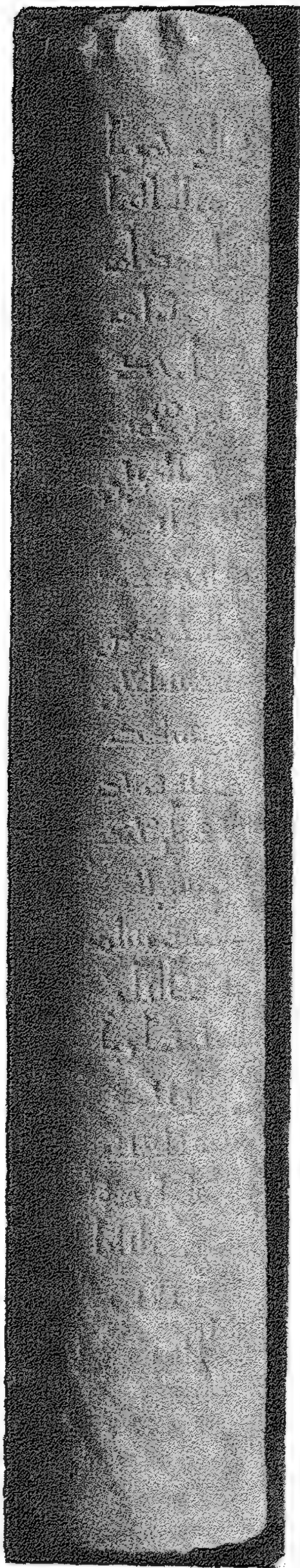
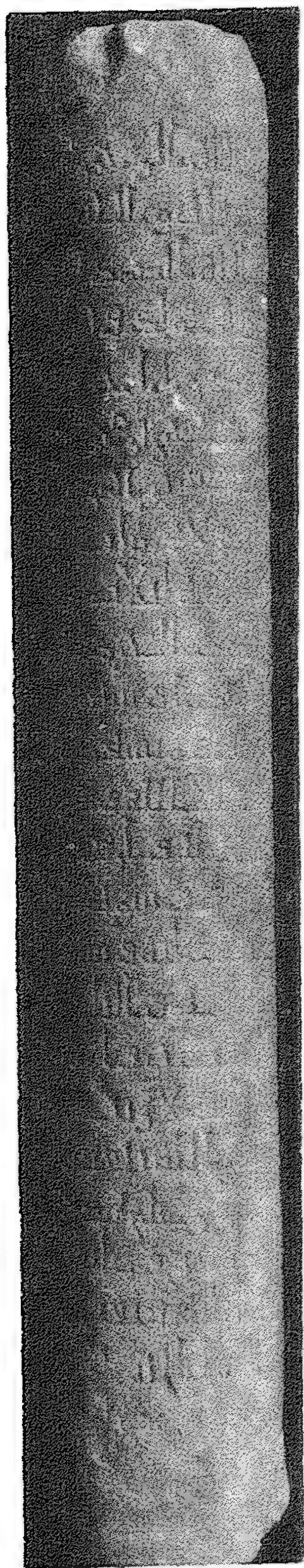
*المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

*الأبعاد: ارتفاع: 120صم، قطر القاعدة: 20,5صم، طول الأحرف الصاعدة:

3صم.

(22) حول ظهور الخط الكوفي البارز، انظر نفس المصدر. شاهد رقم 53، صفحة 114-116، لوحة VI، صورة 11، شاهد رقم 59، صفحة 125-127، لوحة VII.



8 - القيروان : شاهد قبر 271 هـ / 884 م

* رقم الجرد: 1501

* النشر: لم تنشر

النص:

- 1- بسم الله الرحمن ا
- 2- لرحيم قل هو الله ا
- 3- حد الله الصمد لم
- 4- يلد ولم يولد ولم
- 5- يكن له كفوا احد
- 6- هذا قبر يحيى بن محمد
- 7- بن أبي حسين بن المربر؟
- 8- الخولاني مات
- 9- يوم الجمعة لثلاث
- 10- ليال بقين من محرم من
- 11- سنة احدا (هكذا) وسبعين
- 12- ومايتين وهو يشهد
- 13- الا اله الا الله وحد
- 14- ه لا شريك له وان محمد
- 15- اعبدته ورسوله
- 16- صلى الله عليه وسلم
- 17- وان الجنة حق والنار
- 18- حق والبعث حق وان ا

19- لساعة آتية لا ريب

20- فيها وان الله يبعث

21- من في القبور على هذه

23- الشهادة حى وعليها

24- مات وعليها يبعث

25- ان شاء الله

شاهد رقم 9 . 274هـ / 887م

لوحة IX

شاهد قبر في شكل لوح من المرمر الأبيض، حقل الكتابة متآكل، أول النص محو. كتب النص بخط كوفي ذي نحت بارز خط جميل نحت بدقة ورسم بوضوح. تقتصر الزخارف على أواخر الأحرف إذ تحليها أوراق نباتية ثنائية الفصوص. نشير كذلك إلى التواء ذيل حرف النون وتمدده إلى الجزء العلوي لشريط الكتابة وقد رسم بأشكال عديدة.

*المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

* الأبعاد: الطول: 74صم، العرض: 42صم، السمك: 7 صم، طول

الأحرف: 3صم

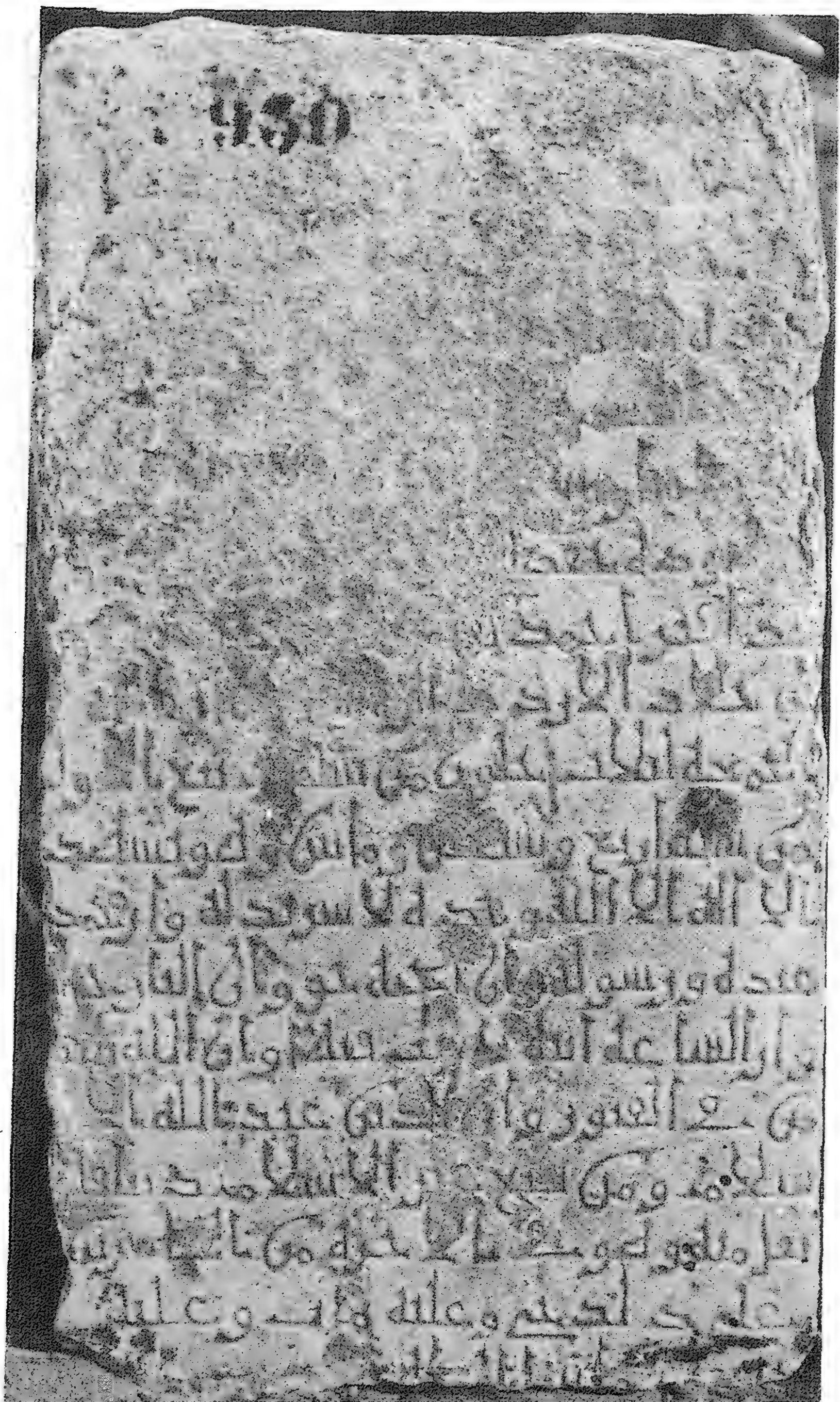
* رقم الجرد: 930

* النشر: لم تنشر

النص:

.....

.....



9 - شاهد قبر 274 هـ / 887 م

إلا بما شا وس[ع كرسية السموات والأرض]

ولا يؤده حفظ[هما وهو العلي العظيم]

هذا قبر أحمد بن

بن حلال الأزد[ي]..... ليلة.....

الجمعة لثلاث خلون من شهر ربيع الأول

من سنة أربع وسبعين ومايتين وهو يشهد

ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمد

عبد ورسوله وإن الجنة حق وإن الله يبعث

من في القبور وإن الدين عند الله إلا

سلام ومن يتغ (هكذا) غير الإسلام دينا فلن

يقل (هكذا) منه وهو في الآخرة من الخاسرين

على ذلك حيى وعليه مات وعليه

يبعث إن شا الله

شاهد رقم 10 . 279 هـ / 893 م

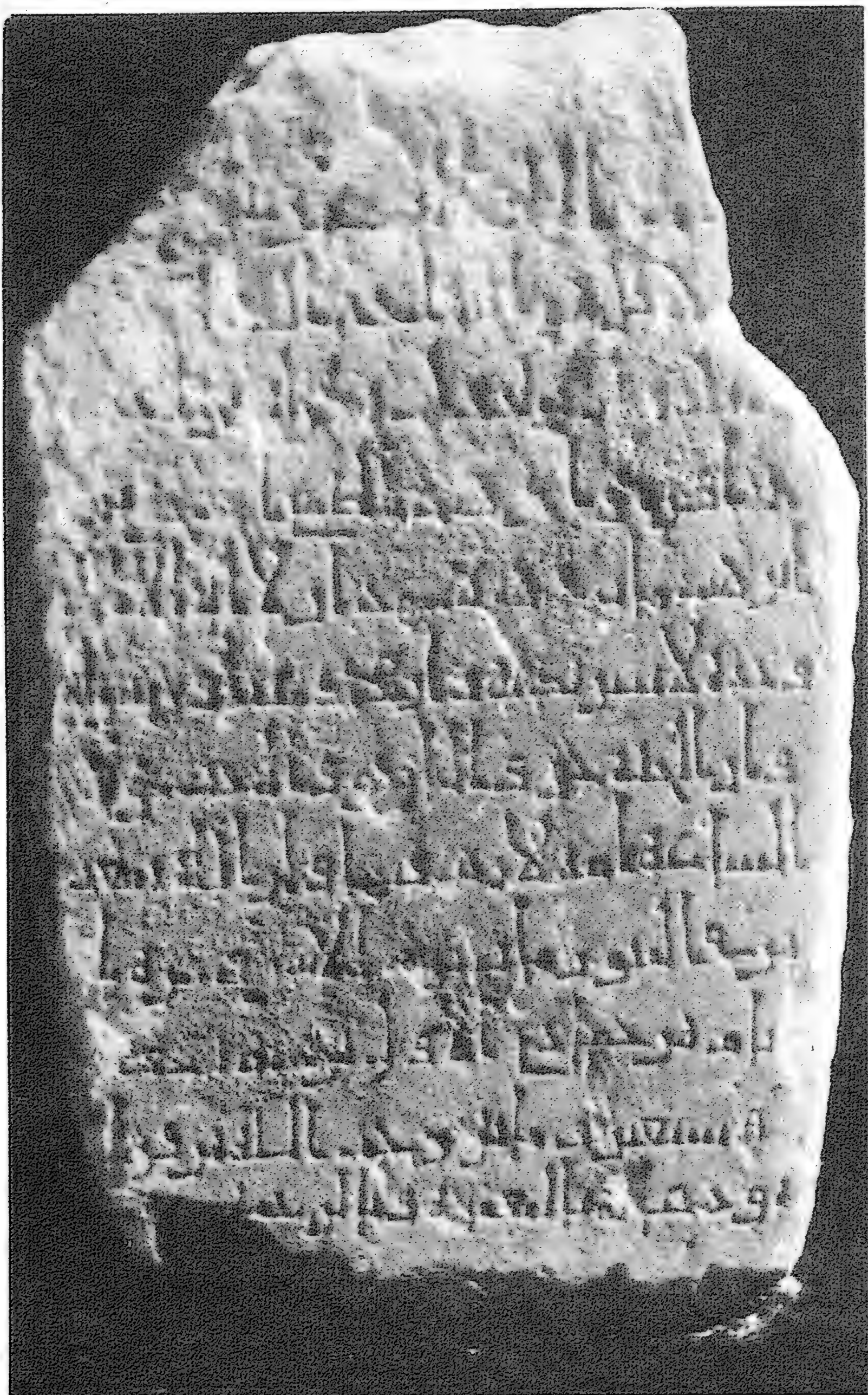
لوحة X

شاهد قبر في شكل لوح من المرمر الأبيض، كسرت زواياه العليا وتآكلت مساحة
حقل كتابته. يتألف النص من 12 سطرا كتبت بخط كوفي غائر اتسم بالبساطة
والوضوح. تنتهي جل حروفه بمشدف.

* المصدر : مدينة سوسة

* مكان الحفظ: رباط سوسة

* الأبعاد : الطول : 55 صم، العرض : 35 صم، السمك : 10 صم، الحروف
الصاعدة : 3 صم.



10 - سوسة : شاهد قبر 276 هـ / 892 م

* رقم الجرد: 11

* النشر: لم تنشر

النص:

- 1- [بسم الله الرحمن الرحيم]
- 2- قل هو الله أحد الله [الصمد]
- 3- لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
- 4- هذا قبر..... ابراهيم الصا..... ي.....⁽¹⁾
- 5- ابراهيم مات وهو يشهد ان لا اله الا الله
- 6- وحده لا شريك له وان محمد (هكذا) عبده ورسوله
- 7- وأن الجنة حق والنار حق والبعث حق [وان]
- 8- الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث
- 9- من في القبور مات يوم الاثنين لعشرة ا
- 10- يام من جمادي الأول من سنة تسعة
- 11- وسبعين ومايتين رحم الله من قرا
- 12- ودعا له بالمغفرة وبالرحمة

شاهد رقم 11 . 280 هـ / 894 م

لوحة XI

شاهد قبر في شكل لوح من المرمز الأبيض، منكسر إلى جزئين عشر عليه بحفريات موقع رقادة الأثري. يتألف نصه من 20 سطرا كتبت بخط كوفي غائر. اتسمت كتابة هذا الشاهد بطابعها الوثائقي. فرغم بساطتها وقلة زخرفتها، بلغت درجة عالية من الإتقان وامتازت بدقة رسم الحروف وجودة حفرها مع أناقة شكلها.

(1) تأكل الحجارة لا تمكنا من اقتراح قراءة مقنعة لأسم صاحب الشاهد.

* المصدر: حفريات موقع رقادة الأثري

* مكان الحفظ: مستودع برج الشياحي برقادة

* الأبعاد: الطول: 7+صم، العرض: 38صم، السمك: 3صم، طول

الأحرف: 3صم

رقم الجرد: رق 5

النشر: لم تنشر.

النص:

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم الله لا اله الا
- 2- لا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة و
- 3- لا نوم له ما في السموات وما في الأرض
- 4- من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه
- 5- يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا
- 6- يحيطون بشي من علمه الا بما شا و
- 7- سع كرسيه السموات والأرض
- 8- ولا يوده حظهما (هكذا) وهو العلي العظيم
- 9- هذا قبر أحمد بن حمديس بن الحر
- 10- ث (هكذا) الهاشمي مات يوم الجمعة لليلتين
- 11- بقينا (هكذا) من صفر سنة ثمنين (هكذا) ومايتين وهو
- 12- يشهد إلا إله إلا الله وحده
- 13- لا شريك له وأن محمدا
- 14- عبده ورسوله صلي الله
- 15- عليه وسلم وان الجنة

16- حق وان النار حق وان السا

17- عة اتية لا ريب فيها ، وان

18- الله يبعث من في القبور

19- رحم الله من قرا ودعا له بالر

20- حمة

شاهد رقم 12 . 282هـ / 895م

لوحة XII

شاهد قبر مستطيل في شكل لوح من المرمر الرمادي اللون، يتألف نصه من 18 سطرا كتبت بخط كوفي محفور كتابة أنيقة رسمت أشكالها بعناية ودقة. زخارفها مختزلة اقتصررت على تحلية أواخر الحروف ببراعم ومشادف معكفة أو ثنائية الفصوص.

* المصدر: مدينة سوسة

* مكان الحفظ: متحف الفنون الإسلامية برباط المنستير

* الأبعاد: الطول: 81صم، العرض: 26صم، السمك: 3صم، الأحرف الصاعدة: 3,5صم.

* رقم الجرد: 13

* النشر : لم تنشر

النص:

1- بسم الله الرحمن الر

2- حيم قل هو الله أحد الله

3- الصمد لم يلد ولم ي[و]

4- لد ولم يكن له كفوا احد

5- هذا قبر محمد بن سعي[د]



11 - رقادة : شاهد قبر 280 هـ / 893 م



- 6- الورداني رحمه الله [ما]
- 7- ت يوم الثلاثا لاثنا (هكذا) عشر . . .
- 8- مضين من شهر رمضان سنة
- 9- اثنين وثمانين ومايتين وهو
- 10- يشهد أن لا إله إلا الله
- 11- وحده لا شريك له ون
- 12- محمد (هكذا) عبده وسوله (هكذا) [صلى]
- 13- الله عليه وسلم وأن الجنة
- 14- حق وان النار حق وان ا
- 15- لساعة آتية لا ريب فيها
- 16- وأن الله يبعث من في ا
- 17- لقبور فرحم الله من قر
- 18- را (هكذا) ودعا له بالرحمة

شاهد رقم 13 . 283هـ / 896م

لوحة XIII

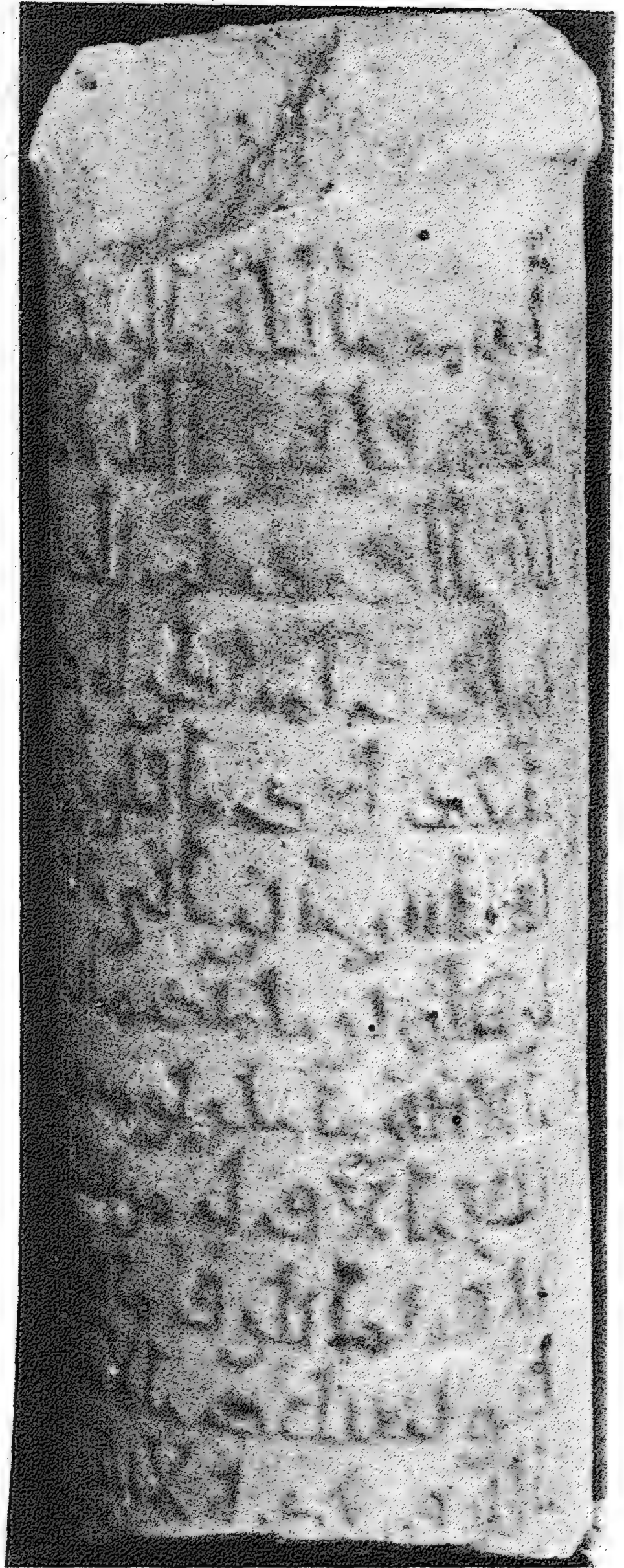
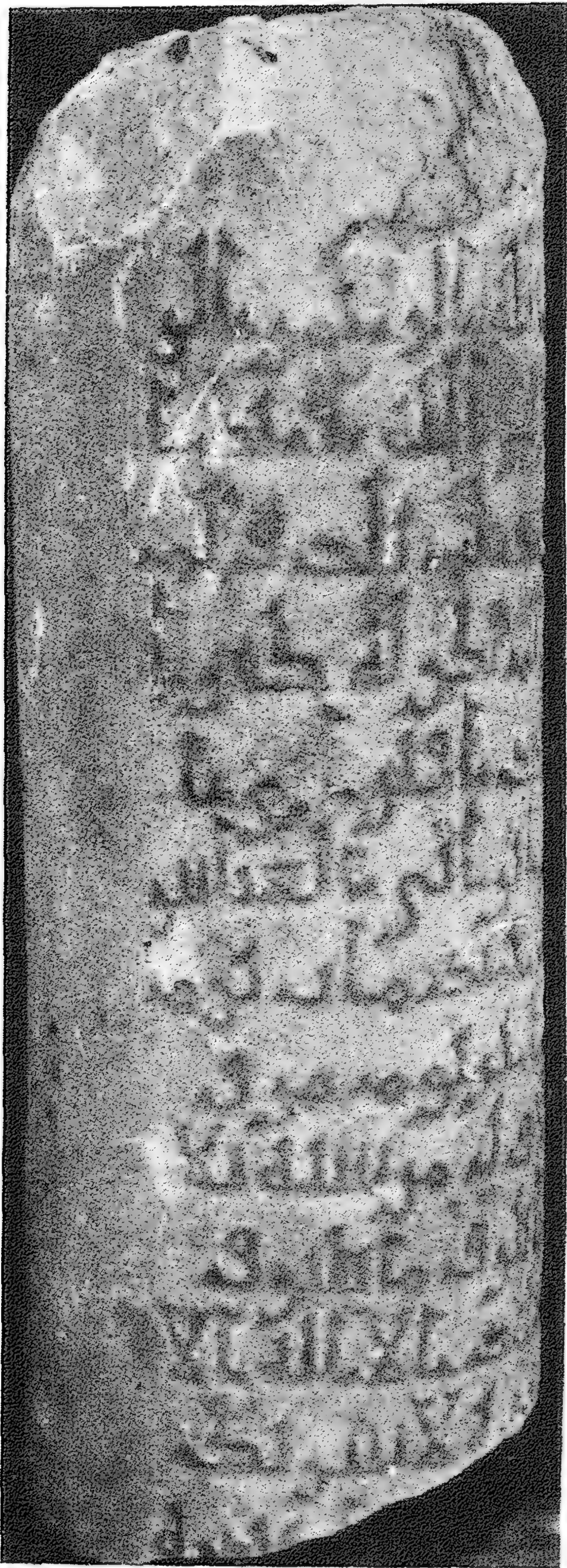
شاهد قبر غير كامل في شكل عمود من المرمر الأبيض ، يتكون حقل كتابته من
أشرطة كتابية في شكل نصف دائري ويتألف من نص بقي منه 13 سطرا كتبت بخط
كوفي غائر.

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث أولاد فرحان بالقيروان

* الأبعاد: الارتفاع: 52,5 صم، قطر القاعدة: 20 صم، الحروف الصاعدة:

3 صم.



13 - القيروان : شاهد قبر أبي القاسم ابن أبي العباس بن علي بن حميد 283 هـ / 896 م

* رقم الجرد: 1509

* النشر: لم تنشر

النص:

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم
- 2- حيم قل هو الله احد ا
- 3- لله الصمد لم يلد ولم
- 4- يولد ولم يكن له كفوا
- 5- أحد هذا قبر أبو ا
- 6- لقاسم ابن ابي العباس
- 7- الاثنين آخر يوم من ر
- 9- بيع الأول من سنة ثلا
- 10- ثة وثمانين ومايتين و
- 11- هو يشهد ألا إله إلا
- 12- الله وحده لا شريك
- 13- [له وان محمدا] عبده

.....
يضيف لنا نص هذا الشاهد اسمين جديدين لأسرة علي بن حميد التميمي وزير
الأمير الأغلب زيادة الله الأول وهما ابنه المكنى بأبي العباس وحفيده أبا القاسم.
حول أسرة ابن حميد انظر دراسة الشاهد رقم 6 .

شاهد رقم 14 . 290هـ / 903م

لوحة XIV

شاهد قبر عمودي من المرمر الأصفر على شكل سارية أعيد استعمالها كقبرية.
يتكون حقل الكتابة من أشرطة كتابية نصف دائرية ويتألف من 20 سطرا كتبت بخط
كوفي غائر.



14 - القبروان : شاهد قبر 290 هـ / 903 م

اقتصرت الزخارف على أوراق ثنائية الفصوص منبثقة من أواخر الحروف الصاعدة كالآلف واللام وامتدت هذه الزخارف إلى جل الحروف إذ أصبحت تحلي ذيول الراء والنون والواو.

*المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

*مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

* الأبعاد: الارتفاع: 87سم، قطر القاعدة: 21سم، الأحرف الصاعدة: 2,5سم،

* رقم الجرد: 312 .

* النشر: نشر مؤلفا الكتابات العربية القيروانية القسم العلوي لهذا الشاهد تحت رقم 80، صفحة 157-158 في سنة 1991 وإثر قيامنا بعملية مسح شامل لزوايا مدينة القيروان ومقبرة الجناح الأخضر تمّ العثور على القسم المفقود لهذا الشاهد.

النص:

1- بسم الله الرحمن الرحيم

2- قل هو الله احد الله الصمد

3- لم يلد ولم يولد ولم يكن له

4- كفوا احد هذا قبر قاسم

5- بن مسرور الصواف مات في نصف

6- ربيع الأول سنة تسعين وما

7- يتين وهو يشهد ان لا اله الا

8- الله وحده لا شريك له وان

9- محمدا عبده ورسوله صلى

10- الله عليه وسلم وان الجنة

11- حق والنار حق والبعث حق وا

- 12- ن الساعة اتية لا ريب فيها
 13- وان الله يبعث من في القبور
 14- على هذه الشهادة حي (هكذا)
 15- وعليها مات وعليها يبعث
 16- حيا ان شا الله رحم الله
 17- من قرأ ودعا له بالرحمة
 18- ان في الله عزا من كل مصيبة وخلفا
 19- من كل حالك (هكذا) وأن أعظم المصائب
 20- المصيبة بالنبي عليه السلام

شاهد رقم 15 . 291هـ / 904م

لوحة XV

قسم من شاهد قبر في شكل لوح من المرمر الأبيض . بقي من نص الشاهد 9 أسطر كتبت بخط كوفي غائر كتابة بسيطة وواضحة رسمت حروفها بدقة وحفرت بإتقان . تقتصر الزخارف على مشادف تحلي أواخر الحروف وتنبثق منها .

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

* الأبعاد: الطول: 40صم، العرض: 46صم، السمك: 11صم، الحروف

الصاعدة: 3 صم.

* رقم الجرد: 440

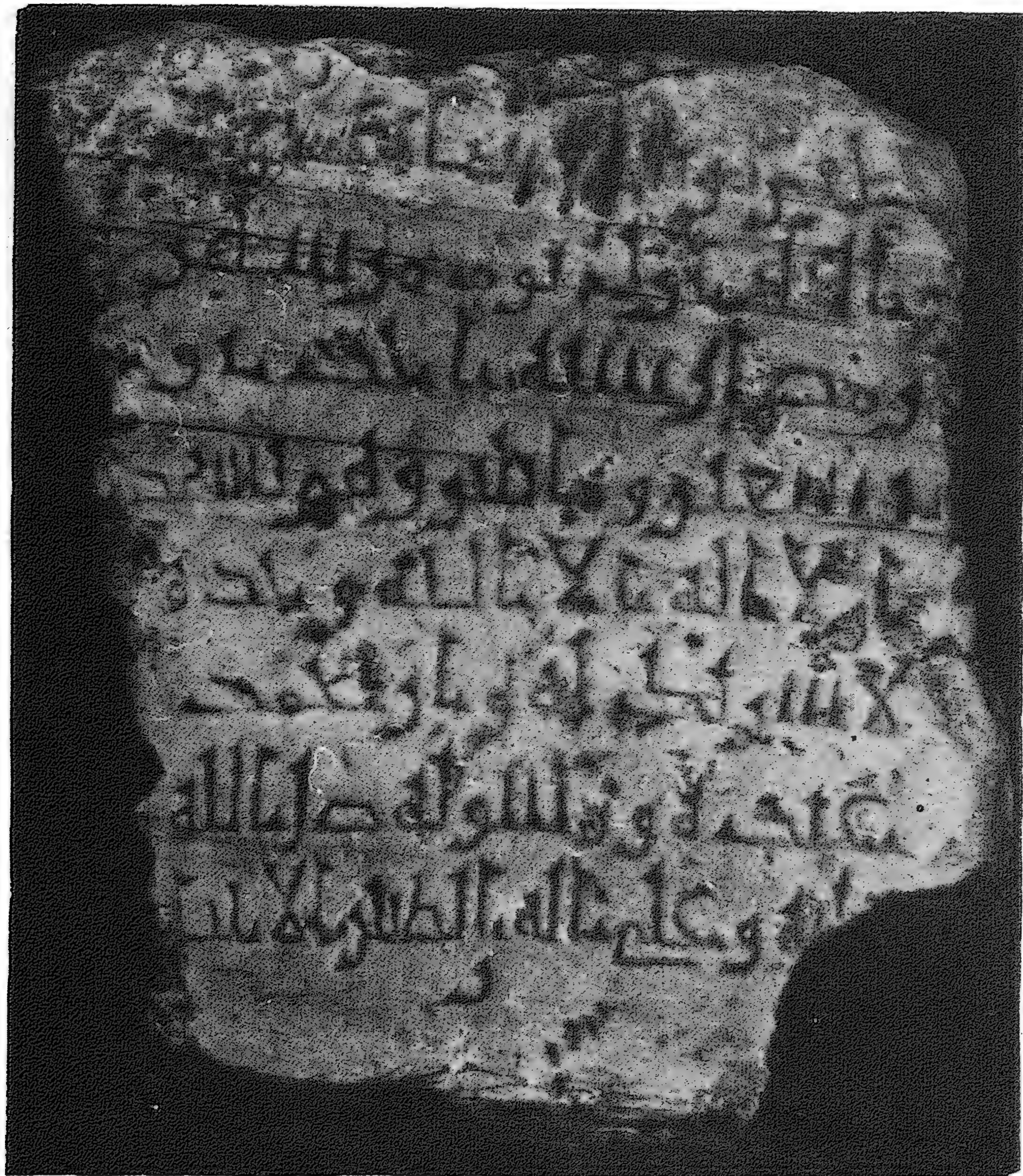
* النشر: لم تنشر

النص:

.....

.....

..... ماتت يوم



15 - شاهد قبر 291 هـ / 904 م

الثالث (هكذا) أول يوم من شهر

رمضان سنة احدى و

تسعين ومايتين وهي تشهد

ان لا اله الا الله وحده

لا شريك له وان محمد

عبده ورسوله صل (هكذا) الله

[عـ] عليه وعلى اله الطيبين الاخيا

ر

شاهد رقم 16 . 291هـ / 904م

لوحة XVI

قسم سفلي من شاهد قبر عمودي على شكل سارية أعيد استعمالها كقبرية .
يتكون حقل الكتابة من أشرطة كتابية في شكل نصف دائري كتبت على مرمر رمادي
اللون وحددت داخل إطار محزز ومحفور . بقي من النص 11 سطرا كتبت بخط
كوفي ذي نحت بارز .

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بأولاد فرحان بالقيروان

* الأبعاد: الارتفاع : 72 صم ، قطر القاعدة : 22 صم ، الأحرف الصاعدة : 3 صم .

* رقم الجرد : 74

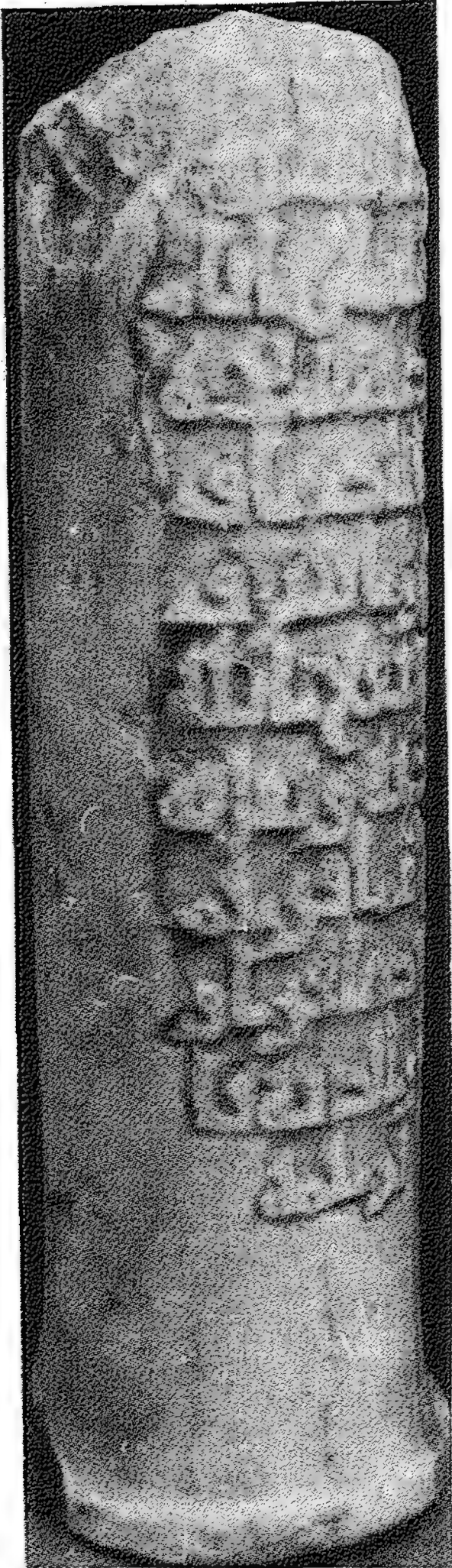
* النشر : لم تنشر

النص :

.....

..... مات يوم

الأحد لثمان أيام



16 - شاهد قبر 291 هـ / 904 م

بقين من ذي الحجة
سنة احدا (هكذا) و
تسعين ومايتين و
هو طفل فنفع الله
به والديه وثل به
موازينهما فرحم
الله عبدا قرا و
دعا لوالدين با
لرحمة

يشير النص أن صاحب هذا الشاهد مات وهو طفل . وقد تضمنت مجموعة شواهد قبور إفريقية العديد من قبريات أطفال ماتوا في سن مبكرة . تميزت هذه القبريات بأسلوب خاص في تأليف نصوص هذه الشواهد وفي ترتيب محاورها ، إذ انفردت ببعض الخاصيات تمثلت خاصة في عدم ذكر الشاهدة والإكثار من الأدعية لفائدة والدي الطفل .

- نفع الله به والديه
 - نفع الله به والديه ورزقهم الصبر عليه
 - نفع الله به والديه وثقل به موازينهم
 - نفع الله به والديه وجعله نورا بين أيديهما وجبر مصابهما .
- ومن هذه الأدعية ما جاء على لسان الطفل المفقود نفسه : . . . فأجب دعوتي
فأنت رجائي واعف عن والدي انك أهل التفضل⁽²³⁾ .

(23) حول شواهد قبور الأطفال ، انظر : الكتابات العربية القيروانية : I ، رقم 235 ، صفحة 364 ، رقم 240 صفحة 369 ، رقم 269 صفحة 396-397 ، رقم 271 صفحة 398 .
انظر كذلك شاهد رقم 118 ، صفحة 224 و 198 صفحة 325-326 ، II ، شاهد رقم 303 صفحة 439 ، رقم 310 صفحة 445 ، رقم 314 صفحة 449 ، رقم 319 صفحة 453-454 ، رقم 339 صفحة 475-476 ، رقم 346 صفحة 483-484 ، رقم 292 صفحة 531 ، رقم 398 صفحة 537-538 ، رقم 466 صفحة 614-615 ، انظر كذلك :
M. El-Habib : Stèles funéraires kairouanaises inédites du début du IVe/Xe au milieu du Ve/XIe siècle B.A., Paris 1976.

شاهد رقم 8 ، صفحة 62-63 ، رقم 9 صفحة 63-64 ورقم 17 صفحة 71-72 .

شاهد رقم 17 . 293 هـ / 905 م

لوحة XVII

شاهد قبر غير كامل في شكل عمود من المرمر الرمادي اللون . يتكون حقل الكتابة من أشرطة كتابية في شكل نصف دائري ويتألف من نص بقي منه 18 سطرا كتبت بخط كوفي غائر . خط جميل وأنيق اتسم بدقة رسم الحروف وجودة حفرها .

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث ، أولاد فرحان بالقيروان

* الأبعاد: الارتفاع: 70 سم، قطر العمود: 18 سم، الحروف الصاعدة:

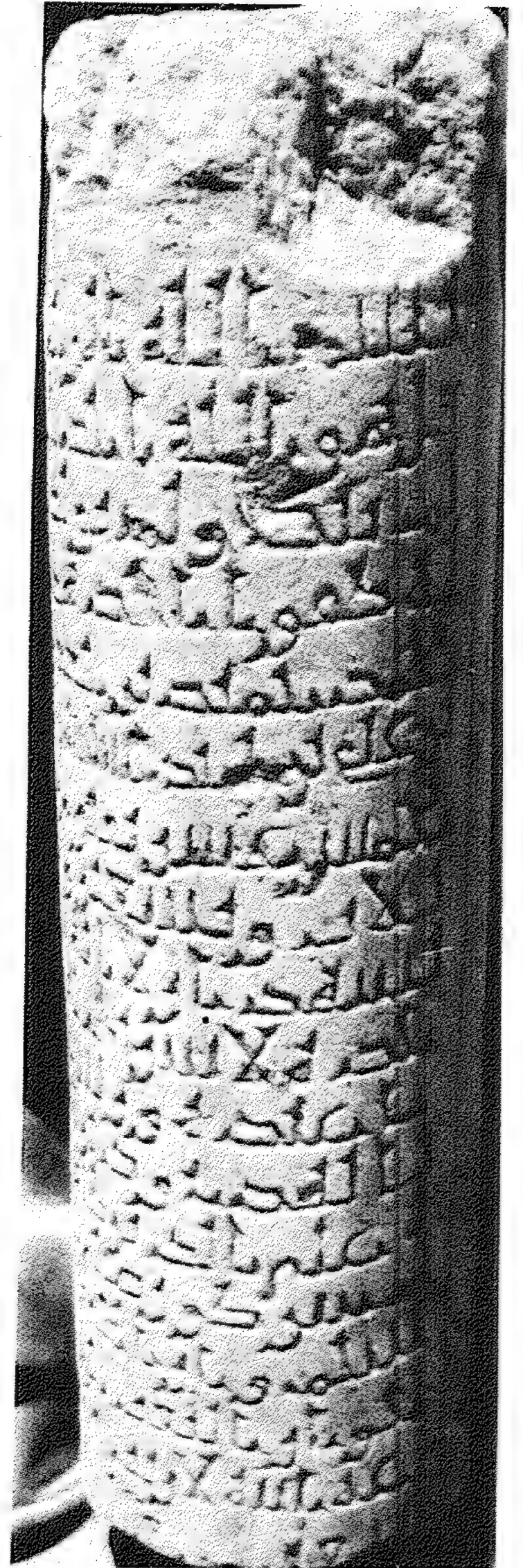
2,5 سم

* رقم الجرد: 407

النشر: لم ينشر

النص:

- 1- بسم الله الرحمن الرحيم
- 2- قل هو الله احد الله الصمد
- 3- لم يلد ولم يولد ولم يكن
- 4- له كفوا احد هذا قبر أبي
- 5- محمد حميد بن جعفر بن أبي جعفر
- 6- بن علي بن حميد استشهد ليلة الإثنين
- 7- لخمس عشر بقين من صفر سنة
- 8- ثلاث وتسعين ومايتين وهو
- 9- يشهد ان لا اله الا الله و
- 10- حده لا شريك له وان محمد



17 - القيروان :

شاهد أبي محمد حميد بن جعفر بن أبي جعفر بن علي بن حميد : 293 هـ / 905 م

- 11- ا عبده ورسوله ا رسله
 12- بالهدى ودين الحق ليظهر
 13- ه على الدين كله ولو كره ا
 14- لمشركون صلى الله عليه و
 15- سلم وان الجنة حق والنار
 16- حق [و] ان البعث حق وان السا
 17- عة آتية لا ريب فيها وان الله
 18- يبعث من في القبور وان

.....
 ينتمي كذلك صاحب الشاهد إلى أسرة بني حميد وهو حفيد أبي جعفر محمد
 أحد أبناء علي بن حميد وزير الأمير الأغلبى زيادة الله الأول. توفي أبو جعفر محمد
 سنة 242 هـ⁽²⁴⁾.

توفي أبو محمد حميد سنة 293 هـ. ويذكر نص شاهد قبره أن موته لم تكن
 طبيعية بل استشهد (سطر 6). لم نتمكن من التعرف على ملابسات وظروف وفاته،
 إلا أننا نذكر بأن العديد من أفراد أسرته عرفت نهاية دموية ومأساوية نذكر منهم أبا
 عبد الله وأبا حميد وزيرى الأمير الأغلبى محمد الأول. فقد قتل الأول ومات الثانى
 خنقا في شهر شعبان من سنة 231 هـ إثر ما عرف بثورة القصر حول أسرة علي بن
 حميد وهذه الأحداث. انظر دراسة الشاهد رقم 6،

شاهد رقم 18. 293 هـ/ 906 م

لوحة XVIII

شاهد قبر في شكل عمود من المرمر الرمادي اللون. يتكون حقل الكتابة من
 أشرطة كتابية كتبت في شكل نصف دائري. يتألف النص من 19 سطرا من الخط
 الكوفي ذي النحت الغائر.

(24) انظر الكتابات العربية القيروانية، 1، شاهد رقم 51، صفحة 110-112.



18 - شاهد قبر 293 هـ / 906 م

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان

* الأبعاد: الارتفاع: 84 صم، قطر القاعدة: 18 صم، الأحرف الصاعدة: 2,5 صم.

* رقم الجرد: 544

* النشر لم تنشر

النص:

- 1- بسم الله الر [حمن الر
- 2- حيم قل هو الله احد ا
- 3- لله الصمد لم يلد ولم
- 4- يولد ولم يكن له كفوا ا
- 5- حد هذا قبر أبي محمد
- 6- عبد الله بن يزيد بن
- 7- وهيب [مات] أول يوم
- 8- من شهر ذي الحجة من
- 9- سنة ثلاثة وتسعين و
- 10- مائتين وهو يشهد ألا
- 11- إله إلا اله وحده لا
- 12- شريك له وان محمد (هكذا) عبد
- 13- ه ورسوله صلى الله عليه و

14- سلم وأن القرآن كلام الله

15- وليس بمخلوق وأن الله يرا (هكذا)

16- يوم القيامة وأن الجنة حق

17- والنار حق والبعث حق وا

18- لساعة آتية لا ريب فيها

19- وان الله يبعث من في القبور

أثار نص هذا الشاهد قضية " القول بخلق القرآن " التي آمنت بها الشيعة والخوارج والمعتزلة فيما أنكرها أهل السنة وأكدوا على أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق. تجسيد هذا الصراع في نصوص شواهد القبور يعبر عن حدة الجدل الفكري والصراع المذهبي الذي عرفته إفريقيا منذ أواخر القرن الثالث وتواصل أكثر من قرنين.

شاهد رقم 19 . 298هـ / 911م

لوحة XIX

شاهد قبر في شكل عمود من المرمر الأبيض. يتألف نصه من 14 سطرا كتبت بخط كوفي محفور كتابة أنيقة واضحة الملامح رسمت أشكالها بدقة وعناية. تحلي أواخر الحروف براعم ثنائية الفصوص.

* المصدر: مقبرة الجناح الأخضر بالقيروان

* مكان الحفظ: مستودع المعهد الوطني للتراث بالقيروان.

* الأبعاد: الارتفاع: 72سم، قطر القاعدة: 22سم، الحروف الصاعدة: 3سم

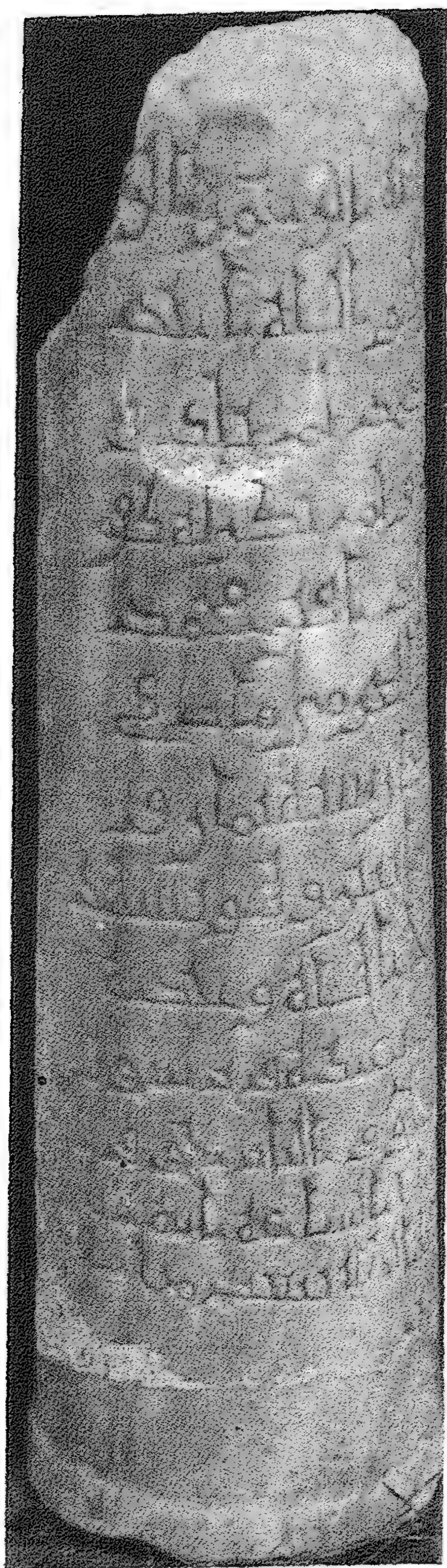
* رقم الجرد: 509

* النشر: لم تنشر

النص:

1- بسم الله الرحمن الر

2- حيم قل هو الله احد



19 - شاهد قبر 298 هـ / 911 م

- 3- الله الصمد لم يلد و
- 4- لم يولد ولم يكن له كفو
- 5- احد هذا قبر محمد
- 6- بن حبيب الجزمي مات في (i)
- 7- شهر رمضان سنة ثمان و
- 8- تسعين ومايتين وهو يشهد
- 9- ألا إله إلا الله وحده
- 10- وأن محمدا عبده ورسول (هكذا)
- 11- وأن الجنة حق والنار حق وا
- 12- لبعث حق وان الساعة آتية لا ر
- 13- يب فيها وان الله يبعث من في
- 14- القبور

أ) عدم وجود التنقيط بكلمة الجزمي وهي النسبة إلى القبيلة يمكن من اقتراح عدة قراءات مثل الجزمي،
الجزمي، الخرمي، الخزمي...

فهرس الآيات القرآنية

السورة	رقمها	الآية	رقم الشواهد
— سورة البقرة — سورة البقرة	2 2	155 255	9 11, 2
— سورة آل عمران — سورة آل عمران	3 3	18 85	6 9
— سورة التوبة	9	33	17
— سورة الرعد	13	24-23	4
— سورة الحج	22	7	9, 8, 6, 5, 4, 3, 1 14, 12, 11, 10 19, 18, 17
— سورة المؤمنون	23	91-90	7
— سورة الاخلاص	112	4-1	13, 12, 10, 8, 6 19, 18, 17, 14

فهرس الشواهد

رقم الشاهد	المصدر	الشكل	التاريخ
1	القيروان	عمود	243 هـ / 857 م
2	القيروان	لوح	أواخر النصف الأول ق3 / منتصف ق9م
3	القيروان	لوح	252 هـ / 866 م
4	القيروان	عمود	255 هـ / 869 م
5	القيروان	عمود	260 هـ / 874 م
6	القيروان	عمود	260 هـ / 874 م
7	القيروان	عمود	262 هـ / 876 م
8	القيروان	عمود	271 هـ / 884 م
9	القيروان	عمود	274 هـ / 887 م
10	القيروان	لوح	279 هـ / 892 م
11	رقادة	لوح	280 هـ / 893 م
12	سوسة	لوح	282 هـ / 895 م
13	القيروان	عمود	283 هـ / 896 م
14	القيروان	عمود	290 هـ / 903 م
15	القيروان	لوح	291 هـ / 904 م
16	القيروان	عمود	291 هـ / 904 م
17	القيروان	عمود	293 هـ / 906 م
18	القيروان	عمود	293 هـ / 906 م
19	القيروان	عمود	298 هـ / 911 م

El-Habib (M.) :

- Stèles funéraires Kairouanaïses d'époque Fatimide et - Zirides, Paris 1972. (Thèse de doctorat de 3e cycle non publiée).
- Les inscriptions arabes anciennes des stèles funéraires du - Musée de Kairouan, diplôme de l'E.P.H.E., VIe section, Paris 1971.
- Stèles funéraires kairouanaïses inédites du début du - IVe/Xe au milieu du Ve/XIe siècle ; étude épigraphique, dans bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques, nouvelle série 9, fasc. B. Af. du Nord 1973, Paris 1976, p. 45-110.
- Stèles funéraires kairouanaïses du IIIe/IXe siècle, Etude-typologique et esthétique, dans R.E.J. fasc. II, XL, III, 1975, p. 227-284.

HOUDAS (O.) :

- Essai sur l'écriture maghrébine, dans nouveaux mélanges - orientaux, Paris 1886, p. 85-112.

HOUDAS (O.) et BASSET (R.) :

- Epigraphie Tunisienne, dans bulletin de correspondance - africaine, fasc IV. Alger, Juillet-Août 1882, p. 161-200

IDRIS (H.R.) :

- Essai de datation de la Maqsûra de la grande mosquée de Kairouan, dans Arabica, III, Mai 1956, p. 214-215.

MAOUDOUD (Kh.) :

- L'art funéraire de Tunis sous les Banu-Harasan, 454H/1159, Paris, 1983 (Thèse de doctorat de 3e cycle non publiée).
- La signature des lapicides dans les stèles funéraires ifrkyennes. Dans Bulletin des travaux de l'I.N.A.A., fasc. 3, Janvier-Avril 1989, p. 89-113, I.N.A.A. , Tunis.
- L'inscription Hurasanide de Masgide al-Mihras à Tunis, - XI-XII, Tunis 1992-1993, 485H-1092 J.C., Revue Africa, n p. 199-207

- النقائش العربية بافريقية وتطورها من القرن الثالث إلى نهاية النصف الأول من القرن السادس هجري .

صدر في كتاب : " النقائش والكتابات القيدية في الوطن العربي " عن المنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم، تونس 1988، صفحة 39-52

نشرت هذه الرسالة كذلك بـ Arab Journal of culture, septembre 1987, p. 117-123

ROY (B.) :

- Inscriptions arabes de Mehdia, Revue Tunisienne, n - janvier 1915, p. 29-34
- Inscriptions arabes de Monastir, Revue Tunisienne, n - Janvier 1918, p. 85-91

ROY (B.) et POINSSOT (P.) :

- Inscriptions arabes de Kairouan, 2 vol. Paris, - C. Klincksiek 1950
- Note sur une inscription de cabra, dans bulletin archéologique, 1922, p. XL-IX.

VIRE (M.M.) :

- Inscriptions Arabes des stèles funéraires du Musée de Sousse, dans cahiers de Tunisie, 1956, p. 450-493

ZBISS (S.M.) :

- Corpus des inscriptions arabes de tunisie, 4 vol.
- Inscriptions de Tunis et sa banlieue, Imp. S.A.P.I., Tunis 1955.
- Inscriptions du Gorjâni : Contribution à l'histoire des Almohades et des Hafsides, la presse, Tunis 1962.
- Inscriptions de Monastir, Imp. La Presse, Tunis 1960.
- Nouvelles Inscriptions de Kairouan, I.N.A.A., Tunis 1977, S.M. Zbiss, B. Roy, p. Poinssot et L. Poinssot.
- Inscriptions arabes de Kairouan, 3e partie, I.N.A.A., Tunis 1983.

المنشآت المائية في البلاد التونسية خلال الفترة الإسلامية

د محمد الباجي بن مامي

لا أرمي من خلال دراستي هذه إلى الاهتمام بمختلف المنشآت المائية بالبلاد التونسية من ميسبات⁽¹⁾ وأسبله وسقايات ومصاصات ومواجل وصهاريج وغيرها⁽²⁾ بل سأقتصر على الانجازات الضخمة التي عرفتة افريقية في بداية الفترة الأغلبية، وخاصة خلال العهد الحفصي فقد كانت الفترة الزمنية الأولى محل بعض البحوث⁽³⁾ عكس ما حصل بالنسبة للعهد الحفصي الذي لا يزال يعتبر فترة غير مدروسة بالنسبة لهذه الناحية⁽⁴⁾.

أول ما يجب الإشارة إليه هو أن مناخ البلاد التونسية يتميز بالجفاف، اذ تتداول فيه السنوات العجاف بالسنوات الممطرة، لهذا مثل الماء على مر التاريخ أكبر

(1) لدينا عدة أمثلة لميسبات هامة ذات تأثيرات معمارية مشرقية وهي التي أسسها السلطان الحفصي أبو عمر عثمان سنة 854هـ / 1450م ودرسها الدكتور عبد العزيز الدولتلي في أطروحته: "Tunis sous les Hafsides" pp. 213-221.

(2) وصلتنا أمثلة للعديد من المنشآت سواء كان ذلك بمدينة تونس العتيقة أو القيروان أو سوسة أو المهدية وكذلك ببعض القرى أو حتى المناطق الريفية كما وصلتنا عن طريق بعض المصادر العديد من الاشارات حول هذه المنشآت.

(3) خاصة: J. Marcel Solignac: " Les installations hydrauliques de Kairouan et de steppes tunisiennes- du VIIIe au XIz siècles" T.X (Alger 1953).

- A. Lezine: " Deux villes d'Ifriqya" Paris 1971.

- A. Lezine: " Architecture d'Ifriqya, Recherches sur les monuments Aghlabides, Paris 1966.

كما تحدث عنها أيضا حسن حسني عبد الوهاب في: " ورقات عن الحضارة العربية بافريقية "، مطبعة المنار، الجزء الأول 1965 والجزء الثاني 1981.

(4) انظر مقال:

J. M. Solignac: "Travaux Hydrauliques Hafsides de Tunis" in Deuxième congrès de la Fédération des Sociétés savantes de l'Afrique du Nord, Revue Africaine, Alger 1936.

اهتمامات الخاصة والعامّة في البلاد، وهكذا أسس بافريقية عدد من المنشآت المائية قبل الفتح الاسلامي وذلك خاصة خلال الفترة الرومانية التي عرفت انجازا ضخما ما زالت أقسام منه قائمة الذات وهي التي تدل على أهميته وعلى عظمته. فقد أسست الحنايا التي بنيت خلال فترة حكم هادريان⁽⁵⁾ لايصال مياه جبل زغوان - الى قرطاجة العظيمة، ويبدو أنه تم اكمالها باذن من سبتيم سيفير (Septime Sévère) انطلاقا من سنة 193م إلى 211م⁽⁶⁾.

بلغ طول هذه الحنايا حوالي 132 كلم، وتتوسطها ساقية (أو مجرى مياه) مستطيلة الشكل، يتراوح عرضها بين 80سم و90سم ويعلوها قنطرة نصف دائري أما ارتفاعها فيبلغ مترا واحدا وهي قائمة على عقود أزاج مكونة من مجموعة من الأقباء وهي أطول حنايا معروفة إلى حد الآن.

تواصل الاهتمام بالماء خلال الحقبة الاسلامية الأولى وربما بصفة أكثر دقة من السابق، إذ أصبحنا نلمس سياسة مائية مركزة، فقد استقر المسلمون الفاتحون عند دخولهم البلاد بمنطقة تشبه في طبيعتها وفي مناخها موطن نشأتهم بالجزيرة العربية التي تفتقر للأنهار والعيون، كما ان اختيارهم على القيروان كان لأسباب استراتيجية: فهي بعيدة عن البحر حيث ما زال البيزنطيون يسيطرون عليه، وبعيدة عن مواقع البربر الذين كانوا يهددون أمنهم. ويعتبر مناخ هذا الموقع -الذي يعرف بقلة مياهه- هو الدافع الأساسي لحرص الحكام الجدد على ايجاد حلول عملية تسمح بايصال الماء للمدينة وإلى المنشآت المائية التي أقاموها.

ويرى ح.ح. عبد الوهاب ان الذي حمل عقبة بن نافع على اختيار مكان المسجد الجامع ودار الامارة في ذلك المكان هو وجود بئر عذبة غزيرة الماء وهي بئر أم عياض⁽⁷⁾. وهو دليل آخر على الأهمية القصوى للماء بالنسبة للمسلمين الفاتحين.

وانطلاقا من الفترة الأغلبية أسست العديد من المنشآت المائية التي تحدثت عنها بعض المصادر بأطناب⁽⁸⁾ وهو ما يسمح بالتأكيد أنه كانت توجد خلال هذه الحقبة

(5) تم هذا الانجاز من سنة 120 إلى سنة 138.

(6) انظر: PH. Caillat: "Note sur l'ancien Aqueduc de Carthage et sa restauration", Paris 1873 pp. 7 et 8.

(7) ح.ح. عبد الوهاب: "ورقات... القسم الأول ص48.

(8) من بينها البئر المعروفة بـ "بروطة" أو (بئر روطة) التي أسسها القائد هرثمة بن اعين سنة 180هـ/796م وهو الذي أسس أيضا رباط المنستير بعد أن ولاه هارون الرشيد على افريقية.

الزمنية سياسة مائية واضحة اذ كانت الحاجة ملحة لايجاد المياه الصالحة للشرب للسكان بصفة عامة ولأهل البلاط والجند بصفة خاصة⁽⁹⁾.

كما ذكر ابن خرداذبة خلال فترة الامارة الأغلبية - في أواسط القرن الثالث للهجرة - أن القيروان هي "مدينة المواجهل"⁽¹⁰⁾. وهو ما أكده أيضا بعد أبو عبيد البكري اذ ذكر هو الآخر: أنه يوجد "خارج مدينة القيروان خمسة عشر ماجلا للماء. ساقيات لأهلها، منها من بنيان هشام بن عبد الملك وغيره وأعظمها شأنًا وأضخمها منصبا ماجل أبي ابراهيم احمد بن الأغلب بباب تونس"⁽¹¹⁾. لكن يرى البعض أن البكري المتحيز للأمويين، نسب هذه المنشآت لهشام بن عبد الملك عن قصد لكن ليس من المؤكد أن هذه الخمسة عشر ماجلا هي من مآثر الخليفة الأموي، بل يبدو أنها ترجع الى القرن الثالث للهجرة⁽¹²⁾.

ورغم انشاء عدد هام من البرك المائية طوال الفترة الأغلبية، إلا أنه لم يصلنا منها إلا عدد قليل جدا⁽¹³⁾ وأهمها على الاطلاق: "فسقية الأغالبة" التي تم بناؤها على يدي أبي ابراهيم احمد سنة 248هـ/862م.

وقد أبدى العديد ممن شاهدها اعجابه بها⁽¹⁴⁾ من بينهم أول خلفاء الفواطم أبو عبيد الله المهدي⁽¹⁵⁾، وقد أفادنا الادريسي أن سكان القيروان كانوا يشربون منها⁽¹⁶⁾.

(9) يذكر ح. ح. عبد الوهاب أن "مدينة القيروان معطشة، ولذلك نرى عامة الولاة - من أول الأمر - متجهة لانشاء صهاريج كبيرة - فسقيات - لحزن مياه الأمطار والسيول: "ورقات... ص 48

(10) انظر: عبد الله بن خرداذبة: "المسالك والممالك" (لیدن- بريل 1967) ص 87. والمواجهل هو: "الماء الكثير المتجمع" انظر: لسان العرب.

(11) أبو عبيد البكري: "المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب"، طبعة الجزائر 1911، ص 26. ومن الواضح أنه يراد هنا بامواجهن بركة الماء أو ما يطلق عليه حاليا: الفسقية.

(12) هذا ما توصل اليه الدكتور مراد الرماح في أبحاثه الأخيرة التي لم تنشر بعد

(13) خاصة نتيجة لانتشار العمران.

(14) من بينهم بعض الأجانب:

Grahan Petré, Tunis, Kairouan and Cathage, London 1908.

- Creswell... "Early Muslim Architecture" T.II, p. 289.

(15) هذا ما أفادنا به البكري، نفس المصدر ص 26.

(16) الادريسي: "صفة المغرب" ص 110 (لیدن - بريل 1968).

وانطلاقاً من نص البكري نجد حسب علمي أول وصف دقيق لهذه البركة المائية التي تعتبر إحدى الروائع الفنية الإسلامية. فقد ذكر في وصف فسقية الأغالبة أنها مستديرة ، متناهية الكبر ، في وسطها صومعة مئنة في أعلاها قبة مفتحة على أربعة أبواب ، كما ذكر أنه توجد فسقية ، وهي ماجل صغير متصل بالماجل الكبير ، وهو يعلمنا أيضاً أن ماء البوادي يصل إلى الفسقية ، فإذا ارتفع قدر قامتين يدخل إلى الماجل الكبير من باب يصلهما⁽¹⁷⁾. وقد فكر المؤسس أبو ابراهيم احمد قبل كل شيء في خلق مصادر مياه هائلة لتزويد البركة بالماء اذ يبلغ اتساعها : 45 ألف متر مكعب وملؤها بالماء لا يعد بالعملية الهينة . ويفيدنا بعض المؤلفين عن الطريقة التي اعتمدها الأغالبة في ملء فسقيتهم ومنهم خاصة اليعقوبي⁽¹⁸⁾ ذلك المالكى وهو الذي يذكر في ترجمة أبي الفضل الغدامسي المتوفي سنة 349هـ/969م : " أن الوادي في حياته أتى إلى الماجل ، فملاً الماجل من غير مطر أصاب القيروان بينما أمطرت البوادي فأتى السيل إلى الماجل فملأها"⁽¹⁹⁾.

كما أجمعت كل المصادر على أن ماء وادي مرق الليل خاصة عند فيضانه هو المعتمد في ملء هذه البركة وغيرها من البرك ، ويبدو أن أغلب المنشآت المائية المقامة في القيروان أقيمت في مجرى وادي مرق الليل مما يسمح باستقطاب مياهه ، إلا أن Solignac في دراسته المشار إليها قبل ، توصل حسب ما ذكر الى وجود قناتين توصلان المياه إلى ماجل أبي ابراهيم احمد وهو يرى أن ذلك راجع الى الفترة الأغلبية⁽²⁰⁾.

ويرى الأستاذ ابراهيم شبوح أنه لا يوجد مصدر آخر للتزويد بالماء باستثناء وادي مرق الليل⁽²¹⁾ وهكذا فمن الواضح أن سولينياك أخطأ في ذهابه إلى أن القنوات ترجع إلى العهد الأغلبى لأن كل المصادر تثبت أن الوادي هو الذي مثل المصدر الوحيد للمياه ، ويمكن أن نعتمد نص المقدسي⁽²²⁾ الذي يفيدنا أنه في العهد الفاطمي أضيفت قناة خلال فترة حكم المعز لدين الله الفاطمي ، ويؤكد أن هذه القناة أو الحنايا

(17) انظر نص البكري : " المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 26 ، طبعة الجزائر 1911 .

(18) انظر اليعقوبي : " كتاب البلدان " ج 1 ص 269 ، ترجمه الى الفرنسية Gaston Wiet .

(19) المالكى : " رياض النفوس " ج 2 ، ص 445 .

(20) Marcel Solignac: op. cit. p. 187-192.

(21) ابراهيم شبوح : " مصادر مياه ماجل أبي ابراهيم أحمد بن الأغلب " مقال غير منشور .

(22) وهو يذكر أن المعز بنى هذه القناة لجلب المياه لبركة الأغالبة من بئر الأدين بعد أن تقي بحاجة صبرة المنصورية من المياه . المقدسي : " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " ص 225 (طبعة ليدن 1906).

تذهب مباشرة إلى صبرة المنصورية ثم عن طريق قناة ثانوية يتحول قسم آخر إلى بركة الأغالبة لتموينها بالمياه، وهذه الحنايا المعروفة بحنايا شريشيرة بقيت تستغل حسبما يبدو حتى الزحف الهلالي، حيث انتهى دورها، ونجد إلى اليوم بعض بقاياها⁽²³⁾.

ورغم أن العديد من المؤرخين أكدوا على اندثار كل البركات المائية (ما عدى بركة أبي ابراهيم أحمد) إلا أن الصور الجوية والاكتشافات الأثرية سمحت بالعثور على عدد لا يستهان به من البرك خاصة منها فسقية اطلق عليها اسم صاحب الضريح الموجود بجانبها: سيدي يوسف الدهماني، والذي يقوم الأستاذ مراد الرماح حالياً بترميمها، وهي توجد على بعد مسافة قصيرة من فسقية الأغالبة " وهذه البركة المائية متكونة من بركة أولى كبيرة مضلعة الشكل يبلغ قطرها 73 متراً. أما الفسقية الصغيرة فهي مستديرة الشكل ويبلغ قطرها 28,30م وقد مثلت الفسقية الصغيرة بركة نصفية وهي متصلة بالماجل الكبير ويتم وصول الماء مباشرة عن طريق هذه البركة المائية الصغيرة، وبما أن مستواها يوجد تحت مستوى البركة الكبرى، فإن الحجارة والحصى والتراب تبقى في الأسفل، وعند ارتفاع الماء فيه يدخل الماء إلى البركة الكبيرة من باب يصلهما ويسميه البكري بـ "الشرح".

ومن بين البركات المائية التي وصلتنا آثارها، تلك التي بناها الأمير ابراهيم بن الأغلب في أواسط القرن الثالث للهجرة/ التاسع ميلادي، وقد اختط مدينة العباسية التي توجد على بعد حوالي أربعة أميال جنوبي القيروان وهو الذي حفر بها آباراً عميقة، وبنى بها صهريجاً للماء الصالح للشراب⁽²⁴⁾ ونلاحظ اليوم بقايا هذا الصهريج الضخم وهو مستطيل الشكل لكنه يحتاج إلى إزالة الأتربة الموجودة حوله ويتطلب الترميم والصيانة، إلا أنه بعد أن أصبح للدولة الأغلبية شيء من الأهمية، قرر ابراهيم الثاني سنة 263هـ/ 876م أن يعوض العباسية بمدينة جديدة تقع في الجنوب الغربي من القيروان وتبعد عنها بحوالي 10 كيلومترات. وكما ذكرنا قبل كان في مقدمة ما يعنى به الأمراء الأغالبة منذ تولوا السلطة، تزويد مدنهم بالماء خاصة عن طريق القنوات، لذلك أتى ابراهيم الثاني بالماء إلى رقادة عن طريق قناة ثانوية تتفرع

(23) بالنسبة لحنايا شريشيرة يمكن أن نعتمد على نص للقاضي النعمان الذي يفيدنا بأن الخليفة المعز أجرى نهر عين أيوب إلى المنصورية، (وهي التي عرفت بشريشيرة) وقد بدأ العمل فيها أول شهر محرم 348هـ، إلا أن أباه القائم هو الذي بدأ في إنجازها. انظر: القاضي النعمان بن محمد: " المجالس والمسايرات " ص 331، تونس 1978، تحقيق محمد اليعلاوي ومحمد الفقي و ابراهيم شيوخ.

(24) ح. ح. عبد الوهاب: " ورقات... " القسم الأول ص 48.

عن حنايا شريشرة، وابتنى لهذا الغرض مواجل ضخمة وقد بقيت رقادة مركز السلطة. وقد زادها أهمية زيادة الله الأخير الذي تولى الحكم سنة 290هـ/903م وهو الذي شيد "قصر البحر" الذي أضاف بحذوه ماجلا ضخما وتم البناء بين سنة 290هـ/903م و 296هـ/909م. وقد ذكر عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية:

" رأيت ثلاثة أشياء في افريقية لم أر مثلها قط في المشرق " ، الصهريج الذي بباب تونس (ويعني به فسقية الأغالبة) وقنطرة باب أبي ربيع قصر البحر برقادة ⁽²⁵⁾ ونلاحظ أن لهذه البركة شكلا متوازي الاضلاع ⁽²⁶⁾.

لكن المنشآت المائية الأغلبية لم تقتصر على القيروان وأطرافها فحسب، فمن بين البرك الضخمة التي أسست أيام دولتهم: تلك التي توجد بسوسة والمعروفة "بالشفرة" فقد أنشأت لتمكين السكان من الماء الصالح للشرب، ويبدو أنها كانت قبل ذلك دواميس ضخمة مقامة على أقواس يرجع عهدها إلى الفترة الرومانية ⁽²⁷⁾ فبطلب من أحد المرابطين (أبو الأحوص أحمد بن عبد الله) أمر إبراهيم الثاني بترميم الدواميس وجعل منها ماجلا داخل البلد ما زال قائم الذات.

كما أنشأ نفس الأمير قرب قرية المردين، فسقية أخرى تتكون من قسمين وذلك سنة 270هـ/883م، وهو الذي يعرف إلى اليوم بالماجل الأزرق.

ومن الملاحظ أنه تم العثور أخيرا في ولاية المهدية على بركة مائية مستديرة الشكل تقع على بعد حوالي ستين كلمترا من القيروان.

لذلك يمكن التأكيد على أن البلاد التونسية ما زالت ثرية ببقايا البرك المائية الراجعة خاصة إلى القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي وبداية القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي. لكن انطلاقا من هذه الفترة الزمنية وحتى أواسط القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر ميلادي نلاحظ قطيعة في هذا النوع من المؤسسات كان ربما ناتجا عن حالة الاضطراب والفوضى التي عرفت البلاد خاصة مع الزخفة الهلالية في أواسط القرن

(25) نفس المرجع، ص 374.

(26) ذكر Solignac أن بركة قصر البحر لها نفس أبعاد فسقية أبو فهر، إلا أن الحفريات التي حصلت في الستينات من قبل المغفور له محمد الشابي أثبتت أن الأبعاد الحقيقية لهذه البركة هي 120مترا من الطول و40 مترا من العرض مما يجعل مساحتها حوالي 4,800 مترا مربعا وهو ما يمثل ربع مساحة بركة المستنصر الحفصي.

(27) نفس المرجع، القسم الثاني ص 63.

الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي. إلا أنه مع المستنصر الحفصي، أنشئت إحدى أهم البرك المائية وهي التي عرفت بأبي فهر وقد طمس قسم هام من آثارها، ولم يقع الاهتمام بها إلا نتيجة لقرار رئاسي بتخصيص موقع أبي فهر لمشروع مدينة العلوم، فرأى المسؤولون بالمعهد الوطني للتراث أن تنطلق الأشغال سنة 1992 حيث تم الكشف عن القسم الجنوبي للـ (منتزه) وعن جزء من أرضية البركة المحاذي لهذا المنتزه⁽²⁸⁾ أي في الناحية الشمالية للبركة.

ومن الملاحظ أنه قد تراكمت فوق هذا الموقع كميات هائلة من الأتربة ومخلفات حظائر البناء كما نبت فوقه عدد هام من الأشجار والنباتات الطفيلية مما جعلنا نبدأ خلال مرحلة أولى في إزالة كل هذه الفضلات والنباتات التي تطلبت وقتا طويلا حتى أصبح الموقع جاهزا للقيام بالحفريات اللازمة.

الموقع :

يوجد موقع جنان أبي فهر في الناحية الشمالية الشرقية لمدينة تونس وعلى بعد حوالي 6 كلم منها وبقرب من مدينة أريانة، وتقر حاليا بجانبها الطريق السريعة " نوفمبر " التي تصل إلى مطار تونس قرطاج، لكن عرف هذا الموقع الكثير من الاعتداءات العمرانية، فإضافة إلى الأقسام التي خصصت للطرق استعملت الكثير من أراضي هذا الموقع لبناء عمارات وبنوك ومؤسسات الخ... بينما تم الحفاظ على القسم الأهم الذي يحوي بقايا البركة المائية والأرض المحيطة بها، وتبلغ مساحته حوالي خمسة هكتارات كما يوجد قسم آخر بالناحية الغربية، وتبلغ مساحته حوالي عشرة هكتارات لم يتم التصرف فيها بعد⁽²⁹⁾، أما آخر جزء من هذا الجنان الذي بقي في تصرف المعهد الوطني للتراث فتبلغ مساحته هكتارا واحدا وهو الذي توجد فيه البئر العتيقة المعروفة " بئر بطوم ".

وقد اعتمد Paul Gauckler سنة 1902 على وجود بقايا جدران الخوض المائي للذهاب إلى أنه يمثل بركة المستنصر التي تحدثت عنها بعض المصادر⁽³⁰⁾. وهو ما دفع

(28) إلا أن هذا القسم لم يكن واضحا إذ خصص خلال هذا القرن لبناء مسكن فلاح ايطالي استعمل هذه الأرض الأثرية لغرسها بأشجار العنب.

(29) رغم محاولات عدة لبعض الشركات والبنوك للاستيلاء على هذا الموقع فإن المعهد الوطني للتراث محافظ على هذه الأرض خاصة نتيجة لاحتوائها على بعض الأجزاء الأثرية.

(30) Paul Gauckler: voir "Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques", 1902, p. CLXXXV.

إلى ترتيب الموقع سنة 1912 بأمر ورد بالرائد الرسمي بتاريخ 13 مارس 1912 فكان لهذا الأمر أهمية بالغة جدا فهو ما سمح بعدم القضاء نهائيا على كامل أجزاء الموقع وجعلنا نستطيع الكشف عن هذه البركة المائية.

الناحية التاريخية :

من الأكيد أنه ليس من باب الصدفة أن يتم هذا الانحياز الضخم خلال عهد المستنصر الحفصي، فقد بلغت فترة حكمه مستوى من الرفاهة والعظمة لم تعرفهما البلاد من قبل، وهكذا أخذت تونس الكثير من الأهمية خلال فترة السلطان المستنصر بالله ابن أبي زكرياء الأول مؤسس الدولة الحفصية (الذي توفي سنة 647هـ/ 1249م)، حيث أصبحت تونس لمدة وجيزة مقر الخلافة، فمن الناحية الغربية للبلاد أتت البيعة للمستنصر من الأندلس⁽³¹⁾ ومن المرينيين بفاس (سنة 652هـ/ 1254م)⁽³²⁾ كما وفد أمير بني توجين (من زناتة) على المستنصر مجددا طاعته⁽³³⁾ وبعث أيضا بنو عبد الواد من تلمسان مبايعتهم.

أما في الناحية الشرقية فان انقراض الخلافة العباسية سنة 656هـ/ 1258م أحدث تصدعا خطيرا في صلب الأمة الاسلامية نتيجة انفصام العروة الوثقى والرابطة الروحية التي كانت تشده لبعضه، ولتدارك هذا الوضع، ونتيجة لهذا الفراغ فقد وردت بيعة مكة المكرمة على المستنصر سنة (657هـ/ 1259م)⁽³⁴⁾. وبعد حوالي سنة ونصف من التاريخ واثرا انتصار المماليك على المغول في فلسطين (658هـ/ 1260م) وصلت رسالة مبايعة مصر إلى المستنصر (بداية 659هـ/ 1260م) والتي لقب فيها بأمير المؤمنين⁽³⁵⁾.

وهكذا اذن وقبل وصول الحملة الصليبية الثامنة إلى تونس⁽³⁶⁾ أصبح المستنصر الحفصي رمزا هاما في العالم الاسلامي، فإضافة إلى لقب الخليفة الذي تسمى به سنة

(31) خاصة من الناصرين بغرناطة، انظر ابن خلدون، العبر ج 6، ص 660.

(32) يفيدنا ابن خلدون أن أبا يحيى عبد الحق بعث سنة 652هـ/ 1254م بسفارة إلى المستنصر الحفصي للتأكيد على مبايعته له، العبر، ج 6، ص 651.

(33) ابن خلدون: " العبر " ج 6، ص 660.

(34) انظر الزركشي: " تاريخ الدولتين "، ص 37 والغبريني: " عنوان الدراية "، ص 191-192 وابن الشماع: " الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ".

(35) ابن خلدون: نفس المصدر، ج 6، ص 660.

(36) كان نزول الجيوش الصليبية بقرطاج يوم 26 من ذي القعدة 668هـ/ 18 جويلية 1270م وترأس هذه الحملة لويس التاسع، الذي مات خلال هذه الحرب في يوم 25 أوت 1270.

650هـ/1252م أصبح أميراً للمؤمنين وهو حسبما يبدو السبب الرئيسي الذي دفع به للبناء والتشييد ومحاولة إعطائه مدينة تونس صبغة عاصمة الخلافة، وهو ما يفسر اعتناؤه بالحدائق والمنتزهات وخاصة تشييده لبركة مائية ضخمة تعد من أكبر وأهم المواجه التي عثرنا عليها.

إضافة إلى المعلومات التاريخية التي وردت في المصادر وخاصة منها نص لعبد الرحمان ابن خلدون حول هذه الحدائق، فإن الحفريات ساهمت بصفة دقيقة في تعريفنا بهذا الانجاز العظيم، ويعتبر نص ابن خلدون نصا هاما جدا، فهو يمدنا بمعلومات مفصلة حول جنان أبي فهر، ولقيمة هذا النص نوره كاملا فهو يوضح الكثير من المعلومات:

فيذكر علامتنا أن المستنصر الحفصي " اتخذ أيضا بخارج حضرته البستان الطائر الذكر المعروف بأبي فهر، يشتمل على جنات معروشات وغير معروشات، اغترس فيها من شجره كل فاكهة من أصناف التين والزيتون والرمان والنخيل والأعناب، وسائر الفواكه وأصناف كل الشجر. ونضد كل صنف منها في دوحة حتى لقد اغترس من السدر والطلح والشجر البري، وسمي دوح هذه بالشعراء واتخذ وسطها البساتين والرياض والمصانع والحوائر وشجر النور والتزه من الليم والنارنج والسرو والريحان، وشجر الياسمين الخيري والنيلوفر وأمثاله. وجعل وسط هذه الرياض روضا فسيح الساحة، وصنع فيه الماء حاجزا من عداد البحور، جلب اليه الماء في القناة القديمة، كانت ما بين عيون زغوان وقرطاجنة تسلك بطن الأرض في أماكن، وتركب البناء العالي ذات الهياكل الهائلة والقسي القائمة على الأرجل الضخمة في أخرى، فعطف هذه القناة من أقرب الثمرات إلى هذا البستان وأطافها حائطا وصل ما بينهما حتى ينبعث من فوهة عظيمة إلى جب عميق المهوى، رصيف البناء متباعد الأقطار مربع القنا مجلل بالكلس، إلى أن يعمه الماء فيرسله في قناة أخرى قريبة الغاية، فينبعث في الصهريج إلى أن يعين حوضه، وتضطرب أمواجه تترفه الحظايا عن السعي بشاطئه لبعده مداه فيركبن في الجواري المنشآت ثبجه فيتبارى بهن تباري الفتح، ومثلت بطرفي هذا الصهريج قبتان متقابلتان كبرا وصغرا على أعمدة المرمر، مشيدة جوانبها بالرخام المنجد، ورفعت سقفها من الخشب المقدر بالصنائع المحكمة والأشكال المنقمة، إلى ما اشتملت عليه هذه الرياض من المقاصر والأواوين والحوائر

والقصور غرفا من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار، وتأنق في مبانيه هذه واستبلغ وعدل عن مصانع سلفه ورياضهم إلى متزهاته من هذه، فبلغ فيها الغاية في الاحتفال وطار لها ذكر في الآفاق .

وحول هذا الانجاز (جنان أبي فهر) لدينا أيضا العديد من النصوص التي اهتمت به فقد تحدث عنه بعض الرحالة، من بينهم خاصة : L. Frank, E. Pellissier, G. Flaubert .

كما استلهم بعض الشعراء هذا الانجاز فأبدعوا قصائد من بينهم أبو الحسن حازم القرطاجني المتوفي سنة 684هـ/1285م، والذي وصف الجنان في قصيدته المقصورة التي تحتوي على 974 بيتا في مدح المستنصر الحفصي واعتنى صاحبها بالحنايا وبأبي فهر من البيت 53 إلى البيت 171 .

ومن الواضح أن أعمال المستنصر كانت هامة جدا بمدينة تونس وضواحيها وقد وجه عنايته إلى تزويدها بالماء الصالح للشراب، فكانت أهم أعماله المائية ترميمه لحنايا هديران التي خربت في عدة كرات أو عرفت الاندثار في بعض الفترات الأخرى فقد تم تخريبها خلال سنة 439م عندما استولى الوندال على قرطاج ثم رُمى Balisaire سنة 534م - كما قطع قسم منها حسان ابن النعمان سنة 79هـ/698م، ثم أعاد تجديد الفواطم مرة أخرى - لذلك وجدها المستنصر الحفصي في أسوأ حال، فأعيد ترميمها بصفة جيدة، أساسا من أجل تمويل المدينة والقصبة بالماء لكن أيضا حتى يوصل الماء إلى حدائق رأس الطابية وحوض أبي فهر الموجودة على بعد خمسة كيلومترات من القصبة، لذلك تمت اضافة أقسام جديدة للحنايا هي الأخرى عظيمة جدا، وهي تربط بينها وبين مدينة تونس من ناحية، وبينها وبين أبي فهر من ناحية أخرى .

وهكذا استطاع إعادة تشغيلها . وقد قامت المديرية العامة للأشغال العمومية بعملية حسابية خلال سنة 1927 أثبتت فيها أن هذه الحنايا كانت توصل يوميا 32 ألف متر مكعب من الماء خلال فصل الشتاء، أما بالصيف فالكمية لا تتجاوز 5600 متر مكعب⁽³⁷⁾ يستعمل قسم ضئيل من هذه الكمية لتزويد سكان القصبة من عائلة سلطانية ووزراء ووجهاء وجند بالماء الصالح للشراب، كما أن قسما آخر يوجه إلى

Direction Générale des Travaux Publics "Alimentation en eau de Tunis et de sa banlieue" Tunis, (37) 1927, pp. 10-11.

سقاية جامع الزيتونة، مما يسمح لسكان الحي الموجود حول الجامع بالحصول على الماء الصالح للشرب والوضوء.

مع هذه الترميمات قام الخليفة المستنصر بإضافة قسم آخر إلى الحنايا بلغ طوله حوالي 980م ربط به الحنايا الرومانية بهضبة الرابطة⁽³⁸⁾ وقد ذكرت أغلب المصادر (الزركشي والعبدري وابن فضل الله العمري) بأن هذه العملية قصد بها إيصال الماء لجامع الزيتونة، ومن المؤكد أن الحجارة الضخمة المستعملة في هذا الجزء من الحنايا الحفصية أتت بها من معالم رومانية، وقد أكد سولينياك أن هذا القسم من الحنايا يوصل في فصل الشتاء 1272مترا مكعبا في اليوم، بينما لا تبلغ هذه الكمية إلا 218مترا مكعبا في فصل الصيف إلى مدينة تونس ويستقطب جنان أبي فهر أكبر كمية من المياه وهي 12728 في الشتاء و2082 في الصيف⁽³⁹⁾.

يفيدنا العبدري أنه توجد قناة تنطلق من القصبة لتزويد الجامع الأعظم بالماء الصالح للشرب⁽⁴⁰⁾ [إلا أننا لم نعثر قط على القسم الرابط بين هضبة الرابطة والقصبة]⁽⁴¹⁾.

لكن القسم المضاف الآخر والذي يهمننا مباشرة هو ذلك الذي ينطلق من حنايا هديران ليصل إلى بركة أبي فهر، ورغم أن سولينياك حاول معرفة المكان الذي مر منه هذا القسم⁽⁴²⁾ فإنه يبدو من الصعب التوصل إليه بدقة إذ ليس لدينا أي معطيات تاريخية أو اكتشافات أثرية تبينه بوضوح، فقد اندثر هذا الجزء بأكمله. لكن بعد دراسة المكونات المرفولوجية للأرض الفاصلة بين الحوض والمكان الذي تمر منه الحنايا توصلنا إلى خط واضح من الممكن أنه الذي استعمل لربط الحنايا بأبي فهر، وهو يمثل في خطوطه العريضة ما توصل إليه سولينياك في دراسته.

(38) انظر : J.M. Solignac: Travaux Hydrauliques Hafsidés de Tunis, p. 525.

(39) نفس المرجع، ص 525-526.

(40) العبدري: (الرحلة) ص 40، وهو يفيدنا أن هذه القنوات مصنوعة من الرصاص وعكس الحنايا الرومانية التي كانت مقبية، فإن الإضافة الحفصية التي تربط هذه الأخيرة بمدينة تونس ليست مغطاة.

(41) لا يمكن الجزم في أن هذه الحنايا تتواصل حتى الجامع الأعظم، إذ لم يذكر أي مصدر هذه النقطة، كما أن آثارها التي كانت موجودة في النصف الأول للقرن العشرين كانت تصل إلى قرب القصبة فقط، حيث كنا نعثر على خزان مياه، ومن الممكن أنه كانت تنطلق منه القنوات إلى الجامع الأعظم.

(42) يرى سولينياك أن هذا الجزء يوجد على بعد 1200مترا من حوض أبي فهر

Solignac, op. cit. p. 535. -

كما يمدنا ابن خلدون وبعض المؤرخين: كالزركشي وابن الشماخ وابن قنفذ وغيرهم بمعلومات هامة حول منجزات السلطان المستنصر من بينها خاصة حدائق راس الطابية وغيرها كثير. ومما يجب التأكيد عليه أنه انطلاقاً من الفترة الحفصية عرفت مدينة تونس تأثيرات فنية وثقافية ومعمارية وحضارية مختلفة أهمها على الإطلاق التأثيرات الأندلسية التي أصبحت أكثر وضوحاً عند استيلاء أبي زكرياء الأول على الحكم⁽⁴³⁾ فقبل قدومه إلى إفريقية كان مؤسس الدولة الحفصية، واليا على غربي الأندلس مما أدى إلى ارتباط العديد من الأندلسيين وخصوصاً من أهل أشبيلية بأبي زكرياء⁽⁴⁴⁾.

ونتيجة لهذه العلاقة الوطيدة أتى الأندلسيون في كرات متتالية إلى مدينة تونس بداية من النصف الأول للقرن VII هـ / XIII م وقد شجعهم ما وجدوه من الترحاب والمراعاة على الاتجاه إلى عاصمة البلاد. ويعلمنا ابن سعيد الأندلسي أن العديد من المعالم والمباني صممها آنذاك أندلسيون أو نقلوا تخطيطها عن معالم أخرى توجد في بلادهم، وبما أن مفهوم الجنان ونمطه يتناسب وما كان يوجد في الأندلس، فمن الممكن جداً أن المستنصر استنجد في أعداد أبي فهر بالعملة المختصين الأندلسيين، إلا أنه يجب أن لا ننسى أيضاً أن لأفريقية تقاليد متجذرة في هذا الميدان، والبرك القائمة الذات بجهة القيروان والتي ذكرناها قبل، دليل واضح على هذا التجدر.

هكذا نلاحظ وجود روح تواصل في تأسيس هذه المنشآت المائية بالبلاد، إضافة إلى التأثيرات المحلية الراجعة إلى العهد الأغربي والفاطمي، من الممكن جداً أنه أضيفت التأثيرات الأندلسية.

ويفيدنا الزركشي بأن اهتمام المستنصر بالمنشآت المائية انطلق سنة فقط بعد توليه الحكم أي سنة 638 هـ / 1250 م وتم الانتهاء من بركة أبي فهر سنة 666 هـ / 1267 م⁽⁴⁵⁾ كما يعلمنا نفس المصنف أن هذا السلطان رمم الحنايا الرومانية لاستعمالها من جديد وإيصال الماء إلى تونس، وكانت هذه الأعمال جاهزة هي الأخرى سنة 666 هـ / 1267 م.

ولا يمكن تفسير هذه الإضافة للحنايا إلا لاتساع الفسقية التي تتطلب كميات هائلة من المياه، والا للجأ المستنصر الحفصي لحفر آبار كانت تمثل أقل وقت وجهد من بناء هذا القسم الجديد من الحنايا.

(43) انظر ابن خلدون: "العبر"، طبعة بيروت 1959، ج. 6، ص 683.

(44) تولى الحكم من سنة 625 هـ / 1227 م إلى 647 هـ / 1249 م

(45) انظر الزركشي: "تاريخ الدولتين" ص 33 و 38.

ونحن لا نملك أي نص يمدنا بمعلومات حول الفترة التي انتهى خلالها موقع أبي فهر من تأدية وظيفته. وقد ذكر ابن أبي دينار الذي صنف مؤهلاته في أواخر القرن 11هـ/17م، أن موقع أبي فهر أصبح يدعى "بطوم". ومن الواضح أن القرن 10هـ/16م مثل أحلك الفترات التي عرفت بها البلاد نتيجة للحروب التي دارت رحاها بين الأتراك والاسبان للسيطرة على الحوض الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط وكانت البلاد التونسية من بين أهم الأصقاع المتضررة من جراء هذا الصراع، ومن الممكن جدا أن دور الحنايا توقف تماما خلال هذه الفترة ومما انجر عنه تعطل بركة أبي فهر عن كل نشاط، لذلك تم الالتجاء خلال القرن 11هـ/17م إلى إنشاء بئر ضخمة تم عن طريقها تعويض الماء القادم عن طريق الحنايا لسقي أشجار الموقع التي تحدث عنها ابن خلدون. وقد أشار سولينياك إلى وجود بئر "بطوم" هذه⁽⁴⁶⁾. وأعتقد أنه يوجد في الناحية الغربية للبركة. وقد بني حاليا فوق هذا الموقع مؤسسة صحافية، إلا أن سولينياك أخطأ في المكان، إذ أن بئر بطوم ما زال قائم الذات، إذ يوجد مباشرة في الناحية الشمالية للبركة، ويفصلها عنها الطريق السريعة الرابطة مدينة تونس بالمطار. إلا أن بعض عناصر الموقع اندثرت خلال الفترة الزمنية الأخيرة. فقد تمكن مثلا سولينياك من العثور سنة 1936 على ماجل صغير مستطيل الشكل له 1+م من الطول و 7 أمتار من العرض، وأكد أيضا على أنه عميق، ويبدو وأنه كان يستقطب في مرحلة أولى ماء الحنايا وهو يقع على بعد 80 مترا من الفسقية وهو ما يؤكد ما أتى به ابن خلدون الذي نستفيد منه أن الماء الواصل إلى أبي فهر يمر بماجل عميق قبل أن يمر إلى الفسقية الأساسية، وبالطبع فإن مستوى هذا الماغل يوجد تحت مستوى البركة الكبرى حتى يبقى الحصى والأتربة في الأسفل، ويمر الماء النظيف فقط إلى البركة الكبيرة إلا أن الماغل الصغير اندثر تماما نتيجة لاقامة بناءات جديدة.

وقد أفرزت الحفريات الأخيرة بهذا الموقع نتائج علمية هامة، إذ توصلنا للكشف على عدة عناصر أساسية، منها خاصة أرضية القبة الكبيرة المطلة على البركة المائية من ناحيتها الشمالية⁽⁴⁷⁾. أما القبة التي كانت توجد في الناحية الجنوبية - ذلك بالطبع حسبما ورد في نص ابن خلدون - فلم يبق منها أي عنصر، ورغم قيامنا بأسفار في هذه الناحية فإننا لم نعثر على أي شيء يذكر وذلك نتيجة لبناء طريق جديدة تمر على بعد تسعة أمتار من البركة المائية.

(46) Solignac, op.cit. p. 537.

(47) ذكرنا بعد في نص ابن خلدون قوله: " ومثلت بطرفي هذا الصهريج قبتان متقابلتان كبيراً وصغراً"، انظر العبر ص 631.

أول ما توصلنا إليه في الناحية الشمالية، هو وجود تبليط في أقصى نقطة منه فبعد رفع الأتربة المتأتية خاصة من سقوط عناصر هذا المبنى نفسه كشف عن مربعات جليز لها لون أسود يبلغ ضلع كل منها 10,5 سم أما سمكها فيبلغ 2 سم ويفصل بينها شريط أبيض يبلغ عرضه 4 سم وطوله 10,5 سم بينما توجد في زاوية كل أربع مربعات نجمة، تتميز كل منها بلون خاص بها، ففي بعض الأحيان هي ذات لون أزرق سماوي وفي البعض الآخر تصبح زرقاء داكنة، كما نجد أيضا نجوم لها لون أخضر أو أصفر. وهذا التبليط هو الوحيد الذي وصلنا من الفترة الحفصية الأولى (أي القرن 7هـ/ 13م) ولم نعثر على هذا النمط من الزليج إلا في أواخر القرن 9هـ/ 15م بمعلم سيدي قاسم الجليزي المتأثر بالفن الأندلسي.

بنفس بقايا هذه القبة عثرنا في الزاوية الشمالية الشرقية على مدرج يتكون من خمس درجات عرض كل منها ما بين 1,5+م و 1,65م ومن الممكن جدا أنها كانت تؤدي إلى القسم الأعلى من المبنى لأن الجدار الغربي والجدار الشرقي للمدرج يتواصلان نحو الأعلى، ومن الواضح أن القسم الأعلى من هذا المدرج قد أزيل.

كما عثرنا انطلاقا من الأسفل على جدار يفصل الدرجة الأولى والثانية، لكن من الواضح أنه يمثل إحدى الإضافات التي حصلت خلال الفترة العثمانية (أي خلال القرن 11هـ/ 17م) بما أن مواد البناء مختلفة عن المواد المستعملة بالنسبة للفترة الأولى وهي المتكونة من الملاط الجيري بينما استعملت في بناء هذا الجدار حجارة نجدتها أيضا في مباني القرن 17م بمدينة تونس. كما تم الكشف في هذا القسم عن عقدين استعمل فيهما الآجر المشوي والملاّن (26 سم x 13 سم) ويبدو واضحا أنها ترجع إلى فترة لاحقة، فقد اعتمد كل من هذين العقدين مينة ويسرة على جدران المدرج التي كسبت بالملاط الجيري والتي تختلف في تكوينها وفي طريقة بنائها عن نط العقدين.

ويؤدي هذا المدرج في الأسفل إلى قنوات مياه، توجد تحت الأرض، كانت مرتبطة بالبركة الرئيسية وقد مثلت إحدى قنوات تصريف المياه، إلا أننا لم نتمكن من العثور على آخر مسار هذه القناة التي تتواصل حسبما يبدو نحو الشرق لكن تم طمسها تماما.

ووجدنا خلال هذه الحفريات الراجعة إلى سنة 1993 عددا من مجاري مياه مبنية على كامل أرضية هذه القبة الشمالية وقد بدا واضحا أن ليس لها أي اتصال بالبركة المائية، بل يبدو أنها استعملت لتصريف المياه المستعملة؟

كما تم الكشف في الناحية الغربية لأرضية القبة على بقايا تبليط رخامي أبيض يغطي بعض الغرف وتختلف مقاساته في أرضية نفس الغرفة، وهو دليل على أن هذا الرخام كان مستعملا في معالم أخرى (ربما بقرطاج) ثم أعيد استعماله في هذا الموقع.

كما عثرنا في أقصى الناحية الغربية بأرضية القبة، على مجرى مياه آخر يتسرب إلى داخل الأرض ويبلغ عمقه 1,27م إلا أننا لم نتمكن من معرفة نهايته التي تتواصل نحو الغرب، ومن الواضح أن هذه القناة استعملت لتوزيع المياه المستعملة وقد لاحظنا أنها تتواصل في القسم الأسفل الواقع تحت أرضية القبة (أي نحو الشرق)، وتلتقي بالقناة الموجودة تحت المدرج (التي أشرنا إليها قبل).

خلال هذه العملية استطعنا العثور على العديد من قطع الخزف الراجعة الى عدة فترات، من بينها أربع قطع راجعة إلى العهد الأغربي، وهي ربما دليل يدفعنا للتساؤل ان لم يكن الموقع مستعملا خلال هذه الفترة. أما أغلب هذه القطع الخزفية فترجع إلى العهد الحفصي. كما يرجع قسم آخر إلى الفترة العثمانية وهو ما يسمح بالتأكيد أن الموقع استعمل خلال هذه الفترة خلال القرن 11هـ / 17م وعثرنا أيضا على عدد هام (سبعة) من أقسام أعمدة، البعض منها مجلوب حسبما يبدو من مصر والبعض الآخر محلي أتى به من شمتو ومن الممكن أنها كانت الأعمدة الحاملة للقبة (وهو ما ذكره ابن خلدون) وبالطبع فإن القبة كانت تطل مباشرة على البركة المائية التي لم نبتين منها في أول الأمر وقبل انطلاق الحفريات إلا قسما من جدارها الغربي (121,5م) وقسما آخر من جدارها الجنوبي (38,5م) أما البقية فكانت كلها مغمورة بالأتربة.

لذلك قمنا بكشف كامل لبقية جدران البركة التي لم يبق شيء يذكر من قسمها الشرقي. وتبيننا بعد ازالة كل فواضل البناء والأتربة الخ... أن طول الجدار الشرقي يبلغ 243,5م. أما الجدار الجنوبي فله 78,7م من العرض وقد تم كساء كل هذه الجدران بليقة يبلغ سمكها بين سنتمر واحد وأربعة سنتيمترات وهي متكونة خاصة من الجير التقليدي المخلوط بالرماد والفحم وكذلك بالجبس كما نجد شظايا الآجر المخلوط بهذه الليقة. وكما لاحظنا فإن القبة تشكل ذراعين يتجهان إلى داخل البركة وتتمثل أبعاد هذا القسم في : 30م من العرض و28م من الطول وهو يرتفع عن مستوى أرضية البركة بـ متر واحد، بينما ارتفاع وسط أرضية القبة : متر ونصف - ويبلغ سمك هذه الجدران المحيطة بالبركة من 2م إلى 3,50م فسمك هذا الجدار أكثر أهمية

في الناحية الشمالية، نتيجة لتقبله ثقل الماء في هذه الناحية، ولاحظنا وجود دعامات تحيط بهذه الجدران من الناحية الغربية والجنوبية والشرقية ويبلغ عددها سبعا (وهي التي عثرنا عليها فقط) ولا ندري ان كانت توجد دعامات أخرى لم يبق لها أي أثر؟ وقد لاحظنا أنه توجد بين الدعامة والأخرى 30م (في الناحية الغربية والشرقية) بينما تتمثل هذه المسافة في 15م فقط بالناحية الجنوبية كما أضيف جدار ثان يدعم الجدار الأول في القسم الجنوبي، وربما كان ذلك نتيجة لعدم قيام الجدار الأول بالدور المعهود اليه نتيجة لقلّة سمكه (2,00م) اذ نلاحظ أنه حصلت فيه تصدعات.

وبعد إزالة قسم هام من الأتربة بالناحية الشمالية للبركة لاحظنا أن الأرضية متكونة من ملاط (مشابه تماما لملاط الجدران من الداخل) بينما أزيلت هذه الأرضية من كامل القسم الأوسط. أما الجزء الجنوبي لأرضية البركة فقد بلط بحجارة متماسكة عن طريق ملاط جيري، ولم يبق أي جزء من الملاط المغطي لكامل أرضية البركة إلا في الناحية الشمالية كما أشرنا اليه من قبل ويبلغ ارتفاع البركة في الناحية الشمالية 2,00م وهو أعمق بكثير في الناحية الجنوبية اذ تبلغ 2,60م أما المساحة الجمالية للبركة فهي 1912+مترا مربعا وإزالة مساحة أرضية القبة التي تبلغ 8+10مترا مربعا فان المساحة للبركة تصل إلى 1828+مترا مربعا وهو ما يسمح بتقدير مياه البركة بحوالي 2000+ متر مكعب.

وقد عثرنا في أسفل الجدار الجنوبي على فتحة صغيرة تسمح بتسريب المياه إلى الخارج، إلا أنه لا يمكن الجزم في أنها كانت موجودة انطلاقا من فترة المستنصر اذ أنه من الواضح أن المياه كانت تتسرب عن طريق فتحات علوية بقيت بعض آثارها بجدران البركة. وقد تم ربط قاعدة الجدران بأرضية البركة عن طريق نتوء (اوسنام) مما يسمح بتجنب تسرب المياه.

وإثر القيام بسبر في الناحية الجنوبية للبركة الذي كنا نأمل من خلاله العثور على بقايا القبة الصغيرة الجنوبية التي ذكرها ابن خلدون، عثرنا على حوض صغير الحجم بني لتلقي ماء هذه الفتحة السفلى للجدار الجنوبي، وقد كسي هذا الحوض بنفس الليقة التي كسيت بها الجدران الداخلية للبركة، وتبلغ أبعاده: 4,80م من الطول و5,10م من العرض.

كما عثرنا على بقايا بركة صغيرة مربعة الشكل طول كل من اضلاعها 6,5م ملاصقة للجدار الشرقي من الخارج.

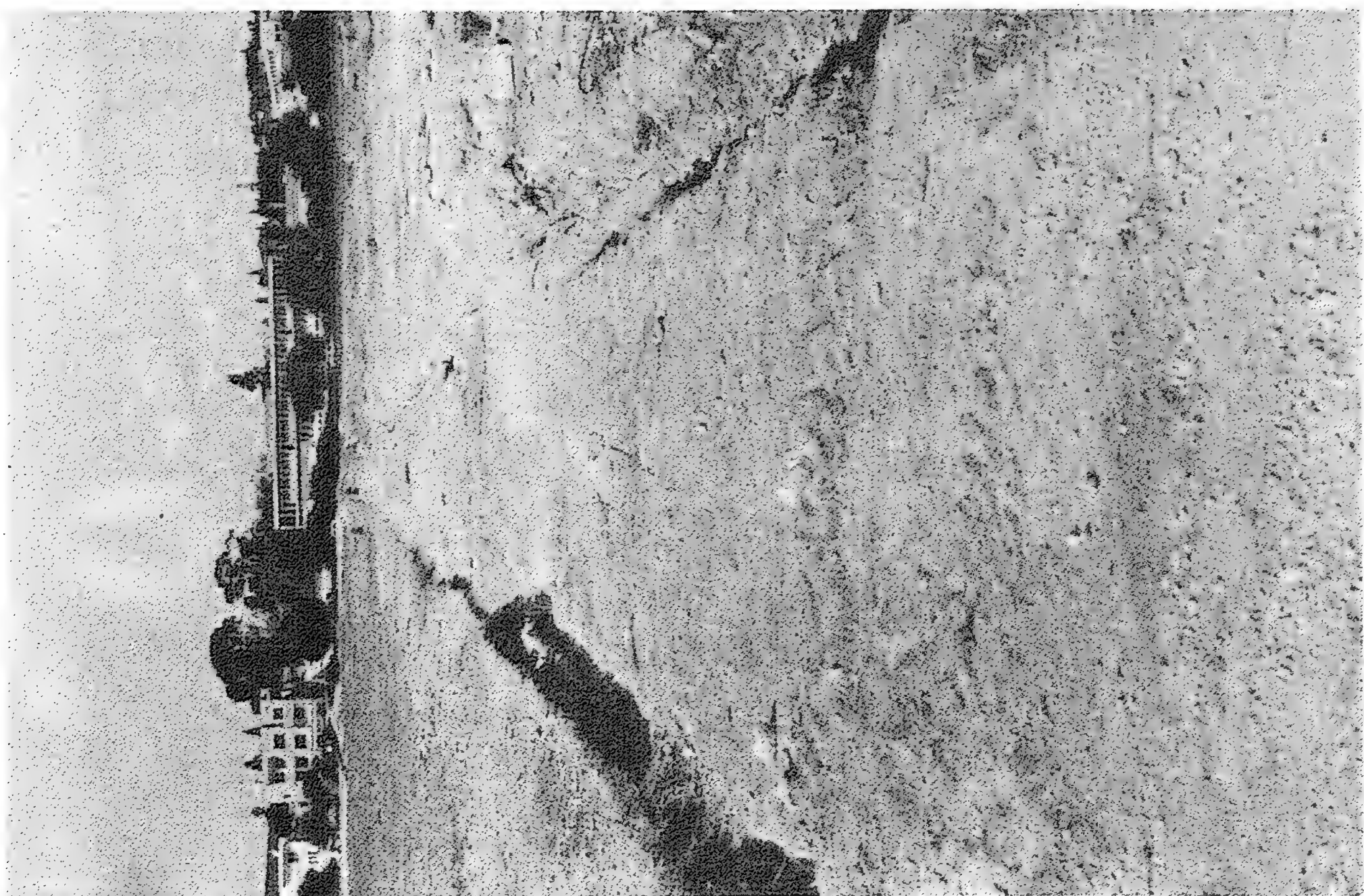
وقد قارن سولينياك هذه البركة والتي توجد في رقادة (قصر البحر) والتي بناها زيادة الله الأغلب بين سنة 903م و 909م ويرى أن مساحتها الجمالية تبلغ 19000 متر مربع، إلا أن الأبعاد الحقيقية لهذه البركة هي : 120م من الطول و 40م من العرض، مما يجعل مساحة هذه البركة 4800 متر مربع.

سمحت اذن هذه الحفريات باضافة معلومات جديدة حول ثراء البلاد التونسية بشتى النماذج من المنجزات المائية، وبوجود تواصل عبر التاريخ، بما أن بركة أبي فهر في غمطها مع بركة أخرى انجزت في العهد الأغلب، كما أن مساحة هذه البركة يعتبر هاماً جداً بالمقارنة مع أغلب البرك التي أمكن الاطلاع عليها الى حد الآن.

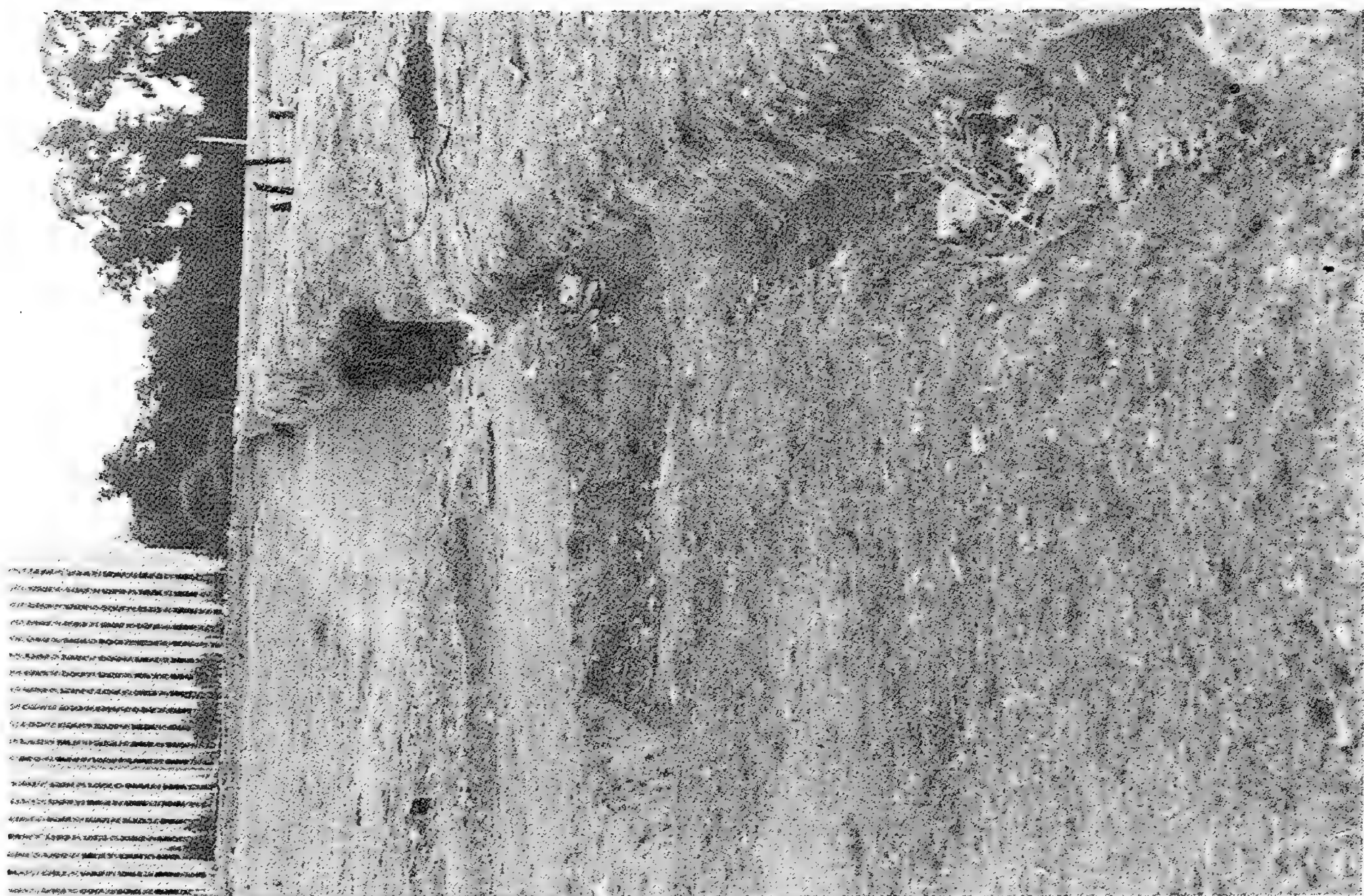
المصادر والمراجع

- ابن أبي دينار (أبو عبد الله) "المؤنس في أخبار إفريقية وتونس" تحقيق وتعليق محمد شهاب، تونس 1967
- ابن أبي الضياف (أحمد) "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان تونس 1963 - 1966
- ابن خردادبة (عبد الله) : "المسالك والممالك" (ليدن - بريل 1967)
- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر" بيروت 1959 .
- ابن الشماع (أحمد) " الادلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية " تحقيق عثمان الكعاك، تونس 1936
- ابن الفضل الله العمري : "مقتطف من كتاب مسالك الامصار في ممالك الاسفار : افريقية والمغرب والاندلس" : شرح ح.ح. عبد الوهاب - مطبعة النهضة - تونس - بدون تاريخ.
- شيوخ ابراهيم : "مصادر مياه ماجل ابي ابراهيم أحمد بن الاغلب" مقال غير منشور.
- ابن قنفذ : "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية" ، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس 1968
- الادريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس : مأخوذة من كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ليذن 1968
- البكري (أبو عبيد) : "المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" (الجزائر 1911)
- الزركشي (محمد) : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية : تحقيق وتعليق محمد ماضور - تونس 1966
- المقدسي : "أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم" (ليدن 1906)
- القاضي النعمان بن محمد : "المجالس والمسائر" - تونس 1978
- عبد الوهاب ح.ح. : "ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية" مطبعة المنار الجزء الأول 1965 والجزء الثاني 1981
- اليعقوب : كتاب البلدان : ترجمة إلى الفرنسية : Gaston Wiet
- Brunshvig (R) : "La Berberie Orientale sous les hafides des origines à la fin du XVe siècle" - Paris - 1940
- Graham Petré : "Tunis, Kairouan and Carthage" London, 1908
- Daoulatli A. : Tunis sous les Hafides - Tunis 1976
- Caillot PH. "Note sur l'Ancien Aqueduc de Carthage et sa Restauration" Paris, 1873
- Solignac J. M. : "Travaux hydrauliques Hafides de Tunis" Revue Africaine 4ème trimestre 1936 - pp. 517-580
- Solignac J.M. "Les installations Hydrauliques de Kairouan et des Steppes Tunisiennes du VII au XIè siècles T.X (Alger 1953)
- Lezine A. : "Deux villes d'Ifrqiya" Paris 1971
- Lezine A. : "Architecture d'Ifrqiya, Recherches sur les monuments Aghlabides" Paris 1966.
- Gauckler (Paul) : "Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques" Paris 1902.

بقايا الجدار الشرقي بعد الحفرية

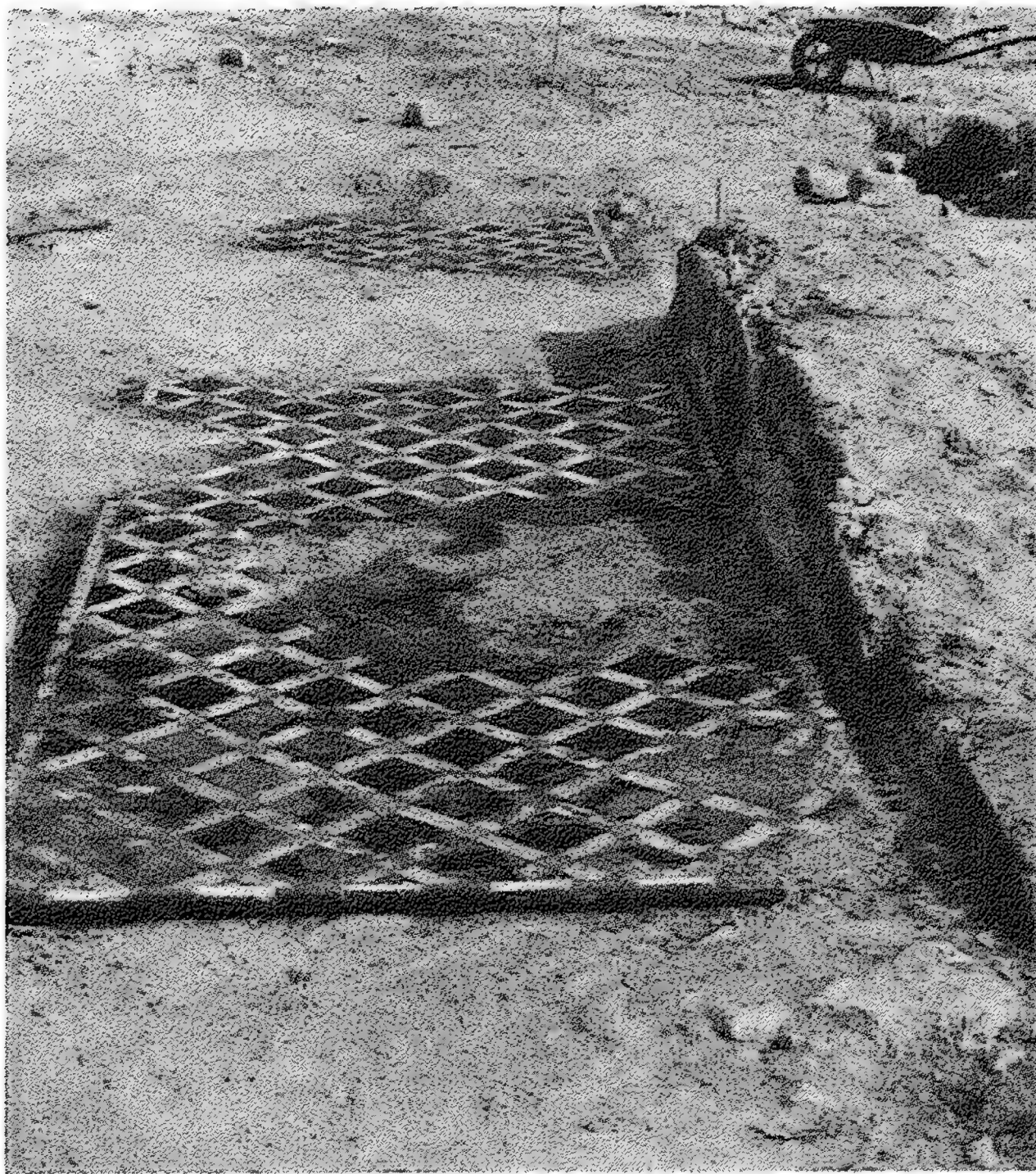
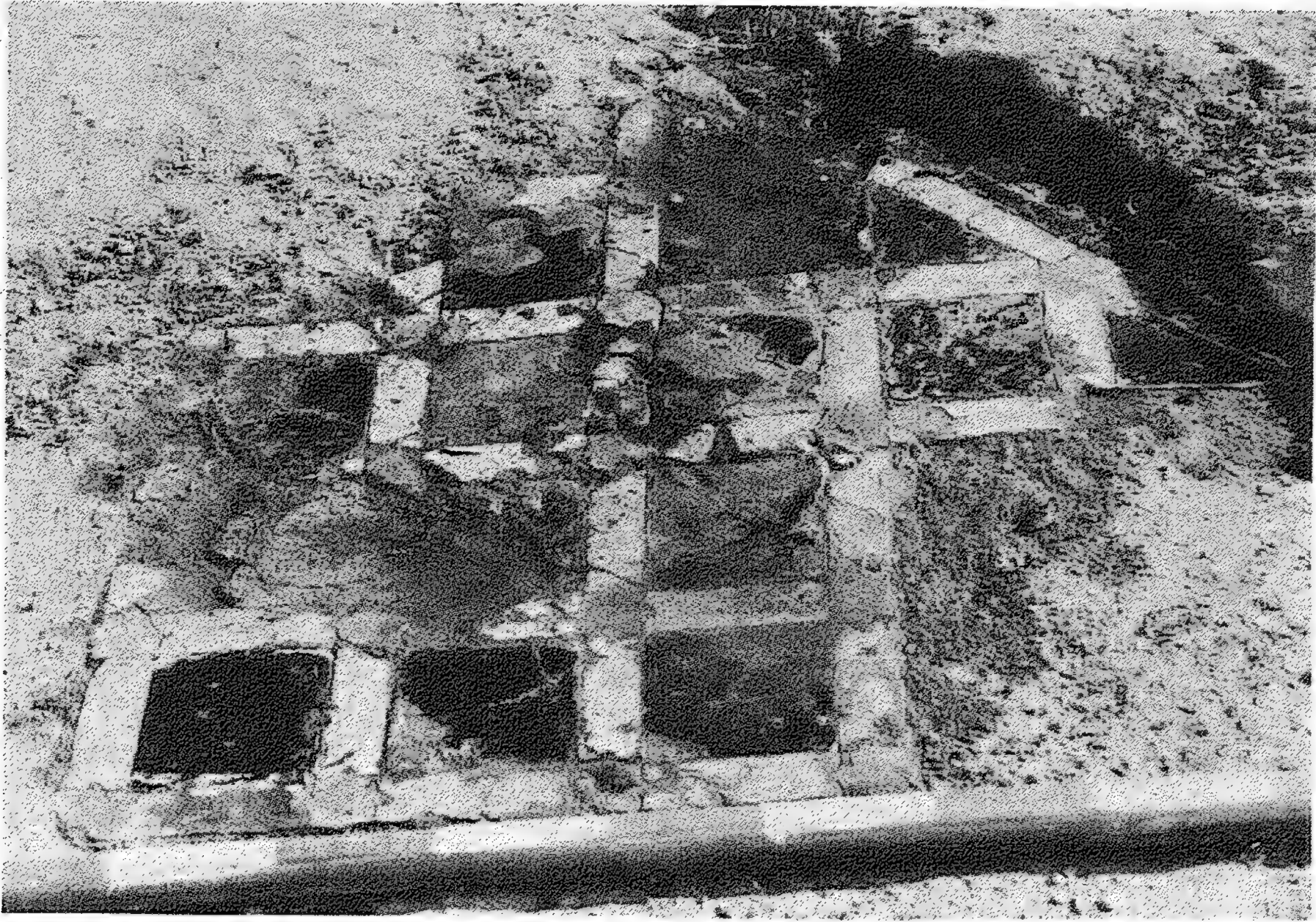


الجدار الغربي

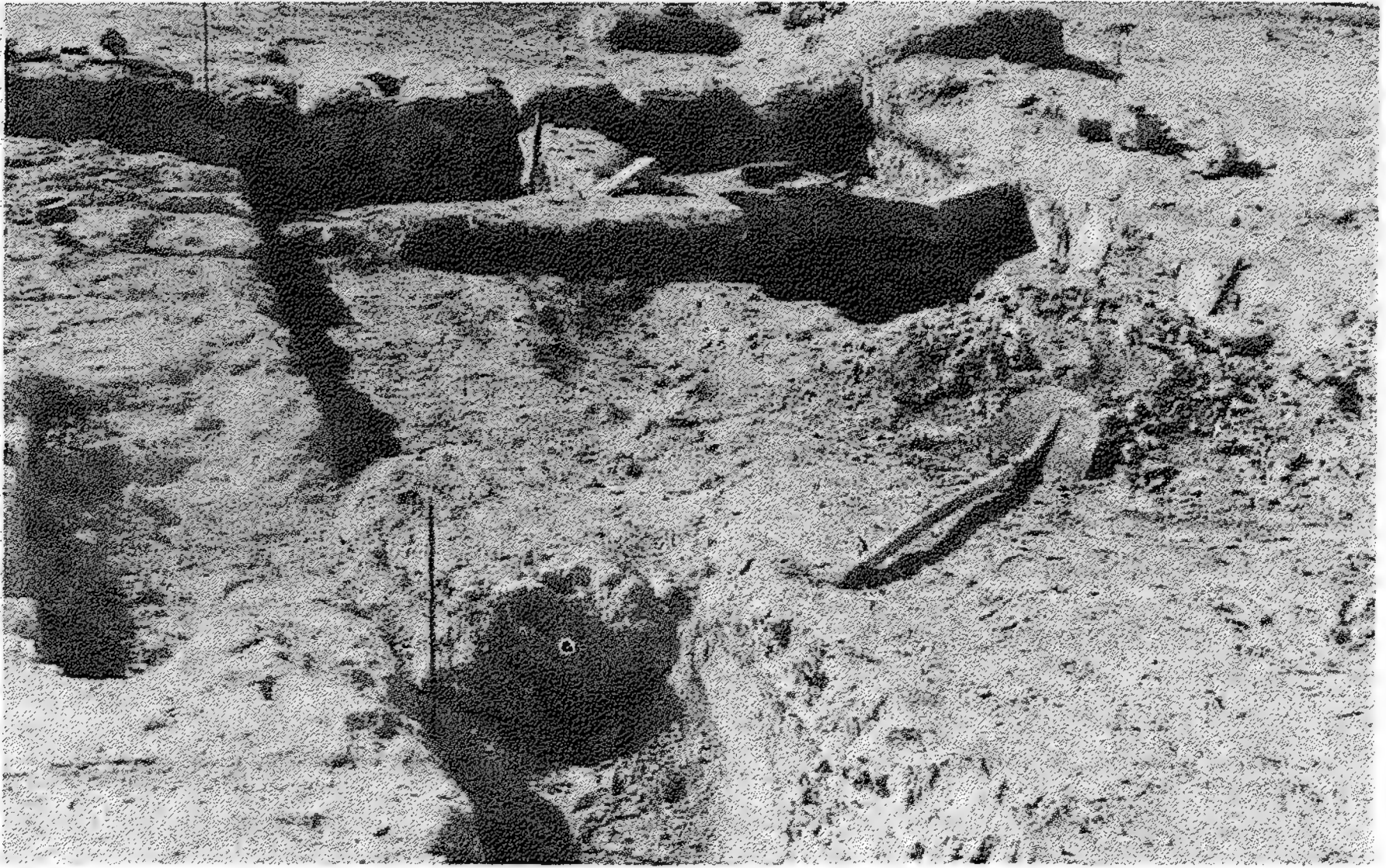




أرضية البركة
بالقسم الشمالي



التبليط الحفصي الراجع
للقرن السابع هـ / 13 م



الحفريات في الناحية
الشمالية للبركة



قناة لتصريف المياه
المستعملة بأرضية الجهة
الشمالية

الرسوم والنقائش الحجرية في القديم في تونس

أ. منصور غاقي

تمتاز البلاد التونسية بشراء تراثها التاريخي والحضاري الذي غطى جل المراحل التاريخية ابتداء من فترة ما قبل التاريخ الى نهاية العصر البيزنطي وبداية الفتح الاسلامي . وقد شمل هذا الارث جميع الميادين سواء التي ارتبطت بالحياة اليومية أو المعتقد أو العادات الجنائزية .

وتعتبر الرسوم والنقائش من أهم مكونات المخزون التراثي التونسي وبالإمكان تصنيفها حسب معايير مختلفة وذلك باعتبار

(1) الانتشار الجغرافي

(2) التسلسل الزمني

(3) نوعية الأثر (رسوم - نقائش ...)

1- فمن الناحية الجغرافية نلاحظ انتشار الرسوم وبنسبة أقل النقائش على كامل أنحاء البلاد التونسية ، مع تركيز في مناطق الشمال والشمال الشرقي وقد تفسر الكثافة الملحوظة في مناطق الشمال بكثافة السكان بهذه المنطقة الخصبة منذ القديم .

2- وتمتد هذه النقائش والرسوم من فترة ما قبل التاريخ (حوالي 3500 ق م) إلى نهاية الفترة البيزنطية (أي 6+7م) وهذا يعني أن النقائش والرسوم غطت مدة طويلة جدا تمتد على حوالي 4000 سنة .

ويمكن الإشارة إلى أن نسبة الرسوم الجدارية أكثر ارتفاعا من النقائش والنحوتات ، وأغلب الرسوم التي عثر عليها توجد داخل غرف الدفن وهي تعود أساسا إلى الفترة البربرية القديمة (الألف الأولى قبل الميلاد) والعصر البوني (القرن الثالث قبل الميلاد) .

3- نوعية الأثر، يمكن تصنيف الأثر في هذا الباب حسب الموضع الذي وجدت به .

- فهناك النقائش والرسوم التي توجد أما بالملاجيء أو في الهواء الطلق بسفوح الجبال ويمكن أن تعود اما لفترة ما قبل التاريخ أو الفترة الرومانية مثال ذلك رسوم جبل وسلات وغمراسن والجبيينة (بالنسبة لفترة ما قبل التاريخ) وبشمتو (بالنسبة للفترة الرومانية).

- وهناك رسوم بداخل غرف الدفن وقد تكون بربرية قديمة أو بونية مثال ذلك في بن يصرى وجبل ملزة.

أ) فترة ما قبل التاريخ :

عثر على رسوم لأربعة مواقع بجبيينة وجبل وسلات وتمغزة وغمراسن وتوجد هذه الرسوم بملاجيء كان يعيش بها انسان ما قبل التاريخ .

وجل هذه الرسوم جاءت تشخيصا للحياة اليومية من ذلك مشاهد الصيد سواء قصد العثور على القوت أو قصد الاحتماء من الأخطار، وأهم الحيوانات المرسومة هي الكلاب والأغنام والضباع والنمور والزرافات والغزلان .

إلى جانب ذلك عثر بجبل وسلات على رسوم تمثل أشخاصا رافعين أيديهم نحو السماء، وقد فسر هذا المشهد على أنه موقع ابتهاج وتعبد وهذا التفسير نظري لأنه يفترض الاعتقاد في آلهة وهو ما لم يتأكد بعد من الناحية التاريخية، وفي جبيينة رسم أشخاص على رؤوسهم ريش الطيور وهو ما يفردهم عن غيرهم من الناس وقد رأى المختصون في هذا الزي رسما لأشخاص متميزين اعتبرهم البعض رجال دين .

ب) الفترة البربرية القديمة :

توجد جل الرسوم المتعلقة بهذه الفترة داخل غرف الدفن المنقورة بسفوح الجبال والتي اصطلح عليها بالحيوانات أو بالغرف وعثر على أغلبها بمنطقة الشمال التونسي، وتمثل هذه الرسوم 3 مواضيع :

* أشكال هندسية .

* حيوانات أليفة أو شرسة (الكلاب -العنز - الأبقار - الغزال - الأسود...).

* أشخاص في مواقف مختلفة، (مواقف مصارعة - مواقف مصارعة حيوانات

- أشخاص مسلحون بعصي أو رماح .

وتتماز رسوم هذه الفترة عموماً بتأثرها الشديد بالحضارة البونية ويزر هذا بالخصوص في رسم البواخر والآلهة بعل وتانيت وأضرحة ومذابح، ففي جبل الجبوس يوجد بأحد القبور رسم لفارس يمتطي جواداً، إضافة إلى ضريحين يعلو كل منهما ديك، ويرى بعض المختصين أن الديك هو رمز الروح.

(ج) الفترة البونية :

توجد الرسوم بالأساس داخل غرف الدفن نذكر على سبيل المثال غرف جبل ملزة وسيدي سالم. ففي جبل ملزة غطت الرسوم الجدران الثلاثة لغرفة القبر:

* على اليسار - رسم ديك وضريح ومذبح يعلوه نار

* على اليمين - رسم من جديد وضريح ومذبح

* على الواجهة - رسم ديك ومثال لمدينة محاطة بسور

وقد فسر الرسم داخل هذه الغرفة على أنه تسلسل لرحلة الروح الممثلة في الديك إلى أن تصل لمدينة الأموات.

(د) الفترة الرومانية :

أهم موقع بالنسبة للنقائش الحجرية الرومانية هو موقع شمتو الذي نعر فيه على نقائش (Reliefs) يصل عددها إلى حوالي 200 نقيشة تحتوي على تشخيص للمتعبد مصحوباً بالحيوانات التي تقدم قرايين للآلهة ستورنوس.

كما يوجد بشمتو مجمع الآلهة النوميديين منقوش على سفح الجبل الشرقي من المدينة وهذا ما يجعل هذا الجبل متميزاً إذ يحتوي على المعلم النوميدي الذي تحول ليصبح في نهاية القرن الثاني الميلادي معبد الآلهة ستورنوس كما يحتوي على معبد الآلهة سيلستيس ومعبد آخر للآلهة الماوريين "Dii Mauri".

وبنفس المدينة داخل مقاطع الرخام بشمتو وقع انجاز نقيشة جنائزية تعود للفترة المسيحية.

ان المتأمل في الرسوم والنقائش الحجرية التي عثر عليها بالبلاد التونسية والراجعة إلى الفترة السابقة لدخول العرب يلاحظ:

أولاً: أن النقائش والمنحوتات الراجعة في أغلبها إلى الفترة الرومانية لا تطرح
عموماً إشكالات من حيث التأريخ والتفسير وذلك لاحتوائها على قرائن مكنت من
تطوير البحث في هذا المجال .

ثانياً : أن الرسوم سواء كانت من فترة ما قبل التاريخ أو الفترات اللاحقة يبقى
تأريخها غير مضبوط وعاماً اذ يمتد في بعض الحالات على مدة زمنية طويلة (ألف
سنة) كما يبقى تفسيرها محل جدل بين المختصين وذلك لتشابه الموضوعات المرسومة
أولاً ولعدم تمكن البحث من معطيات جديدة بتسليط الأضواء على هذه الرسوم ثانياً .

المراجع

- Mh. H. FANTAR: La décoration peinte dans les tombes puniques et les haouanet libyques de Tunisie, AFRICA X, 1988, pp. 28-49.
- M. GHAKI: Les haouanet de Sidi Mhamed Latrech (sous presse).
- A. GRAGUEB: Une nouvelle station de représentations rupestres dans le sud tunisien (Aïn Sifri, Ghomrassen), REPPAL V. 1990, pp. 153-162.
- T. KRAUS: Die Felsreliefs am Tempelberg, SIMITTHUS I, DAI (Rome), INP (Tunis) 1993, pp. 71-87.
- M. LONGERSTAY: Les peintures des haouanet de Khroumérie et des Mogods, Revue Archeologique De Picardie 1.2, 1990, pp. 119-131.
- M. SOLIGNAC: Les peintures repestres de la région de Djebibina, Revue Tunisienne 1936, pp. 1-56.

بعض المنشآت المائية القديمة في الجماهيرية

أ. محمد عطية الله الشلماني

بعض المنشآت المائية القديمة في الجماهيرية

إن المتغيرات المناخية التي حدثت بعد العصر المطير وسيطرة الجفاف في العروض المعتدلة الدفينة ترتب عليها هجرة جماعات بشرية في اتجاهات مختلفة بحثا عن مصادر المياه، وبالطبع كانت البحيرات والأنهار هي أماكن الجذب الأولى لتلك الجماعات التي جعلتها أماكن استقرار ومعيشة وبذلك بدأت تتعامل مع الطبيعة منذ القدم... وظهرت المنشآت المائية المختلفة تبعا لاختلاف مصادر المياه والعقلية البشرية المنفذة.

كما أن امتداد الوطن العربي من المنطقة الاستوائية إلى المنطقة المعتدلة جعله يتمتع بسقوط أمطار موسمية استوائية في جنوبه تغذي البحيرات والأنهار وأمطار شتوية في شماله تستعمل للرعى والزراعة، هذه الأمطار الغزيرة يتسرب جزء كبير منها ويغذي المنسوب الجوفي، حتى يحدث تشبعا جوفيا يعمل على تآكل بعض الطبقات الصخرية الهشة نتيجة للنحت المائي ويحث الينابيع والعيون بينما البقية يمكن استخراجها بحفر آبار غير عميقة.

من تلك المعطيات الجغرافية والمناخية ترتب على سكان الوطن العربي التعامل مع مصادر المياه بطرق مختلفة فكانت الحضارات المقامة على الأنهار لها تقنياتها الخاصة بصنع الوسائل التي ترفع مياه النهر إلى الأرض بطرق يسيرة، بينما الحضارات المقامة على مياه الأمطار تفننت أيضا بصنع البدائل عن الأمطار في فترات انقطاعها وذلك بصنع الأدوات المختلفة الحافظة للمياه، كما أخذت منذ القدم على عاتقها بناء السدود والعمل على عاتقها بناء السدود والصهاريج لحفظ المياه.

وبذلك أصبحت السدود والصهاريج والآبار هي مراكز الجذب الحضاري مثلما الانهار في بلاد الرافدين ومصر والسودان، وهكذا تنوعت الحضارات وتعددت المنشآت المائية تبعاً للثقافات المختلفة والقدرة التقنية الناجمة عن المهارات المختلفة من بقعة إلى أخرى.

وبالطبع في هذا البحث البسيط لا يمكن أن أعطي ولو نبذة بسيطة عن المنشآت المائية المختلفة في الوطن العربي... بل ولا حتى في الجماهيرية نفسها... ولكن سأكتفي بأخذ بعض النماذج عن التقنيات المختلفة التي أرى أنها تكون جديرة بأن يسلط عليها الضوء أكثر من غيرها ولا اسهب في الكلام عن الأشياء المدروسة لعدم الجدوى بل سأكتفي بالإشارة فقط.

الصهاريج :

الصهاريج أبنية تحفر في الأرض أو تبني بجدران والغرض منها حفظ المياه لاستعمالها لاحقاً، وقد تنوعت من حيث الصنعة والحجم والغرض فعملت صهاريج للمدن تختلف عن الصهاريج المستعملة لغرض الزراعة وإن كان الغرض هو حفظ المياه... وقد لاحظنا في الكثير من الصهاريج المبالغة في استعمال الحجارة الكبيرة كما في الصفصاف بالقرب من مدينة البيضاء حيث جمال التعشيق بالنسبة للحجارة والقفل بطريقة مفتاح الزاوية على طول الصهاريج... كما أن صهاريج توكرة وطمميتة تخدمان نفس الغرض ولكن سأكتفي بإلقاء الضوء على صهريج طلمميتة.

الصهاريج بطلمميتة :

مبنى كبير جداً ومعقد من حيث الهندسة على مساحة تقدر بحوالي 65,85 x 70,60 وقد عمل بالطريقة التقليدية كمبنى من المباني رذات الأروقة مع استعمال الحجارة الكبيرة في الدعامات والأعمدة الأيونية كما عمل له مدخل رباعي بأعمدة دوية، ويمكن أن تصل إليه المياه من أعلى السطح بالانسياب الطبيعي السطحي أو عن طريق قناة موصلة إليه من الجنوب الشرقي - بينما يبقى الصهريج من الداخل على شكل غرف مسقوفة بطريقة القیوات المصطبة العليا للصهاريج مبلطة ومحاطة بأعمدة من الجهات الجنوبية الشرقية والغربية مع مدخل رباعي من الناحية الشمالية.

والصهاريج نفسها بقدرة تخزينية هائلة حيث نرى أن مربع الصهاريج مقسم إلى ثلاثة أقسام في الوسط يحوي تسع غرف معمولة بشكل قيوات طويلة من الشرق إلى الغرب بطول 19 متر وعرض ثلاثة أمتار. بينما الثلثين الآخرين على جانبي القسم السابق كل منهما يحوي أربع مربعات نتيجة بعكس المربع السابق الذي في الوسط حيث نرى أن امتداداتها من الشمال إلى الجنوب وهي مقسمة إلى ثماني مربعات طول كل مربع أو غرفة 52 متر وعرضها 3،5 متر - ويتراوح العمق من 11 إلى 12 متر من القمة عند الفتحات إلى سطح الأرض - وقد استمرت الصهاريج في عملها حتى بالرغم من حدوث الزلزال الكبير عام 365 (11)، فإنها بقيت تعمل حتى نهاية العهد البيزنطي - وقد لوحظ من أيام الطليان عندما قاموا بفحص جسر صفيز على وادي زيوانة وجود قناة تغذى الصهاريج آتية من الشرق - حيث ارتفاع الجسر 34،70 فوق سطح البحر بينما مربع الصهاريج 30،25 فوق سطح البحر.

وقد عملت الصهاريج بشكل قيوات مطلية بملاطك معمول من خليط من الحجارة الصغيرة مع معجون المياه المدشنة. ويمكن الاستفادة من المعلومات عن الصهاريج بطلمية بالقاء نظرة على الدراسة المقدمة من جامعة شيكاغو أثناء حفرياتها بطلمية⁽¹⁾.

قناة طلمية :

ان فكرة توصيل المياه من عين حيون لطلمية بمسافة تقدر بحوالي 24 كيلومتر أوجدتها قلة الموارد المائية بالمنطقة وكبر حجم المدينة وكثافة سكانها - وقناة طلمية كغيرها من القنوات من حيث الصنعة بطلمية لأنها تفوقها بطول المسافة من المنبع بحيون إلى الصهاريج بطلمية كما ان القناة تعترضها العديد من الأودية في طريقها الأمر الذي جعل الجسور هي الوسيلة الوحيدة لضمان سير القناة وقد اقيمت دراسة في السابق لتتبع مجرى القناة من المنبع إلى الصهاريج² حيث اثبتت ان المجرى الاسمى للقناطر بيتدي فعلا من وادي حيون وتبعته حتى الصهاريج بطلمية مرورا بالعديد من الأودية مثل وادي المرايمي. ثم وادي الملكة ووادي الرمان، ثم تختفي كذلك تمر بوادي الحنية ووادي شقلوف، ثم تظهر الآثار مرة أخرى بوادي الصومعة

(1) Ptolemais City of the Libyan Carl. H. Kraeling Pentopolis - University of Chicago 1962 p. 54.

(2) قام بالدراسة الأستاذ عبد السلام بازامة والأستاذ كريس آرثر ونشرت بالمجلد الحادي عشر والثاني عشر عمل ليبيا القديمة 1974-1975.

وبعده إلى وادي زيوانة الذي به الجسر الواضح حتى اليوم - كما ان الدارسين لم يحدد بالضبط هوية البناء الذي واضح أنه من العهد الروماني كما يشير ان القناة لا تبدأ بعين حيون ولكن تبدأ من الوادي فوق العين .

المهم ان القناة تعتبر من الأعمال الجيدة من حيث الصناعة والبناء كما ان طرق هندستها والمواد المستعملة بها تتفق مع آراء فتروقيوس في الصناعة الذي يورد الكثير من الآراء كإضافة الرماد بعد البناء لسد الثغيرات التي قد تحدث بالقنوات أو الخلطة الجيدة التي يمكن أن تجعل حتى للماء طعاماً مميزاً وغيرها من الآراء التي ذكرها كالتقنيات الخاصة برفع المياه وسرعة اندفاع المياه عند مرورها بالوديان والرصف التحتي للقنوات والخلطات المستعملة فيه ، والنكهة الخاصة لو ان المياه تمر عبر أنابيب صلصالية أو قنوات محكمة الغطاء⁽³⁾ .

كما ان توصيل المياه من أماكن بعيدة ربما يكون تبعاً لأفكار فتروفيوس الذي يوصي باستغلال المياه كمصدر اقتصادي حيث تجلب من بعيد عبر قنوات وتوضع في خزانات تحكم وتكون حاجة خاضعة لأوامر الدولة التي تستغلها اقتصادياً لرفع ميزانيتها عبر تقسيماته المشهورة من مياه للأفراد ومياه خاصة ومياه تخدم أغراض الدولة الأخرى⁽⁺⁾ .

هذا يمكن أن يعطي قناة طلمیثة ولو المزيد من التوضيح لمن لم يتمكن من زيارتها أو القراءة عنها كما يمكن ان يوضح ان تغذية الخزانات بطلمیثة ربما يكون لغرض اقتصادي لرفع موازنة الدولة باتثمارها اقتصادياً .

جدران الأودية :

ان قدم استعمال جدران الأودية " قدم الحضارة نفسها وكانت تعمل بطريق نادرة ومتقنة وتتلائم مع جميع الأغراض المعمولة من أجلها " ومن القرن الأول الميلادي ، بدأت تتطور تبعاً للظروف وتتكيف مع تقلبات المناخ . . ويقع تحت هذا الاسم كل الجدران الموجودة بالأرض الزراعية وعلى سفوح الجبال والجدران القاطعة للأودية وكذلك السدود البسيطة . ويمكن تقسيم الأنواع الموجودة عندنا إلى عدة أنواع منها :

Vitruvius. the ten books on Architects Translated by H. Morgan 1914, p. 244-246 (3)

Vitruvius the Sun (+)

(1) سدود بسيطة تعمل للاحتفاظ ببعض المياه لاستعمالها لاحقا ولفترة ليست طويلة وتكون مدعمة بحجارة كبيرة تصل إلى مترين طولاً ومتر عرضاً وارتفاعاً . . . وغالباً ما تبني في روافد الأودية الكبيرة وتكون متصلة بجانبى الرافد وتحجز كمية من المياه تستعمل لري الحيوانات والزراعة بالوادي الكبير .

وفي وادي العامرة إلى الشرق من مدينة سرت بحوالي 60 كيلومتر أحسن مثال على تلك السدود البسيطة التي تتغذى من المياه الموجهة إليها عن طريق جدران توجيه توصل كل نقطة من مياه الأمطار داخل منطقة جذب المياه بالسفوح وتوجيهها خلف السد حتى يمكن الاستفادة منها فيما بعد .

(2) سدود لمنع التربة من الانجراف المائي وهذه تعمل عادة وسط الوادي وتقطع حتى الجهة الأخرى وهي عبارة عن جدران حجرية كبيرة تسمح بترسبات ورائها وبذلك تحافظ على الأرض الزراعية من الانجراف وتساعد على توازن في الري بتوحيد منسوب التربة .

(3) جدران جانبية على طول الوادي ، وعادة تكون أسفل السفح وهي مهمة جداً وتعمل بحجارة كبيرة وتكمن أهميتها في أنها تتمتع تساقط الحجارة الكبيرة من سفح الجبل . . . وتحجزها إلى حين يمكن التقاطها واستعمالها . . . وتعلم ان الوادي عندما تجرى مياهه بقوة يكون مدمراً اذا كانت به حجارة حيث تدمر كل شيء في طريقها . ويمكن تهدئة المياه وتوجيهها كانت خالية من الحجارة وهذه الجدران توجد بوادي منصور شمال مدينة بني وليد ومعظم أودية المنطقة الغربية مثل نفد وعجرم وغين كذلك بوادي العامرة وهاوة بالمنطقة الوسطى .

(4) جدران توجيهية: وهذه الجدران هي أساس النظام المائي كله حيث لابد من توجيه المياه إلى مناطق معينة وتستعمل لهذا الغرض جدران تصد المياه ، وتعمل على توجيهها . . . والتوجيه عادة اما ان يكون من منحدر مائي الى صهيرج كبير يحفظ المياه أو أن يكون الى أرض في حالة تقسيم مناطق جذب المياه عندها نرى أن كل مزرعة صغيرة لا بد أن تستفيد من منطقة جذبها وتضمن وصول المياه إليها ومن أمثلة هذا النظام نظام الري في أعالي وادي العامرة جنوب الطريق الساحلي بحوالي 30 كيلومتر بمنطقة سرت ووادي اهاوة .

5) بعض الاحيان نرى ان جدران توجيه المياه تعمل بشكل قنوات وهذا ربما لكون منطقة جذب المياه من المنحدر وتوجد بها بعض الحجارة التي يخشى من أنها تغلق المجرى وتوجد بها فتحات تسمح بانسياب الماء اليها وفتحات أخرى تسمح بخروج الماء منها تحت التحكم.

6) جدران الحدود: وهي عادة تكون مربعة وتستعمل في قاع الوادي والغرض منها قسمة الأرض بين المتفعين وتكون مفتوحة من جهة واحدة أو جزء من الجهة، بالقرب من جدار توجيه الماء لتسمح بدخول الماء من المنحدر إلى المزرعة وغالبا ما تكون هذه الجدران مبنية بطريقة منظمة وأحيانا تبرز على السطح، وأمثلتها كل التقسيمات الزراعية في وادي ميمون ووادي غبين قرب مدينة بني وليد.

7) جدران تقطع التل من الأسفل إلى الأعلى وتقطع أيضا جدران توجيه الماء الأسفل، وهذه الغرض منها حجز كمية معينة من الماء عند المجرى الطبيعي لها واجبارها لتغيير مسرها لمزرعة معينة وعلى هذا الأساس يمكن أن نصنفها على أنها جدران توجيهية ولكن بطريقة مختلفة.

8) جدران تعويقية: ومهمتها تهدئة المياه الشديدة السرعة وهذه غالبا ما تكون في الأودية ذات المجرى الفسيح وهذه تكون طويلة أي على طول الوادي في الوسط أي في إحدى الجهات التي تكون بها السرعة كبيرة وتقسم مجرى الوادي إلى جزئين وبذلك تحطم قوة جريانه وتصل إلى الموقع المراد وهي بحالة هادئة جدا وأورد مثلين أحدهما من الشرق بالقرب من مدينة المرج والآخر من الغرب بوادي منصور بالقرب من بني وليد.

أما المثل الأول فهو سد قديم بالقرب من مقبرة سيدي سليم جنوب مدينة المرج بحوالي 8 كيلومتر، عن طريق جردس.

هذا السد عمل بحجارة كبيرة جدا وكن الغرض منه حفظ التربة ومنعها من الانجراف في منطقة حجرية بها اندفاعات مائية سريعة. إن كبر هذا السد وكبر حجارته التي تتجاوز المترين طولا وأكثر من متر في العرض والارتفاع كان سبب صموده حتى الآن التحكم في المياه عن طريق السدود التعويقية الطويلة التي تعمل على تهدئة المياه حيث تصل السد الكبير وهي بطيئة الجريان.

وعندما رمت السدود التعويقية أو استعملت بدلا منها سدود حديثة كبيرة الحجم وكثيرة الحجارة ملفوفة بأسلاك حديدية لزيادة تقويتها ولكن لم تعمل على أساس أنها مهدئة للمياه بنفس الطريقة السابقة في قسمة الوادي إلى أجزاء للتحكم في اندفاع المياه عندها نرى أن المياه دمرت كل السدود الحديثة الأربعة وأحدثت ضررا بسيطا بالسد الكبير نتيجة وصول المياه اليه وهي بحالة هيجان واندفاع شديد.

إن هذا المثل يعطينا الدليل على أن العقلية القديمة في دراسة المياه والتعامل معها والتحكم فيها هي أقرب إلى الصواب من الدراسات الهندسية الحديثة التي تعتبر هذا المثال دليلا عن فشلها.

أما المثل الثاني فهو من مزرعة مقامة بقعر الوادي في وادي منصور بمنطقة بني وليد، إن عمل المزرعة في قاع الوادي في وقت كانت فيه المياه شديدة التدفق عندما نحسب الصهاريج الخمس المقامة على سفح الجبل فوق بعضها والتي تصل إليها المياه من منطقة جذب فوق الوادي ولكنها ليست كبيرة لا تتناسب مع كبر الصهاريج التي تصل إلى 5×8 مترا وأحيانا أكثر، إن عمل المزرعة في قاع الوادي يجعل المهندس الذي أنشأها مطمئن على سلامة نظرياته في سدود التوجيه والتهدة للمياه المتدفقة بالوادي حيث تتم في النهاية قسمتها إلى نصفين تمران بجانب المزرعة يمينا ويسارا، نتيجة لتكسير حدة جريان الوادي بسدود التهدة الطويلة والتي لم يتبقى منها إلا بعض الحجارة البارزة ولكن ما زالت تؤدي نفس الغرض.

هذا قد يكون قد ألقى بعض الضوء على الجدران الموجودة في المناطق الزراعية والتي تخدم أغراض مختلفة ولكن لم يسلط عليها الضوء بما فيه الكفاية حتى في الدراسات التي قامت بها البعثات الأجنبية في مشروع الوديان لم تعطها حقها من الدراسة الدقيقة وتبرز أهدافها وأغراضها.

الآبار :

كما سبق أن نوهنا في مقدمة هذا البحث عن أن المياه التي تتسرب إلى جوف الأرض يمكن أن تخرج ثانية نتيجة للعيون والينابيع ولكن في حالة عدم خروجها التلقائي يضطر القدماء إلى حفر الآبار للتزود بالمياه وقد كانت الآبار العميقة آية في فن المعمار من حيث الرصف الجيد لجوانب البئر بحجارة متساوية. إن عمق الآبار

القديمة يذكرنا بما يقوله فتروفيوس عن الآبار وعن التربة والغازات والمواد والعناصر التي تتفاعل مع الهواء والتي تحدث اختناقاً للعاملين بالحفر يؤدي إلى الوفاة إن لم يسرع بالهرب وذلك لوجود الزفت والسلفور Sulphur والأليوم Alum وهو بحديثه هذا ينبه عن الاحتياطات الواجب عملها في حفر الآبار وذلك بالنزول بمصباح مضاء ويمكن العمل طالما أن المصباح ما زال ينير، وفي حالة إخماده عندها لا بد للعامل من النجاة بحياته⁽⁵⁾.

إن انتشار الآبار في كل مناطق الجماهيرية بدل على انتشار الناس منذ القدم، ويمكن أن تبرز بعض الآبار مثل بئر السويدية بالقرب من سرت، والهمالية، ومنطقة الجدوبية بوادي تلال والتي تكثر فيها الأسس المعمارية والجدران المختلفة الأغراض حيث توضح لنا بأنها مستوطنة قديمة بها كانت المقومات للزراعة الشتوية وكذلك الآبار العميقة والصهاريج لاستمرار المعيشة صيفا.

كما إن بعض الظواهر الطبيعية والتي تجعل من الأرض تغور في مكان نتيجة لانكسار هائل في القشرة الأرضية كثيرا ما تنتهي بتدفق ماء ولكن يكون بعيدا ويستغل متى عرفت الطرق إليه. هذه الظاهرة مثلاً في عين المزراق بالقرب من وادي سوف الجين هوة عميقة وغزيرة المياه وطولها يتجاوز الـ 100 متر ووجدنا لآثار لمدار ست جمال بست اتجاهات لتجذب المياه من قعر البئر في وقت واحد لجميع الاتجاهات.

كذلك ظاهرة أخرى جنوب المرج وما يعرف بالدولينا وهي صفرة غائرة كما في عين المزراق وكانت في الماضي تستعمل أيضاً في الزراعة والري بنفس الطريقة في عين المزراق ولكنها الآن خالية من المياه نتيجة الردم الطبيعي البشري.

أيضا يمكن دراسة ظاهرة أخرى تسمى بظاهرة الجوابي وهي طريقة قديمة جدا لجمع كميات من المياه سوى عن طريق الأمطار أو عن طريق جذب المياه من بئر قديمة.

إن جابية أسكوت بمنطقة سرت دليلاً على أن الجابية عاملاً من عوامل الزراعة القديمة وغزارة الفخار الروماني والمحلي لأبلغ دليل على قدم هذا الموقع واستعمالات الجابية في أغراض زراعية كما أن جابية أسكوت لكبر حجمها تدل على غزارة في المياه ودوام في الاستعمال لفترات كثيرة.

V.T. Puvws. The Sam. p. 247 (5)

إن النظم الزراعية القديمة المتكاملة والقائمة على الجابية والصهريج وسدود التوجيه هي السائدة في فترات قديمة ومعاصرة ولكن نرى استعمالات قديمة جدا من القرن الأول الميلادي عند موقع بنت حديدة شرقي سرت بحوالي 20 كيلومتر، كذلك في موقع المجدوبية إلى الجنوب من أبي هادي حيث السدود الكثيرة والجدران المتنوعة، كذلك بئر السويدية، وأيضا المنطقة المحيطة وطرق الزراعة المختلفة فيها، وهي تشابه مع منطقة يوزا أهيه. والتلاتيم بوادي احنوية ومنطقة الرومية شرقي سرت بحوالي 20 كيلومتر.

وفي النهاية أحب أن أوضح أن السياسات المائية منذ القدم درجت على استقطاب كل نقطة مطر وتحويلها الى إنتاج عن طريق توجيهها إلى صهاريج للحفظ و قيام الحضارات لا بد له من توافر الدعم المائي ولا حضارة بلا ماء ومن هنا كان لزاما علينا ونحن نبني حضارة جديدة بأن نفكر في خلق مشروع عظيم ينقل مياه السرير إلى الأرض الخصبة لاثرائها. فكن مشروع النهر الصناعي العظيم الذي سيكون حتما هو أعظم مشروع نقل للمياه عرفته الانسانية حتى الآن لكبر أنابيبه وطول مساراته ودقة تقنياته.

مصادر المياه والنشاط الزراعي

في إقليم المدن الثلاث

د. سعيد علي حامد(*)

مقدمة

إن اسم ليبيا يعتبر من الأسماء الجغرافية التي استخدمت منذ أقدم العصور التاريخية، وقد أشارت الكتابات والنصوص المصرية القديمة منذ أكثر من أربعة آلاف سنة مضت إلى أن المناطق الواقعة إلى الغرب من مصر كانت موطنًا لعدد من القبائل الليبية التي عرفت في تاريخ مصر الفرعونية ومنها قبائل الليبو والتحنو والمشواش.

وقد أطلق اليونان اسم ليبيا على المنطقة التي تقع في شمال القارة الأفريقية ما بين نهر النيل في الشرق والمحيط الأطلسي في الغرب، وقد ترك لنا المؤرخ اليوناني هيردوت في القرن الخامس قبل الميلاد وصفا مفصلا لهذه المنطقة من حيث جغرافيتها الطبيعية وعناصر سكانها وتنظيمهم القبلي ومظاهر حياتهم، وقسم هيردوت العالم إلى ثلاث قارات هي: ليبيا وآسيا وأوروبا وتبعه في ذلك بعض الجغرافيين المسلمين ومنهم البيروني الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي.

وقد أطلق الرومان بعد سيطرتهم على ليبيا بمذلولها الجغرافي القديم إسم أفريقيا في القرن الثاني قبل الميلاد. ومن ثم أصبح هذا الاسم يطلق على المنطقة الغربية من ليبيا وحتى المحيط الأطلسي.

لما افتتح العرب المسلمون مدينة طرابلس سنة 23هـ/643م. بقيادة القائد العربي عمرو بن العاص، سار إلى مدينة شروس عاصمة جبل نفوسة في ذلك الوقت

(*) رئيس قسم البحوث التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية

فافتتحها وكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب بالمدينة كتابا جاء فيه (إن الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبيننا إفريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها على يديه فعل) ومن هنا فإن المسلمين أطلقوا على المناطق التي تقع إلى الغرب من منطقة طرابلس إسم أفريقية ولم يكن إسم ليبيا مستخدما بين العرب المسلمين بل كان من المؤلف بينهم استخدام إسمي (برقه) و(طرابلس) وذلك على الرغم من إن الأقليمين كانا في معظم أدوار تاريخهما الإسلامي مستخدمين تحت حكومة واحدة. وكانوا في بعض الأحيان يستخدمون كلمة طرابلس وحدها للدلالة على الاقليمين معا.

إن استعمال إسم ليبيا ببدلوله كان في سنة 1903 عندما استخدمه أحد الكتاب الإيطاليين كعنوان لفهرس أثبتت فيه المراجع التي نشرت عن البلاد. أما أول مرة يسجل فيها الإسم في مجال السياسة الدولي الحديث فكانت في الوثيقة التي أعلنت بها إيطاليا سيادتها على البلاد في سنة 1912⁽¹⁾.

وقد لعب الموقع الجغرافي للبلاد الذي يمتد من جنوب البحر الأبيض المتوسط من عند خط عرض 33° شمالا ويتوغل في جنوب القارة الإفريقية إلى خط عرض 18+5° دورا خطيرا في تاريخها السياسي، وتطورها البشري، وموقعها هذا جعلها شديدة الحساسية لكل ما يحدث على شواطئ البحر الأبيض المتوسط من أحداث وتطورات.

أما بالنسبة لمناخ البلاد فإنها تخضع في جملتها للمناخ الصحراوي ولا يستثنى من ذلك إلا الشريط الساحلي الضيق الذي يمتد على طول البحر الأبيض المتوسط. ومن الواضح أن الظروف التي أدت إلى وجود الصحراء الكبرى هي نفس الظروف التي لعبت الدور الرئيسي في مناخ القسم الأكبر من ليبيا ومن أهمها موقع البلاد في العروض المدارية داخل الكتلة اليابسة الكبرى التي يتكون منها العالم القديم ثم وقوعها في معظم شهور السنة في مهب الرياح التجارية الشمالية الشرقية وهي رياح جافة بطبيعتها بسبب هبوبها من مناطق يابسة قليلة الحرارة نسبيا وعدم إتساع البحر الأبيض المتوسط إتساعا يكفي لتحميلها بكميات كافية من بخار الماء. إن المناخ الصحراوي الذي ساد معظم البلاد كان له تأثير كبير في حياة السكان وأجبر الكثير منهم على التنقل والترحال طلبا للماء والكأ لقطعانهم وتمثلت حياة الإستقرار في مدن الشريط الساحلي الذي يتمتع بظروف ملائمة للإستقرار.

(1) انظر عبد العزيز طريح شرف. جغرافية ليبيا، طبعة 1963 ص 4 .

ولكن هل كانت الظروف المناخية للصحراء الكبرى في العصور الجيولوجية (الزمن الثالث) مشابهة للظروف المناخية في هذا الوقت؟

إن الجيولوجيين لم يتفقوا على رأي موحد بشأنها فمنهم من قال إن مناخ هذه الصحراء كان في ذلك الزمن مشابها لما هو عليه الآن من جفاف. بينما يرى البعض الآخر أن الصحراء كانت على العكس من ذلك غزيرة الأمطار أما حالة الجفاف التي تسودها حاليا فليست إلا ظاهرة حديثة نسبيا. ولكن هناك إتفاقا بين العلماء على أن المنطقة التي تشملها الصحراء الكبرى في الوقت الحاضر أو على الأقل القسم الأكبر منها كانت خلال الزمن الجيولوجي الرابع غزيرة الأمطار وكان من نتيجة ذلك أن حفرت المياه في سطحها عددا من الوديان النهرية التي ما زالت بقايا كثير منها موجودة إلى الآن حيث تشتهر باسم الوديان الجافة.

وقد أشار الكثير من المؤرخين القدامى ومنهم هيردوت الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (484 ق.م. - 425 ق.م.) بأن الكثير من المناطق ومنها منطقة "تل الحسان أي مسلاته (Hill of the Graces) مكسو بالأشجار كما ذكر سترابو (58 ق.م. - 21 م) وجود غابة بأعالي تل مصراته (Cephate) وغالبا ما كانت تلك المناطق المشجرة معرضة إلى أمطار أغزر كما أن انهيار التربة وتسرب المياه كان أبطأ في تلك العصور. ولكن ما ذكره بعض المؤرخين يجعلنا نتردد في قبول تعميم هذا الرأي دون قيد. فهير دونس مثلا، بعد أن ذكر خصوبة تل الحسان بادر بقوله أنها حالة إستثنائية في أرض قاحلة جدداء ليس بها أشجار. كذلك يحدثنا سالوست عن الصحارى التي تفصل بين لبة وتونس وبرقة⁽²⁾.

ويمكننا الإستعانة بالرسوم الصخرية التي وجدت في كثير من أنحاء ليبيا، على ضفاف الكثير من الأودية لإثبات النظرية القائلة بأن الصحراء الكبرى وحافتها الشمالية كانت في العصور القديمة وفيرة الأمطار فوجود بعض رسومات الحيوانات مثل الفيلة والبقر والزراف والتماسيح والنعام والقروود... الخ في مناطق جبال الأكاكوس جنوب غرب البلاد ومنطقة متخندوش وجبل بن غنيمه والعوينات وغيرها تؤكد أن المناطق الداخلية من ليبيا كانت قديما وفيرة المياه ومكسوة بالنباتات الملائمة

(2) هينز. أثار طرابلس الغرب - ترجمة عدلية مياس. منشورات مصلحة الآثار الليبية ص 3 .

لمعيشة مثل هذه الحيوانات التي انقرضت فيما بعد من تلك المناطق . بينما استمر النطاق الساحلي زاخرا بالحياة لوفرة الأمطار به ويدل على ذلك وجود القطعان الكبيرة من المواشي التي كانت تعيش به . وما ذكره المؤرخون من أن حكام مصر الفراعنة كانوا يعودون من حروبهم مع القبائل التي تسكن غرب مصر بأعداد كبيرة من الأسرى والمواشي ويبدو أن الأرقام التي تذكر بها بعض المبالغة ومع ذلك فإنها تدل دلالة واضحة على غنى المنطقة بالمواشي .

إن موضوع التغيرات المناخية قد أخذ يجتذب في الوقت الراهن إهتمام الباحثين ويذكر غوتيه في كتابه ماضي شمال افريقية بأنه " ما من شيء على سطح الكرة الأرضية أكثر تغييرا من المناخ ولكن ذاكرة البشر لم تستيقظ إلا في وقت متأخر؟ ثم إن عمر الإنسان قصير إلى حد أن التاريخ لم يسجل حتى الآن أي تغير مناخي حتى ولا على شواطئ المتوسط حيث نشأ العلم أو في الصحراء الكبرى أو في مصر التي وجدنا فيها أثارا غرائبية ورخامية تعود لستة آلاف سنة⁽³⁾ ويشير غوتيه إلى أن هناك العديد من النصوص والآثار القديمة التي تحدثنا عن أفريقيا الرومانية لم تدفعه تلك المعلومات إلى الاعتقاد بتبدل المناخ . أما غودي Goudie فإنه يرى بأن الفترة «الممتدة بين 40 000 و 30 000 ق.م . كان المناخ أكثر رطوبة مما هو عليه في الفترة الممتدة منذ ذلك التاريخ وحتى 10 000 قبل الميلاد وإن الجفاف الحالي لم يكن موجودا حتى 2000 سنة ق.م . »⁽⁴⁾ .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المعلومات المتوفرة التي سبقت مجيء الكنعانيين (الفينيقيين) لمنطقة طرابلس قليلة فالمصادر التاريخية لم تسعفنا بشيء عن التراث المادي للقبائل الليبية ولم يكتشف شيء خلال المسح الأثري للمنطقة الذي قامت به اليونسكو بالتعاون مع مصلحة الآثار الليبية . وهذا ليس بالمستغرب فالاحتمال الأرجح هو أن سكان المنطقة كانوا عبارة عن قبائل بدوية تعيش في الخيام الأمر الذي لا يترك للآثارين سوى القليل يجدون فيما بعد⁽⁵⁾ .

(3) غوتيه . ماضي شمال افريقية . طرابلس : دار نشر الفرجاني - سنة 1970 م .

(4) مجموعة من الباحثين البريطانيين . الإسطيان والنشاط الزراعي القديم . ص 15 .

(5) المرجع السابق . ص 14 .

الإستيطان الكنعاني لمنطقة طرابلس :

من المعلوم ان اهتمام الكنعانيين (الفنيقيين) قد انصب على المحطات التجارية التي أسسوها على ساحل البحر منذ الألف الأولى قبل الميلاد وكانت هذه عبارة عن مراكز يتم فيها تبادل السلع بينهم وبين سكان المنطقة، ولكن بعد أن غمت تلك المراكز وغدت مدنا مزدهرة كصبراتة وأويا (طرابلس) ولبدة استوطنوا بها، وقد دلت الحفريات الأثرية التي أجريت تحت مسرح لبدة الأثري على الإستيطان المبكر للكنعانيين بها، وقد تركز إهتمامهم على التجارة والطرق التجارية التي تربطهم بأواسط افريقيا، كما اهتموا بالزراعة وأدخلوا بعض الأشجار التي لم تكن تزرع بالمنطقة.

إن المكتشفات الأثرية المتعلقة بالمصادر المائية في تلك الفترة شحيحة مما لا يمكننا من وضع تصور كاف لإستغلال المياه، وبالطبع فإن الإهتمام بالمصادر المائية فلا زراعة بدون مياه. وذلك أقام الكنعانيون السدود وحفروا الصهاريج للإستفادة من مياه الأمطار، ويمكن الإستدلال على ذلك من المؤرخ استرابو Strabo الذي أشار إلى وجود سد فنيقي على مصب وادي كعام إلى الشرق من لبدة، ولعل الرومان استكملوا المشروعات الفنيقية المتعلقة بالتحكم في المياه في مرحلة لاحقة مما أخفى الأعمال الفنيقية ونسبت فيما بعد إلى الرومان.

شهدت سنة 146 ق.م. مأساة زوال قرطاجة الفنيقية من عالم الوجود وتسوية أرضها وزراعتها ملحاً على يد الغزاة الرومان حتى لا تقوم لها قائمة فيما بعد. ويمكن أن نعتبر ذلك التاريخ 146 ق.م. بداية النفوذ الروماني في منطقة المدن الثلاث، ثم عقدت معاهدة صداقة وتحالف بين روما ومدينة لبدة سنة 111 ق.م. وفي سنة 106 ق.م. تركزت أول قوة رومانية بالمنطقة وكانت بمدينة لبدة.

ومنذ مطلع القرن الأول ق.م. أصبح اقليم المدن الثلاث يتمتع باستقلال رسمي تحت الحماية الرومانية وما أن حلت سنة 46 ق.م. حتى أصبح خاضعاً كلياً للإستعمار الروماني.

الإستعمار الروماني ومصادر المياه:

تسعفنا المصادر التاريخية والأثرية بمعلومات هامة عن أساليب التحكم في المياه واستغلالها الإستغلال الأمثل في فترة الإستعمار الروماني لمنطقة طرابلس، وخاصة

أن الرومان توغلوا في المناطق الداخلية لشمال افريقية عامة وقد أوضح المسح الجوي الذي قام به الكولونيل الفرنسي جان برادايز للمناطق الجنوبية من الصحراء الجزائرية بين سنتي 1946-1949 م أوضح لأول مرة مدى ما كان عليه التنظيم الروماني العسكري الذي على حدود تلك الصحراء.

فلقد اهتم الرومان بتلك المناطق الواقعة على الحافة الشمالية للصحراء الكبرى وأنشأوا بها القصور والمزارع المحصنة والأبراج ومراكز المراقبة فضلا عن الطرقات. ان هذه الأعمال كما يذكر جيمس ويللارد " لم يضطلع بها الرومان فقط من أجل صد بدو الصحراء على مهاجمة المدن الكبرى المزدهرة في افريقيا التابعة للإدارة القنصلية بل لتمهيد السبيل من أجل إسكان عدد كبير من المزارعين " (6).

وعلى الرغم من أن أحدا لا يعرف على وجه الدقة ما الذي حمل الرومان على تجشيم أنفسهم مشاق إستيطان الصحراء رغم عدم تعودهم على ظروفها " إلا أن أقرب نظرية للقبول تلك التي تقول أن روما منذ عهد أغسطس كانت في حاجة ماسة إلى مصدر جديد للمؤن لتطعم مدنها المزدهرة بالسكان ولتطعم الآلاف المؤلفة من الجماهير الإيطالية التي أخذت تهجر الأرياف وتتكدس في روما للتغذي وتشهد السيرك على حساب الإمبراطورية ولهذا فإن الرومان وجهوا أنظارهم لاستغلال شمال افريقيا بسواحلها وصحاريها في محاولة لتحويلها إلى اهرء لروما ومن ورائها إيطاليا " (7).

من المعلوم أن الجزء المفضل للإستيطان في منطقة طرابلس كان ينحصر بصورة تقليدية في السهل الساحلي الذي تتوفر فيه المياه بشكل جيد وفي التلال الكلسية المجاورة لمرتفعات ترهونه وجنوبا حتى مدينة بني وليد إذ أن معدل سقوط الأمطار في هذه المنطقة يصل إلى 200 ملم سنويا وهذه الكمية تعتبر الحد الأدنى لقيام زراعة مستقرة دون الحاجة إلى ري ونلاحظ هنا أن مستوطنات ما قبل التاريخ والطرق الزراعية التي اتسمت بها المنطقة تعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد. أما خلال الفترة الرومانية فقد ازدهرت المدن الساحلية مثل صبراتة ولبنه بفضل المزارع المزدهرة في السهل والجبل كما تميزت المنطقة بالسكن المكثف خلال الفترة الإسلامية (8).

(6) جيمس ويللارد. الصحراء الكبرى - طرابلس : مكتبة الفرجاني، ط. أولى 197 ص 116

(7) عبد اللطيف البرغوثي : التاريخ الليبي القديم، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى 1971 ص 371

(8) ج. باركر وآخرون، تقرير عن مشروع مسح الأودية الليبية ص 2-3

وتتغير الظروف المناخية بسرعة جنوب بني وليد فتشح مصادر المياه ويغلب مناخ الأقاليم الصحراوي عليها حتى إن الرحالة بارث (1857) وصف الأراضي في هضبة مادون الصحراوي بأنها أشبه بسطح مقفر وتقوم أودية سوف الجين وزمزم بشطر هذه الهضبة .

والأودية في هذه المنطقة عبارة عن أحواض ضخمة مملوءة بطبقات من الحصى الغريني وكثبان رملية شكلتها الرياح تتميز بصعوبة شكلها، فهي عبارة عن خنادق ضيقة مغطاة بطبقات طينية رملية خلفتها الفيضانات ونقل نسبة هطول الأمطار بسرعة جنوب بني وليد حتى تصل إلى 25 ملم في قرزه⁽⁹⁾.

إن الجفاف الذي يتزايد كلما إتجهنا جنوبا بداية من الساحل الليبي كان ولا يزال عاملا رئيسيا في التحكم في الانتاجية الزراعية هناك وقد أسفرت التنقيبات التي أجريت في خمسة مواقع عميقة في أرضية الوادي على أنه لا يوجد دليل واحد يشير بوضوح إلى ظروف أكثر رطوبة أو جفاف مما هو سائد في المناطق ذات العلاقة في الوقت الحاضر... ولم نجد أي دليل إلى الآن يجعلنا نؤكد بأن النشاط الزراعي في الماضي قد تبدل بشكل ملحوظ. وإن المناخ المحلي هناك أو جريان المياه قد طرأ عليهما أي تبديل⁽¹⁰⁾.

لقد حاول سكان المنطقة خلال القرون الأولى للميلاد استغلال كل قطرة مياه للاستفادة منها في نشاطهم الزراعي والرعوي، وقد عثر عند التجمعات السكنية الكبيرة للمواقع الليبية الرومانية بمحاذاة الأودية الضيقة التي يبلغ عرض أوسعها 500 متر على جدران مشيدة من حجارة متراكمة عبر أرضية مجرى الوادي وعلى طول ضفافه. ومن الملاحظ أن هذه النوعية من الجدران تكثر في تلك المواقع فيما تقع على الهضاب المطلة على الأودية. وقد صممت هذه الجدران لتجعل المياه تصب في الأحواض أو تسير نحو الأسفل عبر أرضية الوادي أو تتصدى لانجراف التربة وتحول دون تبدد المياه.

وقد زودنا مسح الأودية الليبية بنتائج مهمة مفادها إنه قد حدث توسع كبير في النظام الزراعي ووجود منظومة متطورة تتحكم في المياه والتربة تتركز على دراية مفصلة أخذت من ملاحظة جريان المياه، وكان الغرض الرئيسي لهذه المنظومة هو توجيه مياه الأمطار التي تهطل على الهضاب المجاورة على مساحات شاسعة إلى

(9) مصلحة الآثار، تقرير عن مشروع الأودية الليبية ص 9 .

(10) المرجع السابق، ص 9 .

مناطق محصورة ببطن الوادي ويتم هناك إبطاء سرعة جريان الماء بواسطة سلسلة من الجدران العريضة فتعمل على ري التربة قدر الإمكان وترسيب الطمي في الأراضي التي تستغل زراعيًا. وكان المزارعون في تلك الفترة يفضلون إستغلال الأودية الضيقة والتي تحيط بها عدة شعاب وتتمتع بصفاف مائلة عوضا عن الصفاف الشديدة الانحدار وقد وفر ذلك ميزتين:

الأولى : حصر أكبر كمية من المياه ووضعها تحت منظومة التحكم.

الثانية : إنها أمنت أفضل طريقة للسيطرة على المياه دون حدوث سيول جارفة تنحدر إلى الأودية مع ما يترتب عليها من أضرار.

ومع ذلك فإن المياه كان من النادر أن يسمح لها بالتدفق كلية إلى قاع الأودية وإنما يتم توجيهها عبر جدران جانبية بها قنوات لتجمع في عدة ترع وكميات أخرى يتم توجيهها إلى صهاريج دون أن تحمل معها الطمي. وهناك جدران أخرى شيدت في قاع الأودية على نحو طولي بدلا من الجدران العرضية وذلك قصد توجيه تدفق المياه بدلا من حجزها، وفضلا عن هذه الجدران توجد جدران أخرى لتقسيم الأراضي ولا علاقة لها بحجز المياه أو توجيهها. وقد أوضحت الدراسات الأثرية بالمنطقة أن المزارعين كانوا على دراية تامة بفيضانات المياه في مناطقهم، وكذلك استفادوا من كل قطرة ماء في الري وأوضحت أن المجتمع الليبي في تلك المنطقة صار في تلك الفترة أكثر كثافة وإن الأمن والسلام قد دفعهم إلى الإهتمام بالإنتاج الزراعي فقاموا بزراعة عدة محاصيل وتبنوا أساليب تقنية جديدة من أجل إنتاج فائض من المواد الغذائية لتصديرها إلى الأسواق الساحلية وقد أدى هذا النظام الزراعي الناجح إلى زيادة التنافس على الأراضي الخصبة والمياه ومن ثم نشأت مجتمعات متجاورة تعيش في مزارع محصنة وتشير تواريخ الكاريون المشع إلى أن نظام الزراعة المكثف كان مستمرا حتى العهد الإسلامي في الأودية الشمالية ذات الظروف المناخية الأكثر ملائمة بينما تم التخلي عن النظام الزراعي المشار إليه في الأودية الجنوبية بعد قرنين أو ثلاثة من نشأته ليشملها النظام التقليدي الذي يعتمد على زراعة مساحات صغيرة ونظام رعوي شبه بدوي⁽¹¹⁾.

وقد زودنا مسح الأودية الليبية الذي قامت به المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ومصلحة الآثار الليبية ثلاث نتائج مبدئية وهي:

(11) للمزيد من التفصيل انظر مشروع مسح الأودية الليبية.

1- إنه لا يوجد دليل واضح على أية فروقات مناخية بين الفترة الرومانية والوقت الحاضر.

2- أثبتت الأدلة أن المنطقة مرت بمرحلة تميزت بكثرة الأمطار سبقت الفترة الليبية الرومانية مما أدى إلى وجود تربة نشطة بيولوجيا استغلت في زراعة المحاصيل وتربية الماشية.

3- نتيجة لفرط إستغلال تلك التربة وهذا قد يكون خلال الفترة الليبية الرومانية تعرضت إلى التعرية على نطاق واسع.

وإذا أثبتت الدراسات المستقبلية النقاط السابقة فإن النقطة الأخيرة ستكون عاملا رئيسيا في هجر العديد من الأنظمة الزراعية التي كانت مستعملة في المنطقة.

الفترة العربية الإسلامية :

تم فتح ليبيا كما هو معلوم سنة 642-643م على يد القائد العربي عمرو بن العاص ومنذ ذلك التاريخ أصبحت إحدى الولايات العربية. . .

درج الكتاب الغربيون على الأخذ بوجهة النظر التي تقول بأن حالة الإضمحلال التي طرأت على القسم الشمالي من ليبيا وصحراء مصر الغربية جاءت نتيجة مباشرة للفتح العربي لأن العرب كما يدعي هؤلاء الكتاب نهبوا وضربوا مدنه ولم يحاولوا تطبيق الوسائل المتبعة من قبل في العهد الروماني في الزراعة وغير ذلك من وسائل الإنتاج.

وفي الحقيقة إن الدراسات أثبتت إن الإضمحلال قد بدأ في وقت مبكر قبل مجيء العرب فمن المعلوم ان الامبراطورية الرومانية قد دخلت في مرحلة من الفوضى العسكرية منذ سنة 235م كما ان الزلازل قد ضربت منطقة شمال افريقيا وكان أشدها زلزال سنة 365م الذي أثر تأثيرا كبيرا في المباني والمنشآت القائمة، كما أن ليبيا قد تعرضت إلى الغزو الوندالي في القرن الخامس الميلادي والذي لم يأبه بالأمور الاقتصادية للبلاد واتسمت فترته رغم قصرها بالتأخر والجمود الذي ساد كافة نواحي الحياة، كما إن البلاد أخذت تسودها المظاهر الصحراوية ابتداء من سنة 600 م بسبب تفشي الطاعون وحدوث زلزال عنيف حيث أدت هاتان الحادثتان إلى هلاك كثير من السكان وتخريب كثير من المباني.

كما يرى بعض المختصين ان القرن السابع قد شاهد فترة من الجفاف الشديد في جميع الصحارى .

ولذلك فإنه لم يكن للعرب دخل في الإضمحلال الذي ساد المنطقة بل إنهم ساهموا في ازدهار وعمران بعض المناطق فالمؤرخون العرب يجمعون على ازدهار مدن كاجدايا وسرت وغيرهما خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، كما نلاحظ ان العرب قد استقروا في المناطق الداخلية منذ الفترة المبكرة لمجيئهم وحولوا بعض الكنائس إلى مساجد كما حدث لكنيسة بزره كما انه يوجد في بعض الأودية قصور تعود بدون شك إلى الفترة الإسلامية .

كما ان بعض التسميات بمنطقة بني وليد تدل على وجود نشاط تجاري إذ نجد اسم السوق اللوطي وهذا يدل على ان هناك سوقا أخرى باسم السوق الفوقي . وبدون شك ان حدوث بعض الاضطرابات والصراع على السلطة كان له أثر كبير في النشاط الزراعي بالمنطقة .

ويذكر التجاني في رحلته ان أرض منطقة طرابلس "معدومة المثال في إصابة الزرع إذا أصابت وليس يدري مثلها في ذلك وأشهرها الفحص الذي يسمونه سوفجين . . قال البكري وربما أثبتت الحبة في هذا الموضع في بعض السنين مائة سنبله قال : وهم يقولون فحص سوفجين ، يصيب سنة بعد سنين " (12) .

وهذا يدل أن هناك فترات ينحبس فيها المطر وبالطبع يؤثر هذا كثيرا على المنطقة .

ورغم قلة الأمطار في ليبيا بصفة عامة فمن المؤكد ان هذه الأمطار تكفي لو استغلت الاستغلال الأمثل لبناء مستقبل اقتصادي مضمون ، ولذلك كان مشروع مسح الأودية الليبية بين منظمة اليونسكو ومصلحة الآثار - بناء على توجيهات الأخ قائد الثورة - يهدف إلى تسجيل المراحل التي مرت بها أجزاء واسعة من منطقة مادون الصحراء والتغيرات التي شهدتها في المجالات الزراعية والتي كانت تمارس بطرق غير مستعملة في الوقت الحاضر .

أما الهدف الآخر للمشروع فيكمن في تحديد المناطق التي يمكن إعادة الحياة الزراعية إليها وتسخير علم الآثار في خدمة متطلبات العصر .

(12) التجاني : رحلة التجاني ، تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ، المطبعة الرسمية سنة 1985 ، ص 259

المصادر والمراجع

- 1- أبو عبد الله محمد التجاني: رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، تونس، المطبعة الرسمية، 1958.
- 2- علي فهمي خشيم: نصوص ليبية، منشورات مكتبة الفكر، 1967م.
- 3- أ.ف. غوتيه: ماضي شمال افريقيا، تعريب هاشم الحسيني، طرابلس، دار الفرجاني، ط. أولى سنة 1970.
- 4- هينز: آثار طرابلس الغرب، ترجمة عدلية مياس، منشورات مصلحة الآثار الليبية.
- 5- جيمس وللارد: الصحراء الكبرى، طرابلس، مكتبة الفرجاني، ط. أولى 1967.
- 6- د. عبد اللطيف البرغوثي: التاريخ الليبي القديم، بيروت، دار صادر، ط. أولى 1971م.
- 7- د. عبد العزيز طريح شرف: جغرافية ليبيا، الاسكندرية، مطبعة المصري، سنة 1963.
- 8- محمد مصطفى بازامه: ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، طرابلس وزارة الأنباء والارشاد سنة 1965.
- 9- مجموعة من الباحثين البريطانيين: دراسة أولية حول الاستيطان الزراعي القديم في وادي سوف الجين ووادي زمزم وفروعهما، ترجمة د. صباح عبود جاسم، مراجعة مصطفى الترجمان (تحت الطبع).
- 10- مصلحة الآثار، تقرير عن مشروع مسح الأودية الليبية.

مصادر المياه في المدن الخمس من خلال النقوش والمخلفات الأثرية

د. فضل علي فضل(*)

لقد أثبتت الدراسات العلمية لفترة ما قبل التاريخ في منطقة الجبل الأخضر وبالتحديد في هوا أفطيح⁽¹⁾ أن تيار الهجرات البشرية عبر الشمال الافريقي لم تتوقف بحثا عن منابع الأنهار والعيون وعرفت بعض هذه الهجرات بالقفصية والوهرانية المتجهة نحو منابع النيل في مصر وكانت الأمطار في منطقة الجبل الأخضر حسب المصادر الإغريقية وفيرة حتى اعتقدوا أن هناك فجوة في السماء⁽²⁾ كما ذكر ثيوفراستوس في كتابه تاريخ النباتات أن إقليم قورينا كان شبيها بالبستان كما كان القمح يتدفق على المدن الإغريقية وبالذات على ميناء بيربوس ويؤكد ذلك لوحة الغلال الموجودة بمتحف شحات والتي توضح أن أكثر 805 ألف مدمني من القمح قد صدرت لأكثر من أربعين مدينة يونانية⁽³⁾ حتى أطلقوا على ليبيا إسم منتجة القمح⁽⁴⁾.

إلا أن ازدياد الهجرات الإغريقية من كافة العالم القديم على منطقة قورينا قد أدى إلى السيطرة على مزيد من أراضي المواطنين الليبيين المحليين ومانع المياه مما أدى إلى التفكير في مصادر جديدة للحصول على الماء حيث كان السكان الأوائل يعتمدون على نبع أبوللو وبعض الينابيع الأخرى والآبار التي أصبحت غير كافية للسكان لقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن الخزانات الجوفية المغذية لمنطقة الجبل الأخضر أربعة:

(*) مراقب آثار بشحات بالجمهورية

1) C.B.M. McBurney - The Haua Fteh, Cyrenaica Cambridge University Press 1967

2) HPO 158

3) SEG. 9

(4) الليبية الرابعة

- 1- خزان تكوين الفائدية المعلق الذي يعود للعصر الجيولوجي الأوليجوسين.
- 2- خزان تكوين الأبرق المعلق الذي يعود للعصر الجيولوجي الأوليجوسين.
- 3- خزان تكوين البيضاء الذي يعود للعصر الجيولوجي الأوليجوسين.
- 4- خزان تكوين درنه وسوسه الذي يعود للعصر الأيوسيني⁽⁵⁾.

من المعروف أن الأمطار في منطقة الجبل الأخضر من أقدم العصور وحتى الآن تهطل في فصل الشتاء على شكل زخات سريعة وغير مستمرة كما أن التربة حمراء وردية الامتصاص للمياه مما يجعل المياه لا تتسرب للمسام وتتجه نحو الأودية وتجرف معها التربة الحمراء للبحر مما يجعل السكان وخاصة في العصر الروماني يفكرون في وسيلة لحفظ المياه والتربة وذلك بعمل سدود تعويقية في الوديان لحفظ التربة وتحويل المياه إلى صهاريج مبطنة تختلف من منطقة إلى أخرى ويمكن تقسيمها إلى عدة أنواع:

- 1- صهاريج معمدة عملاقة لسد حاجة القرى الزراعية ومبطنة بملاط يشبه الأسمنت ويوجد هذا النوع في جيفاز والرخيم وسليت وصبرة المليز وأوسيطه شحات.
- 2- صهاريج محصنة وهي تقع داخل خنادق الحصون والكنائس والقلاع ومحاطة بأسوار وتستخدم للإكتفاء الذاتي عند الحصار مثل صيرة أكريم شرق عين ماره وحول حصن أقفنه وفي أم العرش شمال شرق ملوده.
- 3- صهاريج ذات أحواض تنقية جانبية وهي عبارة عن أحواض بها حجارة لتنقية مياه الشرب مثل خزان هوا الحوذانه في غوط أشتلو شمال شحات.
- 4- صهاريج الوديان وهي تعتمد على الأمطار التي تجلبها الوديان وتوقفها السدود التعويقية وهي صهاريج تستخدم لسقوط الأمطار المفاجئة والتي تسبب في بعض

(5) للمزيد :

- دراسة العالم الإيطالي ماركيتي عن المياه في ليبيا 1935 م
- دراسة جفلي للمياه 1972 م
- دراسة المعهد الجيولوجي والفيزيائي اليوغسلافي 1975 م
- دراسة فران لاب 1976 م
- دراسة الهيدروجو 1982 شمال منطقة الجبل الأخضر.
- تلوث عين أبو للوشحات - مهندس جيولوجي عمار عبد المصليب عمار 1991 م

الفيضانات مثل السدود الرومانية في وادي المجينين⁽⁶⁾ وسدود وادي لبده وسدود وادي الكوف.

5- صهاريج الينابيع والأمطار وهي تعتمد على ينابيع طبيعية قد تكون من مسافات بعيدة ويجلب اليها عن طريق قناطر وقنوات حجرية مثل صهاريج الصفصاف وقنوات صنبر التي تقوم بتوزيع المياه من عين الحفرة إلى صهاريج المنطقة الزراعية شمال طريق سوسة وشحات كما يتم حفر قنوات في الجبال الصخرية لجلب أكبر كمية من مياه الأمطار عبر قنوات منحوتة في الصخر.

رغم هذه السدود والصهاريج المستخدمة في منطقة المدن الخمس والجبل الأخضر للقرى الزراعية إلا أن حاجة المدن كانت أكثر من كمية الأمطار التي كانت تتفاوت من سنة إلى أخرى مما جعل الدولة الرومانية تفكر في مصادر جديدة للمدن الكبيرة مثل قورينا وسوسة وطميثه وذلك باستجلاب المياه الجوفية من مسافات يزيد بعضها عن عشرين كيلومتراً حيث أصبحت مياه نبع أبوللو والينابيع الأخرى المجاورة والصهاريج غير كافية إبتداء من القرن الأول الميلادي وكانت الحاجة إلى الماء من الأسباب التي أدت إلى التفكير في توصيل الماء إلى أبوللونيا القليلة الأمطار حيث جلبت لها مياه نبع الفلترو.

1) أبوللونيا : لقد عثر على نقش لاتيني^(*) في منطقة الفلترو جنوب مدينة أبوللونيا يعود لعهد الإمبراطور هادريان ويشير إلى بناء قنطرة مائية (aquaeductus) من أجل استجلاب مياه هذا النبع من مسافة قدرها 8 كم ويظهر جزء من هذا المجرى عند المسجد الجديد في عدة مبان من المدينة القديمة كما يتضح جلياً تحت البرج الأوسط شرق القصر البيزنطي حيث يتم تجميع هذه المياه في صهريج مقوس يشبه صهريج الصفصاف ثم يتم توزيعه على بقية المدينة⁽⁷⁾. وقد ذكرت هذه القناطر في خريطة بيشي لمدينة أبوللونيا وقد اتضح أن هذا المجرى المائي كان يخضع لعملية تنظيف

(6) Claudio Vita-Finzi, and Olwen Brogan Roman dams on the wadi megenim Libya Antique Vol

11 - 1965 p.p. 65-72

(*) عثر على هذا النقش في منطقة الفلترو في أبوللونيا وذكره دي لاشيلا ولكنه ضاع مع الزمن.

(7) Apollonia, the port of Cyrene, excavations by the University of Michigan 1965-67

Supplements of L.A. - IV

مستمرة⁽⁸⁾ وأن تاريخ إنشاء هذه القنوات والقناطر قد بدأ العمل فيها منذ القرن الأول قبل الميلاد بسبب حاجة مدينة أبولونيا الماسة إلى الماء كما يوجد في القصر البيزنطي صهريجان كبيران أيضا للاستفادة من مياه الأمطار أما البعثة الفرنسية العاملة حاليا في مدينة أبولونيا فقد وجدت خلال هذا الموسم 1995 تحت مياه البحر وداخل الميناء القديم صهريجا للمياه مغمورا تحت البحر في الجزيرة الغربية مما يدل على أن الميناء القديم لم يكن مغمورا في العصر الروماني.

(2) قورينا - لقد كانت مدينة قورينا هي أكبر المدن الخمس وأكثرها إزدحاما بالسكان وعاصمة للإقليم في عدة فترات من تاريخ هذه المنطقة ورغم منابع المياه والعيون الكثيرة بها والتي تزيد عن عشرين منبعاً طبيعياً إلا أن الحاجة الماسة للكثافة السكانية قد ألزمت الحكومات المتعاقبة على وسائل إصلاح هذه المنطقة المائية حيث عثر على نقش في عهد بومبيوس ماقنوس (Pompius Magnus) مؤرخ بسنة 67 ق.م. أثناء حملته ضد القراصنة في البحر المتوسط حيث قام بعدة إصلاحات في منطقة المدن الخمس وذلك ببناء قناطر لجلب المياه من خلال الحصول على مبالغ مالية تقدر بحوالي أربعة آلاف دينار وألف وخمسمائة دينار من الأموال العامة إلا أن النقش كان مهشما ولم يوضح كل الأغراض التي جمعت من أجلها هذه الأموال سوى بناء قناطر للمياه⁽⁹⁾.

...}

...} IIIv.B { ...

...} eis Cn(ae-)Pomp { ei- Magn- ...

...as} signavit v. { ...

...} s dieis aquae { ...

...} m* ool" et l { ...

...} s aquae in e { ...

...quo} d est* oo D { ...

...} est { ...

{ ...

(8) Yvon Garlan, L'ancien Hellenisme d'Apollonia, Les Dossiers d'Archeologie n° 167-1992 pp. 64-69

(9) J. Reynolds / The Journal of Roman Studies 52/1962 p. 98-100

أما ساندرو أستوكي فيشير في دراسته⁽¹⁰⁾ عن العمارة في المدن الخمس أنه في عهد الإمبراطور أوغسطس بين 4-14م قام الحاكم كلاوديوس قيستالي (Clodius Vestalis) ببناء قناطر Aqua Augusta في الطرف الجنوبي من وادي بوتركيه حيث يتم نقل المياه إليها من نبع أبوللو.

هناك نقش آخر أكثر أهمية من غيره يؤرخ بسنة 166م في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس وجد مستعملا للمرة الثانية في مدخل كاتدرائية شحات الغربي ومكتوب على الواجهتين في أعلى إحداها نص لاتيني غير كامل⁽¹¹⁾ يقول في عهد الإمبراطور العظيم ماركوس أوريليوس أنطونيوس أوغسطي الأرميني ولوكيوس أوريليوس فيروس الأرميني الأعظم أمر ببناء خزانات للمياه من الأموال العامة إلا أن النص قد تعرض للدمار من وسطه وظهر في أسفل اللوحة بقية النص باللغة الإغريقية ويقرأ على النحو الآتي:

الواجهة الأولى - Ex auctoritate et indulgentia optimorummaximo- runque imperat-
orum M(arci) Antonini Aug(usti) Armeniaci et L(uci) Aureli Veri armeniaci Parthi
(ci) Maximi recep-tacula pecunia p(ublica).

الجهة الثانية

في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس ولوكيوس أوريليوس فيروس أوغسطس قاهرا أرمينيا وبيلا وبيديا أقيمت خزانات المياه في مدينة قورينا الأم على نفقة الدولة وتحت إشراف البروقنصل بومبونيوس نيويانوس الذي كلف من قبل الإمبراطورين على عملية التأسيس والإنجاز بالتعاون مع مدير الإدارة المالية سيليوس بلوتينوس.

يبدو أن هذا النقش المستخدم في هذه الكاتدرائية التي لا تبعد كثيرا عن خزانات قورينا الرئيسية قد نقل إليها في العصر البيزنطي ولا نستبعد أنه كان حجر الأساس لهذه الخزانات في عهد ماركوس أوريليوس الذي أمر ببنائها لنقل مياه الينابيع من القيقب ولالي الغزيرة المياه الجوفية الواقعة على خزان تكوين الأبرق الأوليجوسيني

(10) S. Stucchi, Architettura Cirenaica pp 213-214-486-1

(11) J. Reynolds the Journal of Roman Studies 49/1959 p. 98

الغزير المياه، لقد كانت الفكرة المستخدمة في نقل المياه إلى قورينا وطلميثه ودريانه هي نفس الفكرة التي إستخدمها الرومان في عصر الإمبراطور أغسطس لنقل مياه منطقة تروريا بايطاليا حيث يخرج من هذه المنطقة الغزيرة المياه قناطر للمياه الأولى إلى كاسيني والثانية إلى فيرونيا وعرفت هذه القناطر باسم (Agua Augusta).

لقد تم إختيار منابع القيقب الواقعة على خط طول تربيعةي 93 / 3 وخط عرض تربيعةي 36 / 21 وتبعد عشرين كيلومترا إلى الجنوب الشرقي من قورينا لتكون مصدرا لمياه هذه المدينة مستخدمين الانسياب الطبيعي للمياه حيث يلتقي مسار عين لالي وعين القيقب في منخفض لالي إلا أن مسار القيقب يظهر أول الأمر في منطقة المنشى في نفق قدره حوالي 4 أمتار تحت سطح الأرض وبه عدة فجوات ثم يعبر شعبة أبو زيد ويخرج للسطح عند أبو نظاره ثم يلتقي مع القناة الأخرى القادمة من لالي ثم تمر هذه القناة المشتركة بالشويرف، مزرعة محمد الصابر، مزرعة محمد إبراهيم، الوريورات، الشعبة البيضاء. وتظهر القناطر على وجه الأرض بوضوح في مزرعة سعيد بوأمرجع وداوود عبد المولى وادريس حسين مشكلة بذلك منخفضا واضحا بأخاديد في هذه المزارع وبعد ذلك يعبر منطقة الصفصاف⁽¹²⁾ وبنيت فوق المجرى مدرّسة الشهيد أقطيط موسى ثم يتم تجميع المياه في الخزانات الرئيسية التي يصل طولها 350م وارتفاعها 5 أمتار وعرضها 50.5 متر وبالأنبوب العلوي فجوات تهوية ويتسع لأكثر من عشرة آلاف متر مكعب من المياه وبعد تجميع المياه في هذا الخزان الرئيسي يفتح من جديد ليتم ضخ المياه بقوة الطرد الطبيعي عبر مسار قرب مطار الزبرق ثم منقع عيت يحيي ويعبر مزرعة خالد أبو عوض جنوب امزينه وتظهر القناة واضحة عبر الأرض الصخرية قبل أن تعبر الطريق العام بين شحات ودرنه وتمر غرب الساحة الشعبية وتعبر شياط ثم تمر غرب منزل عبد الكريم أعميته وشرق المصرف التجاري وتحت مدرسة فاطمة الزهراء حتى تصل البريد الرئيسي ثم تعبر طريق سوسه شحات وتصب في الخزانات الرئيسية داخل المنطقة الأثرية حيث تبلغ مساحتها 5x200x125 م أي أن هذا الخزان كان يتسع لحوالي مائة وخمسة وعشرون ألف متر مكعب من المياه ويتم بعد ذلك صرفها على المدينة.

12) S. Stuccki Architettura Cirenaica p. 483-488

اسم النبع	موقع النبع من أبو للو	الارتفاع عن سطح البحر	متوسط الانتاجية في سنة
عين سليت	4 كم غرب نبع أبو للو	580 م	0,50 لتر في الثانية
عين قراقا	2,50 كم جنوب غرب نبع أبو للو	605 م	2,50 لتر في الثانية
عين بلغدير العلوية	1 كم جنوب غرب نبع أبو للو	590 م	1,50 لتر في الثانية
عين السفليه	1 كم جنوب غرب نبع أبو للو	580 م	0,50 لتر في الثانية
عين بومليو العلوية	2,50 كم شرق نبع أبو للو	615 م	0,50 لتر في الثانية
عين بومليو السفليه	2 كم شرق نبع أبو للو	595 م	1,50 لتر في الثانية
عين العقار الأولى	1,50 كم شرق نبع أبو للو	600 م	1 لتر في الثانية
عين العقار الثانية	1,25 كم شرق نبع أبو للو	615 م	1 لتر في الثانية موسمية
عين العقار الثالثة	1,25 كم شرق نبع أبو للو	595 م	0,25 لتر في الثانية موسمية
عين العقار الرابعة	1,25 كم شرق نبع أبو للو	595 م	0,25 لتر في الثانية موسمية
عين الحفرة	1 كم شرق نبع أبو للو	520 م	2 لتر في الثانية موسمية
عين الصقارة	3 كم شرق نبع أبو للو	650 م	1 لتر في الثانية موسمية
عين الحنانة	3,25 كم جنوب شرق نبع أبو للو	600 م	0,25 لتر في الثانية موسمية
عين العجل الزنادي	2,25 كم شرق أبو للو	595 م	1,85 لتر في الثانية
عين الشلالة	3 كم شرق أبو للو	595 م	1,50 لتر في الثانية
عين حبون -	5 كم شرق أبو للو	625 م	0,50 لتر في الثانية
عين أبلخنه	6 كم شرق أبو للو	614 م	0,50 لتر في الثانية
عين أعجيسم	4 كم شرق أبو للو	610 م	1,50 لتر في الثانية
عين بوارباطه الزنادي	1,25 كم شرق أبو للو	580 م	0,50 لتر في الثانية

(*) هذه الينابيع قديمة وتتفاوت إنتاجيتها من سنة إلى أخرى حسب موسم الأمطار.

3- أسيريدس (بنغازي) هي إحدى المدن الخمس القديمة ، من المعروف أنها كانت تعتمد على نبع الجخ 10 كم شرق المدينة وهو نبع على شكل نهر سفلي يتفرع إلى عين الزيانه وأبو دزيره ويمر على منطقة الليثي حيث عرف في الكتابات القديمة باسم نهر الليثي وقد ثبت من الدراسات العلمية والحفريات التي أجريت في مدينة برنيكي القديمة أن هناك قناة صرف (Aguaduct) معاصره لتأسيس المدينة أما في منطقة سيدي اخريبيش فقد وجدت أنابيب من الفخار لنقل المياه من الجهة الشرقية المؤدية إلى منطقة الجخ وترجع بعض هذه القنوات في منطقة سيدي أعبيد للعصر الهلنستي المتأخر كما وجدت في منطقة السلماي قناطر لنقل المياه تعود للفترة الأوغسطيه⁽¹³⁾.

(13) Excavation at Sidi Khrebish, Benghozi (Berenice) Supp. L.A. Vol. 1-11

4) تلميشه: لقد ذكر بروكوبيوس القيصري: في كتابه عمائر جستنيان أن هناك خزانات عملاقة لحفظ المياه قد تدمرت في تلميشه في الأزمنة الغابرة وقام الامبراطور جستنيان بإصلاحها وقد أثبتت الدراسات الحديثة للباحثين الايطاليين ومعهد الدراسات الشرقية في شيكاغو على أن مياه مدينة تلميشه كانت تصلها من مسافة طولها 20 كيلو مترا من وادي زيوانه وحبون وملكه ووادي الرمان.

وبعد دراسة القناطر المائية من قبل هؤلاء الباحثين⁽¹⁴⁾ إتضح أنها تتخذ مسارا انسيابيا عبر أحجار منحوتة أو مبلطة ومع سفوح الجبال وعبر الوديان وتتحول إلى نفق عند ضريح سيدي بلقاسم وتمر من حبون، المرامي، وادي ملكه، وادي أم الرمان، وادي الحنيه، وادي شقلوف، وادي سدراجي، وادي كرميني، وادي البراني، وادي العصر، وادي الصومعة، وادي زيوانه ثم تتجه إلى الصهاريج التي يبلغ عددها 14 صهريجا عملاقا تكفى لتوفير المياه للمدينة بالكامل.

5) هدرينوبولوس (دريانه) لقد عرفت هذه المدينة الواقعة شرق مدينة بنغازي باسم المدينة السادسة أو مدينة هدرين وكان الغرض منها إقامة مرفأ بحري لمدينة بنغازي عند الحصار وأملت الظروف عليها أن تستجلب إليها المياه من نبع أم الجوابي الذي يبعد حوالي 14 كم من المنطقة الجبلية جنوب المدينة عبر قناة صخرية تتجه نحو مدينة دريانه مارة لغوط البقر وجبانة سيدي عوض وصيرة البيضاء ثم صيرة القبار وقد استخدمت بعض الخزانات لحفظ هذه المياه قبل توزيعها على المدينة⁽¹⁵⁾.

أما بعض المناطق المحيطة بالمدن الخمس فقد استخدم فيها نظام الري الأوغسطي ولا يتسع المقام لذكرها جميعا إلا أن نبع استوه الواقع جنوب شرق أبولونيا يعتبر من المصادر الهامة التي استغلها الأقدمون ولكنها الآن ضاعت مع شقوق الأرض حيث بلغت إنتاجية هذا النبع ثلاثين لترا من المياه في الثانية حسب القياسات الحديثة التي أجرتها جامعة عمر المختار^(*).

(14) E. Ghislanzoni, Notizie Archeologiche Solla Cirenaica Roma 1915.

- G. Oliverio Documenti, Antichi d'le Africa, Italiana, Bergamo 1936

- G. Caputo, quaderni di Archeologia della Libya 1954

- Carl Kraeling, Ptolemais, city of the Libyan pentapolis, the University of Chicago 1962

- C. Arther and A. Bazama, Libya Antique XI, XII 1974

(15) G.D.B. Jones and J.H. Little, Hadrianopolis Libya Antiqua Vol. VIII 1974 p. 543

(*) يقوم بالدراسة حاليا الدكتور حمدي يعقوب والمهندس عمار عبد المطلب.

وقد استخدم لها الرومان قناة صرف من نبع لمفش ويتخذ مساراً مع الجبل ثم يخترق سداً معلقاً في الوادي قبل أن يدخل أنفاقاً أرضية تحت الجبل حتى منطقة الأصلاب الزراعية بانسياب طبيعي.

أما في منطقة طبرق (Antipurgos) والتي تعتبر خارجة على نطاق المدن الخمس فقد لاحظنا أن هناك إستغلالاً لمنطقة الخوير واسد من قبل الرومان وذلك بحفر آبار وصهاريج كما ذكرت بعض⁽¹⁶⁾ الدراسات أن هناك صهريجاً عملاقاً يتسع لسبعة آلاف متر مكعب من أجل سد حاجة مدينة طبرق القديمة التي أسسها مجموعة من البحارة الكريتيين كمرفأً صيد لهم في الجانب المقابل.

ختاماً ومن خلال دراسة الوضع المائي للمدن الخمس البتابلوس أو ما يعرف حالياً بمنطقة الجبل الأخضر فإن الإهتمام بمياه الأمطار والمحافظة على كل قطرة منها كان هو الهدف الرئيسي لجميع الأجيال المتعاقبة لهذه المنطقة ويمكن اختصار هذا الإهتمام في النقاط الآتية:

- 1- بناء السدود التعويقية للتحكم في الأمطار التي تجرف التربة.
- 2- بناء وحفر الصهاريج والآبار للحصول على المياه قبل ضياعها في البحر.
- 3- المحافظة على السدود الرومانية القديمة والصهاريج وعدم الاستهانة بها أو إزالتها من أجل استصلاح بعض الأماكن الزراعية.
- 4- استغلال فترة الشتاء للحصول على أكبر قدر ممكن من المياه سواء بحجزها في الصهاريج أو السدود لتكون مخزوناً جوفياً.
- 5- استغلال الينابيع الضائعة في الشقوق والوديان مثل عين استوه.
- 6- إن المحافظة على المياه تساوي المحافظة أيضاً على التربة لأن ساحل البحر في منطقة الجبل الأخضر يتحول إلى اللون الأحمر ولأكثر من شهرين خلال فصل الشتاء مما يدل على أن نسبة كبيرة من التربة قد جرفت المياه وخسرنا في آخر المطاف التربة والماء مما سيعرض الجبل الأخضر لفقدان التربة والأشجار والخضرة إذا لم نجد حلولاً لهذه الظاهرة ويجب أن تكون طموحاتنا بعون الله أكبر لمنع هذا الزحف الصحراوي.

(16) FR. Mulhover, Speteologia Cirenaica, Benghezi 1928 p. 21-21

دراسة لنقش قرطاجي-ليبي قديم

د. علي فهمي خشيم

مقدمة :

قد يخطر على بال بعض القوم أن يصرخ محتجا: إن ما يقال عن صلة البربرية بالعربية محض هراء، وما هذه الألفاظ المقارنة والمفردات المقاربة والكلمات المكافئة سوى نتاج لتأثير العربية التي جاء بها العرب المسلمون فاتحين بعد الاسلام. . وإن نحو من أربعة عشر قرنا من السنين سيطرت فيها اللغة العربية في كل مجال من مجالات الحياة على الشمال الافريقي لا بد أن تترك أثرها المؤثر في لسان أهله، وهي اللغة التي غلبت وهيمنت وكانت اللغة النافذة المسيطرة. لقد كانت البربرية هي اللغة المتفردة، فلما جاءت العربية انزوت الأولى وظهرت عليها الثانية فكان هذا الأثر الذي نراه.

وقد يبدو هذا الكلام منطقيا، وقد أخذه الكثيرون حجة ودليلا على ما يقولون به من "تميز" البربرية (وربما "امتيازها") قبل مجيء عرب الجزيرة بلغتهم. فهل نكذب الحجارة؟!!

من حسن الحظ أن الحجارة لا تعرف الكذب. ومن عمن الطالع أن ترك لنا الأجداد الأولون نقوشهم على الحجر الأصم، وسجلوا فوقها كلماتهم لنأتي نحن من بعدهم فنقرأ ما سطروا ونعيد تلاوة ما ناقشوا ونقدم، بفضلهم، الدليل على انتمائهم العروبي/ العربي الأصيل منذ الأزل وإلى الأبد.

في ما يلي من الصفحات مجموعة من النقوش المعروفة علميا باسم «النقوش الليبية» أو «اللوية»- كما يحلو لبعض الباحثين تسميتها. والواقع أنه لا فرق بين الثنتين؛ فإن الاختلاف في نطق المدة بعد اللام ياء أو واوا جاء من كون الاسم الذي

عرف اليونان به الساحل الافريقي غربي وادي النيل حتى المحيط الأطلسي جاء مكتوبا عندهم في صورة «لوبياء» Lybia-Lubia (وفي المراجع العربية الناقلة عن اليونان «لوبيية»). وقد نطقت كلمة Lybia حديثا «ليبيا» كما نطقت Syria «سيريا» (وفي العربية : سورية/ سوريا). وكتبها الايطاليون Libia (ليبيا) ونجدها عند الفرنسيين Li-by, Libie. وعند الرومان أطلقت التسمية على القارة الافريقية كلها، أو على ما عرفوه منها، بتعبير أدق. ثم هجرت التسمية إلى تسمية أخرى هي "أفريكا" Africa (= أفريقيا/ أفريقية) التي كانت تطلق أساسا على ما يعرف الآن باسم «تونس». وبمرور الزمن، وعبر تطورات تاريخية كثيرة، صارت كلمة «افريقيا» تعنى القارة الافريقية كلها وأطلقت تسمية «ليبيا» على الأرض الواقعة بين مصر وتونس.

في القديم كان أهل الشمال الافريقي، غربي مصر، جميعا يعرفون باسم «الليبيين» أو «اللوبيين» - بحسب قراءة الحرف (y) ونطقه. وفي أوائل هذا القرن خص تعبير «الليبيين» أهل هذه المنطقة ما بين مصر (حيث المصريون) وتونس (حيث «التونسيون»). ويبدو أن بعض الدارسين رام التفرقة ما بين التسمية الشاملة والتسمية المخصصة، فاقترح أن يطلق اسم «اللوبيين» (بالواو) على أهل الشمال الافريقي في التاريخ القديم، ومن ذلك (التاريخ اللوبي) و(النقوش اللوبية) و(اللغة اللوبية). الخ. . . تميزا عن «الليبيين» (بالياء) المعاصرين وبقية الصفات : لبي، لبيّة، الخ. . . غير أن الحقيقة أن الأصل الأول للتسمية لم يكن «لوبياء» ولا «ليبيا» بل جاء في النقوش الهيروغليفية المصرية في تسجيلاتها الكثيرة في صورة «ربو» Rbw كتبت بتحريك الأحرف الساكنة في كتابات المحدثين «ريبو» Rebu, Rib أطلقت على مجموعة القبائل غربي وادي النيل. وأصل «ربو» ذاتها هو «أربو». سقطت الهمزة في بداية الكلمة في مرحلة متأخرة من تاريخ الكتابة المصرية. وهي تقابل الأكادية «أريبو» ولها صور أخرى (أريبو، أريبى، أربايا. الخ.). وإبدال العين همزة أمر معروف في هاتين اللغتين (المصرية والأكادية) كما هو معروف في العربية نفسها⁽¹⁾. فهي أساسا (عربو) (=عريبو) أي «عرب» أو «أعراب» بمعنى: أهل البداوة، غير أهل

(1) يقال في العربية : «عربون» «أربون». وعننة تميم مشهورة وهي إبدال العين همزة، فيقال «أن» بدلا من «عن» وهي لغة تميم وقيس وأسد وقريش ومن جاورهم. يقولون «لأنك» بمعنى «لعلك» و«أباب» بمعنى «عباب» وموت «زؤاف» أي «زعاف»، ويوم «أك» أي يوم «عك» وهو الشديد الحر. الخ. انظر : تيمور : لهجات العرب ص 39-60

القرى والمدن (المصر والأمصار) والواو في آخر «عربو» هي واو الجمع في المصرية كما هو الحال في العربية. وقد أبدل اليونان الراء في الصيغة «ربو» إلى لام فكانت «لبو» وبالتحريك، والتحريف أيضا، كانت «لوبو» «ليبو» «لوبيا» - ليبيا.

وقد استعمل دارسون آخرون الصفة «نوميدي» Numidian لهذه النقوش نسبة إلى «نوميديا» Numidia وهي الاسم الذي استعمله الرومان لما يقابل «المغرب الأوسط» عندنا - من طرابلس شرقا إلى آخر الجزائر غربا. كما دعي القلم الذي كتبت به هذه النقوش أيضا باسم «التفناغ» (وأیضا : التفناق، والتفناك) ونجدده أحيانا في المؤلفات الفرنسية في صورة Tifinar - باعتبار نطق الفرنسيين للراء غينا. وهذه التسمية تطلق اليوم على القلم الذي يكتب به التوارق؟ إق وهو قريب من قلم النقوش القديمة وإن تغيرت بعض ملامحه وحروفه وزيدت عليه أشكال أخرى بدمج حرف في آخر مثلا.

فلتفق إذن على استعمال الصفة «ليبي» و«ليبي» منها للالتباس، ولأنها الصفة السرية المرتضاة الآن بالمعنى الجغرافي المحدد في عصرنا هذا ولكن بالدلالة القديمة على كل ساحل الشمال الافريقي غربي وادي النيل، وهو ما عاش فيه «الليبيون» القدماء.

هذه النقوش الليبية العتيقة كان بعضها أحادي الحرف واللغة، أي بالقلم الليبي واللغة الليبية، ولكن عددا وافرا منها كان ثنائي الحرف واللغة أعني أنه كان يحمل نصين اثنين، أحدهما ليبي والآخر قد يكون لاتينيا وقد يكون ما يسمى في بعض المصادر «بونيقيا» أو «بوتيا». وهاتان الصفتان الأخيرتان تعريب لما في الفرنسية Pu-nique والانكليزية Punic وهو تعريب لما أراد الغربيون تمييزه من اللغة والتاريخ الكنعانيين في شمال افريقيا، وقرطاجة بالذات، عن «الوطن الأم» في بلاد الشام. وهم انطلقوا في هذا مما ورثوه عن اللاتينية Poenus, Poenicus, Punicus عن اليونانية Phoinix والأصل فيها : «بنو كنعان» - سقطت النون المزیدة أصلا على الجذر (كنع) فكانت «بنو كنع» وطبيعي أن تسقط العين التي لا توجد في اليونانية كما حذفت النون المكررة فكانت «بنوك» (بنك) مع إبدال الباء المفردة بباء مهموسة (p) والكاف خاء (بنخ)، كما أبدلت الباء في المصرية القديمة فاء فنجدتها «فنخ». وهذه الخاء هي التي صارت في اللغات الأوروبية تنطق «كس» (x)، وح ولت في العربية إلى قاف (فتق) ومنها الترجمة الخاطئة «فينيقيا» - «فينيقيون»، ولا صحة إطلاقا لما يروى من أن تسمية (فينيقيا) أصلها اللون الأحمر الأرجواني، أو النخلة، في اليونانية.

فلتفق هنا، أيضا، على استعمال الصفة «قرطاجي» و«قرطاجية» بدلا من «بونيقي» «بونوقية» أو «بوني» أو «بونية» لوصف بعض نصوص هذه النقوش إذ هي مكتوبة بلهجة قرطاجة الكنعانية العروبية.

اعتمادا على معرفة قلم «التفناغ» من جهة، ومعرفة القلمين اللاتيني والقرطاجي، تمكن الباحثون -عن طريق المقارنة- من قراءة الحروف الليبية القديمة، مع بعض الاختلافات التي سيرها القارئ في ما يلي من التحليل، واستطاعوا، عن طريق موازنة الأسماء في الأقلام الثلاثة، الوصول إلى معرفة قراءة المفردات الأخرى. ولما كان الرأي السائد والمسلم به أن البربرية ليست إلا امتدادا للغة الليبية القديمة، فقد لجأوا إلى مقارنة المفردات الليبية المقروءة بما في البربرية وحددوا معانيها ودلالاتها، إلى جانب مقارنتها بما في النص اللاتيني أو القرطاجي، ل يتم تحديد المعنى بأكبر قدر من الدقة، في النقوش المزدوجة فحللوها كذلك وبينوا ما تحويه.

لقد خضعت هذه النقوش في مجملها لدراسات واسعة وأبحاث مطولة مستفيضة. وهي دراسات كانت على أيدي علماء الغرب، والفرنسيين منهم بوجه خاص، وكانت الأبحاث موجهة -بطبيعة الحال- إلى فهم النص على ضوء ما ذكرناه واستخلاص النتائج المراد منها في تأكيد وجود ليبي/بربري متميز. وكان من النادر الإشارة إلى أية صلة بين لغة هذه النقوش والعربية أو إحدى اللغات العروبية الأخرى.

غير أن القراءة المتفحصية القائمة على منهج عربي واضح تبن -بكل جلاء- أن ما يسمى اللغة الليبية القديمة وما سجل منها على النقائش إنما هي لغة عروبية قحة، بل هي عربية في الواقع. كل ما في الأمر أن مفرداتها من القدم بحيث تعدّ من «الميت» أو «المهمل» الذي لا يوجد إلا في المعاجم، كما أن عددا كبيرا آخر لا يوجد في معاجم العربية بل يعثر عليه في معاجم اللغات العروبية الأخرى، كالأكادية والكنعانية والسبئية والمصرية، ومن حسن الحظ أننا نملك الآن بين أيدينا مثل هذه المعاجم للغات العروبية العتيقة، مما ييسر مجال المقارنة ويسهل البحث ويوضح حقيقة الارتباط الأزلي بين الليبية القديمة، وطبعا ابتها البربرية، من جهة والعربية وشقيقاتها من جهة أخرى، حقيقة علمية ثابتة مؤكدة لا تقبل المراء. فالحجارة لا تكذب، ولا تجادل عبثا، ولا تماري!

وها هي خلاصة بحث طويل مضمّن أضعها بين يدي القارئ مستندا فيها إلى مصدرين⁽²⁾ أساسيين هما أشهر المصادر في باب قراءة النقوش الليبية القديمة إلى جانب مراجع أخرى مساعدة. وإني لأعلم أن القارئ العام سوف يجد عسرا في متابعة الأمر، ولكنه سوف يخلص إلى نتائج بالغة الأهمية إن استطاع صبرا. وقد حاولت تيسير الموضوع قدر ما استطعت. أما القارئ المتخصص، أو الملم بشيء من «خلفيات» القضية فأمل أن يجد في ما يعرض شيئا يبعث على التأمل والاهتمام.

النقش (1)

نقيشة تعتبر أشهر النقائش الليبية القديمة، اشتهرت باسم «حجر مسنن»⁽³⁾ وقد اكتشفت في مدينة «دكة» الأثرية في تونس سنة 1904م. ونشر نصها (شابو) سنة 1918 في دورية Punica تحت عنوان (مجموعة نقوش ليبية (Chabot, Recueil des inscriptions Libyques) تضم جملة من النقوش بالقلم الليبي القديم التي كان يعثر عليها بين الحين والآخر منتشرة على طول ساحل الشمال الأفريقي. وهي نقش مزدوج اللغة يحمل في أسطر خمسة منه نصا مكتوبا بالحرف واللغة القرطاجيين وفي أسطره السبعة المقابلة نصا بالحرف واللغة الليبيين وأكمل السطر السابع منه بالحرف واللغة القرطاجيين - كما هو منقول بأرقام سلسلة للنصين معا:

أ) النص القرطاجي:

فلنبداً أولاً بقراءة النص القرطاجي وفهمه ثم نأتي إلى النص الليبي من بعد. وقد نقل (فريد ريش) هذا النص إلى القلم اللاتيني كما يلي:

(2) هما :

Chabot : Recueil des inscriptions Libyques, Punica, 1918, M.G. Marcy ; Les inscriptions Libyques bilingues de l'Afrique du Nord, Imprimerie nationale, Paris, 1936

(3) يعرف في المصادر اللاتينية في صورة Masinissa كان يحكم منطقة "قرنة" Cirta (قسنطينة الآن) وتعاون مع الرومان ضد قرطاجة واستطاع أن يوسع دائرة ملكه حتى شملت ما يعرف الآن بالجزائر وجزءاً كبيراً من تونس وقسماً من المغرب. امتد به العمر طويلاً (من 240-148 قبل الميلاد) وحكم ستين عاماً. كان عالماً بالاقتصاد والزراعة واللغويات والديانات (أمه كانت كاهنة معد) متأثراً بالثقافة اليونانية العليستية، وازدهرت في عصره العلوم والتجارة والحياة المدنية (يقال إن الحرف الليبي القديم "اخترع" في بلاطه) وخلف آثاراً كثيرة. توفي قبل إحراق الرومان مدينة قرطاجة (سنة 146 ق.م) بعامين، وخلفه ابنه "موكسن" المعروف في النصوص اللاتينية في صورة "مكيسا" Macipsa. (انظر، Paul Mackendrick ; The North African Stones Speak, p. 189)

وننقله إلى الحرف العربي فنقرأ:

(1) «مقدش زبناً بعلاء تبكك لـ مسنسن هـ مملكت بن كعيي هـ مملكت بن زللسن هـ شفط بـ شت عشر ش - [ملك]» (2) «مكوسن ب - شت شفط هـ مملكت بن أفشن هـ - مملكت ربت مأت شنك بن بنيي و - شفط بن نكم بن تنكو» . (3) مصصكوي مكن بن يرشتن بن سديلن و - كزيي مكن بن شفط رب مأت بن عبدأشمن هـ م [مل] - كت» (4) «كلد كيمل زمر بن مسنف بن عبد أشمن هـ زد[ر] حمشم هـ أش مقلء بن أشين هـ مملكت بن مكن هـ - مملكت» (5) طنأم عل هـ - مملكت ز أشين بن أنككن بن بطش و - أرش بن شفط بن شنك» . . . (12) « . . . وه بنأم هنا بن يتبعل بن حنبل و - نفطسن بن شفط»⁽⁴⁾.

قراءة (مارسي):

اننا نصرف النظر، مؤقتاً، عن حشد الأسماء التي يمتلئ بها هذا النص ونكافئ مفرداته بما في العربية على النحو التالي - حسب قراءة (شابو):

السطر (1) : «ت» = العربية : «ذا» = هذا.

«مقدس» = العربية : «مقدس». أي محرم، حرم، معبد، هيكل.

«ز» = العربية : «ذو» = الذي

«بنأ» العربية . . «بنى» .

«بعلاء» = العربية «بعال» أي رجال، أهل.

«تبكك» = ما يعرف الآن باسم «دكة» (المدينة الأثرية في تونس).

تعليق:

حلل (مارسي) (Marcy; I.B.P.24) اسم هذه المدينة العتيقة الذي يرد في النص الليبي بالثاء المثلثة (تبكك) وفي اللاتينية Thugga وفي النطق المحلي بالذال: «دكة» وفي الانكليزية Dugga والفرنسية Dougga ورأى أن الثاء المثلثة مبدلة من التاء المثلثة كما هو الشأن في عدد من اللهجات البربرية (الشاوية والريفية مثلاً) وأن «u» في الصيغة اللاتينية Thugga وكذلك «ou» في الصيغة الفرنسية Dougga في الأصل مبدلة (4) التمة من السطر (12) في النص الليبي الذي استكمل بالقلم الكنعاني.

من الباء «b» كما يحدث كثيرا في اللهجات البربرية . ونضيف أن تكرار حرف القاف المعقودة «gg» في «Toggā (a)» يشبه تكرار حروف أخرى في أسماء وألقاب غيرها (من مثل تكرار الميم في «هـ مملكت» والصاد في «مصصكوي» . الخ) ونرى أن القاف المعقودة هنا مبدلة من الكاف الصريحة (تبك = تبك) . وقد ظلت هذه القاف المعقودة المبدلة من الكاف في اسم قرية جنوب بلدة «مزدة» (اسمها الأصلي : «مسجدا» أي : المسجد) في الاقليم الغربي من ليبيا تدعى «طبكة» .

الجذر إذن هو «تبك» ولكي نقرب المسألة نذكر الاسم «تبكتس» Tabaktis في اللسان اليوناني ، وهو الذي كانت تعرف به مدينة «مصراته» على بعد 200 كم شرقي طرابلس ، ويكتبه (أوريك بيتس) «Tabaktis» وهو يرى أن التاء في بداية الاسم ونهايته سابقة ولاحقة معروفة في أسماء الأماكن الليبية القديمة ، للتأنيث ، والسين زائدة يونانية «(s) T.B.C.T. (Betes; p.76-77)» . فالجذر الأصلي هو «بك» (BK)BC . ويضيف (بيتس) أن التاء الثانية تسقط عادة ؛ فبدلاً من «تبكت» نجد «تبك» . وهو يشير إلى أن تاء التأنيث في العربية تسقط أو تتحول إلى مدّة ، فتكون «تبكا» - أو مجرد هاء خفيفة : «تبكه» .

وليس في الإمكان معرفة النطق الأصلي في النصين القرطاجي والليبي لاسم هذه المدينة نظراً لانعدام الصوائت في القلمين أما الاسم المحلي «دكة» فلا ريب في أنه يساوق النطق اللاتيني Thugga - بسقوط الباء أو إبدالها واوا من «تبكا» (= تبكا) .

أما عن معنى الاسم فيمكن فهمه بإرجاعه إلى الجذر «بك» ومعناه في المصرية القديمة «مدينة» (معجم بدج ص 207)⁽⁵⁾ ونجد في القبطية «بكي» Baki بمعنى «مدينة» كذلك دون تعريف فإذا عرفت بالتاء (كما في البربرية) نجدها «تبكي» Tabaki (= المدينة . انظر جورج صبحي ؛ قواعد اللغة المصرية القبطية ، ص 58) . وهذه التاء في بداية الكلمة هنا ليست للتأنيث ، بل هي أداة تعريف المؤنث تقابل اسم الإشارة إلى المؤنث في العربية (تا) فإذا أنثت الكلمة في القبطية أسبقت بـ«تا» (اسم الإشارة وألحقت بـ«ت» (تاء التأنيث) والأخيرة تسقط عادة في هذه اللغة وتعوض بحركة قد تكون مفتوحة أو مكسورة . ومن المؤكد أن «تبكي» كانت في الأصل «تابكت» ، وبدلاً من أن تكون «تبكا» (تا+بكا) بحركة مفتوحة جاءت هنا «تبكي» (تا+بكي) بحركة

(5) وردت Baka ، Bakai وقارنها الأستاذ "بدج" بالقبطية Baki

مكسورة فهي توافق تماما اسم مدينة «مصراته» القديمة «تبكت» (تا+بك+ت) الذي عرف في اليونانية في صورة Tabaktis فوجب أن يكون معناه : «المدينة».

إن ما يؤكد قولنا أن اسم «مصراته» (ويكتب قديما «مسرته» - كما هو عند ابن خلدون مثلا وفي المراجع العربية الأخرى) يعني : «المدينة» أن التسمية وردت في النصوص السبئية «م س ر ت» وترجمت بأنها تعني : وضع أسس البناء (معجم بيللا، ص 281) ولكننا نرى أنها تعني : الأساس / الجدار / السور / المدينة. ولا يزال عرب ليبيا يعبرون عن الجدار بأنه «الساس» أي الأساس. كما كان بدو برقة (الاقليم الشرقي من ليبيا) إلى عهد قريب يعبرون عن كون أحدهم ذاهبا إلى المدينة بقوله إنه ذاهب إلى «مصراته». ومن الواضح أن «مسرته» (م س ر ت) و«مصراته» (م ص ر ت) كليهما شيء واحد وأن الهاء في آخرهما أصلها مدّة (مسرّاتا/ مصرّاتا) وأن التاء في نهاية الكلمة للتأنيث، فالأصل هو «مسر» = «مصر» أي : البلد، المدينة. وهذا ما نجده في البربرية «تمزرت» (تا+مزر+ت) حيث أبدلت السين في «مسر» والصيد في «مصر» زايّا (مزر)، وأسبقت بتاء الإشارة إلى المؤنث (تا) وألحقت بتاء التأنيث (ت) ومعناها : البلد، المدينة، المصر.

نخلص إلى القول بأن مصراته (أو: مسرته) عرفت بهذا الاسم عند الكتاب العرب، ومعناه «المدينة» كما عرفت بمرادف آخر هو «تبكت» ((s) Tabakti عند اليونان) ومعناه «المدينة» كذلك. وهذا يعني أن اسم «دكة» (= تبكك، في النص القرطاجي وتبكك في النص الليبي وThugga في اللاتينية وDugga في الانكليزية وDougga في الفرنسية. قارن كذلك «طبكة» في غرب ليبيا) يعني : المدينة - باعتبارها عاصمة ذلك الزمان. فهل نجد ما يكافئها في العربية؟

إن هناك اسم «تبوك» التي تقع الآن في شمال الجزيرة العربية. وكانت مدينة حصينة شهدت واحدة من أهم معارك الفاتحين الاسلاميين الأول. لكننا نمضي مباشرة إلى أهم مدينة في الجزيرة العربية منذ القدم، وأقدس مدينة إسلامية الآن : «مكة». وقد وصفت في القرآن الكريم بأنها «أم القرى» (أي «العاصمة»/ المدينة الرئيسية يقابلها حرفيا : Metropolitan = أم المدن/ المدينة الأم). وورد اسمها بالميم (مكة) : «وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة» (الفتح : 24). كما ورد بالباء (بكة) : «إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهديّ للعالمين» (آل عمران : 96).

إننا نرى أن الاسم الأصلي لما اشتهر في صورة «مكة» بالميم هو أصلاً بالباء «بكة» - جذره «بك» (المدينة والتاي للتأنيث (بك. ت) وهذا يتفق تماماً مع ما عرضناه. وكل ما في الأمر أن الصيغة العربية أسقطت تاء الإشارة إلى المؤنث (تا) واحتفظت بتاء التأنيث (ت) فكانت فيها «بكت» (بكة) بينما احتفظت الليبية بتاء الإشارة وأسقطت تاء التأنيث فكانت فيها «تبك»، كما رأينا الشيء نفسه في «تبوك». ولا ضير في هذا؛ ففي القبطية نجد «بكي» Baki معرفة بتاء الإشارة في مثل «تبكي ن رماو» TABAKI n Ramao (المدينة الغنية)، كما نجد تاء التعريف في مثل «تنشت مبكي» Tnisht mbaki (البلدة العظيمة، أي : العاصمة (صبحي) المصدر السابق ص 85).

«ل» : حرف جر كما في العربية «...» (لمسنن).

«بن» : العربية : «بن» / «ابن» - أي : ولد.

«هـ - مملكت» : الهاء للتعريف. «مملكت» = العربية «ملك». ونلاحظ أن الميم مضعفة، يماثل وضعها ما في العبرية حين يعرف الاسم يضعف الحرف الأول منه. أما التاء فمزيدة مما نلاحظه في النص الليبي. وتبدو زيادة التاء هنا مقابلة لزيادتها في العربية في بعض الأسماء - للمبالغة⁽⁶⁾.

«هـ - شفت» : الهاء للتعريف. «الشفت» = العربية : «السبط» (انظر تحليلها في النص الليبي).

«ب» : حرف جر = في، كما في العربية.

«شت» = العربية : «سنة» (سنت).

«عشر» = العربية : «عشر»

(6) في النص الليبي : "كلدت" الشاء المثلثة مبدلة من التاء المثناة (كلدت) وعند مارسى (Marcy, I.L.B. pp. 25, 42) أن هذه التاء مزيدة للتفخيم والتعظيم كما يقال في العربية "علامة" في وصف الرجل الغزير العلم. وقد تعرض أبو حاتم السجستاني لهذه المسألة في (كتاب المذكر والمؤنث) ويقول د. ابراهيم السامرائي الذي نشره ضمن (رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ) إن "العلامة للتأنيث، ولا سيما التاء، غير مختصة بالمؤنث. ومعنى هذا أنها ليست ذات أصالة في التأنيث. نلمح هذه التاء في طائفة كبيرة من الأسماء فلا تخطر في أذهاننا فكرة التأنيث وهي كالتاء في : الراوية والباقة والعلامة والفهامة، ونحو ذلك" (ص 82).

«ش — [ملك]: «ش» = العربية: «ذو» (ذي) = من. «ش ملك» ك
العربية: «ذي ملك»، أي: من ملك = منذ ملك.

السطر (2): «ربت مأت» = العربية: «أرباب المائة» أي: قادة المائة.

السطر (3): «مصصكوي» انظر تحليلها في النص الليبي - فيما يلي

«كزي» انظر تحليلها في النص الليبي - في ما يلي

«كزي» انظر تحليلها في الليبي - في ما يلي

«رب مأت» = العربية: «رب المائة» أي: قائد المائة.

السطر (4): «كلد كميل»: «كلد» = العربية: «سلط»، أي زعيم: «كميل» =
العربية «جمال».

«ه - أد[ر]: الهاء للتعريف. ووضعت الراء بعد الألف والذال تخميناً لحفاء
الحرف وترجمت بمعنى «قائد». وتعني «أدر» في الكنعانية: القوي الشديد الشريف (فريحة؛ ملامح. ص 595) ويكافئها بالعبرية «أدير» addir. قارن البربرية «أدر»
(Mercier; Voc. et textes, p. 432). العربية: «عدر»⁽⁷⁾.

(7) استعرض محمد فنطر في مقالة له في (الموسوعة البربرية، المجلد الثاني، 127-129) كلمة
«أدر»/«أدر» من مختلف الجوانب وقرنها مرة بالبربرية «يدر» (يعيش) وأرجعها أخرى إلى العبرية
«أدير» وفيها دلالة القدرة والسلطان، والكنعانية «عدر» بمعنى: رئيس/ وحيه (كما جاء في بعض
النصوص: «عدرا لبق» = أعيان/ وجهاء (مدينة) لبدة» واستخلص أن «عدر» (وتبدل العين همزة:
«أدر» تفيد في كل النصوص التي قدمها دلالة القدرة والهيمنة والوجاهة ومن ثم الغنى والقوة
المادية والمعنوية. ونجد هذه الكلمة (عدر) في أسماء قرطاجية من مثل (عدر - ملك، عدر - بعل)
التي دخلت اللاتينية في صورة Baladir, Balladir (= بعل - أدر) الخ. لكنه لم يشر قط إلى
العربية (!). ففي العربية: (عدر) تفيد الجرأة والاقدام، شأن القادة، وتتعاقب العين والهمزة فيقال
«عدر» و«أدر» (اللسان، مادة: عدر). وبالدال المعجمة: (عذر). يقال: ملك غذور أي واسع
عريض وقبل شديد. وبالنزاي: (عزر) وفيها دلالة القوة والتصر والفخامة والعظمة والوقار
والصلابة، مما يوافق صفة القيادة. ولزيد من المقارنة نذكر العربية (أزر) لتي تفيد القوة كذلك
وقارنا ربحي كمال (ربحي كمال: التضاد في ضوء اللغات السامية، ص 69 بالعبرية «أديرت»
والآرامية «أديروثا» والسريانية «هديروثا» = مقدرة، جلال، وقار، جمال، سناء، بهاء. وكل هذا
على أساس تعاقب الحروف والأصوات. والصفة: «هدير» = جليل، قادر... إلخ.

«حمشم» = العربية: «خمس» مجموعة بالميم «خمسيم» (خمسين) «هـ - أش»: الهاء للتعريف. «أش» (رجل) = العربية: «أيس»⁽⁸⁾.

السطر (5): لـ «طنأم»: صيغة جمع بلميم («طنأ» (أشرف)⁽⁹⁾. في الكنعانية (نصوص رأس شمرا): «ثنن» = شيخ. العربية «ثني» الثني: الذي يلي السيد في الرتبة.

«عل» = العربية: «على».

«هـ - ملكت»: الهاء للتعريف. «ملكيت» = العربية: «مَلِك» (بكسر الميم)⁽¹⁰⁾ والمقصود: البناء.

(8) قديدو اختيارنا لكلمة «أيس» العربية في النص غريبا ولكنه اختيار مبني على ما في اللغة الأكادية «أش (م)» ومعناها: زوج. رجل. إنسان. ومؤنثها «أشت (م)». والمعنى الأصلي: الكائن، الموجود. وفي العربية «الآيس» = الوجود. واسم الفاعل قياسا: «الآيس» = الموجود، الإنسان، الرجل قارن كذلك العربية (عيش) ومنها: العايش = الحي، الكائن، الموجود، ويتطور الدلالة: الإنسان؛ الرجل.

لاحظ في جملة «حمشم هـ - أش» أن الجمع وقع على «حمش» (=خمس) كما في العربية (خمسين) وأن التمييز كان بالافراد «هـ. أش» (= الرجل) كالعربية (رجلا). ويمثل هذا التركيب ما في العبرية: «شبعيم إيش» (سبعون رجلا) بالافراد، ولكن نجد فيها كذلك «شبعيم أنا شيم» بالجمع (بركشتراس: التطور النحوي، ص 123).

(9) ترجم (شابو) كلمة «طنام» إلى لفرنسية *Preposes a cette oeuvre* (الموكلون بهذا العمل). وترجمها (مارسي): *Preposes (a la surveillance de l'edifice)* (الموكلون (بملاحظة) البناء). بيد أن كلمة «طنأ»، مفردة، تأتي في نصوص قرطاجية كثيرة وترجم بمعنى: بنى، شيد. وجذرها «طن» يكافئ ما في الجذر الثلاثي (طين) في العربية الذي جاء فيه: «طان الحائط والبيت والسطح طينا وطينة: طلاه بالطين (ويقال): طنت السطح. وبعضهم ينكره ويقول: طنت السطح فهو مطين. . والطيان: صانع الطين وحرفته: الطيانة (اللسان). ونفهم من هذا أن اسم الفعل (طيان) من الذي يطين أي يصنع الطين، أما الذي يطين أي الذي يطلي الحائط ونحوه بالطين فهو: «طائن» وهي الكلمة التي تكافئ بها القرطاجية «طن» فإذا جمعت (طنأم) كوفنت بالجمع في العربية (طائنون). وقد يرجح وجود كلمة «عل» (=على) بعد «طنأم». (على. هـ. ملكت. ز) ترجمتها بـ «المشرفين على هذا الملك» ولكن إمكان استعمال «ب. .» بدلا من على في الترجمة الآخر «الموكلون بهذا الملك» يجعل استعمال حرف الجر الثالث «ل. . .» ممكنا في الترجمة الحرفية التي نقرحها هنا وهي: «الطائنون ل الملكوت ذا» (الطائنون للملك هذا) اعتمادا على أن حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض كما هي القاعدة المعروفة ويكون المعنى: الذين طانوا المبنى، أي الذين طلوه بالطين، وليس «المشرفون على البناء».

(10) وتأتي بفتح الميم (مَلِك) وبضمها (مُلِك). ويقال «مَلَكَة» أيضا كما يقال «ملكوت» - بمعنى واحد. والصيغتان الأخيرتان تطابقان ما في النص القرطاجي هـ. ملكت (=الملكة. الملكوت).

« = العربية : «ذا» ، أي : هذا .

السطر (12) : «وه بنأم» : الواو للعطف = العربية : «و» والهاء للتعريف .
«بنأم» : جمع بالميم لـ «بنأ» = العربية : «بناء» جمعها في حالة النصب والكسر :
«بنائين» وفي حالة الرفع : «بنأؤون»

بعد هذا تمكنا قراءة النص في لغته القرطاجية مكافأة بالعربية هكذا :

«ذا المقدس (ال) ذي بناء بعال تبوك لمسنن الملك بن قعي الملك بن زلسن
السبط، بسنة عشر ذي ملك مكوسن بسنة سبط الملك بن أفشن الملك . أرياب المائة :
شنك بن بني وسبط بن نكم بن تنكو الـ (مسسكوس) مكن بن يرشتن بن سديلن .
والـ (كزبي) مك بن سبط رب المائة بن عبد شمن الملك . سليط الجمال : زمر بن
مسنف بن عبد شمن . عدير الخمسين أيسا مقلء بن أشين لملك بن مكن لملك .
الشيون على الملك ذا ⁽¹¹⁾ أشين بن أنكن بن بطش ، وأرش بن سبط بن شنك . . .
والبنأؤون : حن بن يتني بعل بن حنبعل ونفطسن بن سبط» .

(ب) النص الليبي :

قرأ (شابو) النص الليبي كما يلي محولا إلى الحرف اللاتيني :

وننقله إلى الحرف العربي ، فنقرأه :

السطر (6) : «صك[ن]» . تبكك . بنيفش (؟) مسنسن . كلدث . و- كيي .
كلدث . و- زلسن . شفت .

السطر (7) : «سبنسده . كلدث . سيسه . كلد . مكوسن»

السطر (8) : «شفط . كلدث . و- فشن . كلدث . موسنه . شنك . و- بني و-
شنك . د- شفت . و- م[كن]» .

السطر (9) : «وتنكو - مصصكو . مكن . و- يرشتن . و- سديلن . كظب .
مكن . و- مو[سنه]»

السطر (10) : «و- شمن . كلدث . كلد كميل . زمر . و- مسنف . و- شمن . كلد
مصك . م[قلء]»

(11) أو «الطائون للملك ذا» .

السطر (11): «و-شين. كلدث. و-مكن. كلدث. طنين. شين. و-نككن
و-فطش. د-ر[ش]»

السطر (12): «[و] شفت. و- شنك» . . . (بقية السطر وخاتمة النص قرطاجي).

وهذه قراءة (مارسي) واضعا بين قوسين ما افترضه حركات أو صوائت بين
الأحرف الساكنة (الصوامت). لاحظ أن ترقيم (مارسي) للأسطر من (1) إلى (7)
بينما كان ترقيم (شابو) من (6) إلى (12) متابعا لأرقام النص القرطاجي.

تحليل النص الليبي:

أمامنا الآن النصان القرطاجي (= البونيقي، أو البوني)، والليبي. وقد كتبنا بقلمين
مختلفين، والمفروض أن لغتيهما متمايزتان. وعلى هذا الأساس كان هذا النص
«المزدوج اللغة». قلم مختلف ولغة مختلفة فما الذي يوحد بينهما؟

إن الذي يوحد بينهما ويجمع ذلك (القاسم المشترك) بين الاثنين، وغيرهما في
أنحاء الوطن العربي الكبير، أعني اللغة العروبية الأولى المتمثلة في العربية التي
نعرف، وهذا ما سنحاول بيانه، سنقابل بين النصين ومفرداتهما ونحلل
مفردات النص الليبي مكثفين بما عرضناه من مفردات النص القرطاجي، مقارنة
ومكافأة، مع صرف النظر هنا أيضا عن تحليل أسماء الأعلام المشتركة الواردة في
النصين . . . حتى حين.

ولقد تعرض النص الليبي في أطراف منه لعوادي الزمن فأكمل عن طريق مقابله
بصنوه النص القرطاجي. وتعرضت أجزاء من حروفه للتآكل فعوضت تخميناً على أيدي
بعض العلماء الذين اختلفوا في قراءة بعض الحروف ونطقها. وكانت النتيجة، طبعاً،
اختلافاً في التفسير وفهم المعنى المقصود كما كانت النتيجة أيضاً رص الحروف متتابعة،
أو فصل بعضها عن بعض، بطريقة يغمض معها معناها وهذا ما سيظهر عند التحليل.

وليس من الحكمة في كتاب عام مثل الذي بين يدي القارئ أن نغوص أكثر مما
ينبغي في التدقيقات الجزئية والتفصيلات المتعمقة، فإن لهذا مواطن أخرى عند ذوي
الاختصاص وإنما نكتفي هنا بالضرورة اللازم من الإشارة للتوضيح أو التدليل.
فالغاية هنا البيان وليست الغموض ويمكن للقارئ المهتم أن يتابع الأمر في مصادره
المختلفة المعروفة.

فلنمض، إذن، إلى متابعة ما شرعنا فيه :

السطر الأول من النص الليبي، السادس في المنشور :

«صكن . تبكك . بنيفش (?) مسنسن . كلدث . و- كيى و- زللسن . شفت»

التحليل :

«صكن» : قابلها كل من (روسلر) و(فريدريش) (Ext. Languages, p.123) بالبربرية «(إ) سكن» بمعنى «بنى» ونكافئها نحن بما في الأكادية : «شكانو» = وضع (أساسا للبناء مثلا) عمل، صنع، خلق، أي : بنى (انظر : Riemschneider; An Akka- dian Grammar. Weir; A lexicon of Accadian Prayers والسكن : المنزل والبيت أي المسكن الذي يبنى . غير أن هذه المقابلة غير دقيقة؛ أولا لأن المقابل القرطاجي لهذه الكلمة هو : «بعلاء» (= بعال) ومعناها : رجال، قوم/ ناس، أهل البلد، مواطنون . وثانيا لأن التعبير عن البناء ورد بعد ذلك كما يلي في كلمة «بنيفش». والصواب أن كلمة «صكن» مبدلة صاها من السين في العربية (سكن) التي منها : السُكُن : أهل الدار . والسُكُن = العيال، أهل البيت، جماع أهل القبيلة . السُكَّان، أي أهل البلد المواطنون - مما يقابل «بعلاء» (بعال) في النص القرطاجي .

«تبكك» : سبقت مكافأتها = «تبوك» .

«بنيفش» : وضع «شابو» و«فريدريش» علامة استفهام بدلا من الحرف السادس في النص وهو على شكل وهو عندنا حرف الحاء . وبذا فإن «بنيفش» ليست كلمة واحدة بل هي كلمتان : «بنى» + «فش» .

(1) «بنى» : العربية : بنى .

(2) «فش» مقابلة للكلمة القرطاجية «مقدس» . الشين المعجمة تعاقبت مع السين المهملة في العربية : «فسح» . ولا تزال هذه الكلمة مستعملة في لهجة الفلاحين المصريين في صورة «فسحة» بمعنى ك بناء ملحق بالدار . واستعملت في المصرية القديمة في نص هيروغليفي للفرعون الليبي (شيشنق الأول) : « وسخت » Wsht بمعنى «بناء ملحق» (انظر : Ricardo A. Caminos; Gebel es-Silsilah, p.57)(12) .

(12) قارن كذلك (معجم بدج) Budge; An Eg. Hieroglyphic Dictionary, p. 182-183 .

في النصوص اليمنية القديمة (السبئية) جاءت من الجذر (ف س ح) : «مفسحت» (= «مفسحات». جمع تأنيث «مفسح» بمعنى : مبان ملحقة.. في النص : «[بيت] هو. ومأخذتهو. ومفسحتهو». (= بيته وسدوده (المائية) ومبانيه الملحقة به). (انظر : Jamme, 618-17)

يقارن (اجام) بين هذه الكلمة والعربية «فسح» (=وسّع) و«أفسح» (أوسع) و«فسح» (اتّسع). وهو يترجمه إلى الانكليزية Annex (مبنى ملحق) أو : بناء مضاف إلى الحرم غالباً. ويشير إلى وروده في النقوش الكنعانية (رأس شمرا) هكذا : « ب س ح ن » (الباء المهموسة = ف. «فسحن» بذات المعنى. (قارن : C.H. Gordon; Ugaritic Manual, Vol.3, Rome 1955).

بهذا يمكن فهم الكلمة الليبية «فشح» (=فسح) بمثلولها العربي القديم : بناء ملحق بالمعبد - توسعة للمعبد. وهذا هو واقع الحال في المبنى المكرس للملك مسنسن ؛ فهو لم يكن نفسه هيكلًا أو معبداً بل كان إضافة للبناء باسم الملك تخليداً لذكراه. «مسنسن» : اسم الملك. معروف.

«كلدت» : تقابل «مملكة» في النص القرطاجي أي «ملك» في العربية. جذرها «كلد» والثاء المثلثة لنقط مبدلة من الثاء المثناة وهي ليست للتأنيث بل للمبالغة كما سبق بيانه في تحليل «ه - مملكة» (الملك)⁽¹³⁾.

ونلاحظ أن الثاء المثناة تبدل ثاء ثلاثية في البربرية الريفية ؛ (Justinard; Manuel; De Berbère Marocain) وفي البربرية الشاوية (قارن مايورده عثمان سعدي من مفردات في كتابه : عروبة الجزائر عبر التاريخ). وتبرز في السريانية (وريشة الأرامية) بوضوح في الأفعال والأسماء على حد سواء فنجد : « ائعزز » (تعزز). « انحلل » (تحلل، أي تطهر، صار حاله) كما نجد : « قريشا » (قرية)

(13) يقول مارسى ما نصه : « إن تعبير (أكليد) يحوي بوضوح لاحقة هي الثاء «ت» (أكلدت) بمعنى : رئيس أعلى - «ملك». واستعمال هذه اللاحقة البربرية التي تظهر ذات صلة بـ«ة» في العربية للصفات من طراز «علامة» يبدو أنه سقط من الاستعمال الآن. وفي حالة نصب (دكة) لا نتصور أن الأمر يتعلق باقتراض قواعد من البونيقية. ولقد ثبت استعمال «ت» البربرية ذات الوظيفة المشابهة فيها يحتمل، في القرن الثاني عشر (الميلادي) في اسمي علم اثنين في صيغة اسم الفاعل، مذكورين في مخطوط البيذق : «عصامت» و«كرامت». وفي ذلك العهد العتيق الذي نورد نصوصه تحت الدرس (200 ق.م) فإنه بالمناسبة يجب ألا نفاجأ بأن نرى تكرار الخواص المشتركة بين البربرية و(السامية)». Marcy; L.B. p. 42-43.

«حنفوثة» (الحنف) / «بشيا» (فتى)، «فلانيث» (فلانة)، «كبروثة» (الجبروت)، «بيناث» (بين). الخ⁽¹⁴⁾.

أما «كلد» GLD فهي كلمة شهيرة لا تزال مستعملة في اللهجات البربرية حتى الآن بمعنى : زعيم، رئيس، «سلطان»، ملك. الخ. وبنطق محور يبدل فيه الحرفان الأول والثالث فنجدها: (أ) غليد، (أ) جليد، (أ) جليض، (أ) شليض. الخ. (لاحظ أن الألف المهموزة بادئة في البربرية مزيدة). وقد «عربها» بعض الباحثين بـ«إقليد».

ولا يوجد في (اللسان) ما يفيد معنى الملك في مادة (قلد) اللهم إلا أن يكون هذا «التعريب» استناداً إلى الإقليد⁽¹⁵⁾ بمعنى «المفتاح» لكون الملك أو الزعيم مفتاحاً لكل أمر من أمور قومه، أو من «تقلد» لحكم أي احتمله فكانت له مقاليد الأمور.

ولقد أشرنا إلى ما تعرضت له هذه الكلمة من التحوير والإبدال في اللهجات البربرية. فلننظر ما هو عليه الحال في لغات عروبية أخرى:

يدعو «مانيشو» المؤرخ المصري المعروف أول ملوك من عرفوا باسم (الهكسوس) وهم قبائل عربية غزت مصر في القرن السابع عشر قبل الميلاد ودامت دولتها نحو من مائتي عام، يدعو به باسم «سلاتيس» Salatis ويرى الأستاذ «ودل» W.G. Waddell في تعليق له أن هذا الاسم يبدو (سامياً) ومن الممكن ألا يكون اسماً لشخص بل لقباً مثل «أمير» أو «قائد». وهو يرجعه إلى الكلمة العبرية «شليط» Shallit.

ونحن نعرف أن السين في الصيغة اليونانية «سلاتيس» زائدة للعلمية، والجذر هو «سلت». التاء فيه مبدلة من الطاء في «سلط» العربية، التي منها: «سليط» = الحاكم، المتسلط.

(14) ربحى كمال؛ التضاد في ضوء اللغات السامية. مواطن متفرقة. ونشير إلى أن كلمة «بيناث» بمعنى «بين» (ظرف مكان) صارت في الدارجة الليبية: «بيناث» وهذا استعماله آرامي/ سرياني قديم. وقد مرت بنا كلمة «أديروثة» في الآرامية وهي في السريانية (هديروثا) بمعنى القدرة - وفيها نرى التاء مثلاً

(15) يذهب الكثير من الباحثين إلى أن «إقليد» و«مقاليد» من اليونانية Kleidi, Kleidion (= مفتاح). وهذا خطأ فإن جذر هاتين الصيغتين اليونانيتين ومشتقات أخرى مشتقة كلها من Klei بمعنى : أغلق، أقفل. وهنا نقارن الكنهائية «كلأ» والسريانية «كلا» وهما بمعنى : أغلق، أقفل. وفي العربية المضمرية (كلأ) حفظ، حرس، صان، ومنها: الكلا = مرفأ السفن وهم يكلثون سفنهم هناك أي يحفظونها ويصونونها ويغلقون دونها موج البحر. وهو كذلك المكلا. قارن كذلك العربية (كلل) وفيها معنى لحفظ والضم والختم شأن «المقفل» الذي هو «المفتاح» في نفس الوقت. وقد ورد الجذر العروبي الثناذي (كل) في اليونانية مزيدا Kleidi, Klei-don ثم عاد إلى العربية «إقليد» وأصله البعيد عربي أصيل.

ومن جهة أخرى نعرف جميعاً قصة داود وجالوت . وقد ورد اسم «جالوت» في القرآن الكريم ثلاث مرات (البقرة؛ الآيات 247-248) وجذر الاسم هو «جلت» ويقول المسعودي (أخبار الزمانيان، دار الاندلس بيروت 1980) إنه لقب لكل ملك (عند الكنعانيين) وليس اسماً خاصاً بشخص معين .

في (رسائل العمارنة) المتبادلة بين حكام الأقاليم السورية والفرعونيين إمنحتب الثالث وابنه إمنحتب الرابع المعروف باسم «أخناتون» - في القرن الرابع عشر قبل الميلاد - نجد ذكراً له «بيا بن كلتي» Biia Son of Golati كما نقله الأستاذ (بيتري) . الرسائل رقم 26، 667 . Syria and Egypt From The Tell El Amarna Letters) ومن الواضح أن «كلتي» ترجع إلى الجذر «كلت» - GLT .

يوجد نص عربي جنوبي (يمني / سبئي) يرهن على أن عرب جنوب الجزيرة العربية : «كرب - إل . وتر . بن . ذمر . على . مكرب . سبأ . قنأ . يلط» .

وقد خمن (فيلبي) أن «يلط» الاسم القديم لمنطقة خربة سعود حيث اكتشف النقش . بيد أن بعثة آثار فرنسية عثرت منذ سنوات قليلة على نص آخر مقابل تماماً لهذا النص يقول : «كرب - إل . وتر . بن ذمر . على . ملكن» .

وعلى هذا اعتبر الأستاذان (روبان) و(ريكانز) أن «يلط» في نص (فيلبي) لقب يساوي لقب «ملكن» (= الملك) في نصهما المكتشف حديثاً . وواضح أن النقشين كانا في مناسبة واحدة، ولغرض واحد، يستعمل فيهما لقبان متماثلان في المعنى مختلفان في اللفظ، (انظر: ريدان؛ العدد 3، ص 155 من القسم الأجنبي) . وهذا يماثل استعمال النص القرطاجي في (حجر مسنن) كلمة «ه - مملكت» بينما استعملت في النص الليبي كلمة «كلدث» .

في (نصوص رأس شمرا) الكنعانية نقراً: «شلط» = تولي (الحكم) تسلط . «شليط» = عات، قوي، متسلط . سليط (فريجة؛ ملاحم وأساطير من أوغاريت) . وتقارن بالسرانية: «شليتا» shallita بنفس المعنى .

ما مرّ بين أن «سلت» و«جلت» و«كلت» و«شلت» و«يلط» و«شلط»، في مختلف اللغات العروبية هي ذاتها العربية: «سلط»، ومنها: «السليط» = الحاكم، الزعيم، الأمير، الملك . ورأينا في اللهجات البربرية: «شليض» و«جليض» و«جليد» و«غليد» (بحذف الألف المهموزة الزائدة في بدايتها) . وهي في النص الليبي هنا «كلد» «كليد» (بالتحريك) .

«و-...»: تقابل «بن» في النص القرطاجي، بمعنى «ولد» وفي القلم الهيروغليفي المصري صورة فرخ طير صغير تنطق واوا (و) وتعني: ولد. ويقترح الأستاذ (مارسيل كوهن) M.Cohen أن هذا اختصار للجذر العربي «ولد» ويضرب مثلاً بما يحدث في بعض اللهجات العربية، كما هو الحال عند عرب شنقيط (موريتانيا) الذين يختصرون «ولد» إلى «ود» وتعني عندهم «بن» أو «ابن» («فلان ود فلان» بدلاً من «فلان بن فلان»). ويحدث الشيء نفسه في الحبشية. وفي لهجة عرب مصر: «واد» ويقطعونها إلى مجرد «وا» عند الحديث السريع فيقولون: «تعا ياوا» (= تعال يا ولد) أو «انت يا ود» (= أنت يا ولد)... الخ.

لكن هذا غير لازم، فإن «و» تأتي في بعض النصوص الهيروغليفية المصرية «وأ»، بواو تتبعها ألف مهموزة، بمعنى: صغير، ولد. وقد تكون الهمزة مبدلة من اللام في «ول» المجتزأة من «ولد» - لأن المصرية القديمة لا يوجد بها رمز اللام في هيروغليفيها. كما قد تكون «وأ» محاكاة للصوت يصدر من الوليد. العربية في الرباعي المضاعف: «وأوأ» (ثنائيه «وأ») أي: صاح، وقال: «واء!» - فهو الوأواء. ومن هنا سمي الحيوان المعروف: «ابن آوى»، أي: ذو الوأواء - لصوته.

«كيي» اسم علم (والد مسنن).

«و- كيي» = ابن كيي. ولد كيي.

«و- زللسن» = ابن زللسن. ولد زللسن (اسم علم).

«شفط»: تقابل «ه- شفت»، معرفة في النص القرطاجي. وكونها معرفة يفيد أنها رتبة، أو صفة، وليست اسم علم هنا. وقد ناقش الأستاذ (فيفريه) ورود هذا اللقب بمعنى «الحاكم» هنا فيما استعملت كلمة «كلد» الليبية لقبا في بقية الأسماء وخلص إلى أن «شفط» مستعارة في القرطاجية⁽¹⁶⁾.

(16) James Fevrier; Inscriptions Puniques et Neo-Puniques, p. 97. ولاندرى ما معنى أن تكون الكلمة

«مستعارة» أو «مقترضة» ولماذا لا تكون مستعملة في اللغة الليبية القديمة كما في غيرها من اللغات العروبية؟ قد نتفق مع «فيفريه» في أن استعمال الكلمة، بمعنى «الحاكم» استعير من قرطاجة لأن نظام الحكم فيها يومذاك كان يقوم على وجود رئيسين متخين يدعى كل منهما «شفط» وهي كلمة عروبية مشتركة كما نرى مما قدمنا من شواهد، لكن استعمالها بدلالة معينة يختلف. ونضرب لهذا مثلاً مما نعرفه اليوم، ففي عمان يسمى الحاكم «السلطان» وفي دول الخليج يدعى «الأمير» وفي المغرب والأردن هو «الملك» إلخ. وهذه كلها ألقاب عربية تؤدي معنى الحكم، ولا يقول أحد إن لقبا منها استعير أو اقترض من لغة، أو لهجة، قطر آخر.

في اللغة المصرية القديمة: «شفيد» = فضل، جدارة، مقلم رفيع، شرف، عزّة -
Gard (iner, Eg. Gr.p.594)

الكنعانية: «شفط» و«ثقط» = قاض، حاكم. (فريحة؛ ملامح... ص 610)
العبرية: «شافاط» = قض، حكم. ويتخذ اسم علم. كما أنه لقب لرئيس
الجادين (قاموس الكتاب المقدس، ص 501).

والمعنى البعيد في الحكم والملك هو المقدرة والشدة والقدرة. قارن:
الأكدية: «صبت» = أخذ، أمسك، تغلب، رئيس. والفعل المعدّي «شصبت» =
تملك، حكم، اعتلى العرش (Riemschneider, p. 27)

السبئية: «سبط» = ضارب، غالب (Jamme, p. 171)
الحبشية: «رستي» = ضارب، جلد. (Jamme, p. 171)
العبرية: «شبط» = عصا، جماعة يقودها رئيس بعصا (معجم الكتاب المقدس ص
455).

وهذه الأخيرة تقابلها العربية: «سبط» وجمعها: «أسباط». وكانت تطلق على
أولاد النبي يعقوب وعلى كل من افرايم ومنسى ابني النبي يوسف، أطلقت على
القبيلة المنتسبة إلى كل سبط منهم.

العربية: (سقط). السقط: الكريم. و(سبط). السبّط: الرجل الطويل الحسن القد،
وهو سبط الجسم وسبطه: حسن الاستواء. والسبّط: واحد الأسباط وهو الولد أو ولد
الولد «وفي الحديث: الحسين سبط من الأسباط، أي أمة من الأمم في الخير، فهو واقع
على الأمة والأمة واقعة عليه. والأسباط من بني اسرائيل: كالقبايل من العرب...
ويقال: الشجرة لها قبايل فكذلك الأسباط من السبط (اسم شجرة) كأنما جعل اسحاق
بمنزلة شجرة وجعل اسماعيل بمنزلة شجرة والأولاد بمنزلة أغصانها» (اللسان: سبط).

السطر الثاني من النص الليبي، السابع في المنشور:

«سبسند. كلدت. سيسه. كلد. مكوسن»

التحليل:

«سبسند» تقابل في النص القرطاجي «ب - شت عشرش -» (أي: بسنة عشر ذي -).
وقد جاء وضع هذه الجملة من الحروف باعتبارها كلمة واحدة، واستغلق فهمها تبعاً

لذلك نتيجة خطأ في قراءة الحرف الثاني الذي نقل على شكل دائرة تتوسط نقطة باعتباره يمثل حرف الباء (ب). والواقع أن الأصل، قبل أن يشوه كان مجرد دائرة لا نقطة وسطها وهي التي تمثل حرف الراء (ر). فتكون القراءة «سرسنده». وهي مكونة من ثلاثة مقاطع وليست كلمة واحدة على النحو التالي:

(1) «سر» تقابل القرطاجية: «عشر». (العربية: عشر)

(2) «سن» تقابل القرطاجية: «شت». (العربية: سنة)

(3) «ده» تقابل القرطاجية: «ش». (العربية: ذو = ذي - معربة)

ملاحظات:

(أ) أمحي حرف العين من «عسر» في أول السطر بعامل الزمن والتعربة، والسين المهملة مبدلة من الشين المعجمة في «عشر».

(ب) نلاحظ أن في النص الليبي استعملت كلمة «سن» بدلا من «شت» في النص القرطاجي والأولى أقرب إلى العربية «سنة» (= سنت. ينطق تاء التأنيث المزيدة = سن. ت)

(ج) يمكن اعتبار الهاء في «ده» زائدة. وهذه ظاهرة متكررة في كثير من النصوص الليبية. كما يمكن اعتبارها هاء التعريف في الكنعانية، فتكون: «د. ه» ونقرأ هذا الجزء كما يلي:

«سر. سن. د. ه - كلدث» (= عشر سنين ذي الملك) أو : عاشر سنة ذي الملك).

«كلدث» سبقت مكافاتها.

«سيسه»: تبدو هذه الكلمة التي قرئت كلمة واحدة مكونة من مقطعين: «سيس. ه». والهاء هنا هي نفسها هاء التعريف لما بعدها: «ه. كلد» (= الملك). أما كلمة «سيس» فتقابل القرطاجية «ب - شت» (حرفيا. بسنة، أي في سنة). وقد ترجم (فريدريش) «شت» إلى الانكليزية Reign (ملك - حكم). وتأتي بمعنى: عهد، أوان، حكم، زمن ملك.

في اللغة القبطية تستعمل كلمة «سوي» Soy و«سويائي» Soyai للتعبير عن تأريخ الحدث (جورجي صبحي؛ قواعد اللغة المصرية القبطية، ص 94). وهي تعود إلى اللغة المصرية القديمة: «سس» (= يوم، وقت، زمان) وتجمع على: «سسو» (أيام، عهود) وتقارن بالقبطية: «سوي» Soy و«سيي» Sey و«سويسوي» Soysoy (Budge; An) Egyptian Hieroglyphic Dictionary, p. 696 وتعني: فصل، موسم، زمان، وقت، عهد.. إلخ

ولا شك في صلة ما ذكرنا بالكلمة الليبية «سيس». وهناك ثلاثة احتمالات في مكافأتها:

(أ) أن تكون مضاعفه من «سو» (في المصرية القديمة = يوم). وتستعمل في التواريخ (معجم فولنر ص 215) و«(أ)س في البربرية = يوم) والمعنى الأصلي فيهما: نهار. والمعنى الأبعد: شمس، نور. قارن العربية (سوا)⁽¹⁷⁾.

(ب) أو أن تكافئ العربية (سوس) ومنها: «السّوس: الرياسة، يقال: ساسهم سوسا. وإذا رأسوه قيل: سوسه وأساسوه. وساس الأمر سياسة: قام به. ورجل ساس من قوم ساسة وسواس.. وسوسه بسياستهم.. وسوس الرجل أمور الناس: إذا ملك أمرهم» (اللسان).

(ج) أو تكافئ العربية (أسس) ومنها: الأسّ والأساس: البداية.

ملاحظة: هذه المكافآت نقدمها بناء على ترجمة «فريدريش» للقرطاجية «ب. شت» باعتبارها تعني في الانكليزية reign (حكم، عهد أو زمن حكم) = «بسة». لكن كلمة «شت» في الكنعانية (أم القرطاجية) تعني أيضا: الأساس، الأسفل (= العربية «است» (فريجة؛ ملامح... ص 632) وهنا نقابل الليبية «سيس» بالعربية «أسس» ومنها الأساس = البداية أي بداية حكم (مكوسن) بن (مسسن).

«كلد»: ملك. سبقت مكافأتها.

«مكوسن»: اسم علم.

السطر الثالث من النص الليبي، الثامن في المنشور:

(17) في مادة «سوا» في (اللسان): السّوأي: النار. والسوء: البرص - والأصل في معناه البياض، شأن النهار والشمس والنور.

«شفط كلدث. و- فشن. كلدث. موسنه. شنك. و- بني و- شنك. د- شفط و
- م[كن]».

التحليل:

وقد سبقت مكافأة المفردات: «شفط» (=سبط)، «و-» (ابن = وأ)، «كلدث»
(الملك = السليط). أما «فشن» و«شنك» و«بني» و«شفط» الثانية فهي أسماء أعلام.
ولدينا مفردة: «موسنه»، وأداة الربط: «د» في «د-شفط».

(أ) «موسنه»: تقابل «ربت مأت» في النص القرطاجي. العربية «أرباب المائة» أي
قادة المائة من الجنود وهي رتبة عسكرية.

قرأ كل من الأساتذة (شابو) و(جسن) و(فريدريش) الحرف الأخير الذي نقل في
صورة ثلاثة خطوط يعلو أحدها الآخر في هذه المفردة هاء (هـ) بينما قرأه الأستاذ
(هاليفي) عينا (ع) وجعله (فريدريش) مرةً يمثل حرف القاف (ق) وأخرى يمثل حرف
الغين المعجمة (غ).

ومن الواضح أن ثمة خطأً في نقل النص أو في قراءته، أو في النقش الأصلي أو
أن عامل التعرية غيّر من شكل الحرف الأصلي ذاته.

ومما يؤيد هذا الظن أننا نجد هذا اللقب ذاته مكرراً أربع مرات في نص ليبي آخر
أحادي اللغة عثر عليه سنة 1909م عند البوابة الشمالية في مدينة «دكة» التي عثر فيها
على نقش (حجر مسنن) هذا، ونشره (شابو) في مؤلفه (أمشاج نقوش حجرية
(Chabot; Melanges Epigraphiques)⁽¹⁸⁾. وفي حين نرى المقطع الأول «مو»

واضحاً في هذا النقش كما هو الحال في (حجر مسنن) نجد الحرف الأخير من
المفردة مختلفاً، فقد جاء في صورة وهو الذي يقرأ تاء (ت) أو ثاء (ث) كما رأينا.

بهذا تمكن قراءة الخطوط الثلاثة في آخر هذه المفردة تاء (ت) باعتبارها مشوهة أو
متآكلة الأطراف من الحرف حتى تمكن قراءة المفردة: «موسنت» (وليس «موسنه»).
ولكي تقابل القرطاجية «ربت» «مأت» (أرباب المائة) لا بد أن تكون مركبة من كلمتين
وليست كلمة واحدة، هكذا: «مو. سنت» وبذا نحللها كما يلي:

(18) انظر كذلك : Chabot, R.I.L. p. 4

(أ) «مو»: تقابل القرطاجية «ربت» = سادة، أرباب، قادة، أصحاب (للملكية). ونرجح أن ثمة حرفا هنا هو حرف اللام (ل) في آخرها لتكون «مول». وهنا نكافئها بالعربية: «موال» = سادة، أصحاب (للملكية)، ذوو، أرباب (جمع «مولى» = سيد، رب).

(ب) «سنت»: تقابل «مأت» في النص القرطاجي.

وفي المصرية القديمة: «سنت» = مائة. وهي مؤنث «شن» بمعنى: محيط، دائري، ماء - باعتبار الماء محيطا بالأرض. وكما أن العربية «مائة» (وتكتب أيضا: «مائة») لا شك في اشتقاقها من «ماء»، فإن الجذر الثلاثي (شنن) في العربية (ثنائيه «شن») يعطي معنى المائبة: «سنت العين دمعها: صبته. والشنين: اللبن يصب عليه الماء. والشانة من المسایل كالرحبة، وقيل: هي مدفع لوادي الصغير. . والشنان: الماء البارد. . الخ» (اللسان). وتتعاقب الشين المعجمة مع السين المهملة فنجد نفس الدلالة في مادة (سنن): سنت العين الدمع، وسن عليه الماء. . الخ وفي الثلاثي (سنا): سنت السماء: إذا أمطرت، أي أنزلت الماء، وسنت السحابة: صبت ماءها. ومن ذلك السانية = الغرب وأداته لنضح الماء من البئر، والمسنوية: البئر التي يسنى منها.

وفي مادة (شنن) العربية كذلك معنى الإحاطة والدائرية ومنها: الشنان = القربة، أي وعاء الماء المحيط. وفي اللهجة المصرية: «الشونة» = مخزن الغلال المحيط بها. والمشنة = القفة، وعاء دائري، وفي اللهجة الليبية: «الشنة» = غطاء الرأس الأحمر، طاقة، وهي دائرية محيطة بالرأس.

وقد انتقلت العروبية «سنت» (= مائة، في المصرية القديمة) إلى اللاتينية فكانت فيها Cent (um) ومنها الإيطالية Cento والفرنسية Cent والانكليزية Cental (=قنطار) وفي بقية اللغات الأوروبية بصور متنوعة واستعمالات شتى، من أشهرها المقطع Centi الذي يدخل في الألفاظ الدالة على مقياس الحرارة ونحوها وفي مصطلحات علمية أخرى.

وهذا باب واسع يدخل في مجال آخر من مجالات مقارنة ما يسمى (اللغات الهندية- الأوروبية) نكتفي منه هنا بالإشارة. وغايتنا تبيان أن «سنت» الواردة في النص العتيق هنا بمعنى «مائة» عربية خالصة.

والخلاصة أن اللقب «مو[ل]». سنت» يكافئ حرفيا العربية «موالي السنة» أي :
«أرباب المائة» أو : «قادة المائة» من الرجال .

«د» : حرف عطف يقابل «و» في النص القرطاجي .

ورد في النصوص اليمينية القديمة (السبئية) استعمال «أذ» باعتبارها أداة عطف
ولإفادة التكرار في نقشين سبئيين (انظر : بافقيه وآخرون ؛ مختارات من النقوش
اليمينية القديمة، ص 146، 152، 315). راجع حديثنا عن (الجملة) في فصل (كتاب
الأجرومية) من هذه الدراسة .

السطر الرابع من النص الليبي ، التاسع في المنشور :

«و- تنكو . مسسكو . مكّن . و - يرشتن . و- سديلن . كزب . مكن . و- شفت .
مو [سنت]» .

التحليل :

«و - تنكو» تقابل في النص القرطاجي «بن تنكو» . وقد سبقت مكافأة «و-» (=
بن) . و«تنكو» اسم علم .

«مصصكو» : لقب لرتبة ، تقابل «مصصكوي» في النص القرطاجي والواو في
الصيغتين للعلمية ولياء في الثانية للإضافة . أما تضعيف الصاد (المبدل من السين)
فظاهرة تتكرر في حروف أخرى بهذا النص قد يكون للتشديد . والجذر على كل حال
هو «مصك» (= مسك) الذي سيقابلنا في السطر التالي .

هذا الجذر يصادفنا كثيرا في الأسماء الليبية التي هي أصلا ألقاب ، كما نجدها في
لغات عروبية أخرى :

ففي نص أكادي يرجع إلى عهد «سركن الأول» الذي تولى الحكم سنة 2371 قبل
الميلاد وهو منشئ الدولة الأكادية الأولى ، كان لقب أحد ولاته على مدينة
(أدب) Adab هو «مسك - كل» Misk-gal (Hall and Simposon; The Ancient History of The Near East
of The Near East) وهو لقب مركب من مقطعين : (1) «مسك» . (2) «كل» . وهذا
المقطع الأخير (كل) نجده في الأكادية «ل-كل» = الملكة (حرفيا : المرأة الكبيرة) . وفي
«إيا - كل» = القصر الملكي (حرفيا : البيت الكبير . قارن العربية «هيكل» .) . ويبدو أن

ثمة صلة جلية بين «كل» هذه واللقب اليمني المعروف: «قيل» و«قول» وجمعها: أقيال وأقوال، بمعنى: الملك، الرئيس، الزعيم، وما إليها. صارت في العربية بمعنى: بطل، مقدم، محارب، شجاع (قارن مادتي «قيل» و«قول» في (اللسان) وانظر لمزيد من التفاصيل (Jamme; Sabaean Inscriptions, p. 447).

هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن الصلة واضحة كذلك بين «كل» الأكادية والجذر الثنائي «جل» ومنه الثلاثي (جلل) في العربية، الذي منه: جليل، جلال، جلالة، جلّ = معظم... الخ.

ونعود إلى المقطع الأول (مسك) فنجده في الأكادية من نفس الجذر «مسك» الذي منه: «مساك» = قبض. ويقارن بالعربية (مسك). (Weir; A Lexicon... p. 206). وجاء اللقب «مسك» في النصوص السبئية في النص: وستبرو. وبمسكتهو. على. شعبن. حرث (و تجسّس بعسسه على قبيلة الحارث). (jamme; Sabaean Insc. p. 152).

في نصوص (رأس شمرا) الكنعانية: «مثك» = قبض على، أمسك. (فريحة؛ ملاحم... ص 666). ولاحظ أن الثاء المثلثة تعاقبت مع السين المهملة في «مسك».

نخلص من هذا إلى أن اللقب «مسك» (مصصكوي/ مصكو - في النصين القرطاجي والليبي) يطابق ما جاء في الأكادية والسبئية والكنعانية بمعنى: القابض على الأمور أو على اللصوص (شأن العسس في النص السبئي). فهو يكافئ في العربية: «الماسك».

«مكن»: اسم علم.

«و - يرشتن»: (ابن يرشتن) - اسم علم

«و - يرشتن»: (ابن يرشتن) - اسم علم

«و - سديلن»: (ابن سديلن) - اسم علم

«كظب»: لقب رتبة، تقابل «كزبي» في النص القرطاجي على النسبة. ومن العادة أن يدلّ مثل هذا اللقب الرفيع على الحسم (القطع) والقوة:

في كنعانية (رأس شمرا): «قظب» = الجزار، القصاب (فريحة؛ ملاحم... ص 657) قارن العربية: قصب = قطع، القصاب، القاصب = القطّاع، القاطع. قصب، قطب = قطع. وكل ذلك بتعاقب الحرف الثاني مع بقاء الدلالة على القطع.

وعن دلالة القوة نجد في العربية : قزب . قزب الشيء فهو قازب = صلب واشتد . ويقول (اللسان) إنها كلمة يمانية . قسب . القسب والقسب = الشديد من كل شيء ، الصلب . قشب . القشب : اليابس ، الصلب .

وقد نرجح المكافأة مع العربية (قضب) وفيها معنى الحسم والقطع ، كما أن منها : القضيب ، أي العصا المصاحبة لذوي السلطان ، فهو الـ«قضي» أو الـ«قضيبي» . وهذا لقب مناسب جداً .

«مكن» : اسم علم .

«و - شفت» : (ابن سبط) = اسم علم .

«موسنت» : تقابل «رب مأت» في النص الكنعاني / القرطاجي . العربية : «ربّ المائة» (جندي) . «مولى السنة» ، وقد سبقت مكافأتها .

السطر الخامس من النص الليبي ، العاشر في المنشور :

«و - شمن . كلدت . كلد كميل . زمر . و - منسف . و - شمن . كلد مسك .

م[-قلء] .»

التحليل :

«و - شمن» : تقابل «بن عبد أشمن» في النص القرطاجي . وقد سقطت «عبد» من النص الليبي .

«كلدت» : السليط . سبقت مكافأتها .

«كلد كميل» : لقب رتبة ، يقابل في النص القرطاجي : «كلد كميل» . مكون من كلمتين :

(1) «كلد» = سليط . وهي هنا تعني : قائد ، رئيس . وقد سبقت مكافأتها .

(2) «كميل» : وجاءت هنا بياء بعد الميم ، بينما أسبقت الياء على الميم في النص القرطاجي . بيد أننا نجد هذه الياء سابقة على الميم في نصين آخرين أحاديي اللغة (Chabot; R.I.L., pp4,5) : «كلد . كيملن» . ولنا هنا بعض الملاحظات :

(أ) إذا سبقت الياء الميم فالأرجح أن تكون ياء مماله ليست من بنية الكلمة وإنما مدت حتى حسبت حرفاً ساكناً وليست مجرد صائت للتحريك (الحروف اللبية ،

كبقية أنماط الكتابة العروبية، حروف ساكنة، أي صوامت). وهذا يشبه ما في العبرية «كومل» gomei. فيكون النطق حيثئذ «كيميل» gemil عمالة الياء كإمالة الواو في العبرية.

(ب) إذا جاءت الياء بعد الميم فقد تكون ياء عمالة إبدالا من الألف فيكون نطقها «كميل» gmei. وهذا يشبه إمالة الألف إمالة خفيفة نحو الياء في نطق أهل الشق الشرقي من ليبيا للعربية «جمال» (جمع «جمل») حتى تكاد تسمع «جميل» jmel.

(ج) نلاحظ أن في النص الذي بين أيدينا جاءت «كلد. كميل» وقد نعتبرها مكافئة لجمع «جمل» في العربية (جمع تكسير): «جمال»، بينما وردت في نصين آخرين: «كلد. كميلن» وقد تكون صيغة جمع مذكر سالم بالنون.

إن كلمة «جمل» (التي نكافئ بها «كيميل» / «كميل» هنا) وجمعها «جمال» تعني الآن الحيوان المعروف باسم البعير وجمعه الذي لا مفرد له: الإيل. ولكنها لم تكن تعنيه بالتخصيص ضرورة. فقد جاءت في نقش سبئي (J. 576) كلمة «جمل» كما جاءت في نصوص سبئية أخرى أقدمها النص المعروف باسم (فيلبي / جبل عبيد / 2:7). ويعلق الأستاذ جام بقوله (ص 71):

«يبدو أن معنى (جمل) عامّ جدا، أي أنه بدون أية إشارة إلى أي تخصيص (للحيوان المعني). وذلك بعكس كلمتي «إيل» و«بعير». وعلى هذا فلعل المقصود بالجمال / الجمال دابة الحمل على وجه العموم.

ولنا في هذا المجال نصان سبئيان تمكن المقارنة بينهما وبهما. ففي نقش (جام رقم 665).

«إفصي. نحل. ركن» (= إفصي قائد الجمال). وقد ترجمت «ركن» إلى الانكليزية Camelry (جمالة). وذلك تمييزا للقائد (إفصي) عن القائد (جشم) في النص السبئي:

«جشم. نحل. أفرسن» (= جشم قائد الأفراس / الفرسان). حيث ترجمت «أفرسن» إلى الانكليزية Cavalry (خيالة).

فكأن «ركن» (= الركبان) هي «الجمال» أي دواب الحمل والركوب في مقابل «أفرسن» (= الأفراس) التي هي حيوانات القتال.

بعد هذا نكافئ اللقب الليبي «كلد كميل» بالعربية: «سليط الجمال»، أي رئيس الجمالين (أو رئيس الجمالة) إن كان المقصود الإيل. أو: رئيس الجمال، بمعنى دواب الحمل أيًا كانت (قارن، على كل حال، الصلة بين «جمل»، بالجيم و«حمل» بالحاء المهملة).
«رمر»: اسم علم.

«و - شمن»: (ابن [عبد] شمن) - اسم علم.

«كلد مسك»: تقابل في النص القرطاجي «هـ أد[ر] حمشم هـ - زش» (قائد الخمسين رجلا). لقب رتبة.

وقد سبقت مكافأة كل من «كلد» (سليط) و«مصك» (مسك). ونكافئ هذا اللقب الليبي بالعربية حرفياً: «سليط المسك» أو: «سليط الإمساك» أو «سليط المساك» أي: رئيس القبض أو: رئيس القابضين - ربما باعتباره قائدا للشرطة.

على أنه من الممكن اعتبار هذا اللقب مزدوجاً للدلالة على رتبة عسكرية كما يقال في الانكليزية مثلاً «ميجر - جنرال» major-general أو العربية: «الرائد الركن».. الخ. فهو إذن: «السليط المسك» أو «السليط الماسك».

وقد رأينا، فيما سبق في الأكادية اللقب المزدوج «مسك - كل». والألقاب المزدوجة (أي المركبة من كلمتين كل منهما صفة) التي تتحول إلى أسماء كثيرة جداً عند الأقوام العروبية.

«مقلء» اسم علم.

السطر السادس من النص الليبي، الحادي عشر في المنشور:

«و- شين. كلدث. و- مكن كلدث. طنين. شين. و- نككن. و- بطش. در[ش].»

التحليل:

«و - شين»: (ابن شين) - اسم علم.

«كلدث»: (الملك) - سبقت مكافأتها.

«و - مكن»: (ابن مكن) - اسم علم.

«كلدث»: (الملك) - سبقت مكافأتها.

«طنين»: تقابل ما في النص القرطاجي: «طنأم»، وهي صيغة جمع «طنأ» بالميم، وترجمت بمعنى: تولى، ترأس، أشرف على (العمل). وكافأناها بالعربية (ثني)

ومنها: الثنيّ = الذي يلي السيد في الرتبة. فإذا غاب السيد (وهو هنا الملك «مكوسن» ناب عنه الثنيّ) في ترؤس العمل والاشراف عليه، أي تولاه، أو وليه (قارن صلة «ثني» ب «ولي»، وفي كليهما معنى الخلافة - من : خلف - والولاية - من : ولي) وهما هنا إثنان ولذا جاءت صيغة الكلمة جمعا.

اللافت للنظر أن صيغة الجمع هذه كانت بالميم في النص القرطاجي كما هو شأن أداة الجمع في الكنعانية والسبئية في مرحلتها الأولى وفي العبرية بينما كانت أداة الجمع في النص الليبي بالنون وهي نفس الأداة في العربية العدنانية المضرية أي عربية نجد والحجاز أو ما يعرف باسم «العربية الشمالية».

«شين»: اسم علم.

«و - نككن»: «ابن نككن» - اسم علم.

«و - بطش»: «ابن بطش» - اسم علم.

«د - رش» مكونة من: (1) «د»: أداة العطف = «و». وقد سبقت مكافأتها (2)

«رش»: اسم علم.

السطر السابق في النص الليبي، الثاني عشر في المنشور:

[و-] شفط. و-شك.

التحليل:

«و - شفط»: «ابن سبط» - اسم علم.

«و - شك»: «ابن شك» - اسم علم.

والآن.. فلنعد قراءة النص الليبي بعد تحليل مفرداته وتأثيلها، كما يجب أن يقرأ بلغة عربية بيّنة:

«سكان تبوك بنوا فسحة لمسنن السليط، ولد كي السليط، ولد زلسن السبط. عاشر سنة ذي السليط، سوس مكوسن. [بسنة] سبط السليط ولد فشن السليط موالي الشنة: شك ولد بني ولد شك، وسبط ولد مكن ولد تنكو. الماسك: مكن ولد يرشتن. ولد سديلن. القاضب: مكن ولد سبط مولى الشنة، ولد شمن السليط. سليط الجمال: زمر ولد مسنف ولد شمن. سليط الماسك: مقلء ولد شين السليط. ولد مكن السليط الثنيون: شين ولد فطش، و: رش [ولد] سبط ولد شك»

ملاحظات وإضافات :

نشر (شابو) هذا النقش المشهور باسم (حجر مسنن) سنة 1918م. وقد تعرض النصان القرطاجي والليبي فيه كما تعرضت قراءة (شابو) وتفسيره، لكثير من المراجعة والنقد، خاصة فيما يتصل بالنص الليبي، بسبب عدم الاتفاق على مقابلة حروفه التي قرئ بعضها بأصوات متباينة وكانت النتيجة، طبعاً، اختلافاً في فهم النص وترجمته إلى اللغات الأوروبية.

وفي سنة 1936م أصدر الأستاذ (مارسي) M.G. Marcy دراسته الشهيرة عن عشرين نقشا مزدوج اللغة ما بين الليبية والقرطاجية في بعضها وما بين الليبية واللاتينية في بعضها الآخر وقد نال هذا النص الذي بين أيدينا أربعاً وثلاثين صفحة من الدراسة والتمحيص (ص 20-5+) مخالفاً الأستاذ (شابو) في قراءة وفهم عدد من المفردات مع مقارنات وتحليلات مطولة لإثبات ما ذهب إليه. وليس من المناسب هنا، بالطبع، إغراق القارئ في التفاصيل العلمية الدقيقة أو إيراد كل ما جاء به (مارسي) من تعليقات. وما يعنينا نحن اثباته في هذا المقام أن المفردات وترجماتها حسب قراءة (مارسي) تجد مكافأتها العربية بوضوح تام. وهذا ما سنتبعه الآن.

كتب (شابو): «صكن. تبكك»، باعتبار «صكن» كلمة واحدة مضافة إليها «تبكك» بمعنى: «مواطنو دكة» Citoyens de Dougga. وارتأى (مارسي) أن القراءة يجب أن تكون «صك. ن. تبكك» بمعنى: «مدينة دكة» Ville de Dougga - بوجود نون لإضافة الكلمتين. وقرأ الكلمة الأولى: «صكا» (بألف محدودة وبتشديد الكاف بمعنى: سور مرتفع، مدينة - من الفعل «إصك» المعروف في لهجة نفوسة ص 30) بمعنى: بنى، بناء. وضرب مثلاً على ما يقول اسم مدينة الكاف بتونس في النصوص اللاتينية Sikka Veneria و Sikka bena (= مدينة فينوس).

ونحن نتجه فوراً نحو الجذر العربي: (زكا). وفيه دلالة النمو، والعلو والارتفاع، شأن البناء. زكا، يزكو، زكاء، وزكوا = نما، ارتفع، علا. والاسم: زاك. والمؤنث: زاكية (= «زاكيا» - بسقوط تاء التأنيث «صكا»).

وحتى نزيد القول توكيداً في مكافأة الليبية/ البربرية (صكا) بالعربية (زكا) - بتعاقب الصاد والزاي نشير إلى ما في الأكادية في جذرها (شق) - وقد تعاقبت الشين مع الصاد والزاي كما تعاقبت القاف مع الكاف، وفيها: «شقو» = ارتفع، علا، رفع، أعلى (معجم «وير» و«رايمشنايدر»).

وفي نفس السطر قرأ (شابو) : «بنيفش [؟] . مسنسن» (إشارة الاستفهام من وضعه).

وفي نفس السطر قرأ (شابو) : « بنيفش [؟] . مسنسن» (إشارة الاستفهام من وضعه). وقرأناها: « بني . فشح» وقد سبق تحليلها، لكن (مارسي) قرأها: « بني فشك». وهو قارن الكلمة الأولى «بني» بما في مختلف اللهجات البربرية واللغات العروبية بما لا يخرج عن العربية «بني». أما الكلمة الثانية (فشك) فقد ترجمها إلى الفرنسية temple (= معبد، هيكل، محرم، مقدس) مقارنة إياها بالبربرية «تافسكا» (أضحية) ومن ذلك في البربرية «لعيد ن تفسكا» (= عيد الأضحى). ثم ذهب إلى أنها مقلوب العربية (سفك)، والسريانية «شباكو» دخلت اليونانية في صورة sfagiw. وعاد فقال إن «سفك» مبدلة الحروف من العربية (ذبح) والعبرية (زبخ). الخ (ص 31-33). ورجع فقال إن «فشك» هذه موجودة في لغة (الولف): «تبسكي» (ت. بسك) وفي اللاتينية pascha (= الفرنسية paque = عيد الفصح) وفي اليونانية paskha. وخلص إلى أنها كلمة مشتركة في ما يسميه اللغات (الحامية/ السامية).

* فلو رجع الأستاذ (مارسي) إلى العربية (فصح) لوجد فيها: «الفصح - بالكسر فطر النصارى، وهو عيد لهم. وأفصحوا: جاء فصيحهم وهو إذا أفطروا وأكلوا اللحم» (اللسان) أي : ذبحوا ليأكلوا اللحم.

لكن الأوضح من هذا نجده في مادة «فسق» (تقابل تماما : «فشك»):
« والفسق، في قوله تعالى (أو فسقا أهلّ لغير الله به)، روي عن مالك أنه: الذبح». (اللسان).

السطر (2):

قرأه (مارسي) بطريقة تختلف تماما عن قراءة (شابو) وحلله تبعا لذلك بشكل مختلف. فهو عنده كما يلي:

«أس. ب/ سندي. سككت. سيسي. كلد. سكوس. ن»

وترجمه إلى الفرنسية حرفيا:

" au temps de l'établissement solide de l'élevation de l'avènement du prince, l'an du وذلك على أساس تحليل المفردات كما يلي:

« أس»: في البربرية = يوم. لكنها تعني بتطور الدلالة: زمن، عهد، عصر. الخ.

* (وقد سبقت مكافأتهما).

«ب» : لم يحللها (مارسي) ولكنها تقابل «ب...» في النص القرطاجي، وهي في العربية: (ب...).

«سندي»: الدال مبدلة من التاء في البربرية «ستي» (- بداية، شروع)

* (ونكافئها بالعربية: سنة. (كل من ابتدأ أمرا يقال هو الذي سنّه. والاسم: السنة).

«سكدت». مكونة من «س» (سين التعي) في بدايتها، وتاء التأنيث «ت» في نهايتها وجذر الكلمة هو «كد» ومعناه: رفع، عليّ. فمعنى «سكدت» إذن هو: الرفع / الترفيع، الإعلاء / التعلية⁽¹⁹⁾.

* (والمكافئ العربي نجده في مادة (جدد). الجدّ: العظمة والجلال. وجدّ فلان في عيني، يجدّ، جدّا: عظم. وفي هذا معنى الرفعة والعلو. وقارن كذلك مادة (كدا). الكدية: الأرض المرتفعة، وقيل: هو شيء صلب من الحجارة والطين، والكدية: الارتفاع من الأرض).

«سيسي»: ومعناها: وصول arrivée، حدوث avènement.

والمقصود هنا: بداية عهد الأمير.

* (العربية: (أسس). الأسّ والأسس والأساس: كل مبتدأ شيء. والأسيس: أصل كل شيء).

«كلد» ك الأمير.

* (سبقت مكافأتهما).

«سكوس»: تقابل البربرية (أ) «سكواس» (أ) «سكاس» بمعنى «سنة».

* (وهذه الكلمة منحوتة من ثلاثة مقاطع: «أس» + «ك» + «أس». ومعناها الحرفي «يوم في يوم». انظر تحليلها في الحديث عن النحت والتركيب في (كتاب الاجرومية) من هذه الدراسة).

(19) قارن العربية: «سجد» > «سجدة». ونرى أن «سجد» في العربية مزيدة السين على «جد» بمعنى ك عظم، أي شرف وأعلى ورفع.

«ن»: نون الإضافة تصل كلمة «شفط» في السطر الثالث.

* (العربية : «بل»).

السطر (3) :

قرأ (شابو) الكلمة الخامسة فيه : «موسنه».

وقراها (مارسي) : «موسني» بمعنى «فارس» كما في البربرية : «أمسنای»⁽²⁰⁾ وهي اسم فاعل من «سني» (= ركب، امتطى، علا، أرتفع).

* هنا نقارن العربية : (سنا). سنا إلى معالي الأمور سناء : ارتفع. السنيّ : الرفيع. أسناه : رفعه. وتسنيّ الشيء : علاه. والفارس هو راكب الفرس، الذي يعلو ويرتفع على فرسه أي الذي يركبه.

السطر (+) :

قرأ (شابو) الكلمة الثانية فيه : «مصصكو» . . . باعتبارها لقبا.

وقراها (مارسي) : «مصصكو» باعتبارها اسم فاعل من «(إ) صك» بمعنى : بنى، فهو بان، وبناء.

* (العربية : زكا. مزك).

قرأ (شابو) الكلمة السادسة في السطر الرابع : «كظب».

وقراها (مارسي) : «كذب». وعنده أن الباء مبدلة من الياء في التارقية «كزي» بمعنى : نظر، تأمل، راقب. وهذه الكلمة في لهجات بربرية أخرى جذرها «ك س و» ومنها «سكسو» = نظر، راقب، والسين فيها مزيدة على الفعل الأول «(إ) كسو». جذره (كس).

(20) علحق (مارسي) على ورود «أمسنای» في صيغة المذكر مع أن المفروض أن تكون «إمسناین» (صيغة الجمع المذكر) بأنّ هذا يحدث في لهجة الجبالية. البربرية) حيث تستعمل «أ» للمفرد والجمع المذكرين معا بدلا من «ال» التعريف في العربية (تنطق «ل» في اللهجات). ونحن نعرف أن العربية «ال» هي أداة التعريف للمفرد والجمع، مذكرا كان أو مؤنثا كما هو حال «ها» في الكنهانية والعبرية. وهذا يعني أن النص الليبي القديم لم يخرج عن القاعدة في استعمال «أ» (الهمزة المفتوحة) أداة للتعريف في جميع الحالات (= «ال»، «ها») وأن تخصيصها للمذكر المفرد وتخصيص «إ» (الهمزة المكسورة) لتعريف الجمع المذكر جاء في مرحلة متأخرة من التطور الصوتي.

* (قارن العربية : (قصا). تقصى الأمر واستقصاه : تتبعه ونظر فيه . وفي مادة (قصص) : قصصت الشيء إذا تتبعته أثره شيئاً بعد شيء . ومنه قوله تعالى : «وقالت لأخته قصيه» أي تتبعي أثره ، ويجوز بالسين : قسست ، قسّاً . وقارن كذلك العربية : (كسا) .

وقرأ (شابو) الكلمة الأخيرة في السطر الرابع : «موسمة» .

بينما قرأها (مارسي) : «موسني» .

* وقد سبق تحليلها .

. السطر (5) :

قرأ (شابو) الكلمة السابعة في السطر الخامس : «مصك» .

وقرأها (مارسي) : «مككا» بمعنى : «حمال» وبذا فإن اللقب «كلد مصك» عند

(شابو) يكون «كلد مككا» عند (مارسي) بمعنى : رئيس الحمّالين .

* (وكلمة «مككا» هنا فيما يرى (مارسي) اسم فاعل من الفعل «غغ» في التارقية

- بمعنى «حمل» مستشهدا بما جاء في (معجم فوكو)⁽²¹⁾ - وجذره الأولي (غ) . فإذا

سلمنا بأن الدلالة الأصلية في الحمل هي الرفع فقد نستأنس بمادة (غيا) في العربية

ومنها : الغاية = الراية ، وهي مرتفعة أو مرفوعة ، أي محمولة . «وكل شيء أظل

الانسان فوق رأسه . . . فهو غاية» (اللسان) .

. السطر (6) :

قرأ (شابو) الكلمة الخامسة من السطر السادس : «طين» .

وقرأها (مارسي) : «منين» تقابل البربرية «أمنين» وهي صيغة الجمع من المفرد

«أمني» اسم فاعل من الفعل «إنى» eni = نظر ، راقب ، لاحظ . فيكون معنى الكلمة

في النص الليبي هو : الملاحظون .

* (قارن العربية : (عين) ومنها : عاين ، معاينة ، فهو معاين ، أي ملاحظ ،

والجمع : معاينون) .

(21) ذكر (مارسي) في الهامش أن الفعل في صفحة 285 من المجلد الزول من المعجم المذكور ، والواقع أنه في صفحة 406 وما بعدها .

نقوش ما قبل التاريخ في الصحراء الليبية

أ. جمعة محمد العناق (*)

تزخر الصحاري الليبية بمئات الآلاف من اللوحات الفنية أغلبها نقوش غائرة على صفائح الصخر في الكهوف والملاجئ الجبلية، ونسبة قليلة من هذه اللوحات الفنية تمثلها الرسوم الجدارية الملونة. وتتميز النقوش بانتشار جغرافي أوسع علاوة على تفوقها العددي على الرسوم الملونة حيث توجد هذه النقوش في أماكن متفرقة من الجبل الغربي والجبل الأخضر والحمادة الحمراء وجبل العوينات وجبال تدرارت أكاكوس، وتقتصر الرسوم الملونة لفترات ما قبل التاريخ على المناطق الجنوبية من الجماهيرية، وتكثر هذه النقوش بصورة أساسية في وديان جنوب الحمادة الحمراء وفي المرتفعات الصخرية ما بين وادي الحياة (الاجال) ووادي البرجوج (Paolo Graziosi, 1942). كما تتوفر بكثرة في مرتفعات تدرارت أكاكوس في أقصى الجنوب الغربي من الجماهيرية (Fabrizio mori 1964) وإذا تمعنا في المواضيع التي تمثلها هذه النقوش وجدنا أغلبها يخص الحيوانات الاستوائية الكبيرة مثل الفيلة والزراف ووحيد القرن والتماسيح وفرس النهر ويمثل بعضها الآخر نقوشا لأبقار ولأشكال انسانية بشكل مجرد.

وشكلت هذه النقوش ولا تزال معضلة في تاريخها التاريخ المقبول والصحيح، فهي بلا شك وباجتماع الدارسين نفذت في ظروف بيئية ومناخية مغايرة لما هو عليه الحال الآن من صحراء وجفاف، ولذلك فلا مندوحة من اعطاء بسطة عن جيومورفولوجية المنطقة والتغيرات المناخية التي مرت بها والتي أحالتها من جنائن خضراء تتخللها الأنهار الدافقة وتنتشر في أرجائها البحيرات العميقة الواسعة والتي يكتنفها ويعيش في أرجائها شتى أصناف الحيوان من فيلة وزراف ونعام ووحيد القرن (*) المستشار الفني بمصلحة الآثار بالجماهيرية الليبية.

وفرس النهر وحمير وخيول برية وتماسيح وأسود وغور، إلى صحارى جافة قاحلة لا تنبت إلا القليل من الاثل والسدر والطلح والرتم في قيعان أوديتها ولا يقدر على الحياة فيها الا ما استطاع التأقلم مع هذه البيئة القاسية من غزلان وظباء وفهود.

يمكن لغرض التبسيط النظر إلى الصحاري الليبية على أنها هضبة مكونة من الصخور الرملية النوبية، منحدره يسر من مرتفعات تدرارت أكاكوس وتبستى والعوينات باتجاه البحر الأبيض المتوسط.

مرت هذه المنطقة الشاسعة بتطورات جيومورفولوجية مختلفة في أحقاب الباليوجين والنيوجين. ولقد قسم خليج سرت الكبير والذي كان يضرب بشأنة أعماق الجنوب بالقرب من سفوح تبستى، المنطقة إلى عدة أجزاء رئيسية مرت بتطورات جيولوجية وجيومورفولوجية مختلفة إلا أنها وبحلول حقبة الميوسين أخذت المنطقة تبرز بمعالمها الرئيسية المعهودة لنا الآن. إلا أننا نخلص إلى القول بأن منطقة تدرارت أكاكوس وما جاورها هي من أقدم المناطق الليبية تطورا من الناحية الجيومورفولوجية، فلقد برزت وتكونت صخورها في عصر الحياة القديمة (paleozoic) واستمرت في التطور في عصر الحياة الوسيط (Mesozoic) فعندما برزت جبال الأطلس والجبل الأخضر وجبال الألب في أواخر حقبة الايوسين وأوائل الميوسين (55-100 مليون سنة) كانت جبال تدرارت أكاكوس مكتملة النمو بل بدأت وديانها في نحت المصطبة الثانية التي برزت كرد فعل تكتوني لارتطام لوح قارة افريقيا بلوح قارة أوربا والذي أدى إلى بروز الألب في أوربا والأطلس والأخضر في شمال افريقيا. (Ardito Desio 1971- Marcolongo 1987) وخلال الأحقاب من الايوسين إلى البليوسين (90 مليون إلى 35 مليون سنة) برز الجبل الأخضر كقبة صخرية من الحجر الجيري تنحدر انحدارا هينا إلى الجنوب وانحدارا مفاجئا وكبيرا باتجاه البحر. وتزامن ذلك مع ظهور الجبل الغربي كحافة صخرية تحدد الامتداد الشمالي لهضبة الحمادة الحمراء على شكل قوس يبتدئ من النقازة (الخمس) ويتلاشى جنوب قابس (تونس) ومطلا على سهل الجفارة. ويدل النشاط البركاني أثناء حقبتى البليوسين والبلايستوسين على أن نظام الأودية الحديث في جبل نفوسة يرجع إلى أواخر البليسين حيث تتبععت سيل تدفق الحمم البركانية (Lava Flow) شكل الأودية (Lipparini).

وعلى الرغم من تعرض مكونات الفترة الجيولوجية الرابعة (Quaternary) في المناطق السالفة الذكر لعوامل تعرية شديدة وخاصة نحت الرياح فان ما تبقى من طمي

الأنهار والبحيرات في منطقة فزان وبقايا السيول والانزلاقات الطينية في جنبات الأودية في كل من الجبل الغربي والجبل الأخضر يدل على أن المنطقة مرت بفترات ممطرة أثناء حقبة البليوستيسين ولقد أثبتت دراسات موسعة ومستفيضة في أرجاء مختلفة من الكرة الأرضية أن هذه الحقبة شهدت تقلبات مناخية حادة في مناطق كثيرة من العالم. ففي خلال حقبة البليوستيسين (5 مليون سنة إلى 10،000 - 20 ألف سنة مضت) أسرت كميات ضخمة جدا من مياه البحار في صورة جبال جليدية في كلا القطبين وزحفت هذه الجبال الجليدية على شمال أوروبا ومنطقة الألب. كما تزامن هذا الزحف الجليدي مع زحف مماثل في أمريكا الشمالية وبدراسة الزحف الجليدي في منطقة الألب أمكن تتبع أربع موجات من الزحف الجليدي تميزت بانخفاض عام في متوسط درجات الحرارة، وانخفاض كبير في ارتفاع مستوى سطح البحر وانحساره عن مساحات كبيرة من الأرض. الأمر الذي يمكن مشاهدته ودراسة آثاره على طول الساحل الليبي وتمكن العلماء المختصون من دراسة هذه الأحقاب الجليدية الأربعة التي اطلقت عليها التسميات الآتية:

1- جليد جونز Gunz من 600 000 سنة إلى 1 000 000 سنة.

2- جليد ميندل Mindel من 450 000 إلى 500 000.

3- جليد ريس Riss من 125 000 إلى 250 000.

4- جليد فورم Würm من 10 000 إلى 150 000.

وتمكن علماء الآثار من اعتماد هذه الدراسات الجيومورفولوجية كمقياس زمني يمكن تحديد عمر القطع الأثرية في التلال التي خلفها زحف الجليد. الأمر الذي سهل دراسات ما قبل التاريخ في أوروبا وتحديد فتراتها تحديدا نسبيا. وبذلك اتجهت جهود العلماء المختصين إلى إيجاد وسيلة جيومورفولوجية مشابهة للتاريخ في شمال إفريقيا وبعد دراسات طويلة مضيئة في كثير من فروع العلم تمكن علماء من أمثال : (مكبرني، بيبرسون، أركيل، مونتي وايت، قيتا فينزي، هاي، هيجنز، اميليانى، بوتسور... الخ) من التأكيد على موجات من تعاقب الفترات الممطرة والجافة على شمال إفريقيا تزامنت مع حركة زحف وانحسار الجليد في أوروبا. ولا زالت هذه الدراسات مستمرة ولعل من أهمها لمنطقتنا الدراسة التي يقوم بها الآن " هيلموت زيجرت " في فزان حيث أثبتت دراسته المبدئية في الستين الأخيرتين على وجود بحيرة عملاقة تمتد من الحافات الجنوبية للحمادة الحمراء إلى الحافة الجنوبية لوادي

الحياة أي بأبعاد تصل إلى (600 ك.م. وبعمق لا يقل عن (150) مترا. واختفت هذه البحيرة كليا بحلول الهولوسين أي منذ عشرة آلاف سنة الا أنها أبت أثارا واضحة من الطمي والغرين. والطبقات الغرينية التي نجت من نحت الرياح وجدت أنها تحتوي على طبقات من رماد تشير إلى انسان تلك الحقبة كان يقوم بحرق نباتات الديس والبردي على شواطئ البحيرة في الفترات الجافة ليتمكن من السكن والصيد. وطبقات الرماد والطين أسفرت عن وجود بعض الأدوات الحجرية تمتد من العصر الحجري القديم الأدنى (الثقافة الاشولية) إلى العصر الحجري القديم الأوسط (الثقافة المستيرية)، ولا زال البحث جاريا. وهذه الدراسة الجيومورفولوجية والأثرية تشير بأن الفترات الممطرة التي تزامنت مع جليدي "ميندل وريس" كانت بالجزارة بمكان أن أدت إلى مثل هذه البحيرة الضخمة. ويؤيد ذلك أبحاث (Servant) في "بحيرة تشاد" في نفس الفترة. حيث توسعت تلك البحيرة لتصل أطرافها الشمالية بالقرب من سفوح تبستي الجنوبية.

ومثل هذا المناخ الرطب الذي ساد الصحارى في هذه الفترات مكن الحيوانات الاستوائية من الانتشار شمالا إلى شواطئ المتوسط، الأمر الذي تؤيده دراسات علماء الاحفورات الحيوانية (Plenontology) مثل أرامبورج (Arambourg 1962) وسافاج (Savage 1971).

قابل انتشار الحيوانات الاستوائية شمالا أثناء الفترات الممطرة انتشار النباتات المتوسطية جنوبا إلى أواسط افريقيا، فأشجار الصنوبر (Pinus) والارز المغربي (Cedrus atlantica) والسرو (Cypress) والزيتون البري (Olea europea) والسدر (Ziziphus lotus) والخروب (Cretonia Siliqua) البطوم (Pestacia lenticus) والشيح (Artemisia herba alba) والشعال (Artemisia campertis) والتين (Ficus carica) وغيرها من أشجار ونباتات المتوسط تركت غبار طلعتها في غرين وطمى بحيرات أواسط افريقيا مثل بحيرة تشاد أثناء تذبذب مستوياتها تبعا للفترات الممطرة والجافة.

ولا زالت بعض هذه الحياة النباتية تعيش في مكان وملاجئ طبيعية في بعض المرتفعات المتناثرة في الصحارى مثل جبل ماره بالسودان والهوجار بالجزائر وتدرارت بالجماهيرية (Van Campo 1975, Servant 1980 و Keith 1965).

من ذلك كله نخلص إلى القول بأن صحارى شمال افريقيا، عرفت أربع فترات ممطرة على الأقل تخللتها فترات جافة تزامنت مع انخفاض وارتفاع مستوى سطح

البحر الناجم عن زحف وانحسار الجليد عن شمال أوربا ومنطقة الالب. وأدت هذه الفترات الممطرة إلى ظهور البحيرات والأنهار في ما هو معروف بمنطقة الصحراء الكبرى الآن، كما غطت هذه المنطقة غابات متوسطة اتصلت بأواسط إفريقيا الأمر الذي سهل عبور الحيوانات الاستوائية وانتشارها شمالا إلى سواحل المتوسط.

وسجلت العديد من هذه الحيوانات كنقوش غائرة على الجوانب الصخرية للوديان وعلى جدران الكهوف والملاجئ الصخرية في الكثير من المناطق الجبلية في الصحراء والتي من أهمها جبال تدرارت أكاكوس. وأشهر الوديان الغنية بهذه الرسوم " وديان تشوينت، تين تورها، تين لالن، تين أدين، امها، أويس، تخرخوري " وأهم محاولة لدراسة تاريخ نقوش والرسوم الجدارية لمنطقة الاكاكوس قام بها الأستاذ فابريزيو موري. من جامعة روما والذي لا زال مستمرا في دراسته الحقلية السنوية منذ سنة 1995م.

وبعد دراسة عشرات الآلاف من هذه النقوش والرسوم، اعتمد الأستاذ موري في دراسته على تحليل أسلوب تنفيذها الفني وخلص إلى التقسيم التالي:

مقترحات موري للسلم الزمني لفنون الاكاكوس

طور الحيوانات البرية
الضخمة معظمها نقوش

9080-	رسوم تخطيطية بألوان صفراء وخضراء وحمراء مبكر	طور الرؤوس المستديرة معظمها رسوم
8072-	رسوم متعددة الألوان متأخر	
7045-	رعاة متوسطين مبكر	طور الرعاة رسوم ونقوش
6754-	نوع وان تيو وسيط	
5952-	رعاة طوال متأخر	
5405-	نوع وان تين لالان	
3500-	شعوب متوسطة	طور الحصان
0-		طور الجمل

ولقد وافق الحظ الأستاذ موري عند اجرائه لحفريات في كهف وان موهجيج بوادي تشوينت حيث عثر على لوحة جدارية ملونة تحمل رسما لبقرتين في إحدى الطبقات الأثرية والتي استطاع تأريخها بواسطة كاريون (14) وحصل على تاريخ يرجع إلى 5952 سنة مضت والذي يؤرخ للحد الأدنى لسقوط القطعة المرسومة من جدار الكهف وبالتالي الحد الأدنى لعمر اللوحة.

وقد يكون هذا التاريخ صحيحا لطور الرعاة الذي يتميز بنقوش ورسوم لايقار على رأي موري وان كان هذا التاريخ لا يشير إلى بداية هذا الطور. ولكن تأريخه لطور الحيوانات البرية الكبيرة بأقل من عشرة آلاف سنة، يناقض الدراسات المذكورة آنفا عن المنطقة ففي الفترة التي يفترضها موري لبداية هذا الطور كانت المنطقة أجف من أن تعيش فيها قطعان الفيلة والزراف والتماسيح، ناهيك عن فرس النهر والاسماك. واستنادا إلى دراسات المناخ القديم والجيو مورفولوجي فإن الظروف التي تسمح بظهور مثل هذه الحيوانات يجب أن تسبق الالف العاشرة التي بدأت فيها بوادر الجفاف والتصحر.

والمقارنة المنطقية لفنون ما قبل التاريخ في شمال افريقيا فهي مع فنون جنوب غرب فرنسا وشمال اسبانيا. ولنا في دراسات أبي برويل وأندري ليروي غوران والكساندر مارشاك أحسن المثل (Abbe Breuil 1956, A. Leroi - Gourhan, 1958 Alexander Mar-shak, 1972). فكهوف مثل / لاسكو، مرمولاس، لي تروا فريري وآلاتا لاميرا اشتهرت برسومها الجدارية الملونة لأبقار وخيول ووعول وجواميس وأسود والتي تؤرخ لأول تعبير فني للانسان والذي بدأ في العصر الحجري الأعلى حوالي عشرين ألف سنة مضت. واطلق على الثقافة التي ابدعت هذه الفنون "الثقافة المجدولونية" التي تركت لنا لوحات جدارية ملونة في غاية الروعة والاتقان بالاضافة إلى الكثير من الأدوات الحجرية والعظمية التي تحمل نقوشا مماثلة.

وأثبتت الحفريات المنهجية العديدة التي أجريت في وبالقرب من تلك الكهوف أن هذا التعبير الفني يرجع فعلا إلى عشرين ألف سنة مضت (F. Bordes, 1972) ولا أود الخوض في التفسيرات والشروح التي قدمها هؤلاء الرواد لهذا الانتاج الفني الرائد والمبكر، وهل يرتبط ذلك بالفكر الديني أو بأنه محاولات انسانية أولى لتطوير تقويم على رأي مارشاك أو بأنه يرتبط بالصيد والخصوبة ويحمل مدلولات جنسية على رأي

ليورى غوران، بل كل ما أود التأكيد عليه أن هذه المنطقة أشبعت دراسة ميدانية وتحليلا سواء للأساليب الفنية التي استخدمها الانسان القديم، أو للمواقع الأثرية الموازية والمصاحبة لفنون الكهفوف والتي تشير بوضوح إلى أن فنون الكهفوف هذه ترجع إلى (20 000) سنة مضت وهي نفس الفترة التي أرجح أنه يرتقي اليها ما أسماه الأستاذ مورى بطور الحيوانات البرية الكبيرة.

وبالإضافة إلى ما ذكر من شواهد تعزز هذه النتيجة يجدر بنا أن نشير إلى أحد الشواهد الأخرى المهمة والمتمثلة في ظاهرة (الباتينا) أو (الصبغة الصحراوية) التي تكسب أسطح الصخور المعرضة للجو لونا غامقا نتيجة تكون طبقة رقيقة من الأملاح يزداد لونها اسودادا لمرور الزمن. ومن هذه الصخور بطبيعة الحال الصخور التي تحمل نقوشا. ويلاحظ على النقوش التي نسبها الأستاذ مورى إلى طور الحيوانات البرية الكبيرة أن الباتينا التي تغطي خطوط نقوشها تقرب من لون الباتينا التي تغطي بقية سطح الصخرة المرسومة.

وإذا ما قورنت درجة لون الباتينا لهذه النقوش بلون الباتينا الذي يغطي الأدوات الحجرية - فأنها أقرب ما تكون إلى اللون الذي اكتسبته أدوات العصر الحجري الأعلى وأبعد ما تكون عن أدوات العصر الحجري الحديث التي لا زالت تبدو حديثة اللون (McBurney, 1995).

كما لا يصمد السلم الزمني الذي اقترحه الأستاذ مورى أمام المعلومات الدقيقة التي اسفرت عنها حفريات الأستاذة باربره باريتش. في " كهف تين تورها " بنفس المنطقة (Barbara Barich, 1987) وتمكنت العاملة المذكورة من تأريخ عدة طبقات أثرية ترجع إلى طور الرعاة. وهذه التواريخ تتراوح ما بين " 110 9350 " سنة مضت إلى " 50 5600 " سنة مضت " وبذلك فان التواريخ التي افترضها الأستاذ مورى بطور الحيوانات البرية الكبيرة يجب أن ترجع للوراء عشرة آلاف سنة أما تاريخه لطور الرعاة فهو أحدث بألفي سنة من واقع الأدلة الأثرية.

المصادر

- العناق، جمعة محمد، 1977 من آفاق الثقافة الليبية، مطبوعات مصلحة الآثار.
- Anag Giuma M.1977, Horizons on the Libyan Culture, Dep. of Antiq. publications.
- Anag Giuma M. 1982, Survey of palaeolithic Industries Along the Libyan littoral. Master Thesis, Univ. of Kansas, USA.
- Arambourg, C. 1963, Continental Vertebrate Faunas of the Tertiary of Northern Africa. Vicking Fund pub. in Antn. 36; 55-64.
- Arkell, A.J. 1962, the Aterian of Great Wanyanga Actes of the Pan African Congress and Quaternary Studies, Tervuren pp 233-242.
- Barich, Barbara, 1978, Archaeology and Environment in the Libyan Sahara, Cambridge Monographs In African Archaeology. 23.
- Breuil, Abee Henri, 1952: " Les Origines de l'art", Journal de Psychologie, Annee XXII pp. 289-296.
- Biberson P.G. 1963, Some Aspects of Lower Palaeolithic in North- West Africa. Vicking Fund in Anth., 38: 447-480.
- Bordes, François, 1968, The Old Stone Age. Weidenfield and Nickson, London.
- Butzer, Karl W. 1957, Mediterranean Pluvials and The General Circulation of The Pleistocene.Geog.Ann.39:105-113.
- Butzer, Karl W.1958, Quaternary Stratigraphy and Climate in The Near East. Bonner geog. Abh., 24:1-157.
- Desio, Ardito 1971, Outlines and Problems in The Geomorphological evolution of Libya. in symposium on the Geology of Libya edited by C. Gray, Gov. Press, Tripoli.
- Emiliani, C. 1955, Pleistocene Temperature Variations in the Mediterranean Quaternaria, 2 : 87-98.
- Grazioso, Paolo 1942, L'Arte rupestre della Libia, Le Monnier, Florence.
- Hey, R.W. 1962, The Quaternary and Palaeolithic of Northeren Libya, Quaternaria, 6: 435-449.
- Higgs, H.S. 1964, Faunal Fluctuations and Climate in Libya. In Background to Evolution in Africa. edited by W.W. Bishob et al. Univ. of Chicago Press, Chicago.
- Keith, H.G. 1965, Libyan Flora, Libyan Gov. Press, tripoli.
- Lipparini, T. 1940, Tectonia e Geomorphologia della Tripolitania. Boll.. Soc. Geol. 59: 221-301.

- McBuney, C.B.M. 1967, The Haua Fteah. Cambridge Univ. press.
- McBurney, C.B.M. and R.W. Hey, 1955, Prehistory and Pliestocene Geology in Cyrenaican Libya Cambridge Univ. Press.
- Mori, Fabrizio 1964, Tadrart Acacus : Arte repusdre e Cullure del Sahara Preistorico. Turino.
- Savage R.J.G. 1971, Review of Fossil Mamals of Libya, In Symposium on the Geology of Libya. edited by ray, Gov. Press, Tripoli.
- Servant, M. and S. Seruant- Vildary 1975: L'environnement quaternaire du bassin du Tchad. In the Sahara and the Nile. edited loy Martin Williams and H. Fovre, A.A. Balkema, Rotterdam.
- Van Campo, M. 1975, Pollen analysis in the Sahara, In Problems in prehistory : North Africa and the Levant. edited by F. Wendorf and Marks, Sum Press, Dallas.

الرسوم والنقائش الصخرية في موريتانيا

أ. القاسم بن محمد كابر

يتميز القطر الموريتاني بغنى كبير في مجال آثار العصر الحجري الحديث. فقد تم إحصاء عشرات المواقع التي تعود لهذه الفترة بالبلاد وتتكون أساسا من مواقع سكنية ومدافن ورسوم ونقائش صخرية.

توجد الرسوم والنقائش الصخرية في جميع أنحاء البلاد وبكثرة خصوصا في المناطق الجبلية حيث تحمل جميع الصخور عبر ما رسم عليها سكان العصر الحجري ثقافة عصر ونشاطاته والجميع عبارة عن سجلات باقية للأبد تنطق بكلمة واحدة هي أن موريتانيا كانت ولا تزال ملتقى للحضارات ومركز إشعاع ثقافي.

تكثر الرسوم والنقائش الصخرية وتتعدد مواضيعها وتواريخها في التراب الموريتاني، إلا أنه يمكن التمييز جغرافيا بين ثلاث مجموعات:

(1) المجموعة الأولى وتوجد في أقصى الشمال قرب بير أم قرين، وهي مجموعة مطابقة تماما لمثيلتها التي توجد على الجانب الآخر من الحدود في الصحراء الغربية.

(2) المجموعة الثانية ممثلة في عدد هائل من الرسوم والنقائش وتحفظ به لحد الساعة مرتفعات آدرار (تنسس ؛ أمجار ؛ الغلاوية...).

(3) المجموعة الثالثة وتوجد في مرتفعات تكانت وظهر تشيت - ولاته.

هذا بالإضافة إلى مجموعات أخرى أقل عددا وتعتبر امتدادا للأولى وتوجد أساسا في تجريت على بعد 70 كلم من الساحل الأطلسي والخنك على الحدود الموريتانية الجزائرية المالية.

وتبقى المناطق الجنوبية من البلاد أقل حضورا في هذا المجال والسبب في ذلك عائد بالأساس إلى عدم وجود تكوينات صخرية يمكن أن تستقبل هذا الفن .

إن من الملاحظ من خلال هذا التقسيم الجغرافي الأولي للرسوم والنقائش الصخرية في موريتانيا أن المناطق الخالية لحد الساعة من النقائش أو الرسوم قد لا يكون ذلك هو واقعها نظرا لأن عمليات الجرد والبحث لم تشمل جميع التراب الموريتاني بل اقتصر على بعض المناطق مثل المرتفعات : آدرار وتكنات والشمال .

تعد النقائش والرسوم من بين الآثار الموريتانية التي استقطبت اهتمام الباحثين الأجانب ونذكر أن هؤلاء ظهوروا على التراب الموريتاني منذ بداية هذا القرن، بيد أن الدراسات العلمية حول النقائش والرسوم الصخرية لم تبدأ إلا مع العالم الفرنسي الكبير تيدو رمونو الذي دون إبتداء من سنة 1938 عشرات المواقع ونفذ رسوما لنقائشها أخرجها في منشورات جمعية ما قبل التاريخ الفرنسية والمعهد الأساسي لأفريقيا السوداء . في تلك الفترة اهتم العالم ريمون موني بنوع خاص من النقائش وهو نقائش العربات واستطاع أن يحصى أكثر من 200 نقيشة لعدد متنوع من العربات في أنحاء البلاد يحدوه في ذلك اهتمامه برسم طريق صحراوية من المؤكد نظريا أن العربة كانت وسيلتها الأكثر تقدما .

أما الباحثان أودت بكو دو وم . سونون ، فقد اهتمتا خصوصا بمنطقة تكانت ويرجع لهما الفضل في نشر نقائش هذا الحيز الجغرافي من البلاد . هذا بالإضافة إلى بعض الأعمال الأخرى في الحنك والشكات . نذكر كذلك من بين الباحثين في مجال النقائش والرسوم الصخرية الموريتانية فافوتي (1960) هيكو (1976) د . فرني (1986) الخ .

تعتبر الرسوم والنقائش الصخرية الشاهد الوحيد الذي وصلنا ليعبر بشكل مباشر عن علاقة الانسان بالبيئة وخصوصا عن ظروف عيشه داخل هذه البيئة التي تعرف تطورا مستمرا - لأنها قبل هذا كله المعبر الأول عن بداية الاكتفاء الذاتي للانسان ويعني ذلك ان الانسان عندما أمن قوته اليومي وأصبح يخزن المواد الغذائية بدت لديه اهتمامات فنية ساعد في تطورها وجود وقت وذلك بعد اطمئنان على أمنه الغذائي يمكن توزيع النقائش والرسوم الصخرية الموريتانية على ثلاث فترات زمنية عيارها الأساسي هو طريقة تنفيذ النقش أو الرسم بالإضافة الى موضوعه .

1- الفترة الطبيعية

2- البقارية

3- الفترة الليبية - البربرية

تميز الفترة الطبيعية بنقائش حيوانات العائلة الأثيوبية الكبرى وتوجد أساسا في منطقة الشمال: بير أم قرين وفي هضاب تكانت وادرار: محطات تنسس أمجار، الكليئات. فنيا نقشت نقائش الفترة الطبيعية بخط عميق متصل ومصقول وتكثر فيها أساسا صور للفيل، وحيد القرن والزرافات.

لا يمكن تحديد تاريخ ظهور الفترة البقارية واندثار الفترة الطبيعية إلا أن هذه الأخيرة لا يمكن الجزم مطلقا بأنها تلاشت لأن نفس النزعة التصويرية للنقائش بقيت سائدة والتطور إنما حصل في طريقة النقش إذ لم يعد يكتسي الدقة والتقنية التي ميزت الفترة الطبيعية.

أما الحيوانات المنقوشة فأصبحت تدل على العائلة الأثيوبية الكبرى أبقارا وكثرت هذه الأخيرة في المناطق التي شهد فيها العصر الحجري الحديث صمودا أمام الظروف المناخية خصوصا مرتفعات آدرار وظهرت شيت - ولاته وتكانت التي احتفظت ببرك مائية وبرطوبة حولت تزايدا ديموغرافيا واتساعا في النشاطات البشرية عكس المنطقة الشمالية التي أصبحت تقفر شيئا فشيئا تبعا لانحصار المعدل السنوي للأمطار الذي ينقص من الجنوب إلى الشمال.

يغلب الظن على أن نقاشي الفترة البقارية هم مجتمعات بربرية قدمت إلى الصحراء في أول هجرة لها ومصطحة معها خصوصا العربية والحصان (سنعود إلى نقائش العربات بشيء من التفصيل) وعمرت الصحراء مع مجموعات أخرى محلية واستطاع الجميع رغم صعوبة الظروف المناخية المكوث في صحراء أصبح جفافها أمرا يكاد يكون ملموسا تلت هذه الهجرة الأولى هجرة ثانية أصحابها هم الجيتوليون والغرمطيون الذين أسسوا الفترة الثالثة والأخيرة في النقائش والرسوم هي الفترة الليبية - البربرية وتتميز أساسا بواقعية جديدة في الرسوم والنقوش وخلالها أصبحت المواضيع مكرسة تماما لحلقات الصيد وبعض حلقات الحرب. أما الحيوانات فهي كلها إما أبقار أو خيول أو جمال.

عموما يمكن تقسيم العصر الحجري الحديث الموريتاني حسب فترات النقائش.

والرسوم الصخرية إلى ثلاث فترات :

- قبل الألف الرابعة كثرت نقائش ورسوم الحيوانات الكبرى المفترسة (الأسد؛ الذئب؛ الضبع...) .

- ما بين الألفين الثالثة والرابعة ظهرت نقائش ورسوم الحيوانات الأليفة وبالخصوص الأبقار.

- في الألف الأولى ومع اضمحلال الظروف المناخية كرسست النقائش والرسوم للأبقار والخيول والجمال.

يمكن إذن من خلال تتبع النقائش والرسوم الصخرية الموريتانية معرفة الكثير من المعلومات عن الظروف الاقتصادية والبيئية التي كانت سائدة. ولم يعد خافيا أن هذه النقائش إنما هي عبارة عن تسجيل أو تدوين للزمان والمكان الذي نقشت أو رسمت خلاله.

فبعد أن كانت الصحراء رطبة تتخللها أودية جارية وبرك مائية كبيرة وغابات من نوع السافانا، تعيش بها حيوانات كبرى مثل الفيل، وحيد القرن، الأسد، الخ...؛ أصبحت تقحل خصوصا في الشمال وانحسر الوجود البشري في المرتفعات (آدرار؛ تكانت اظهر) وهاجرت الحيوانات الكبرى وبدأ نشاط إقتصادي جديد يعتمد بالأساس على الصيد وتدجين الحيوانات (الأبقار). واكب ذلك مد بشري قادم من الشمال اصطحب معه تقنيات لم تكن الصحراء تعرفها كالعربات التي تجرها الأبقار أو الخيول وأخيرا الجمال.

فيما يعني نقائش حلقات الصيد فإنها كانت تمثل أساسا الغزلان، النعامات والكلاب. ونجد أن الخيول والأبقار والعربات استخدمت في فتراتهما الأولى لغاية الصيد فقط. بقي أن نذكر أن نقائش ورسوم الأبقار والخيول بقيت سائدة حتى فترة متأخرة ظهرت فيها قوافل الجمال.

من بين المواضيع المهمة التي سجلتها النقوش والرسوم الصخرية الموريتانية كانت النقائش والرسوم البشرية ذات أهمية خاصة؛ لقد نقش سكان العصر الحجري الحديث العديد من النشاطات البشرية وكانت هذه الأخيرة تكتسي طابعا اجتماعيا خاصا.

من بين النقائش البشرية توجد حلقات الرقص التي يتعدد فيها الأشخاص إلى أن تصبح جماعات .

توجد نشاطات بشرية أخرى مثل الأشخاص الذين يحملون السلاح أو أثناء العمل ولعل أكثرها واقعية الشخص الذي يحمل فوق رأسه وعاء في محطة عوينق شمال بير أم قرين .

تعتبر نقائش ورسوم النساء قليلة وأغلبها رسوم أما أهمها فهي في أومات اشكاك التي تمثل نساء تحمل روبات ومعهن رجل على رأسه ريشة تذكر برسوم الليبيين في النقائش الفرعونية المصرية .

بخصوص الرسوم فتعتبر كثيرة على عكس النقائش لكن أغلبها حديث رغم أنها تكتسي أهمية كبيرة لأنها أكثر واقعية مثل رسوم تنسس بأدرار وهي تمثل أبقارا وامرأة تلبس روبا وتؤرخ حسب فافوتي للفترة البقارية . أما مجموعة رسوم تكنت التي درستها أبكودو وسنون فهي تتقارب في أشكالها وحسب هنري لوت فإنها تؤرخ لفترة ما قبل الاسلام لكن بعضها أكثر حداثة مثل المجموعة 28 في تشماط .

نقائش العربات :

214 من أصل 700 نقيشة منشورة لعربات الصحراء توجد في الصحراء الغربية وأغلبها موجود في موريتانيا باستثناء موقع واحد : آم اصدر الذي يوجد في واد الذهب .

يغلب الظن أن العربة استقدمها الليبيون البربريون إلى الصحراء في فترة متأخرة من الألف الثانية قبل الميلاد وهم الجيتوليون الذين اكتشفوا الصحراء بواسطة العربة والحصان والجمل بعد ذلك .

وصل هؤلاء النازحون في فترة ما زالت تسمح ظروفها المناخية بتنمية تعتمد أساسا على الأبقار ويفسر ذلك وجود العربات في جو رعوي بقاري ؛ إلا أن ثمة مشكلة تتمثل في أن عربات الصحراء ليست معروفة إلا بواسطة النقائش إذ لم يكتشف بعد على عموم الصحراء أي أثر لها .

21+ عربية تمثل لائحة مهمة تسمح إحصائيا بتصنيف هذه العربات، ففي موقع عوينقط شمال بير أم قرين تم اكتشاف 105 نقيشة لعربات وتمت دراستها من طرف تيدور مونو؛ السكايتن كوني وهنري لوت (1957) وفي الغلاوية شمال آدرار تم إحصاء 64 نقيشة لعربات من طرف روبر فرني (1993).

في عوينقط تصل نسبة العربات ذوات العجلتين 95% من مجموع النقائش أما النسبة الباقية فهي لعربات بأربع عجلات تتميز بشكلها المستطيل وبالغلاوية 62 عربية تحتوي على عجلتين واثنان فقط بأربع عجلات.

لم تكن العربة وسيلة ترف في الصحراء ويدل على ذلك كثرة رسومها ونقائشها واتساع رقعة هذه الأخيرة على امتداد التراب الصحراوي فهي إذن كانت وسيلة تنقل "عمومية" عرفها جميع سكان الصحراء الموريتانية منذ الألف الثانية قبل الميلاد. زد على ذلك أن الرسوم والنقائش الممثلة للعربات ترسم ما يمكن أن يعبر عنه بطريق صحراوية؛ إلا أن هذه المعلومة تتطلب المزيد من البحث والتحقيق؛ بيد أنه يمكن تصور طريق تذهب من الساقية الحمراء حتى بير أم قرين ومن ثم إلى واد اركيس حيث تتصل بالغلاوية فأمزماز وأخيرا ظهر تشيت لتشمل بعد ذلك جميع مناطق تكانت.

إن ما تقدم النقائش والرسوم الصخرية من معلومات عن العربة الصحراوية ليس كافيا لمعرفة دور هذه الأخيرة خصوصا فيما يتعلق بضبط تاريخ ظهورها ومدة انتشارها مما يثير الشكوك حول امكانية تنقل العربة عبر أرض الصحراء الشيء الذي يتطلب عربة قوية مصنوعة من معدن وهو ما أثبتت التجارب عكسه إذ يعتقد أن العربة التي كانت سائدة قد كونت من خشب وهذه المادة لا تقوى على الحمادات والطرق الجبلية الشيء الذي يحد من رقعة تحركها ويجعلها محلية، أما انتشارها الملاحظ بواسطة النقائش والرسوم فمرجعه إلى تنقل الأشخاص ونعني بذلك تنقل التقنيات من منطقة إلى أخرى وهو ما يفكك نظرية الطريق الصحراوية.

إن هؤلاء الأشخاص الذين صنعوا عربات ونقشوها لا ينتمون لفترة عصور المعادن في موريتانيا إذ لا يوجد أي دليل لحد الساعة على تواجدها في فترة زمنية واحدة فبجبال اكجوجت مصدر صناعة النحاس لا توجد أية رسوم أو نقائش كما أن مواقع رسوم ونقائش العربات لم تكتشف بها بعد أية قطعة أثرية معدنية.

لا يمكن إذن بأي حال من الأحوال البت في تواريخ الرسوم والنقائش الصخرية ولا رقعة انتشارها إذا علمنا أن الدراسات حول هذا الموضوع لم تستكمل بعد إذ تبقى عدة مناطق من التراب الموريتاني لم تكتشف؛ كما أن المواقع التي توجد بها رسوم أو نقائش صخرية لم تدرس بشكل نهائي. زد على ذلك أن هناك جوانب أخرى تعرقل الأمر ومنها خصوصا غياب دراسة للبيئة القديمة في موريتانيا وهو أمر نرى أنه أساسي لمعرفة العوامل التي ساعدت على انتشار نوع من الحيوانات في فترة من الفترات واندثارها في فترة أخرى وفي مناطق معينة كما أن المد البشري الذي أسس فنا جداريا خاصا به ما زال يكسوه نوع من الغموض يحتاج إلى المزيد من الاكتشافات الأدمية في رسوم طبقية مؤكدة مما قد يتيح الفرصة للدراسات الباليوانثروبولوجية لتوضيح كنه الاختلاط البشري الذي حصل في فترات متقدمة على التراب الموريتاني.

النقوش الصخرية المكتشفة في دولة الإمارات العربية المتحدة

د. ناصر حسين العبودي(*)

أظهرت التنقيبات الأثرية التي جرت خلال الأربعين سنة الأخيرة في دولة الإمارات العربية المتحدة كما هائلا من المعلومات لم تكن معروفة سابقا، وقد ازداد اهتمام الدوائر المعنية بالآثار بمسألة التنقيب في السنوات العشر الأخيرة من خلال بعثات محلية وأجنبية، وقد اتفق العلماء على تقسيم الفترات الزمنية المكتشفة في الدولة إلى العصور التالية:

1- فترة العصر الحجري الحديث (الألف الخامس والرابعة قبل الميلاد)

2- فترة الألف الثالثة ق.م.

3- فترة الألف الثانية ق.م.

4- العصر الحديدي (الألف الأولى قبل الميلاد)

5- العصر الهلنستي (من القرن الثالث ق.م. - القرن الثالث الميلادي)

6- فترة العصور الإسلامية.

وقد تميزت هذه العصور بالتداخل فقد اختلطت المكتشفات التي يعثر عليها المنقبون بين كل من فترة العصر الحجري وفترة الألف الثالثة ق.م.، كذلك اختلطت بين الألف الثانية والأولى ق.م. وأيضا فترة العصر الحديدي مع العصر الهلنستي... وتنوعت هذه المواقع الممثلة للأزمنة الحضارية من حيث مواقعها الطبيعية بين سواحل البحار (الخليج العربي، خليج عمان) وفي المنطقة الصحراوية وسفوح وقمم الجبال. (*) مدير دائرة الآثار بالشارقة.

ومن هذه الآثار المهمة المكتشفة ما يطلق عليه النقوش أو الفن الصخري، الذي لوحظ كثيرا على سفوح الجبال وعلى بعض الأحجار الصلدة، إضافة لبعض النقوش على بعض الآثار المكتشفة مثل القبور وهي نادرة.

ولا يعرف ما يسمى بالرسم (أي استخدام الألوان) على الصخور، حيث لم يكتشف أي شيء يدل على ذلك.

مواقعها :

ومواقع هذه الصخور المنقوشة جلها على سفوح الجبال، وعلى بعض الصخور على الطرق الرئيسية القديمة وبالذات قرب الوديان أو العيون أو الافلاج أو شواطئ البحار أو قرب مواقع الآثار المكتشفة، وبالتحديد عثر على هذه النقوش في المناطق الجبلية من رأس الخيمة شمالا وتستمر مع سلسلة جبال عمان المسماة خطم ملاحه جنوبا وفي المنطقة الشرقية لهذه الجبال بالذات، استمرت أيضا بنفس التقنية والموضوع في سلطنة عمان في الحدود الجنوبية المتاخمة لدولة الإمارات، ونستطيع أن نقول أنها تكاد تكون واحدة إلا إنها تكثر وتتنوع مواضيعها في عمان.

مواضيعها :

من مشاهدتنا لهذه النقوش المنتشرة يمكن تقسيم هذه النقوش إلى :

- 1- نقوش فردية لبشر.
- 2- نقوش فردية لحيوانات البيئة المدجنة مثل الجمال والثيران والماعز والغزلان والشعابين.
- 3- نقوش فردية لأسماك البيئة وأشكال القواقع.
- 4- نقوش فردية لظواهر طبيعية كالقمر والشمس والنجوم.
- 5- نقوش لأشكال أقرب إلى الهندسية مثل الخطوط والنقوش والمربعات غير مشخصة الدلائل.
- 6- كتابات ثمودية وباللغة العربية.
- 7- أتت بعض من هذه المشاهد لهذه النقوش لموضوع واحد كأن يكون المشهد من البيئة حيث يضم بشرا وحيوانات بهيئة مشاهد صغيرة مختلفة لعمل احتفالي أو طقوس أو صيد أو عراك، أو قافلة من (البشر والجمال وبعض الأغنام).

وهناك مشاهد لموضوع مثل ثور يأكل شيئاً وعلى ظهره هلال ونجمة (موقع خطم ملاحه) مثلاً، وفي البعض منها أتت النقوش بتفاصيل دقيقة لحيوان تمثل رجله ورأسه وعينه... الخ، وللشخص تظهر تفاصيل الجسم من الرأس والأيدي والأرجل وبعض الزوائد.

وعموماً توضح كل هذه النقوش بشكل أو آخر مواضيع من البيئة التي يعيش فيها الإنسان إلا أنه ليس من السهولة رؤيتها وما زلنا نكتشف كل يوم المزيد منها في أماكن اعتدنا زيارتها منذ زمن، ومساحة هذه النقوش ليست كبيرة في نفس الموقع، وتكون من أشكال صغيرة فردية لا تتعدى 20 سم إلى مشهد لا يزيد بمساحته عن متر مربع فقط.

أهم مواقع هذه النقوش في الدولة :

تم العثور على هذه النقوش بالقرب من المواقع الأثرية ومما يعرف حتى الآن موقع مصفوت (عجمان)، الرمس - وادي شعم - وادي البيح (رأس الخيمة)، قدفع - البثنة - الحيل - عين الغمور - صفد (دبا الفجيرة)، وادي شي - كحام مسعود - المرقه - خطم ملاحه - اللولية - وادي الحلو (بالشارقة)، حتى (دبي)، هيلي (أبو ظبي).

في هذه الدراسة سوف أستعرض بعض هذه الاكتشافات التي لم ينشر عنها شيء سابقاً من قبل مثل نقوش خطم ملاحه، وحتى (دبي)، والكتابات العربية الجنوبية والآرامية من موقع مليحة الأثري .

نقوش موقع خطم ملاحه :

يقع هذا الموقع ببلدة (كلباء) التابعة لإمارة الشارقة، ويتكون من مجموعة تزيد على (40) نقشا فوق سفوح وقمة الجبل. هذا الموقع يشكل بيئتين : زراعية تتكون من مجموعة من الجبال حولها أراض صالحة للزراعة وتوفر المياه، وبيئة بحرية حيث لا يبعد البحر عن الموقع أكثر من كيلو متر واحد، وهذا المكان يعتبر خطاً للمواصلات بين شمال رأس مسندم وجنوبه.

تم تنفيذ هذه النقوش على حجارة الجبل ولوحظ أن النقاش اختار بعض القطع الصغيرة المنفصلة لتنفيذ عمله ولم يتخير اجزاء مستوية طويلة لتنفيذ موضوع أو مشهد

مترابط، ولكن ربما كانت هذه الحجارة على هيئة قطعة واحدة في الماضي وتقطرت بفعل ظروف المناخ من الاختلاف الكبير بدرجات الحرارة في الصيف والشتاء، وفي نفس اليوم وازدياد كمية الرطوبة بهواء المنطقة. تم التنقيب بهذا الموقع من قبل بعثة جامعة لندن عامي 1193، 1194م، حيث تم العثور في السفوح من هذا الجبل على مناطق استيطان تعود إلى العصر الحجري الحديث (4000 ق.م.). أما في الأرض في نهاية الجبل فأيضاً تم العثور في نفس الفترة على موقع يتكوّن من طبقة تزيد على المتر من بقايا القواقع البحرية وعظام الأسماك والحيوانات التي يتغذى عليها الإنسان هنا.

هناك صعوبة في مشاهدة هذه النقوش وتميز الموضوع وذلك بسبب ضعف النقش (الحفر) وذلك لوجود اختلاف بسيط في اللون بين النقر الجديد الذي تم تنفيذه من قبل الناقل وبين الحجارة الأصلية القديمة، حيث لم يستعمل الناقل أية ألوان على النقش (أو ربما استعملها وتلاشت بفعل ظروف المناخ) إضافة لضعف الصخور نفسها وقلة صلابتها وتميزها بسهولة التكسر والتقشر بفعل المناخ.

المواضيع :

وهي عبارة عن نقوش لأشكال بشرية منفردة بهيئات مختلفة وحيوانات البيئة مثل الماعز والثور والغزال والأسماك والظواهر الكونية مثل الشمس والقمر والنجوم. ولوحظ على هذه الأشكال أنها كانت تقابل جهة الشرق، ولم نشاهد أيًا منها تواجه جهة الغرب، والشرق في هذه المنطقة هو البحر، واتخذت صخور الجبال مكاناً للتنفيذ عليها ربما باستعمال حجارة من نفس الجبل اتخذت كأزميل لذلك وتميزت بأن مواضيعها محددة كما ذكرنا سابقاً، ولكن تبقى هناك بعض التفاصيل التشريحية الدقيقة في الأشكال البشرية والحيوانية عملت بمعرفة الناقل.

الفترة الزمنية :

الدراسات السابقة التي تمت على النقوش الصخرية في الإمارات عام 1984م أوضحت أن بعضاً منها يعود إلى فترة الألف الثالثة قبل الميلاد، بخلاف البعض الذي يعود إلى فترات أحدث، وعند مقارنة النقوش في هذه المواقع ونتائج تنقيبات الموقع نفسه يتضح أن هذه النقوش أقدم من غيرها من النقوش المدروسة، وربما تعود إلى نفس فترة الموقع، وهو العصر الحجري الحديث (4000 أو 5000 ق.م.).

نقوش موقع اللولية (خورفكان) :

تم اكتشاف بعض النقوش الصخرية في هذه المنطقة بالقرب من شاطئ البحر، وهذا المكان عبارة عن جبل متوسط الارتفاع قريب من جبل تم مسحه من قبل علماء الآثار حوالي 3 كم جنوبا، حيث تبين وجود مجموعة من القبور تعود في فتراتها إلى الألف الأولى قبل الميلاد، وأيضا تم التعرف على فخاريات تعود إلى الألف الثانية والثالثة ق.م.

النقوش المكتشفة كانت منفذة على قطع حجرية عديدة منفصلة عن كتلة الجبل حالها حال النقوش المكتشفة بموقع خطم ملاحه، وعموما نقوش هذه المواقع قليلة وتتمثل في شكل يشبه السهم أو الإشارة في أربعة أحجار موزعة في المرتفع توصل الشخص إلى مكان (؟) وهناك حجارة أخرى مستطيلة عليها عدد كبير من هذا الشكل (أي النقوش) حوالي 15 شكلا، ربما فسر هذا النقش على أنه اتجاه أو سهم زاويته غير مدببة أو ربما يرمز إلى شكل شيء ما مثل شجرة أو غيره.

وبجانب هذا الشكل بعض الأحجار منفذ عليها نقش شكل لبشر وحيوان يشبه الجمل وهذه الأشكال شائعة في الإمارات حتى سلطنة عمان.

لم تحدد بشكل جازم الفترات الزمنية لهذه النقوش لأنها لم تدرس بعد ولم ينقب في الموقع نفسه لتحديد فترة الموقع الزمنية.

نقوش موقع قدفح :

بشمال موقع قدفح حوالي (1 كم) وعلى الطريق العام من الفجيرة إلى خورفكان يوجد تجمعان لصخور منفصلة وجد على التجمع الأول لهذه الصخور بعض النقوش تمثل أشكالا معروفة لحيوانات البيئة مثل الجمال، وبشرا ويلاحظ على هذه النقوش أنها صعبة الرؤية، وذلك لضعف التنفيذ من ناحية وتقشر الحجارة من ناحية أخرى، حيث لم يشاهد كاتب هذا المقال بعضا منها بعد زيارته الأولى للموقع قبل عشر سنوات سابقة، وفي التجمع الثاني للصخور والذي يبعد عن الأول عدة أمتار هناك رسم هندسي مربع بهذا الشكل ونقوش حوله، ويتكرر هذا النقش في مكان آخر من نفس التجمع الصخري.

ان تاريخ هذا الموقع لا يبتعد عن تاريخ الموقع المكتشف في منتصف الثمانينات من هذا القرن المسمى مدفع حيث أرخ بالألف الأولى قبل الميلاد.

حصاة : (الوسوم) :

تقع هذه الحصاة (الحجارة) في منطقة الساحل الشرقي لدولة الإمارات العربية المتحدة بين خورفكان ودبا وهي أقرب إلى دبا على خليج عمان، وهذه الحجارة معروفة منذ القدم في أحد الجبال وتتلخص أهميتها بأنها تحوي على نقوش كثيرة ومتنوعة يستفيد منها سكان المنطقة في وسم (وشم) حيواناتهم بشكل من أشكالها الكثيرة حتى يمكن للقبائل هناك من تحديد ما يتبعهم من مواش وأغنام، وإذا ما أرادت قبيلة أو أسرة وشم حيواناتها فإنها تتفق مع باقي القبائل لتحديد شكل مميز لها من أشكال هذه الحجارة. . ويضرب المثل بهذه الحجارة لكثرة الأشكال التي تحويها. . (وللأسف بحثنا عنها كثيرا في الموقع المقترح ولم نوفق في العثور عليها للآن !!).

نقوش الكتابات العربية :

توجد مجموعة من الكتابات (النقوش) في مختلف مناطق الإمارات وهي تتوزع أيضا في المناطق الجبلية مثلها مثل النقوش الأخرى التي تعود إلى أزمان قديمة. . وعلى كل حال فإن الكتابات قليلة بالنسبة إلى النقوش الأخرى التي تمثل أشكالا آدمية وحيوانية تعود إلى فترات مبكرة، وتكاد تقتصر هذه النقوش على الكتابة في الشؤون الإسلامية، وهذه الكتابات عبارة عن أسطر قليلة (من سطر إلى سطرين أو خمسة)، وهنا نغزجان لهذه الكتابات عثرنا عليها بالصدفة في السنين الأخيرة أحدهما في منطقة المرقة بخورفكان والأخرى في منطقة "صفد" بالفجيرة، أما أحدث نقش فهو :

1- - كتابة (نقش) ميناء خورفكان - الشارقة :

وهي عبارة عن كتابة بالنقر على حجارة ساقطة جبلية صلدة (مكسورة) بنية اللون، عليها نقش باللغة العربية واللون أبيض، وهو لون الحجرة الأصلية بعد النقر والنص هو

* طول النقش : 80سم

* عرض النقش : 48سم

وتميز النقش بنقاط (حفر) في مختلف المساحة منها حفرة وحيدة والبعض على شكل مثلث (. . .) أو ثلاث نقاط (حفر) كبيرة، وهذه الحفر تلاحظ أيضا في

النقوش التي تعود إلى الفترة المبكرة من الكتابة الموجودة على هذا النقش ويلاحظ وجود تاريخ السنة هو ما يشبه 531 أو 831، ومن شكل الآلة المستعملة في النقش يتضح أن الرقم الأصح هو 831 وهو قريب من الفترة الزمنية التي أعطيت لنص موقع المرقعة في سنين سابقة، والتاريخ غير موضح فيما إذا كان هجرى أو ميلادى ومن معرفتنا باستعمالات التقويم فإن سكان المنطقة لم يستعملوا التقويم الميلادى إلا في الخمسينات من هذا القرن، وبذلك فإن تاريخ النقش هو تاريخ هجرى.

2- نقش منطقة صفد الفجيرة :

يقع هذا الموقع بمنطقة تسمى صفد غرب الطريق (الفجيرة - خورفكان) بمسافة 5 كم، وهو نقش لكتابة عربية (نص في موضوع اسلامي) على حجارة في أعلى الجبل المتخذ كقلعة عسكرية من عصر قريب، وأمام هذه الحجارة المنقوشة حجر آخر صغير منفصل عليه كتابة أيضا لم نشاهده، ويبدو أنه أخذ من الموقع اعتمادا على الصور القديمة، والنقش من ستة أسطر موضوعه واحد وهو :

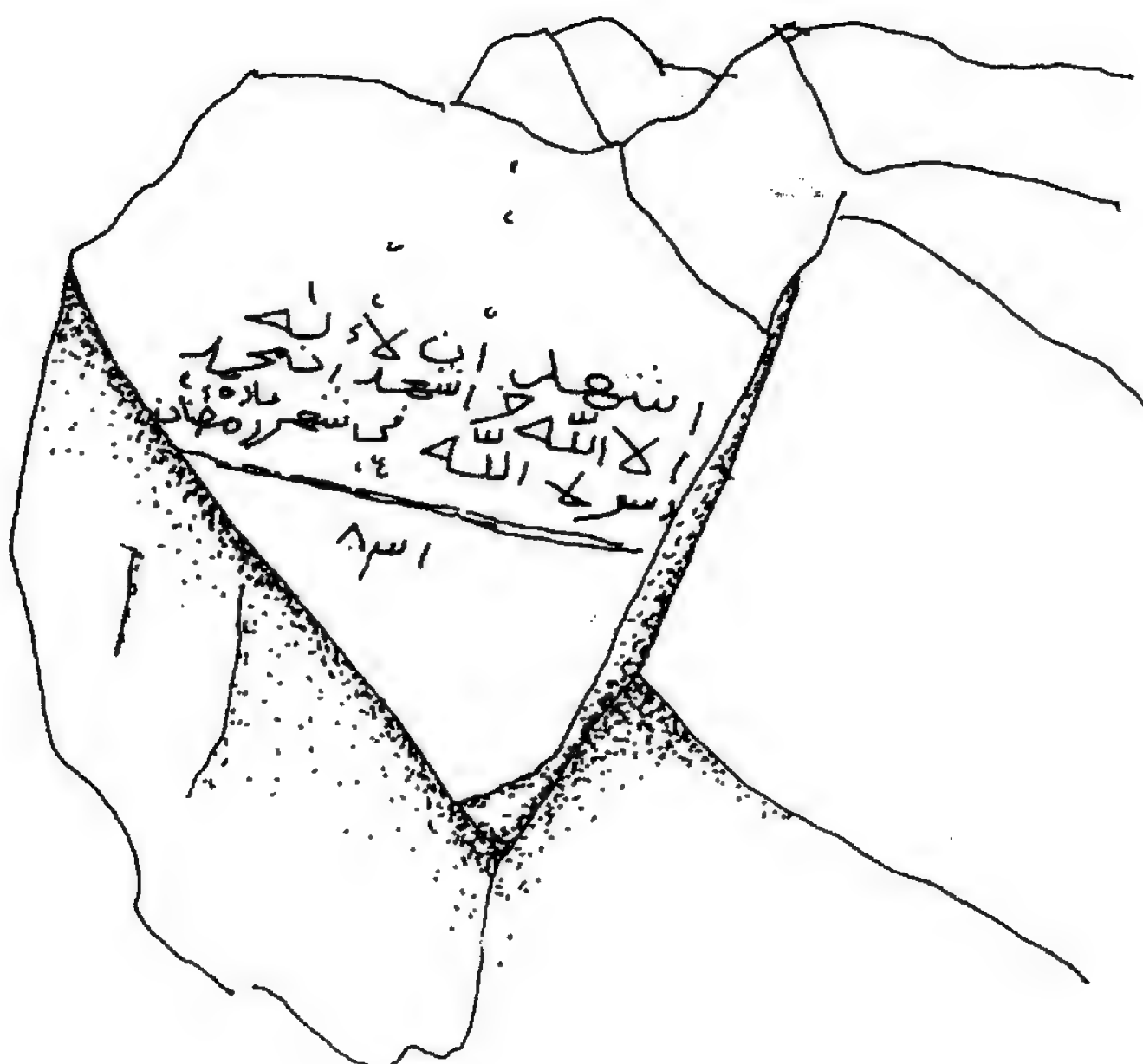
* طول النقش : 3،96 متر

* عرض النقش : 1،83 متر

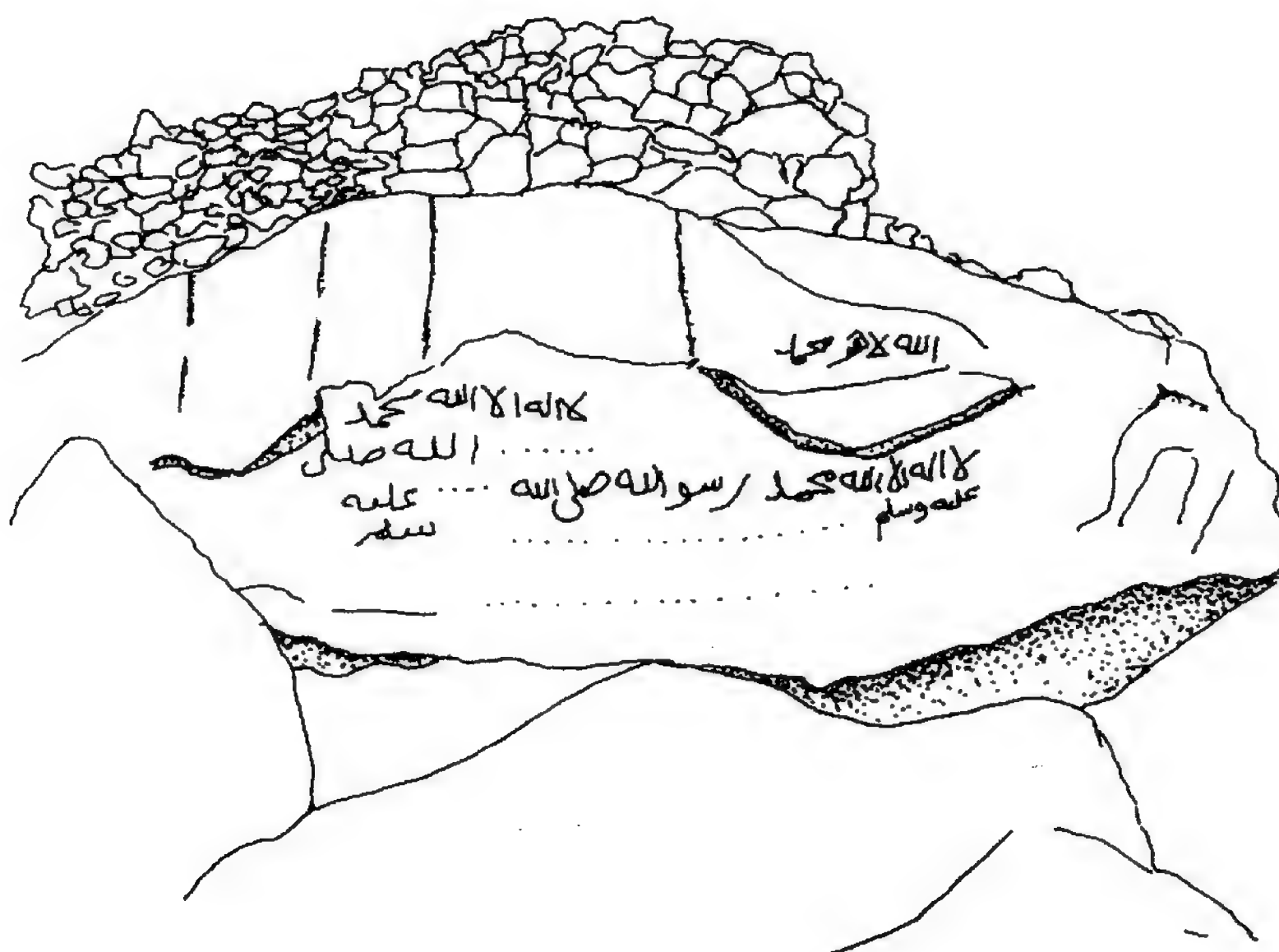
النص عادى وليس فيه جديد من حيث الموضوع ولا يوجد تاريخ لهذه الكتابة، ومن دراسة الموقع الذي هو مكان عسكري يتضح أن الكتابة ليست ببعيدة الزمن ولكنها قريبة للكتابات التي تم ذكرها سابقا.

المراجع

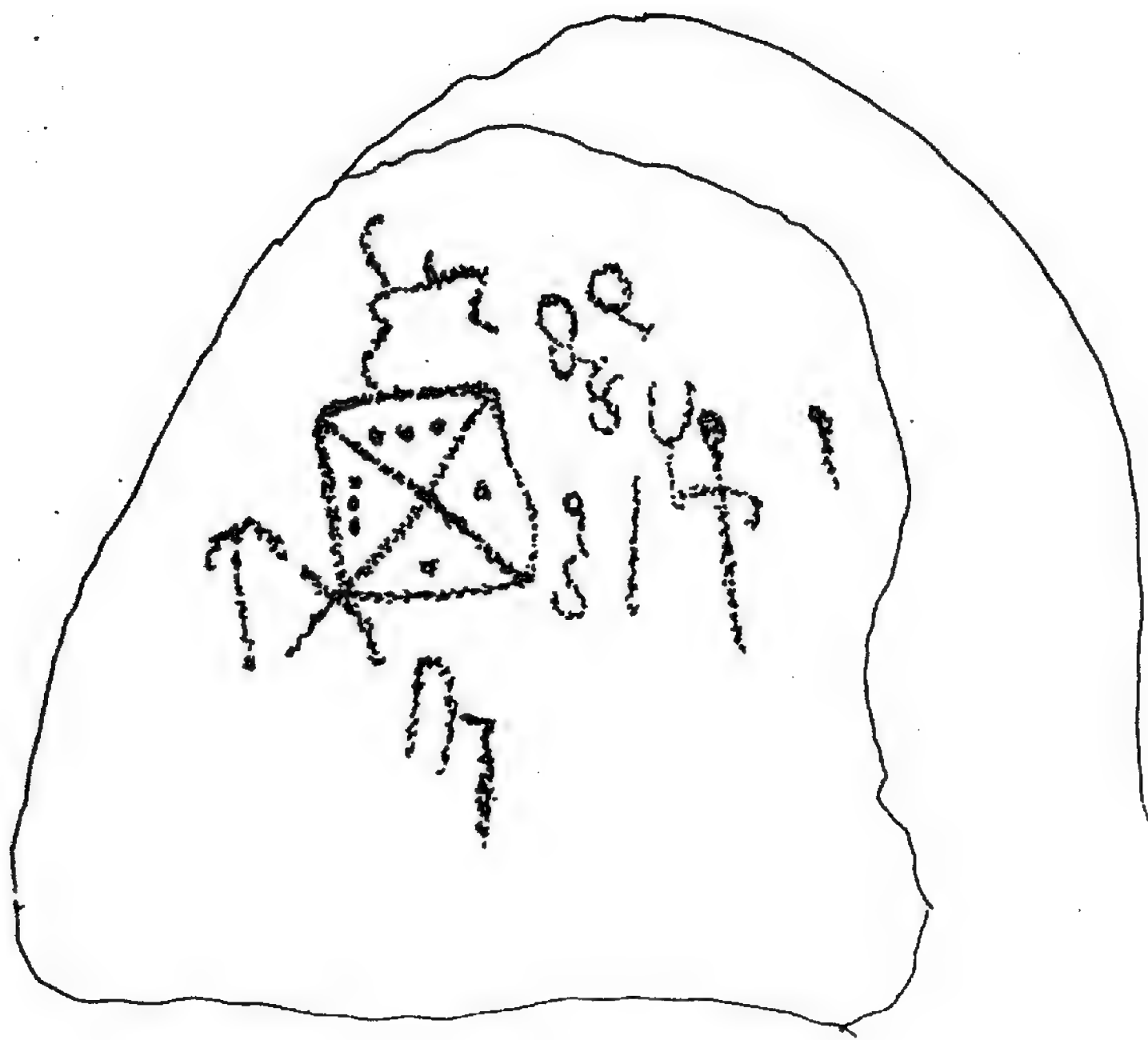
- 1- Rock Art of Oman 1975 - Christopher Clarke - in The Journal of Oman Studies , Vol. 1 - 1975 Sultanate of Oman.
- 2- آثار الخليج العربي ، الجزء الأول، آثار الشارقة - تأليف ناصر حسين العبودي، وزارة الإعلام، أبو ظبي 1978م.
- 3- دراسات في آثار وتراث دولة الإمارات العربية المتحدة - تأليف ناصر حسين العبودي - المجمع الثقافي، أبو ظبي 1990م.
- 4- تقارير بعثة الآثار الفرنسية المشتركة، التقرير الأول والثاني والثالث، دائرة الثقافة والإعلام 1989-1990م.
- 5- المسح الأثري، البعثة البريطانية - تقرير منشور 1992-1993م.
- 6- زيارات ميدانية للمسح للباحث.



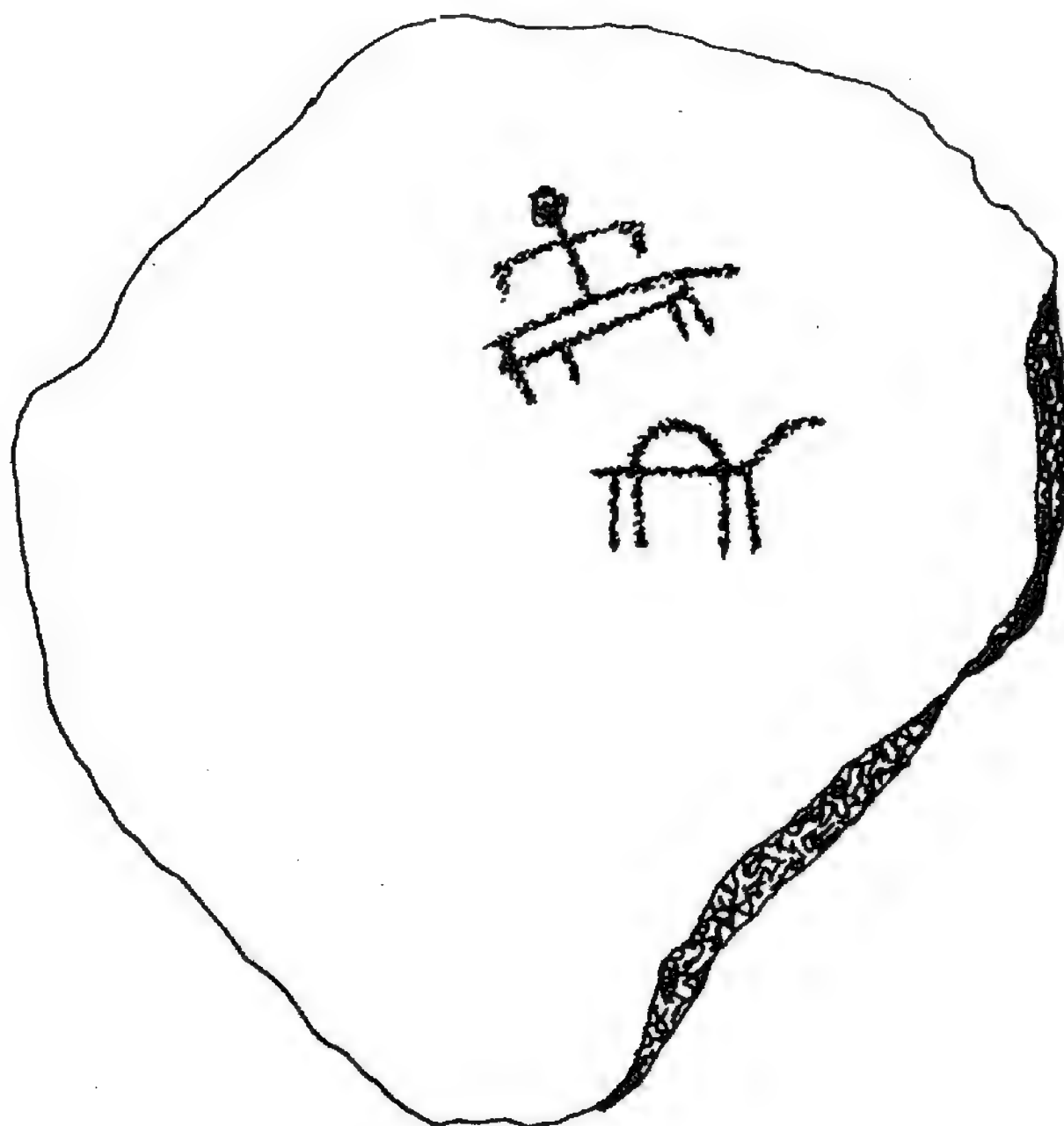
نقوش صخرية من خوزمطان



نقوش (كتابات) من صفر



نقوش صخرية من صفر



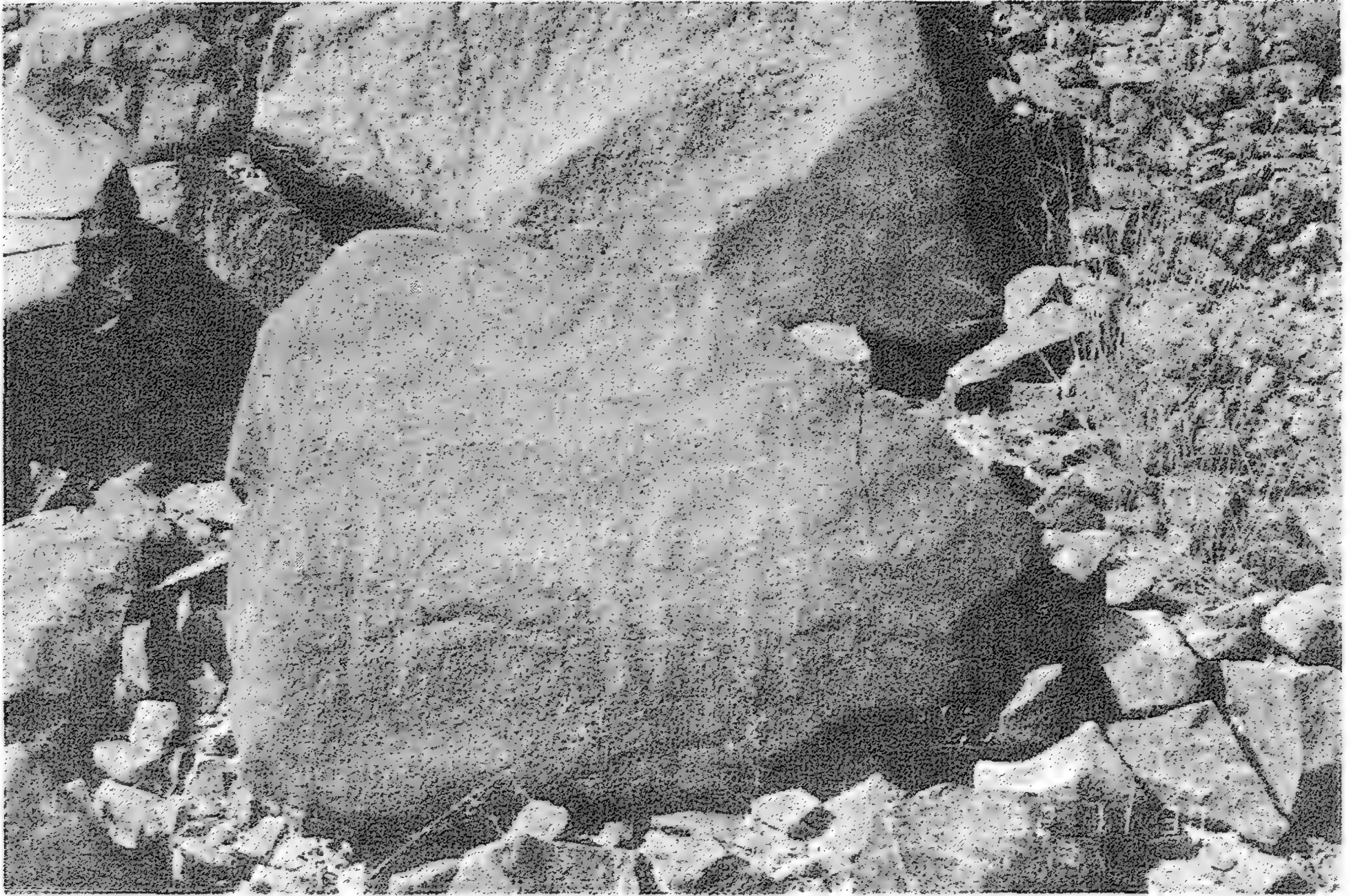
نقوش صخرية من صفر



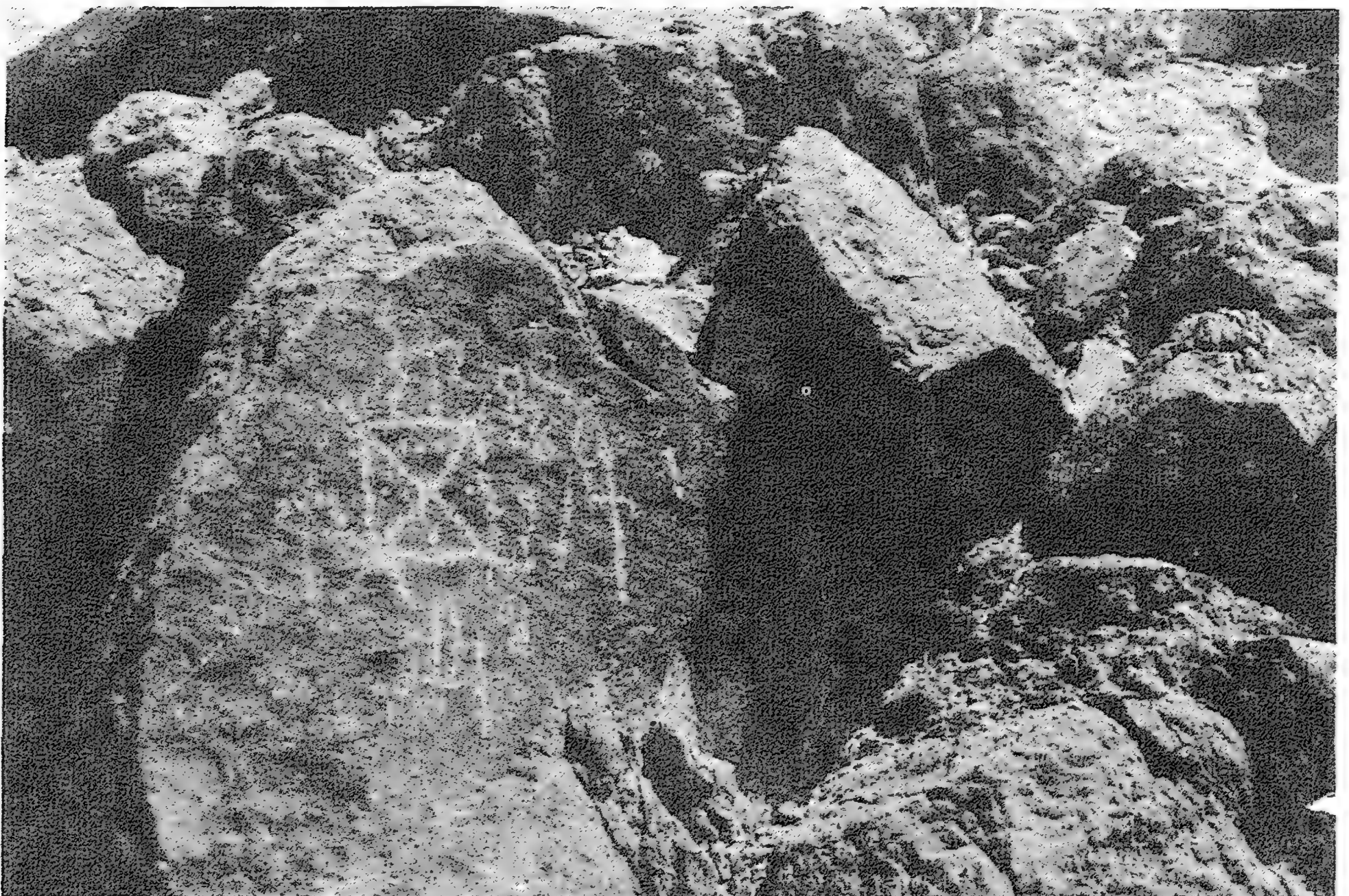
نقوش صخرية من خوزمطان



نقوش صخرية من صفر



نقوش صخرية من خوزمطان



نقوش صخرية من قلدفع

نقوش وادي الكوف

أ. صالح ونيس عبد النبي

قد دفعني للكتابة عن هذا الموضوع ان هذا الإرث العربي الليبي القديم لم يطرق إلا حديثا إذا قيس بالإكتشافات الأثرية في الشرق الأدنى ومصر، بحيث إن ما كتب عنهما من تأريخ وحضارة وثقافة كان قديما وسابقا لكل عهد ومهد في الوطن العربي. ولكن ما اكتشف ودرس عن النقوش والرسوم في تاسيلي وتدرارات أكاكوس والعوينات وحقفة الطيور قرب بنغازي ووادي الكوف والمقرنات بشحات وكرسة على حداثة دراسته التي لم تصل إلا إلى الوصيد، قد بهر عقول العلماء إذ اتضح إنها أقدم من الشرق الأدنى ومصر (شرق وادي النيل)، وإنها أوجدت نفسها لنفسها ثقافة وفنا، إن هذه الحقيقة تجلت الآن للعيان بفضل بعض المنصفين من العلماء الأجانب وللأسف الشديد وحتى الآن لم تأت أي بعثة عربية علمية أثرية تنقب عن هذه الحضارة والثقافة العربية الليبية سواء في جنوب ليبيا أو شمالها.

إن إطلاق أي تسمية وتنسب أي موقع على أول إكتشاف لما قبل التاريخ والتاريخ أيضا تصبح هذه التسمية متداولة بين الباحثين والكتاب ويصعب عندئذ تغيير اسمه أو نسبته بالرغم من قدم مهد الإكتشاف الجديد. إن بعض الباحثين كما مكبرني وموري لوت وقراتسيوس اتجهوا في تتبع أدوار العصر الحجري القديم في افريقيا وآسيا لدراسة الحضارة البشرية فيما قبل التاريخ لأنهم رأوا أن هذا الجزء من العالم سيضيف إلى دخر الحضارة البشرية الشيء الكثير فهو بكر في تنقيباته موغل في قدم حضارته وثقافته وفنه.

إن ما جمعته من هذه المعلومات والدراسات هو عن طريق مراجع مدونة، ولم يكن عن الطريق المكمل وهو المسح الشامل للأماكن المذكورة للوقوف على صحة

الخبر والقدرة على صحة الوصف باستثناء بعض الكهوف والأودية في الشمال وخاصة كهف العودة في وادي العودة الذي يرجع إلى ما قبل التاريخ وقد قمت بدراسة نقوشه لأول مرة.

إن قصدي من هذه الدراسة إبراز حضارتنا وثقافتنا بين البشر . . . وما التنقيب عنها وإكتشاف بعض أسرارها إلا ومضة من ومضات العالم العربي خاصة والشرق عامة وهل وجود الصدف إلا دليل على وجود اللائي . .

"أو" لن نرى مرعى مغدقا مطلقا إلا وجدنا للخلق فيه إنتاجا

وإلى "الذين" لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا أهدي هذا المنتجع.

الحزام الجبلي في الوطن العربي :

تظهر السلاسل الجبلية ممثلة في جبال أطلس بالمغرب والجبل الأخضر والجبل الغربي وجبل تيبستي في الجماهيرية العظمى ، والمرتفعات الجبلية على جانبي البحر الأحمر ومصر والسودان والسعودية واليمن والمرتفعات الأخدودية في غرب سوريا ولبنان وفلسطين وجبال كردستان وزاجروس في شمال شرق العراق . وقد أطلق عرفيا على بعض هذه المرتفعات تعبير " الجبال " ولكنها في الواقع حافات هضبية كالجبل الأخضر والجبل الغربي ، فهما يمثلان أجزاء من الحافة الشمالية للهضبة الليبية ، وكذلك جبال البحر الأحمر فهي حافات للهضبة العربية في افريقيا وآسيا⁽¹⁾.

كانت هذه الصحراء القاحلة في الماضي السحيق غزيرة الأمطار كثيرة النباتات والغابات التي تعيش عليها الحيوانات المفترسة الضخمة والزواحف العملاقة ، فإذا بالإنسان يكافح هذه الوحوش ليعيش ، ويحاربها ليجد لنفسه بينها مكانا آمينا ليطمئن فيه على حياته ، وما كاد يلقي سلاحه ويفرغ لنفسه بعض الشيء بعد هذا الجهاد المضني ويأوي إلى كهفه ليسترريح ويستقر به المقام في هذا المسكن الجديد ، ويرضي فيه حاجات جسمه من مأكّل ومشرب حتى يقوم إلى جدران هذا الكهف يزخرفها وإلى آلات صيده يجمّلها ويزينها⁽²⁾ . ووجد نفسه أيضا أمام قوى الطبيعة

(1) حسن د. محمد ابراهيم : دراسات في جغرافية ليبيا والوطن العربي ، منشورات الجامعة الليبية (1972) ص 7 .

(2) مرزوق محمد عبد العزيز : الاسلامية والفنون الجميلة ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب العربية (1944) ص 6 .

أمام قوى تعمل من وراء ستار رأى البراكين المتطايرة بالحمم فتصيبه في نفسه وماله وسمع الرعود والزمجرة الصاخبة والرياح الهوجاء العاصفة والبرق يخطف الأبصار، وكانت هناك السيول الجارفة المذوية والأودية العميقة كأودية متخدوش الواقعة خلف مرزق، والوادي الذي يصل بين فزان والسودان ووادي النيل والأودية العميقة في شمال ليبيا⁽³⁾.

وما أن قلت المستنقعات وبدأت المسطحات الغرينية وصلحت الأرض المحيطة بالأودية حتى حدث الإتصال والإستيطان والتلاحم والتزاوج الثقافي والأسري والممارسات الطقسية على طول الأودية والأنهار بين هؤلاء الأسلاف والشرق الأدنى، ولم تكن تلك الهجرات الجماعية الصغيرة من جانب واحد فعصر السلالات في وادي النيل لم يولد من فراغ وأكبر الظن أنه خرج من رحم العصر الآن إلا بداية وتجربة طويلة تمخضت عنها تلك الأهرامات الكبيرة في ليبيا القديمة حيث وادي النيل، وإن نجد في عهد الأسرة السادسة أهرامات صغيرة في سقارة قرب الهرم المدرج الذي بناه زوسر الأسرة الثالثة مثل هرم تيتي وهرم بيبى الأول.

ومن المقابر التي اكتشفت في بلاد النوبة على شكل بيضاوي أو دائري وقد ثبت من خلال دراسة جماجم الموتى من أنها لا تخص المصريين وإنما تخص - كما يقول بيتس شعوبا أخرى كانت تتجول في مصر من منطقة لأخرى أي لبيين كانوا ينتشرون في جميع شمال افريقيا⁽⁴⁾. ومن هذه المقابر التي تطورت ولكنها حافظت على هيأتها الدائرية القديمة منها مقبرة قرب مسة ترجع إلى بداية القرن السادس ق.م⁽⁵⁾. وهناك أيضا معابد ليبية قديمة كمعبد اسلنطة ومعبد المحارث وبعض الحقاف التي بجدرانها رسومات أبل في وادي الكوف وهذه جميعا أقدم عهدا مما قدر لها بدليل وجود معبد واحد منها فقط حتى الآن وحيث كانت قبيلة الاوسبيستاي المتحضرة قبل قدوم الاغريق صاحبة العربة التي تجرها أربعة خيول⁽⁶⁾. وإن كان هذا في العصور التاريخية وهناك مقابر ليبية قديمة في الجغبوب الأماكن المحيطة به كالفريدغة والطرفاوي واللقودعين بوزيد حيث عثر فيها على أشجار متحجرة وقبور ليبية قديمة كالمقابر التي عثر عليها في مطروح حيث كانت تسكن قبيلة قطاني أو قطعاني⁽⁷⁾. ولا تزال قبيلة

(3) جاد الله فوزي فهميم : أستاذ بجامعة قاريونس سابقا، حديث وحوار شفوي

(4) Bate, O., The Eastern Libyans

(5) Libyan antiqua vol. 1, pp. 127-131

(6) Heodohus IV

(7) Libyan and Egypt from 1300 - 750 b.c. Ed. by antihory Leahy, London, the Univer. (1990)

القطعان تنتشر بين مطروح وليبيا. وقد استطاع الليبي القديم في بداية العصر الحجري الحديث بجوه الرطب الحار أن يتطور في صناعته ووسائل دفاعه وسكنه فصنع الهراوات والقسي والرماح من الشجر والمدى والخناجر من الأحجار والحبال من ألياف الشجر وصنع الثياب الكتان وصنع أواني الفخار " إن كل الإطار الصحراوي كان يسكنه جماعة الكهوف كما أن ترتيب الكهوف والمخابئ الصخرية لاستخدامها كمساكن وعنابر هو نفس الترتيب الذي نراه في أغلب أجزاء شمال إفريقيا، وهذا ما يوحي بوجود عادات وحياة متطابقة أو على الأقل بوجود وحدة حضارية واحدة في بعض المناطق خضعت لنفس التأثيرات" (8).

وفي شمال ليبيا نجد أدوات ما قبل التاريخ كالمقاشط والرقاق التي تشبه الهلال والسهام والفؤوس الحجرية عشر عليها في بنية وفي القطارة والمساحة بينهما، وفي سلوق وتوكرة والمرج وكرسية ووادي شلال بو منصور بدرنة والقبّة وعثر في كرسية على فخار مثل الفخار الذي عشر عليه في تدارات أككوس ووأن موهاجوج في فزان يرجع تاريخها إلى الألف السابعة ق.م. مما أدى إلى إعتبار هذا الموطن المهد البدائي للصناعة (9).

ولما كان الإنسان ميالا بطبعه للديانة والفن وحب البقاء فقد رأى في الحيوانات المفترسة والعملاقة قوة تفوق قوته، فكان لزاما عليه أن يسترضيها بقدر ما وصل إليه عقله الفطري أو المطبوع فهده تفكيره وغريزته الفنية إلى رسمها ونقشها على الجدران داخل تلك المآوي كي يتمتع الصيادون وأبناءؤهم أنظارهم برأى الحيوانات ومعرفتها عندما يأتي المساء ويأوون إلى أعماق كهوفهم أو عسى أن يستجلبها بنوع العامل الديني أو التعاطف السحري فتسهل قيادتها والتحكم فيها فيتحقق له بهذه القوة السحرية الغاية الإقتصادية بالتعبير الحالي فحاكى ما رآه في محيطه من حيوانات وزواحف بالرسم والنقش بطريقة سليمة وسواء كان ذلك لهذا الغرض أو الجمال أو البقاء أو الذكرى أو تقديسها واحترامها لأنه رأى فيها قوة أعظم من قوته فعبر عن عبادته لها بهذه الرسوم والنقوش فهي خطوة من خطوات الأديان التي ترجع في جذورها إلى ما قبل التاريخ بعد أن عجز الإنسان عن ادراك كنه الله وطال عليه الأمد. وقد تجمع هذه الاتجاهات الثلاثة: الدينية والفنية والتذكارية جنبا إلى جنب.

(8) بولم، دنيس : الحضارة الإفريقية، ترجمة على شاهين، بيروت، مكتبة الحياة، ص

(9) Libyan studies, vol. 25 (1994). p. 41, cf. R. c.b. 3, pp. 1031 - 1032

فهذه الذخيرة بحق تمثل حياته وأحاسيسه الفنية في بيئته الاجتماعية وصور الحيوانات والزواحف والطيور التي كانت تعيش في عصره، إنها لآية من آيات نبوغ الأجداد وعبقريتهم الفذة.

النقوش والرسوم الصخرية :

استطاع الانسان الليبي القديم أن يستلهم منه من طبيعة أرضه التي أحبها بما فيها من أشجار وحيوانات وزواحف وطيور فسجل تلك المظاهر اليومية الصميمة على جدران الكهوف والمغاور والأهوية والحقاف مستخدما فيها ألوانها الطبيعية من أحمر وأصفر وأخضر وأزرق مع بعض اللمسات السوداء والبنية، وتتميز الخطوط الزخرفية بجمالها الأخاذ والأناقة والدقة والاحتفاظ بخصائص الأشكال التي رسمها مما يدل على أن ظهورها لا بد وأن يعتبر ثمرة لعملية تمهيدية طويلة قد حدد بعضهم تاريخ بعضها للعصر الحجري القديم⁽¹⁰⁾.

ومن النماذج على سبيل المثال في تدرارات أكاكوس/ موري :

* رسم بلوحة سندار(1) ثعبان بألوان مختلفة تزيد أبعاده عما تم إكتشافه حتى الآن مع ملاحظة دقة العمل وإنسجام الألوان الدور النهائي للرؤوس المستديرة.

*رسم انشال (2) وعمل راقص يبدى شكله بكامله آثارا " ضعيفة بلون أخضر وغامق على طرف الغلاف الخارجي، ويتراءى هذا اللون ضعيفا " على الحطم والقرون الطويلة المصقولة والمعقوفة إلى الوراء. وقد خطط كفاف البدن بخط أصفر فاتح عريض وسميك.

نهاية دور الرؤوس المستديرة.

* وان موهجاج (3) لوحة وعمل جميل رابض وقدر كفاف الشكل والرأس والقوائم ومؤخرة الجسم باللون الأبيض وطلبي غير هذه باللون الأحمر. وهناك لوحة منفصلة فيها نموذج رائع لكركدن ورغم أن هذا الرسم جاء مبسطا فإنه مع ذلك أظهر إحساسا بالنسب ودقة الرسم. لون الجسم في الكركدن أحمر أما الكفاف فبنفس اللون مع وقع صبغي داكن.

(10) ليبيا القديمة ز اليونسكو (1988) ص 163، قارن بزامة محمد، تاريخ ليبيا، الجزء الأول، في عصور ما قبل التاريخ، 3200 ق.م. بيروت، دار صادر (1973) ص ص 186 - 188

* وادي إيكى . . تمثل هذه اللوحة ثورا أصيب بسهم فأحنى رأسه أمام شكل بشري يلبس ما يشبه التنورة ويتراءى لنا من قرني الحيوان قرص يشبه شمساً صغيرة . ويكتسي هذا الموضوع بشيء من الأهمية لما يقدمه من احتمالات تأويل حول فترة تأهيل الحيوانات التي سبقت التدجين الفعلي . الدور الرعوي القديم⁽¹¹⁾ .

وفي شمال ليبيا نجد رسومات لبعض الحيوانات أمكن تمييز الحصان والحجل من بينها على جدران حقفه الطيور قرب بنغازي .

وفي كهف العودة في وادي العودة شمال زاوية العرقوب (الراية الخضراء) بحوالي إثني عشر كيلو مترات نجد رسومات لطيور ورأس خنزير وأرنب يقع تاريخها في دور الصيد درس لأول مرة . وفي كهف المقرنات في وادي ملجة محقن شمال غرب شحات نجد عددا من الرسوم تمثل أحد مجتمعات العصر الحجري القديم من بينها الودان وأنواع الماعز والبقر والثيران يقع تاريخها في الفترة بين الألف السابعة والسادسة ق . م .⁽¹²⁾ وفي رزس الجمل بكرة نجد رسومات صخرية تتميز بالأسلوب المحلي بخطوط هرمية متموجة من بينها بقرة أو ثور ترجع إلى عصر الرعاة في ما بين الألف السابعة والألف الرابعة . حيث كانت قبيلة الجليليتماي في عهد هيردوث (ق 5 ق . م .)⁽¹³⁾ وإن كان في العصور التاريخية .

والآن ما أطالب به هو المسح الشامل لمواقع الكهوف والحقاف والأهوية والمواقع الأثرية الأخرى وعمل خريطة حديثة وإعداد دراسة علمية للقى الأثرية والنقوش والرسوم الصخرية وخاصة لا يزال الكثير منها في الجبل الأخضر مجهولا لدينا حتى الآن فحقفه العدوى لم تنشر دراستها إلى الآن فهي لم تبعد كثيرا عن حقفه الجمل وكهف المحاريث بوادي الكوف ويقع في شرق هذه قرافة بشحات وهو افطيح الذي عثر فيه على قشور بيض النعام (90000 سنة) شرقي سوسة وفي شرق هذا الموقع كرسية وفي درنة سيدي كريم وادي بو منصور .

ونجد في العوينات جنوب ليبيا رسومات تمثل أحد مجتمعات العصر الحجري الحديث من بينها الحصان والعربة بما يؤكد قول هيردوث عن استخدام القرامنت لها

(11) ليبيا القديمة، اليونسكو، نفس المرجع

(12) Antiquity vol. 39 n° 154 June (1965) pp. 95-96, 101

(13) Libyan studies vol. 25, pp. 32 - 41

في فزان. وإن كان ذلك في العصور التاريخية. وهناك بعض النقوش في وادي الآجال تعود إلى ادوار ما قبل التاريخ ووادي زقزة ووادي مسعود وغيرها من مواقع في فزان وصخور جبال الهروج والبرجوج في فزان فيها أعمال جدارية خالدة تبعد عن الأكاكوس بحوالي ثلاثمائة كيلو متر والسودا حيث توجد رسومات لحيوانات مشابهة كما في كهف المقرنات في شحات⁽¹⁴⁾. وفي أودية متخندوش الواقعة خلف فزان توجد رسومات ترجع إلى الفترة المناخية الثالثة التي أطلق عليها عصر الصيادين في الفترة من خمسة آلاف وخمسمائة إلى ألفين وخمسمائة ق.م. فيها رسومات من بينها تمساح بقوائم طويلة تظهر واقعية الفنان في دقته في رسم حراشف التمساح والتفاصيل الدقيقة لرأسه وذيله وهناك رسومات تمثل صيادي الزوارق والنعام ورعاة البقر والثيران الكبيرة وهم طوال القامة والأطراف.

وتشير الرسومات إلى تطور عادات هذا الشعب تطورا "بطيئا" إلا أن أفرادهم مرسومون ببشرتهم البيضاء والشعر الأشقر مرتدين عباءات ترجع إلى الفترة ما بين الألف السادسة والرابعة ق.م.⁽¹⁵⁾ كالتمحو الذين ذكروا في نصوص الدولة القديمة الألف الرابعة ق.م. وإن كان هذا في العصور التاريخية إلا أننا نجد منطقة تمحو في نواحي الأكاكوس وتاسيلي، كما يطلق على الطوارق أيضا تماحك⁽¹⁶⁾. ونجد في مقابر دير المدينة بالأقصر في الدولة الحديثة مناظر الحقول وأشجار الدوم وغيرها مما اعتبر سجلا حافلا للحياة المصرية القديمة. وهذا يجرنا إلى ذكر وادي الدوم بجنوب ليبيا الذي اشتهر بهذا الشجر. واستعمل الليبيون القدماء في رسم أبقارهم الألوان الطبيعية وقد وصفها محمد أيوب بأنها (انتاج قوم على درجة عالية من المعرفة والذوق الفني) وبأنها مثلت الحيوانات المرسومة (بواقعية منقطعة النظر)⁽¹⁷⁾ ويقرر موري بأن أقوام الصحراء الكبرى فيما قبل التاريخ قد بلغت مستوى عاليا من التطور الثقافي⁽¹⁸⁾.

(14) مصطفى عبد الحليم. Quaderni della Libya vol. 5, cf. دراسات في تاريخ ليبيا القديم ز بينغازي، المطبعة الأهلية (1966) ص 5.

(15) Libya antiqua vol. 3/4 (1968), p. 101. قارن بزامة المرجع السابق ص 62, 63، قان أيوب، محمد سليمان - معالم أثرية من جنوب الجماهيرية، الشركة العامة للورق والطباعة (1993) ص 87.

(16) بزامة : المرجع السابق، ص 62

(17) أيوب : مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور حتى 1811. طرابلس الغرب، المطبعة الأهلية، ص 40. قارن تاريخنا الكتاب الأول ص 73.

(18) ليبيا القديمة، اليونسكو ص 167.

وفي تدرارات أكاكوس يمكن مشاهدة رسومات على الصخور بينها ما يرجع إلى الحيوانات الضخمة إلى الأدوار القديمة جدا وأنواع من الفيلة والصيادين يحملون السهام ويلبسون جلد وحيد القرن وأقنعة للرسومات ورسومات للبقر أو الجاموس والثيران كما في وان أميل (Uan Amil) ومن بين الرسومات أيضا نجد صيادا يتحلى بذيل حيوان وهناك في وادي تدرارات رسم لفرس البحر، والزراف ووحيد القرن، وفي ثمد الحار في الهروج السوداء (فران) نجد أربع زرافات منقوشة بعمق كبير تنسب إلى عهد أقدم. وإلى عهد أحدث تعود تصاوير حيوانات قسمها الداخلي هو محفور ومصقول تماما⁽¹⁹⁾. مما يدل على وجود الأرض الخصبة والمياه الغزيرة الدائمة في هذا الوادي. ونرى هيرودوث في القرن الخامس ق.م. يذكر الحيوانات المتوحشة ومن بينها القردة والأفيال وقطعانها الكبيرة التي تملأ المنطقة وإذا إتجهنا إلى مصر نجد أن بعض العلماء قد لاحظوا وجود بعض أوجه الشبه بين مواطن حضارة العصر الحجري الحديث في مصر ومواطن هذه الحضارة في ليبيا إذ يرجع إنتشار الآلات الحجرية الخاصة بهذا العصر في الفيوم والقسم الجنوبي من وادي النيل وحتى الواحة الخارجة من شمال حلوان حتى سيوه⁽²⁰⁾. وكانت مظاهر الحضارة الغالبة ليلية⁽²¹⁾.

ويتضح هذا من سكان البداري في مصر حيث نجدهم يحلون شعورهم بوضع الريش فيها وهو ما يتميز به الليبيون. ومن فحص الهياكل العظمية في جنوب غربي الدلتا في مرمدة بنى سلامة تبين أنهم فرع من سكان البحر المتوسط من ذوي الجماجم التي تميل إلى الإستطالة وجباههم عريضة.

وهم فرع من حضارة انتشرت على شاطئ أفريقيا الشمالي ووصلت إلى أوروبا حوالي عام 3000 ق.م.⁽²²⁾ ويرى البعض أن حضارة نقادة أو جرزة التي بلغت أوجها أنها ليلية إزاء وجود عناصر ليلية واضحة في هذه الحضارة⁽²³⁾. ويرى فلنדרز بترس أن حضارة العمرة بصعيد مصر ليلية الأصل⁽²⁴⁾.

(19) Libya antiqua, vol. 1, p. 11 psq

(20) عبد العليم، د. مصطفى : المرجع السابق، ص 8 .

(21) نفس المرجع

(22) عبد العليم : ص 8، قارن Jones, A.H., the ceties of the Eastern Roman provwieces Oxford, the clarendon press 2nd ed. (1971), p. 353

(23) عبد العليم : المرجع السابق، ص 10

(24) داقس، بازل : أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال م. أحمد، بيروت، دارالثقافة، ص 117

ويرى البعض الآخر أن شعبة من الجنس الحامي السامي قد استقرت في شمال إفريقيا والصحراء الكبرى قبل ألف ق.م. ثم خرجت هجرة من هذه الشعبة بعد أن تم تخصيصها الحضاري في الفترة ما بين 1000 و 800 ق.م. إلى الشرق ونشرت حضارتها في وادي النيل وغرب آسيا حتى في بلاد النهرين⁽²⁵⁾. وهذا يعني أن حضارة كل من مصر وبابل قد نشأت في الأصل في شمال إفريقيا والصحراء الكبرى إلا أن إقامتها الطويلة في مصر جعلتها تتخذ صفات جديدة وترسي قواعد حضارة تختلف عن الحضارة التي أتت بها من مواطنها الأولى⁽²⁶⁾.

وإذا رأى أغلب المؤرخين أن حركة الفكر العقائدي في وادي النيل انتقلت إلى داخل القارة ووسطها وجنوبها من جانب واحد، فإني أؤيد ما أكد عليه باذل دفتس بأن عصر السلالات لم يولد من فراغ وأكبر الظن أنه خرج من رحم العصر الحجري الأخير في إفريقيا. فالفلاحون في بحيرة الفيوم وهم الذين وضعوا الأسس الأولى للمجتمع المصري كانوا ولا شك يؤمنون بآراء عن الحياة والكون تميزهم عن غيرهم من الشعوب وأرجح القول أنها انبثقت من قلب إفريقيا وخالطها شيء قليل من آسيا⁽²⁷⁾.

كان وادي فزان السودان في الفترة المطيرة عامرا بالمياه وكان الناس يأتون إلى مصر في جماعات صغيرة عن طريق هذا الوادي وعن طريق العوينات مما جعل الاتصال قائما بين الواحة الخارجة وسيوه والفيوم وبين الجغبوب والعقيلة⁽²⁸⁾. إن الأهرام الصغيرة التي انبثقت في فزان قد بدأت صغيرة بعد معاناة من التجربة والإرهاصات، وقد طاب لبعض الليبيين القدماء الإستقرار في الجناح الشرقي من ليبيا القديمة فبنوا تلك الإهرامات الكبيرة حيث رأينا في البداري والفيوم ومرمدة بني سلامة، فليس إذن من المستغرب إذا رأينا على الآثار المصرية الليبية ذوي ملامح يتضح فيها مسحة أثر طفيف للملامح الزنوجية⁽²⁹⁾. وإن كان هذا في العصور التاريخية.

وقد ظلت الصحراء الكبرى في العصر الحجري الحديث رطبة ومزدهرة كما ظلت الحيوانات السودانية تهاجر موغلة نحو الشمال وفي أرجاء الصحراء الكبرى كلها،

(25) نفس المرجع ص 9

(26) نفس المرجع

(27) نفس المرجع، ص ص 113 - 114

(28) عبد العليم : المرجع السابق، ص 9

(29) Bates, O. op. cit. p. 48

كما نجد بعض الحيوانات الرخوية القارية والأسماك والتماسيح وقد أشار عالم النبات اوقست شيفاليه إلى أهمية مناطق الصحراء الكبرى بصدد البحث عن المواطن الأولى للنباتات المزروعة، فالذرة الرفيعة التي تزرع الآن يرجح أنها كانت تنمو في العصر الحجري الحديث الرطب، فضلا عن إن نبات البنيسيلير (Penicillaires) وصنف من الأرز نوع أو جسلا برما (O. glaberrima) وربما كان هذا الأرز هو المعروف لدى جماعات الجرمنت ونبات الفونيو (Fanio) وتف الحبشة (Agrosilis Tef) والشمام والبطيخ بل ولا يزال نوع من القطن ينمو برما في الاستبس بين مرجو اير وتيبستي⁽³⁰⁾.

كما كانت غنية بالنباتات الطبية وحدائق الكروم وأشجار الزيتون ومختلف النباتات التي كانت تعيش عليها الحيوانات المختلفة. وهذه الحقيقة يمكن استنتاجها من الغنائم التي جلبها ساهور من السلالة الخامسة ألفين وأربعمئة وخمس وسبعين ق.م. حيث ذكر بأنه جلب معه ألف رأس من الماشية وأكثر من مائتي ألف من كل من الحمير والماعز والغنم⁽³¹⁾. فالأقليم إذن غني بالثروة الحيوانية كما يستدل أيضا من وثائق العالم الحيواني يستحيل أن يحي دون وفرة المياه ماء وكلا⁽³²⁾ ماء غزيرا وأرضا خصبة⁽³³⁾. غير إن القرائن التي تعتمد على الدراسات الميتولوجية تؤكد أن المنطقة الوسطى بالصحراء قرابة الألف الرابعة ق.م. تدهور فيها المناخ الجوي بحيث أثر في أنواع المزروعات فظهرت أعشاب الارطماسيا (قيصوم) وأعشاب المناطق شديدة الجفاف الأرسيدا الشفشوف بينما تناقص الخضاء "التيناء" ومع ذلك فقد ظلت بعض المراعي باقية ويستدل على ذلك من وجود صور للمواشي حتى فترة ظهور الخيل سواء كان بعجلات أو لا - في الألف الثانية ق.م. لكن الماء بدأ يقل في تلك المنطقة ونزح الرعاة الى مناطق أخرى وبدأت القطعان في الاندثار⁽³⁴⁾. فقد هيا نهر النيل العظيم الذي يتدفق في ذلك الوادي مقاما جديدا تتوفر فيه المياه لصيادي العصر الحجري في الهضبة الافريقية الشمالية مما جعلهم يتركون موطنهم الأصلي ويستقرون على امتداد شاطئ النيل وأصبح هذا الوادي العظيم وطنا آمنا إذ كانت الصحراء الجافة

(30) فيرون ريمون : الصحراء الكبرى، القاهرة، نهضة سجل العرب (1963) ص 53

(31) هنري : فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ص 40

(32) موري : تدرجات أكاكوس، ترجمة عمر الباروني وآخرين، الجماهيرية، طرابلس، دار الكتاب (1988) ص 33 .

(33) Libya antiqua vol. 3/4 p. 100

Ibid, p. 101 (34)

تحميه من الجانبين ولم تكن الثلوج وموجات البرد الشديد شمال البحر الأبيض المتوسط تصل إليه، وعاش السكان في هذا الوادي وسرعان ما تقدموا ومن ثم تحولوا من جامعين للغذاء إلى منتجين له⁽³⁵⁾.

وإذا وضعنا في الاعتبار هضبة غير كموقع من مواقع ليبيا القديمة الذي أعلن عنها منذ عام 1980 فإن هذه الرقعة تحدد بداية إنتاج أقدم الفخاريات أو ما يسمى في كثير من الأحيان الانتقال إلى العصر الحجري الحديث بالألف العاشرة قبل الميلاد على حين كان التاريخ المسلم به في عام 1974 هو الألف السابعة قبل الميلاد⁽³⁶⁾. وبالمقارنة نجد في أوروبا الشمالية أن إنتاج الفخار يرجع إلى أواخر العصر الحجري الحديث (البيولوجي) من سبعة آلاف وخمسمائة إلى ثلاثة آلاف قبل الميلاد⁽³⁷⁾.

وهذا يعني أن ليبيا القديمة تسبق أقدم مواقع الشرق الأدنى⁽³⁸⁾. فلا غرو إذا رأينا اسم ليبيا يعم الشمال الأفريقي ووسطه طوال الأحقاب التاريخية فكانت وحدة لا تفصلها أسماء ولا حدود سياسية حتى مطلع القرن الحالي وقد عمم هيرودوت هذا الاسم على القارة الأفريقية بأسرها⁽³⁹⁾.

إن هذا السلف العظيم قد ترك علاوة على أدواته نقوشا وصورا طبيعية في البقعة الممتدة من موريتانيا إلى وادي النيل، ومن جبال أطلس إلى النيجر والعيونيات، فلا يمكن دراسة الصحراء الليبية منفصلة عن الصحاري لأن هذا الحزام الصحراوي يكون وحدة جغرافية وثقافية واحدة.

ويمكن تقسيم النقوش المحفورة والرسوم - وإن كان من الصعب حتى الآن ترتيبها ترتيبا زمنيا - إلى ثلاث مجموعات:

1- النقوش ذات الأحجام الكبيرة واللون الأسود القاتم التي تمثل حيوانات تعيش في بيئة مائية كالجواموس الضخم القديم والخرتيت والفيل وفرس البحر والزرافة

(35) برستد، جيمس هنري : إنتصار الحضارة، تاريخ الشرق القديم، ترجمة د. احمد فخري، القاهرة، مكتبة الأنجاء المصرية (1969) ص 34 .

(36) ليبيا القديمة، اليونسكو ص 120

(37) آثار العرب، العدد السادس، الربيع مارس (1993) ص 96 .

(38) ليبيا القديمة، اليونسكو ص 119 .

(39) تاريخنا الكتاب الأول ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع ق.م. (1977) ص 95

والنعامة وهي واقعية الاسلوب⁽⁴⁰⁾. بحجمها الطبيعي فبلغ ارتفاع الزرافة ستة أمتار والفيل ثلاثة أمتار كما أنها أحيانا تمثل رجلا مقنعين، وكان الحفر يتخذ شكل "V" في وضوح وعمق⁽⁴¹⁾ ترجع للعصر الحجري القديم.

2- نقوش أحدث من سابقتها وأقل حجما وأنصع لونا تعبر رسومها عن حيوانات سهول الأعشاب كالضأن والماعز والبقر. إن الرسوم هنا أصغر كما إن الحفر يتخذ شكل "U" وكثير من الكباش والثيران يحمل كل منها بين قرنيه قرصا⁽⁴²⁾. ويضع بعض القناصة والرعاة الذين عاشوا في عصر الرعاة أنواعا من أغطية الرأس. إن هذه الرسوم المنحوتة أو الملونة للبقر والثيران التي وجدت في وادي مسعودة وأكاكوس ووادي مرسيت وواحة غات التي ترجع إلى الألف السادسة ق.م. يحمل بعضها فوق رأسه وبين قرنيه قرصا أو ما يمثل قرص الشمس هي آلهة الغرب سيدة بلاد يام⁽⁴³⁾. وهذا الرسم يجرنا إلى السؤال الذي يطرح نفسه. أمن الجائز أن يكون شعب يام من سلالة يام بن نوح الذي عرف أما في الشمال الشرقي من افريقيا أو ما يطلق عليه الآن مصر فقد رسم الرعاة كباشا يحمل كل منها قرصا تمثل أجداد آمون رع ترجع إلى الألف الرابعة ق.م. وهو يتفق في أحداث التاريخ.

3- رسوم حيوانات البراري ورجال يحملون مزاريق ودروعها مستديرة مستخدمين عربات من ذوات العجلتين والأربع عجلات. وقد تميزت بطابع فني مدروس برشاقة الأشخاص والإبداع الذي يمثل عصر نهضة الفن القرامتي كما تظهر في رسوم جبل زنككرا (جبل العسل) التي يصفها فرانكو ساتين (Franco Sattin) بقوله : "يزدان الجانب الشمالي لهضبة زنككرا بنقوش حيوانية وآدمية ترتقي إلى الدور الأخير من حقبة الرعاة وتدجين المواشي والخيول، كما يظهر بين مجموعة النقش نحت قليل البروز يمثل رأس إنسان من جنس البحر المتوسط يحتمل إنه قرمتي، وقد لاحظ أيضا نقشا يشكل أربع نعاعات صغيرة بالإضافة إلى نقوش تظهر على حدة فيها محاكاة

(40) جوليان، شارل أندريه : تاريخ افريقيا، ترجمة طلعت عوض أباضة، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر (1978) ص 12 - 13 . قارن فيرون، المرجع السابق ص 54 .

(41) فيرون : المرجع السابق، ص 54

(42) المرجع نفسه

(43) بزامة : المرجع السابق، ص 235 - 236

للطبيعة بطريقة سليمة ونقوش أخرى شبه تخطيطية، وهناك تخطيط مع أشكال آدمية وفارس وأشكال حيوانية... (44).

" ويصفها أيوب بقوله: " أما من الناحية الجنوبية للقمة فنجد نقشا يمثل الزرافة وقد رسم بأداة حادة فوق الصخر ومثلت النقط الرقطاء للحيوان على الشكل بواسطة الطرق بآلة حادة. والرسم جميل الشكل رشيق للغاية وقد مثل الزراف فيه بواقعية منقطعة النظير أما من الناحية الشرقية فيوجد نقش يمثل الزراف ويليه نقش آخر في غاية الروعة يمثل مجموعة كبيرة من الأبقار وقد اتخذ الفنان تنوع ألوان الصخر من الأحمر إلى الأصفر ليمثل ألوان البقر المتفاوتة⁽⁴⁵⁾. " وقد أرجع كثير من المؤرخين تاريخها إلى القرن الأول الميلادي لأنها تظهر الجمل، ولكن عشر على عملة أو مسكوكات عليها جمل ترجع للقرن الأول قبل الميلاد، وفي مجال الخيل يقول العالم الفرنسي ماسبيرو: " قد اختفى الحصان من افريقيا الشمالية في أول الدور الأرضي الرابع لينتقل إلى آسيا الوسطى أثر التبدل الذي طرأ على المناخ، ولكنه عاد فدخل افريقيا عن طريق مصر أثر غزوة الهكسوس كحيوان يستعمل للجبر والركوب فهو قد استعمل أولا للجبر ثم بعد ذلك للركوب، أما في افريقيا فيبدو إنه استعمل لجبر العربات الحربية وهناك رسوم صخرية تعين الطريق التي استطاع المغرب بواسطتها أن ينقل لحصان إلى جنوب الصحراء في القرون الأولى التي سبقت الميلاد. وليس من المستبعد أن يكون قد وجد في مناطق الصحراء خيول مشابهة للتي نقلها المغرب التي جاءت عن طريق مصر والسودان الأوسط⁽⁴⁶⁾ وخلاصة القول استطاع الليبي القديم بمواهبه الكبرى الحفر والرسم على الصخور وشقف الأحجار وجذوع الشجر وصنع الأواني والأوعي الفخارية، وظهرت لديه ربما أصول النظم الاجتماعية والمعتقدات الدينية وانتهى باختراع لغة مكتوبة حيث استقر وبنى القرى والمدن فولدت الحضارة والثقافة وظلت آلاف السنين بدليل انتشار الفن الصخري في مساحات شاسعة وكثرة الانتاج والتنوع.

فالوطن العربي يحتل مركز القلب للكرة الأرضية ويسجمع بين حضارات الهند والصين وفارس وجنوب أوروبا وجنوب افريقيا ويضم حضارات شمال افريقيا

Libya antiqua vol. II (44)

(45) أيوب : معالم أثرية ص 87

(46) بولم : المرجع السابق، ص 35 - 36

والرافدين واليمن والشرق الأدنى ووسط شبه الجزيرة وشرقها. فهو بحق أحد مواطن الحضارات الأولى وملتقى حضارات العالم القديم تفاعلت عليها مختلف التيارات فكانت فيها حضارات أصيلة ووصلها قبس من حضارات مجاورة فأخذت منها وأعطتها، فكانت أرض الوطن العربي الكبير تتج وتأخذ وتمزج وتختار وتشع⁽⁴⁷⁾.

يقول ديورانت مؤلف قصة الحضارة: " إن قصتنا تبدأ بالشرق لا لأن آسيا كانت مسرحاً لأقدم مدينة معروفة لدينا فحسب، بل كذلك لأن تلك المدينيات كونت البطانة والأساس للثقافة اليونانية والرومانية التي ظن سير هنري مين خطأ أنها المصدر الوحيد الذي استقى منه العقل الحديث " يؤيد هذا الاتجاه المنطقي موري بقوله: " أفسدتنا طرق التفكير المبتسرة التي جعلتنا نفسر غياب الشواهد على عدم وجود شيء ما بأنه دليل على عدم وجوده⁽⁴⁸⁾."

نقوش صخرية في كهف العودة

يقع وادي العودة شمال زاوية العرقوب (الفجر الجديد) بحوالي 12 كم، ويبتعد عن البحر خط مسطرة بـ 10 كم ويسمى هذا الوادي من أعلى الطرطاق في بعض الخرائط. ويتصل وادي العودة بوادي الكوف المتجه شمالاً إلى البحر بعد ستة كيلو مترات ويلتحم وادي الكوف بوادي جرجار أمه الذي يصب في البحر.

يقع كهف العودة في الجانب الغربي ويتجه إلى مطلع وادي العودة، نزلنا الوادي من الجهة اليسرى خلال طريق وعر حتى وصلنا الكهف الذي يقع في أعلى جرف الوادي. والكهف يتكون من ثلاثة مخابئ متتابعة يعبر من المخبأ الأول الواسع إلى مخبأ آخر أصغر حجماً ثم ينفذ منه عن طريق فتحة أو ثقب مقاس (90 سم من أسفل x 53 سم) تؤدي إلى مخبأ النقوش (ارتفاع المخبأ يتراوح بين 130 سم x 150 سم). توجد لوحة النقوش في الجدار الشمالي من المخبأ (5 م x 90 سم).

وقد جاء بعضها متراكباً على الآخر وخاصة في الجهة المحاذية يسار الداخل من الثقب، ومن المحتمل إن هذا التراكم بني على أسس كرونولوجية.

(47) الرفاعي، أنور: قصة الحضارة في الوطن العربي الكبير منذ فجر التاريخ حتى العصور الحديثة، دار الفكر (1973)، ص 41.

(48) ليبيا القديمة، اليونسكو، ص 163.

- يوجد على يسار الداخل رأس أرنب وأغلب خط الظهر .
وأما على يمين الداخل فتوجد بقية اللوحة وهي لوحة مصقولة صقلا جيدا وبها رسوم دقيقة ممتازة .

- يوجد نقش يحتمل انه خنزير (6 x 90 سم) خطوطه واضحة عميقة نوعا وتتجه إلى جهة يمين الناظر، نقشت العين والأذن والفم والأنف بدقة، وتظهر رجلاه الأماميتان متساويتين ومتوازيتين (صورة رقم 3) ويؤيد هذا الاحتمال ما ذكره هيرودوت في كتابه الرابع بأن الخنازير كانت مقدسة عند الليبيين القدماء . كما كانوا يقدمونه أيضا قربانا للاله القمر وخاصة قبيلة الأوسبستاي⁽⁴⁹⁾ وهذا المشهد يؤيده أيضا ما عثر عليه في معبد اسلنطه (لاسانيكي) من منحوتات بارزة للخنازير وإن كان هذا في العصور التاريخية فهو يفسر نوعا من الطقوس الدينية في مرحلة عصر الصيد كما يشجع الصيادين ويدلهم على أماكن الصيد الوفيرة وكان المصريون أيضا يقدمون لهذا الاله قربانا⁽⁵⁰⁾ . والدليل خوف الطيور ومن المحتمل وجود صياد أو صيادين في الجزء المفقود بين الخنزير والأرنب .

- يظهر على الخنزير رأسا ودان متقابلان بخطوط رفيعة لهما قرون طويلة غليظة معكوفة إلى الوراء يشعر الناظر اليهما إنه أمام منظر نابض بالحركة والقوة مما يوضح اهتمام الليبي القديم بالتفاصيل والحركات واللمسات الخفيفة الرقيقة وتوجد في فزاقه نقوش الودان .

- هناك أربعة طيور تفيض بالحركة والحيوية برقاب طويلة وتنتهي برؤوس متجهة إلى أعلى بنسب متفاوتة .

وينتهي كل رأس بمنقار معكوف رأس احدهما يلتفت إلى الخلف وهي تتميز بوضوح في الرسم وكمال في التفصيل إلى الدرجة التي ترى فيها عيونها . هذه الطيور تتجه إلى جهة يسار الناظر (طول الطير الذي على يمين الناظر 90سم) كما يوجد طير مشابه لهذه الطيور على ختم شيشنق الأول (لوحة رقم 92)⁽⁵¹⁾ وإن كان هذا في العصور التاريخية . وهناك العديد من النقوش لم أحدد ماهيتها بعد .

(49) تاريخنا، الكتاب الأول، ص 90، فارن Herodolus IV

(50) تاريخنا المرجع السابق ص 90 فرن، عبيد الفتاح محمد وهيبة - مصر والعالم القديم .

الاسكندرية منشأة المعارف (1970) ص 172 فرن herodulus

(51) تاريخنا المرجع السابق ص 202

إن هذه اللوحة التي درست لأول مرة في هذا البحث تعكس منظرا حيا بالغ التعبير عن روح خلاقة مبدعة، وبهذه المناسبة العربية الطيبة أطالب بمسح كامل وعمل خريطة مفصلة لكل موقع على مستوى الجماهيرية وفي كل اقليم في الوقت الحالي يوضح فيها النقوش والرسوم وأماكن الكهوف والأهوية أو الطرارات والحقاف. وهضبة الجبل الأخضر هي إحدى المناطق التي وصل فيها الفن الصخري في دور ما قبل التاريخ إلى أكثر الأشكال سموا وتطورا.

فهذه المواقع ليست بعيدة عن بعضها فكهف العودة قريب من وادي الكوف وهناك كهف المقرنات بشحات في الفترة بين الألف السابعة والألف السادسة قبل الميلاد وهواء فطيح تسعين ألف سنة قبل الميلاد شرقي سوسة، ورأس الجمل بكرسه غربي درنه وحققة سيدي اكريمور بدرنه وغيرها مما تمثل نقوشها ورسومها وأدواتها مجتمعات الصيد والرعي والزراعة.

إن هذا العمل الجماعي المقترح سيكون مفتاحا للاكتشافات الجديدة عن تاريخ ليبيا خاصة والوطن العربي والعالم عامة.

المراجع

المراجع العربية :

- أيوب محمد سليمان - مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور حتى 1811، طرابلس الغرب، المطبعة الأهلية.
- أيوب محمد سليمان - معالم أثرية من جنوب الجماهيرية، الشركة العامة للورق والطباعة (1993).
- برستد، جيمس هنري - انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، ترجمة د. أحمد فخري، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية (1969).
- بزامة، محمد مصطفى - تاريخ ليبيا، الجزء الأول في عصور ما قبل التاريخ...، 3200 ق.م.، بيروت، دار صادر (1973).
- بولم، دنيس - الحضارة الإفريقية، ترجمة علي شاهين، بيروت مكتبة الحياة.
- جوليان، شارل أندريه - تاريخ افريقيا، ترجمة طلعت عوض أباطة، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر (1986).
- حسن، د. محمد ابراهيم - دراسات في جغرافية ليبيا والوطن العربي، منشورات الجامعة الليبية (1972).
- دافدنس، بادل - افريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال م. أحمد بيروت دار الثقافة.
- الرفاعي، أنور - قصة الحضارة في الوطن العربي الكبير منذ فجر التاريخ حتى العصور الحديثة، دار الفكر (1973).
- عبد الجواد توفيق أحمد - العمارة والفنون في العصور الأولى، الجزء الأول، المطبعة الفنية الحديثة، ط. (1970).
- عبد الحليم، مصطفى كمال - دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي، المطبعة الأهلية (1966).
- مرزوق، محمد عبد العزيز - الاسلام والفنون الجميلة، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية (1944).

- موري - تدرارات أكاكوس، ترجمة الباروني وآخرين، طرابلس، دار الكتاب (1988).

- نيرون، ريمون - الصحراء الكبرى، القاهرة، مؤسسة سجل العرب (1963)

- النيهوم - تاريخنا، الكتاب الأول، ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد (1977).

- وهيبة، عبد الفتاح محمد - مصر والعالم القديم، جغرافية تاريخية، الاسكندرية، منشأة المعارف (1970).

- ويللارد، جيمس - الصحراء الكبرى، ليبيا طرابلس، مكتبة الفرجاني (1967)

- آثار العرب، العدد السادس، الربيع، مارس (1993)

- ليبيا في التاريخ (1968)

- ليبيا القديمة، اليونسكو، لبنان، الطبعة الكاثولوكية (1988)

المراجع الأجنبية :

- Bates, O, The eastern Libyan - London (1914)
- Jones, A.H. The cities of the Eastern Roman Provinces, Oxford, The clarendon press 2th ed. (1971)
- The George, Jour. vol. 64, n° 4 Oct. 1924 Hassanien.
- Libyan and Egypt from 1300-750 B.C. ed. by anthony leahy, London, The university (1990).
- Libya antiqua vols. I, II and III-IV.
- Rivista della Libia, vol. 5, Roman "L'erma" (1967).
- Rivista della Colonie Italian, anno IIIB, and anno IV A (1930).

المنشآت المائية في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي

د. عاصم محمد رزق

مقدمة :

ترتبط المنشآت المائية أينما وجدت - ارتباطا مباشرا بالأنهار ومجري المياه، ومن ثم فقد ارتبطت هذه المنشآت في مصر أساسا بنهر النيل الذي قيل أنه يفضل أنهار الأرض عذوبة مذاق واتساع قطر وعظم منفعة، وليس في الأرض نهر يسمى بحرا غيره، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله (ص) عندما وصل ليلة الإسراء إلى سدرة المنتهى، وجد في أصل السدرة أربعة أنهار منها اثنان ظهران واثنان باطنان، فسأل عنهما جبريل عليه السلام فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظهران فالنيل والفرات، ويجري النيل من الشمال إلى الجنوب خلافا لجميع الأنهار، ومن عجائبه أن ابتداء زيادته في شدة الحر عند نقص الأنهار وجفافها، وابتداء نقصه عند زيادة الأنهار وفيضانها، وعليه - عندما تصل زيادته الى ست عشرة ذراعا ويعم الرخاء والنماء - يجبى خراج مصر.

ولم تحدث المجاعات في مصر منذ العصر الفرعوني وحتى اليوم إلا إذا أخلف النيل وعده في فيضانه، وكانت أولى هذه المجاعات هي التي حدثت قبل الاسلام على عهد يوسف عليه السلام، أما في العصر الاسلامي فقد حدثت على عهد الدولة الإخشيدية (323-358هـ / 934-968م) مجاعة استمرت تسع سنوات، ومجاعة ثانية على عهد الدولة الأيوبية خلال سلطنة العادل (596-615هـ / 1200-1218م)، ومجاعة ثالثة على عهد دولة المماليك البحرية خلال سلطنة الناصر محمد بن قلاوون (693-694هـ / 1293-1294م).

لذلك اهتم المصريون منذ القدم بضبط ماء النيل والمحافظة عليه، لأنه كان يفيض أحيانا حتى يصيب البلاد بالغرق، ثم يشح أحيانا أخرى حتى يصيبها بالجذب والمجاعة، وكان لزاما عليهم - من ثم - أن يفكروا في كيفية الاستفادة من مياهه إذا زادت لتكون لديهم فرصة الانتفاع بها اذا انحسرت، ومن هنا نشأت فكرة إنشاء المقاييس والخزانات والآبار والسدود والجسور والخلجان ونحوها (انظر الأشكال من 1-3).

فأنشأ الفراعنة سد اللاهون بمنخفض الفيوم حتى لا تضيق فيه مياه الفيضان، وعمل لهذا السد عتب يسمح بتصريف المياه في الفيضانات العالية التي كان يخشى منها على الوجه البحري من الغرق، وقد ظل هذا السد باقيا الى نهاية عصر الدولة الأيوبية وكان يعرف حينذاك - بالجدار اليوسفي.

أما في العصر الاسلامي فإن أشهر ما عمل في هذا الصدد هو ذلك المقياس الذي أمر به الخليفة العباسي المتوكل بن المعتصم بن الرشيد (205-207هـ / 820-822م)، وهو بناء عظيم في جزيرة الروضة لا زال باقيا حتى اليوم، ثم نالت المنشآت المائية في مصر الاسلامية بعد عصر العباسيين عناية كبيرة حفرت فيها الخلجان وبنيت فيها السدود والآبار، وعملت فيها السواقي الخشبية لرفع المياه من هذه المصادر واطلاقها الى مقاصدها في مجار خاصة فوق سلاسل من القناطر والعقود، فكان من ذلك كله - في الفترة التاريخية التي بين أيدنا علاوة على المقياس المشار اليه بجزيرة الروضة - قناطر ابن طولون بالبساتين، وبقايا الساقية الأثرية بقلعة الكباش، وبشر صلاح الدين يوسف بقلعة الجبل، وقناطر مياه القلعة من فم الخليج حتى ميدان السيدة عائشة حاليا.

وفي الصفحات القليلة التالية سنقصر حديثنا عن المنشآت المائية في مصر الاسلامية من الفتح العربي حتى نهاية عصر الدولة الأيوبية على المنشآت الخمس المشار اليها، لنعطي من خلال هذا الحديث فكرة واضحة عن تاريخها وعمارتها مدعمة بصورها ورسوماتها.

1 - مقياس النيل بالروضة (247هـ / 861م)

(1) نبذة عن منشئه :

بني هذا المقياس في ولاية يزيد بن عبد الله التركي على مصر على عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد الذي ولد سنة (205هـ / 820م) وقيل سنة (207هـ / 822م) وبويع بالخلافة سنة (232هـ / 846م) بعد الوثائق بالله، فأظهر الميل الى السنة ونصرة أهلها، وانتهت في عهده محنة خلق القرآن، وكتب بذلك الى الآفاق سنة (234هـ / 848م)، وكانت وفاته في الخامس من شوال سنة (247هـ / 861م)، وكان الشاد على عمارة هذا المقياس في أرجح الآراء هو المهندس العربي احمد بن محمد الحاسب⁽¹⁾.

وقد أشار المقرئزي - نقلا عن ابن عبد الحكم - الى أن أول من قاس النيل بمصر هو يوسف عليه السلام الذي وضع مقياسا بمنف، ثم وضعت العجوز دولكة ابنة الزباء - صاحبة حائط العجوز - مقياسا صغير الذرع بأنصنا، ومقياسا بأخميم، ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا صغيرا بخلوان، ووضع أسامة بن زيد التنوخي مقياسا بالجزيرة في خلافة الوليد كان أكبر هذه المقاييس جميعا، وقد أطلقت على هذا المقياس بعد اتمام عمارته عدة أسماء منها المقياس الهاشمي والمقياس الجديد والمقياس الكبير⁽²⁾.

ولم تمض على بناء هذا المقياس ثلاث عشرة سنة حتى احتاج الى الترميم والإصلاح، فقام احمد بن طولون باصلاحه سنة (259هـ / 872م) وانفق على هذه العمارة الترميمية ألف دينار، وظل المقياس على هذه العمارة حتى عمره للمرة الثانية بدر الجمالي سنة (485هـ / 1092م) على عهد المستنصر بالله الفاطمي، وبني الى القرب منه جامعا سماه جامع المقياس⁽³⁾.

(1) المقرئزي :

— الخطط (طبعة الشعب مصورة عن طبعة بولاق 1853) ج 1، ص ص 104-112 .

— محمود أحمد : دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة (طبعة بولاق 1938 ص 31) .

(2) محمود أحمد : نفس المرجع، ص ص 31-36 .

(3) نفس المرجع، ص 31 .

وفي عصر السلطان الظاهر بيبرس البندقداري أقيمت قبة لهذا المقياس فوق البئر، وفي عصر السلطان الأشرف قايتباي رمت أساسات المقياس وأصلحت بعض عمارته، فلما كان العصر العثماني نسب إلى السلاطين سليم الأول وسليمان الأول وسليم الثاني إجراء عمارات بالمقياس، وفي سنة (1023هـ/ 1721م) قام على بك الكبير باصلاحات كثيرة فيه، وفي سنة (1170هـ/ 1756م) أمر حمزة باشا الوالي بتجديد العتب الخشبي الأفقي الموضوع على رأس عمود المقياس لتثبيته في موضعه وضمان عدم اهتزازه، وفي سنة (1214هـ/ 1799م) قام الفرنسيون بالكشف عن عمود المقياس ورفع ما تراكم بقاعه من الطمي حتى انكشف معظم العمود، وصنعوا له تاجا تعلوه قطعة رخامية ارتفاعها ذراع واحد كتب على وجهها الشرقي سنة 1215هـ/ 1800م).

وفي سنة (1305هـ/ 1887م) ظهرت نظارة الأشغال المصرية بئر المقياس حتى بلغت الذراع الثالث، فوجدت بين الأنقاض المستخرجة بقايا الأعمدة التي عملها الفرنسيون منقوشا عليها الذراع الثامنة عشرة والبالغ ارتفاعها (0.58 متر) ، كما أنشأت النظارة مقياسا متريا جديدا في الضلع البحري لزاوية سلم المرساة بحري المقياس القديم⁽⁴⁾.

(2) نبذة عن موقعه :

يقع مقياس النيل في الطرف الجنوبي الشرقي من جزيرة الروضة التي حددها الإصطخري في القرن (4هـ/ 10م) بأنها جزيرة يعبر من الفسطاط إليها على جسر في سفن، ويعبر من هذه الجزيرة على جسر آخر إلى أبنية ومساكن على الشط الآخر يقال لها الجزيرة⁽⁵⁾، وقال الإدريسي في القرن (6هـ/ 12م) ان بالروضة المباني والمتزهات ودار المقياس، وسميت بالجزيرة لأن النيل اذا زاد أحاط بها من كل ناحية⁽⁶⁾، ولذلك كانت هذه الجزيرة من بداية العصر الاسلامي أهم مركز لصناعة السفن، وفيها ولدت أول قوة بحرية مسلمين، فلما جاء عصر الأيوبيين واتخذ الصالح نجم الدين من جزيرة الروضة

(4) نفس المرجع، ص 35 وانظر أيضا : كراسات لجنة حفظ الآثار العربية : من الكراسة (11) عن سنة (1894) ت 163 ص ص 32-33 وما بعدها إلى الكراسة (40)، (46-1953) ت 856 ص 2 وما بعدها.

(5) الإصطخري : مسالك الممالك (طبعة ليدن 1927) ص 49 .

(6) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الافاق (طبعة ليدن 1866 م) ص 144 .

مقرا لحكمه، وبنى فيها قلعته وثكنات عماليكه زادت أهمية الجزيرة، ولم تزل على أهميتها حتى تخربت بعد سقوط الدولة الأيوبية إلى أن عمرها الظاهر ببيرس وأعاد الحياة الى دار صناعتها، فاستمرت فيها هذه الحياة حتى نهاية عصر المماليك⁽⁷⁾.

(3) نبذة عن عمارته :

تتكون عمارة هذا المقياس من بئر مربعة التخطيط عرض فوهتها ستة أمتار وعمقها اثنا عشر مترا، ذات جدران حجرية منحوتة أغلبها من النوع المبوص غطيت في السنوات الأخيرة من الخارج بقبة ذات قمة مخروطية مرصصة، أسفل طاقيتها شريط كتابي نسخي داخل بحور باللون الذهبي على أرضية زرقاء نصها بعد البسملة قوله تعالى : وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون الى قوله عز من قائل لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون " صدق الله العظيم " .

وكان الفراغ من نقش هذه القبة وتذهيبها في شهر ذي القعدة من سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف، وغشيت جدرانها من الداخل بطبقة ملاطية من مونة الخافقي (القصر وميل) التي لا تسمح بتسرب الماء إلى الجدران، وقد راعى مهندس أحمد بن محمد الحاسب زيادة سمك هذه الجدران كلما زاد العمق لتحمل الضغط الأفقي للأرض الذي يزيد بازدياد عمق النزول فيها⁽⁸⁾.

وتتضم هذه البئر ثلاث طبقات العليا والوسطى مربعتان أما السفلى فدائرية فتح المعمار في الجانب الشرقي منها ثلاث فتحات على هيئة انفاق ذات عقود مدببة تركز على أعمدة رخامية مثمرة لها تيجان كورنثية وقواعد مقلوبة، كان الغرض منها أن ينساب ماء النيل من خلالها إلى داخل البئر.

ولكي يمكن قياس زيادة مياه النيل أو نقصانها، قام المعمار بوضع عمود رخامي مثنى ذي تاج روماني مركب في وسط البئر، يرتكز على أرضية خشبية، ثبته من أعلى بواسطة كمر أفقية نقش عليها كتابات كوفية قرآنية باللونين الأزرق والذهبي، ثم استبدلت هذه الكمر في عصر لاحق بعقدين مدبيين يرتكزان على الجدران، وقد

(7) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (طبعة ليدن 1909) ص 408، وانظر أيضا : آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أوريدة (بيروت بدون) ج 2، ص ص 362-364 .

(8) كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية في مصر (طبعة هيئة الكتاب 1983) ص ص 17-18 .

حفرت علامات القياس على هذا العمود بوحدتي الذراع والقيراط، كما نقشت عليه كتابة كوفية بارزة نصها " الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، الى قوله تعالى وهو العلي العظيم " .

وقد جعل يزيد بن عبد الله التركي والي مصر على هذا المقياس أبا الرداد المعلم البصري الذي قدم إلى مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل، وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر حينذاك سبعة دنائير في كل شهر، وقد توفي أبو الرداد سنة (266هـ/879م) وظل المقياس في يد أولاده وحفدته إلى عهد المقرئ في القرن (9هـ/10م) ⁽⁹⁾ .

وقد فصل عمود المقياس اثنتين وعشرين ذراعا قسمت على أربعة وعشرين قسما تعرف بالأصابع، فإذا انتهى الفيض عندهم إلى أن يستوفى الماء تسعة عشر ذراعا منغمرة فيه، فهي الغاية عندهم في طيب العام، وربما كان الغامر منه أكثر بعموم الفيض، والمتوسط عندهم ما استوفى سبعة عشر ذراعا، وهو الأحسن لديهم من الزيادة المذكورة، والذي يستحق به السلطان خراجه على بلاد مصر هو ستة عشر ذراعا فصاعدا، وإن قصر عن ذلك فلا مجيء للسلطان في هذا العام ولا خراج له ⁽¹⁰⁾ .

ومن الجدير بالذكر أن صغر هذا المقياس الذي يعلو عن سطح البحر المتوسط بمقدار (50ر12مترا)، يطابق الذراع الثامن والقيراط الخامس عشر ونصف، وأما آخر تقسيماته فتنتهي عند المستوى الذي يعلو سطح البحر بمقدار (21) مترا ⁽¹¹⁾ .

وكان ينزل إلى قاع هذا المقياس عند انحسار ماء النيل بواسطة سلم في جانبه الشرقي يهبط النازل منه أربعاً وعشرين درجة يصل بعدها إلى بسطة في الزاوية الجنوبية الغربية، ثم يستدير إلى اليمين ليصل بعد أربع درجات إلى ضفة تشغل بقية الجانب الغربي، وبعد قلبتين من ثلاث عشرة درجة يصل النازل إلى بسطة في

(9) المقرئ : المصدر السابق : ج 1 ، ص 105 .

(10) - عبد الرحمن زكي : القاهرة، تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ (القاهرة 1966) ص 86 .

- حسن عبد الوهاب : بين الآثار الإسلامية (القاهرة 1947) ص 4 .

(11) فريد شافعي : العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها (طبع جامعة الرياض 1982) ص ص 33-34

الزاوية الشمالية الشرقية ومنها بعد درجتين أخريين إلى نهاية الجزء المربع وبداية الجزء الدائري الذي يبلغ قطره (35,4 متر) وعمقه (2,9 متر)، ثم ينتهي النازل بعد ثماني درجات إلى القاع⁽¹²⁾.

وكان الغرض من بناء هذا المقياس وعمل تقسيماته المشار إليها أن تعرف به زيادة ماء النيل وقت الفيضان، لأن الخراج كان يجبى بمقتضى هذه الزيادة التي تبين رخاء البلاد أو قحطها.

وقد نقشت قبة المقياس من الداخل بعناصر زخرفية نباتية عثمانية الطراز، كما نقشت جدرانه وعقوده بكتابات كوفية عبارة عن آيات قرآنية تتعلق بالماء والزرع، وتعد هذه الكتابة أقدم مثل للكتابة الكوفية المؤرخة في عمارة مصر الإسلامية ونصها بعد البسملة قوله تعالى " الله الذي خلق السموات والأرض أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم، إلى قوله عز من قائل : ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما، كما تعد عقود المدببة أقدم عقود مدببة في هذه العمارة أيضا⁽¹³⁾.

(12) راجع : كريزويل وترجمة عبد الهادي عبلة : الآثار الإسلامية الأولى (دمشق 1984) ص 385
(13) كمال الدين سامح : المرجع السابق ص 17 . ولمعلومات أخرى عن المقياس ومنشئه وعمارته انظر :
— ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (طبعة دار الكتب المصرية 1931)
ج 2، ص ص 324-326

— السيوطي : حسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة (طبعة بولاق 1908) ج 2، ص 201 .
— أمين سامي باشا : تقويم النيل (المطبعة الأميرية 1916) ص ص 65-92 .
— أحمد بن عبد الغني الحنفي : أوضح الإشارات في من تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ العيني (القاهرة 1978) ص 256 .
— حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية (القاهرة 1979) ص ص 216-218 .
وانظر أيضا من المراجع الأجنبية عنه :

- 1 - Creswell (K.AC.) :
- The Muslim Architecture of Egypt (Oxford 1952-9) vol. 1, p. 163.
- Early Muslim Architecture (Lodon 1958) p. 296.
- 2 - Rivoira (G.T.) : Muslim Architecture (Oxford 1918) p. 148.
- 3 - Sauvaget et Comb: Repertoire Chronologique d'epigraphie Arabe, (Le Caire 1937) T. 2, p. 53, texte 472.
- 4 - Van Berchem (M.) : Corpus Inscriptionum Arabicarwn, (Paris 1903) T. XIX, p.p. 18-19.

2 - قناطر ابن طولون بالبساتين (ق3هـ / ق9م)

(1) نبذة عن منشئها:

منشئ هذه القناطر هو الأمير أبو العباس أحمد بن طولون صاحب الديار المصرية والشامية والشغور الفراتية ⁽¹⁴⁾ ولد ببغداد سنة (220هـ / 835م) لأب مملوكي تركي من بلاد منغوليا، وتلقى علومه العسكرية في سامراء حتى نال قسما وافرا من التعليم ولا سيما الديني، ولشجاعته واقدامه اختاره الخليفة العباسي المعتز بالله لمرافقته فخرج معه وأخلص له، ووافق دخوله سامرا بعد عودته من واسط تقليد الأمير باكبك حكم مصر، وبعثه عمن يخلفه عليها فأشاروا عليه بأحمد بن طولون فوافق عليه وأرسله إلى مصر نيابة عنه فدخلها ابن طولون في رمضان سنة (254هـ / 868م)، وتسلمها من أحمد بن المدير عامل خراجها، فاهتم ابن طولون بعمارة جسورها وبناء قناطرها وحفر خلجانها وسد ترعها، فاستقامت أحوالها وساد عدلها وعم رخاؤها، حتى وصل خراج مصر في أيامه أربعة آلاف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار غير ما يتحصل من المكوس ⁽¹⁵⁾، وبعد وفاة باكبك عين ماجور التركي واليا على مصر، وكان ابن طولون قد تزوج من ابنته فترك له الولاية التي ظل بها ولاية واستقلالا حتى توفي سنة (280هـ / 884م) بعد أن حكمها ست عشرة سنة وبضعة أشهر، ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من بابها ⁽¹⁶⁾، وظلت مصر خاضعة لابن طولون ولذريته من بعده حوالي ثماني وثلاثين سنة أسس فيها مدينة القطائع وأنشأ القصر بميدان الرميّة، وعمل اليمارستان بمدينة العسكر ودار الإمارة التي كانت ملاصقة لحائط القبلة بجامعه، وأنشأ القناطر التي بين أيدينا لتنقل المياه من النيل جنوبي الفسطاط إلى مدينته المشار إليها، وبنى الجيش واستقل بالبريد والخراج، فكان بذلك أول من استقل بهذا الخراج من اثنين وسبعين أميرا أولهم عمرو بن العاص وآخرهم أبو العباس أحمد بن الإخشيد ⁽¹⁷⁾.

(14) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، (بدون) ج 1، ص ص 68-69، ص 173.

(15) - ابن خلكان : المصدر السابق، ج 1، ص 174.

- ابن الزيات : الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى (طبعة بولاق 1907) ص 278.

(16) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور (طبعة هيئة الكتاب 1982) ج 1، ص ص 37-40، ص ص 161-162.

(17) نفس المصدر : ج 1، ص 184.

(2) نبذة عن المدينة التي عملت لها :

شغلت مدينة القطائع الطولونية - التي عمل لها ابن طولون هذه القناطر لمدها بالمياه - مساحة امتد طولها من قبة الهواء - التي صار مكانها قلعة الجبل - إلى جامع ابن طولون، وامتد عرضها من أول الرميطة الذي يعرف حالياً (بميدان القلعة) إلى الموضع الذي عرف بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذي يقال له الآن زين العابدين، فكانت مساحتها بذلك ميلاً في ميل، وكانت عبارة عن قطع لعبيد ابن طولون وعساكره وغلمانهم، لكل منهم قطعة (أي حارة) فكانت للنوبة قطيعة، وللروم قطيعة وللغراشين قطيعة، ولكل صنف من الغلمان قطيعة.

ثم بنى القواد بالقطائع، وتفرعت فيها السكك والأزقة، وبنيت فيها المساجد والطواحين والحمامات والأسواق، حتى صارت مدينة عامرة أحسن من الشام، ثم بنى فيها ابن طولون قصره وجامعه، وجعل للقصر ميداناً كبيراً عمل له سورا وأبواباً، منها باب الميدان (الخروج الجيش)، وباب الصوالة وباب الخاصة ونحوها، ثم بنى العين والساقية (التي نحن بصدددها)، كما بنى تنور فرعون فوق الجبل، وظلت القطائع عامرة إلى أن قتل أبو موسى هارون بن خمارويه على يد رجال الخليفة المكتفي، وعلى رأسهم محمد بن سليمان الكاتب الذي أشعل النار في القطائع فخرّبها وقضى عليها، وكان فيها مائة ألف دار محدقة بالجنان والبساتين.

(3) نبذة عن عمارتها :

أشار المقرئزي إلى أن قناطر ابن طولون وبئر كانت قائمة حتى عصره في القرن (9هـ / 15م)، وكانت تمتد من بئر ابن طولون ببركة الجيش التي كانت تعرف ببئر عفسة، حتى تنتهي إلى مدينة القطائع، ولكن أطلالها كانت في القرن المشار إليه قد توقفت عند القرافة الكبرى واختفت أجزاءها التالية بعد أن كانت واحدة من أعظم المباني⁽¹⁸⁾، وقال المقرئزي أن السبب في بنائها هو أن ابن طولون كان قد ركب في عسكره حتى مر بمسجد الأقدام، فتقدم العسكر - وقد كده العطش - إلى المسجد وكان به خياط فقال له يا خياط أعندك ماء قال نعم وأخرج له كوزاً فيه ماء وقال له اشرب ولا تمد فتبسم ابن طولون وشرب فمد فيه حتى شرب أكثره ثم ناوله إياه وقال

(18) المقرئزي : المصدر السابق، ج 3، ص 472 (طبعة بولاق 1853 م) ج 2، ص ص 146، 457 .

له يا فتى سقيتنا وقلت لا تمتد فقال نعم، موضعنا - أعزك الله - منقطع، وأنا أخيط جمعتي حتى أجمع ثمن راوية، فقال له ابن طولون والماء عندكم ها هنا معوز؟ قال نعم، فمضى ابن طولون حتى رجع إلى داره وطلب احضار الخياط فأحضروه فقال له سر مع المهندسين حتى يخطوا عندك موضع سقاية ويجروا الماء، وهذه ألف دينار خذها، وأجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير⁽¹⁹⁾.

ومن ثم فانه يمكن القول ان هذه القناطر كانت قد بنيت في الجهة الجنوبية الشرقية من القطاعات بأجر يماثل في الشكل والحجم آجر الجامع الطولوني، وكانت تبدأ من برج المأخذ الذي يقع جنوب المنطقة التي تعرف اليوم باسم "بئر أم سلطان" بالبساتين، وتمتد ناحية الشمال في انحدار بسيط لزيادة سرعة جريان الماء فيها حتى يصل إلى المدينة التي بناها ابن طولون على جبل يشكر حيث الجامع والقصر ودار الامارة والميدان⁽²⁰⁾، وقيل أن الناصحين لابن طولون كانوا قد أشاروا عليه - كما أسلفنا - أن يجري الماء من عين مجاورة للموقع تسمى عين أبي خلود، لكنه اعترض عليهم بأن هذه العين لا تعرف الا باسم صاحبها، وأنه يريد عينا تعرف به هو، فعدلوا عن العين المشار إليها إلى عين ثانية جهة الشرق وبنوا عليها قناطر شبيهة بالقناطر الرومانية سماها المؤرخون بالساقية، يقال ان الذي أشرف لابن طولون على بنائها هو المهندس النصراني الذي بنى له الجامع⁽²¹⁾.

ويتكون ما بقي من عمارة هذه القناطر من مجموعة من العقود المدببة المخموسة، كل منها عبارة عن عقد مدبب منتفخ ينتهي من أسفل على هيئة حدوة الفرس مثل عقود الجامع أيضا، وقد اندثر جزء كبير من هذه القناطر، ولم يبق منها إلا الجزء الواقع بين المدافن الحالية ومعسكر الخيالة، ويشتمل على بعض الأجزاء الأصلية التي

(19) - نفس المصدر : (طبعة الشعب) ج 3، ص 472 .
- فريد شافعي : العمارة العربية الاسلامية، عصر الولاة (طبع هيئة الكتاب 1972) ص ص 510-501 .

- ولنفس المؤلف : المرجع السابق، ص 35 .
- لين بول وترجمة حسن ابراهيم وآخرين : سيرة القاهرة (طبع مكتبة النهضة المصرية 1950) ص 83 .

(20) - علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة (طبعة هيئة الكتاب 1983) ج 3 ص 371 .
- كريزويل : الآثار الاسلامية الأولى وترجمة عبد الهادي عبله (دمشق 1984) ص 398 .

(21) سيدة اسماعيل كاشف : احمد بن طولون (طبعة القاهرة 1965) ص ص 251-252 .

لا زالت مبنية بالآجر الطولوني، كما يشتمل على بعض الأجزاء التي بنيت في ترميم لاحق بالحجر⁽²²⁾.

ومن المؤسف أن الزحف العمراني العشوائي قد أطبق على ما بقي من هذه القناطر بعدما كانت بعيدة عن العمران في الصحراء، فأحاطت المساكن ببرجها الملىء بالمياه الراكدة من كل جانب، وتسربت المياه الجوفية إلى اطلالها، وتخربت فتحات سواقيها رغم أهميتها التاريخية والأثرية من ناحية، ورغم ندرة ما لدينا من آثار معمارية ترجع إلى عصر الطولونيين من ناحية أخرى، ورغم أنها كانت المثل الأول لهذا النوع من العمارة الإسلامية في مصر قبل قناطر الأيوبيين التي أجروها لمياه القلعة من ناحية

ثالثة⁽²³⁾.

(22) - زكي حسن: الفن الإسلامي في مصر من الفتح العربي إلى نهاية العصر الطولوني (طبعة القاهرة 1981) ص ص 63-65.

- محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولوني (طبعة دار الكتب المصرية 1927) ص ص 124-125، حاشية 34.

(23) لمعلومات أكثر تفصيلاً عن هذه القناطر ومنشئها وترميمها، انظر:

- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق ص 5.

- كراسات لجنة حفظ الآثار العربية: من الكراسة (10) عن سنة (1893) ص ص 58، 63 وما بعدها إلى الكراسة (39) عن سنة (1942) ت 812 ص 105 وما بعدها.

3 - بقايا الساقية بقلعة الكباش (355-358هـ / 966-968م)

1) نبذة عن منشأها :

تأسيسا على ما ذكره علي باشا مبارك في خططه التوفيقية الجديدة عندما قال عن درب الساقية بقلعة الكباش بحي السيدة زينب رضوان الله عليها، أنه عرف بهذا الاسم لأن به أثر الساقية التي كانت ينقل منها الماء إلى الدار التي بناها كافور الإخشيدي في هذه الخطة، وكانت تعرف بدار الفيل، وأن بقايا هذه الساقية كانت لا تزال موجودة على عهده في القرن (13 هـ / 19 م) يراها من يسلك من عطفة حوش أيوب بك إلى جهة الخلاء⁽²⁴⁾، وتأسيسا على ذلك - كما أسلفنا - فإنه يمكن القول أن منشئ هذه الساقية هو أبو المسك كافور بن الإخشيدي الذي تولى إمرة مصر من سنة (355 هـ / 966 م) إلى سنة (358 هـ / 968 م) على عهد الخليفة العباسي المطيع لله بن المقتدر بالله الذي تولى الخلافة من سنة (334 هـ / 945 م) إلى سنة (363 هـ / 973 م)⁽²⁵⁾.

2) نبذة عن عمارتها :

لم يبق من عمارة هذه الساقية خلف جامع ابن طولون سوى البئر، وبقايا الطارة أو العلبة الدائرية المحيطة به، وبقايا البرجين⁽²⁶⁾، ورغم اندثار مكونات هذه الساقية فإنه يمكن مقارنتها بالأمثلة الباقية حتى الآن من السواقي المشابهة ولا سيما ساقية ابن طولون بالبساتين التي تعرف اليوم عند العامة ببئر أم السلطان (ق 3هـ / 9م) وسواقي قناطر المياه المملوكية بقم الخليج (ق 7هـ / 13م) التي سجلها علماء الحملة الفرنسية في وصف مصر تصويرا ورسما، وساقية الناصر محمد بن قولاوون خلف مسجده بالقلعة في نفس القرن المشار إليه، وساقية السلطان حسن الملحق بمدرسته المطلة على ميدان القلعة (ق 8هـ / 14م)، وساقية سراي المسافر خانة بالجمالية (ق 12هـ / 18م) وغيرها.

(24) علي باشا مبارك: المصدر السابق ج 2 ص 119.

(25) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار (طبعة بولاق 1892) ص 99.

(26) فهرس الآثار الإسلامية بالقاهرة (طبع مصلحة المساحة 1951)،

خريطة الآثار الإسلامية بالقاهرة (طبع مصلحة المساحة 1951)،

خريطة رقم 1 مربع 8هـ.

ومن هذه السواقي يمكن القول أن ساقية قلعة الكبش كانت تتكون من علبة دائرية حول البئر، يتم رفع المياه منها بواسطة عدة طناوير أو قواديس على مستويات متساوية ثنائية أو ثلاثية لتصب في حوض كبير تتصل به مجراة مقامة على مجموعة من العقود أو القناطر، تمتد إلى الجهة المراد توصيل المياه إليها، وكانت هذه الطناوير تدار بواسطة ترسين بأعلى العلبة أحدهما رأسي والآخر أفقي مثبت بهما ذراع واحد أو أكثر تربط فيه الثيران أو الدواب التي يتولد من سيرها الدائري داخل المدار دوران الترسين بعاشق ومعشوق، فتدور الطناوير مع دورانها وترفع الماء من البئر السفلية إلى الحوض العلوي، ومن ثم إلى القناة المتفرعة منها، وكان ضروريا لوصول الثيران إلى مدارها المشار إليه أن يكون لها طريق صاعد بغير درج لتصعد عليه عند إدارة الساقية وتنزل منه بعد إدارتها⁽²⁷⁾.

(27) كراسات لجنة حفظ الآثار العربية: الكراسة (31) عن سنة (1914-1915) ت 485،

4 - بئر صلاح الدين يوسف (بئر الحلزون) بالقلعة

(572-589 / 1176-1193 م)

(1) نبذة عن منشئها :

منشئ هذه البئر التي عملت داخل قلعة الجبل هو السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس الدولة الأيوبية في مصر الذي تولى الحكم من سنة (565هـ / 1169م) إلى سنة (589هـ / 1193م)⁽²⁸⁾ ، والذي قام على حفره وشد عمارته هو وزيره المشهور بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الملكي الناصر الذي قيل أنه استخدم في حفرها بعد بناء القلعة الآلاف من أسرى الصليبيين⁽²⁹⁾.

(2) نبذة عن أوصافها التاريخية :

أشار المقرئزي - نقلا عن ابن عبد الظاهر - إلى أن بئر القلعة هي واحدة من عجائب الأبنية، تدور البقر من أعلاها فتقل الماء من نقالة في وسطها، وتدور أبقار في وسطها فتقل الماء من أسفلها، ولها طريق إلى الماء ينزل البقر إلى معينها في مجاز، وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء، وقيل أن أرضها مسامة لأرض بركة الفيل، وماؤها عذب لأنها لما نقرت جاء ماؤها حلوا، فأراد قراقوش أو نوابه الزيادة في مائها فوسع نقر الجبل فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها، وأنه ينزل إليها بدرج عدده نحو ثلثمائة درجة⁽³⁰⁾.

وجاء فيما ذكره بول كازانوف - الذي نزل إلى هذه البئر ثلاث مرات وقام بوصفها ورسمها في كتابه تاريخ ووصف قلعة القاهرة - أن في أعلى البئر يقوم ثوران بادية ساقية عادية لرفع سلسلة من القواديس التي تمتلئ بالماء من الخوض الأول الذي يقع في

(28) Van Berchem: Op. cit., T. 2, p. 97.

(29) - بول كازانوف: تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ترجمة احمد دراج ومراجعة جمال محرز

(طبع هيئة الكتاب 1974) ص 83،

- محمود احمد: المرجع السابق ص 85.

(30) المقرئزي: المصدر السابق ج 3 ص 22.

منتصف البئر، وفي هذا المكان توجد ساقية أخرى يديرها حصان لرفع الماء من قاع البئر إلى هذا الحوض، وهذان القسمان من البئر لا يقعان على مستوى عمودي واحد، ويبلغ حجم أولهما خمسة أمتار مربعة، وحجم ثانيهما مترين وثلاثة أعشار المتر، والمسافة بين كل قادوس وآخر تقدر بحوالي (1,80 متر)، ويبلغ عدد قواديس البئر السفلي (138) قادوسا، أما قطر الساقية فيبلغ (1,98 مترا)، ويستغرق رفع أحد هذه القواديس بالماء من الحوض الأول إلى مستوى سطح القلعة أربع دقائق وعشرين ثانية.

واستنتج بول كازانوفنا من ذلك أن كمية الماء التي يحتويها كل قادوس تبلغ (4,000) من المتر المكعب، وأن المائة والثمانية والثلاثين قادوسا تمد في أربع دقائق وعشرين ثانية بكمية من الماء تقدر بحوالي (0,0552) من المتر المكعب، وأن مقدار ما ترفعه هذه القواديس في الدقيقة الواحدة - عدا ما يفقد من هذه المياه أثناء رفعها - يقدر بحوالي (0,0127) من المتر المكعب، وأن القسم العلوي من البئر يبلغ عمقه خمسين مترا وثلاثة أعشار المتر، وأن القسم السفلي يبلغ عمقه أربعين وثلاثة أعشار المتر، وأن طول الحلقة الأولى من الجبال التي تتعلق بها القواديس يبلغ مائة وخمسين ذراعا، وطول الحلقة الثانية منها مائة ذراع، وأنه إذا ما أسقط حجر من أعلى البئر إلى القاع فإن الوقت الذي يستغرقه منذ اللحظة التي يسقط فيها حتى تسمع الأذن صوت ارتطامه بالقاع يبلغ خمس ثوان.

أما المنحدر الذي ينزل الإنسان عليه إلى الحوض الأول من البئر، فقد نحت في الصخر على هيئة مدار حلزوني ذي خطوط مستقيمة تنحدر انحدارا مريحا عرضه (2) متر وارتفاعه (20ر2) متر، وبه أربع طاقات للتهوية والإنارة في جهاته الأربع، وقد نحت هذا المنحدر في براعة ومهارة فائقتين حيث يبلغ سمك الحاجز الذي يدور حوله (16,0) متر فقط⁽³¹⁾.

ووجود هذه البئر في المنطقة التي اقتطعها محمد علي باشا من القلعة لأبنيته، يدل دلالة قاطعة على أن هذه المنطقة كانت جزءا من قلعة الجبل التي أنشأها صلاح الدين وليس خارجها⁽³²⁾.

(31) - بول كازانوفنا : المرجع السابق، ص ص 83-87،

- ستانلي لين بول : المرجع السابق، ص 159،

(32) فريد شافعي : العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها (طبع جامعة الرياض 1982 ص 109).

(3) نبذة عن عمارتها الحالية :

أما العمارة الحالية لهذه البئر فهي عبارة عن ثلاث طبقات يلتف حولها - كما أسلفنا - سلم حلزوني (عرف بسببه بئر الحلزون) يضيق في الطبقة السفلى عنه في الطبقة الوسطى التي عملت فيها ساقية خشبية كانت تستخدم لرفع الماء من قاع البئر إليها بواسطة قواديس تديرها الدواب التي خصص لها منحدر بغير درج لتسهيل نزولها إلى هذه الطبقة وصعودها منها، وقد فتح المعمار في الجوانب الأربعة لهذه الطبقة أربع فتحات للتهوية والإضاءة، كما جعل الوصول إلى الطبقة العلوية عن طريق فتحة باب في ناحيتها الجنوبية الشرقية تفضي إلى حجرة مربعة ذات سقف خشبي معرق، وأرضية مفروشة ببلاطات من الحجر، في أسفلها قبو آجري للسلم الحلزوني، وبها ساقية خشبية ثانية كانت تستخدم لرفع الماء من الطبقة الثانية إليها بواسطة قواديس تديرها الدواب أيضا.

وقد استخدم من مواد البناء في هذه البئر الحجر للأرضيات والجدران ودرجات السلم، والآجر لقبوات هذا السلم، والخشب للساقيتين والأبواب وسقف حجرة الطبقة العلوية.

ويبلغ عمق هذه البئر ابتداء من أرضية القلعة الحالية إلى أرضية الطبقة الثانية خمسين مترا وثلاثة أعشار المتر وعمقها من أرضية الطبقة الثانية إلى قاعها في الطبقة السفلية أربعين مترا وثلاثة أعشار المتر، وبذلك يكون مجموع عمقها في طبقاتها تسعين مترا وستة أعشار المتر.

والواقع أن هذه البئر التي حفرت بهذه الضخامة والعمق لتضمن للقلعة حاجتها من المياه عند أي حصار، لم تكن هي مصدر المياه الوحيد لهذه القلعة، بل كانت مياه النيل العذبة تصل إليه على عهد بناتها من الأيوبيين ومن تبعهم بواسطة قناة على ظهر سور صلاح الدين الذي كان يمتد من الفسطاط إلى القلعة، والذي ما زالت بعض بقاياها قائمة حتى اليوم، ثم نالت مصادر المياه للقلعة عناية سلاطين مصر بعد الأيوبيين، فشيد الناصر محمد بن قلاوون بين سنتي (710-712هـ/ 1310-1312م) أربع سواق على النيل لنقل الماء عبر القناة التي بناها فوق سلسلة من القناطر إلى القلعة، كما شيد سنة (741هـ/ 1343م) عدة سواق أخرى عند ساحل النيل اتصلت عبر قناطرها المملوكية بالقناطر الأيوبية القديمة حتى تتجمع المياه للقلعة في مستودعين، وظل الحال على ذلك

حتى أمر السلطان الغوري سنة (912هـ / 1506م) بإبطال مجرى المياه القديم، وشرع في بناء مأخذ ذي ست سواق على النيل عند فم الخليج، تسير مياهها في مجراة فوق قناطر تمتد من مأخذها لتتلاقى مع بقايا قناطر الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من مشهد السيدة نفيسة، ثم بسور صلاح الدين القديم، وقد ظلت هذه السقاية تؤدي عملها في نقل المياه للقلعة حتى القرن التاسع عشر الميلادي⁽³³⁾.

4) نبذة عن آبار المياه القديمة في مصر:

لم تكن بئر يوسف - كما أسلفنا - هي البئر الوحيدة من نوعها في مصر، بعد أن اكتشفت خمس آبار قريبة الشبه منها بين أطلال مصر القديمة أسفل الجبال التي يثقف امتداد الفسطاط عندها منذ بدايته على شاطئ النيل في المنطقة التي سماها المقريري بالرصد، وهذه الآبار المكتشفة محفورة في الصخر بأعماق كبيرة أيضا، ولكنها لا تتكون من قسمين كما هو الحال في بئر يوسف، وإنما يتكون كل منها من حفرة واحدة ذات اتساع واحد في كل أجزائها بحيث يطابق اتساعها في القاع اتساعا في القمة، وتقع أربع من هذه الآبار الخمس على امتداد واحد يتجه صوب الجنوب بجانب القصر الذي عمله ابن طولون بالقطائع، وهذه الآبار الأربع هي آبار أكثر عمقا وأكثر قربا من الجبل، أما البئر الخامسة - التي لا تزال صالحة المياه - فانها كانت تستخدم لمذ مسجد ومشهد الجيوشي بما يحتاجه من المياه، ويغلب على الظن أنها حفرت عند بناء هذا المسجد على يد بدر الجمالي سنة (478هـ / 1085م)⁽³⁴⁾.

(33) - لمعلومات أخرى عن بئر القلعة، انظر عبد الرحمن زكي: قلعة مصر من السلطان صلاح الدين إلى الملك فاروق الأول (طبعة بولاق 1950) ص 7. كراسة لجنة حفظ الآثار العربية: من كراسة (21) عن سنة (1904) ت 330 ص ص 51-52 إلى كراسة (23) عن سنة (1906) ت 358 ص ص 77-78.
(34) بول كازانوف: المرجع السابق ص 146.

5 - قناطر مياه القلعة (سور مجرى العيون)

(572-920هـ / 1176-1516م)

(1) نبذة عن منشئها :

الواقع أن المنشئ الأصلي لقناطر مياه القلعة هو السلطان العادل أبو بكر بن أيوب الذي تولى الحكم من سنة (596هـ / 1200م) إلى سنة (615هـ / 1218م) وكانت حينذاك عبارة عن مجرى ماء فوق السور الشرقي للعاصمة والذي كان يبدأ طرفه الجنوبي من شاطئ النيل عند الموضع المعروف الآن بدار السلام، ويمتد حتى يتصل بأسوار القلعة، وقد جعل العادل فوق هذا الجدار قناة يرفع الماء إليها بالسواقي من النيل ويسيل فيها حتى يصل إلى القلعة، وكان ذلك عندما استقر رأيه على الإقامة الدائمة في القلعة بدلا من حصن القاهرة التي اضطر إلى الإقامة فيها كل من سبقه من سلاطين الأيوبيين، وعندما تبين له أن ماء يوسف الذي حفر بأمر من صلاح الدين لا تتمتع مياهه بالعدوية الكافية التي يمكن استخدامه معها في حياته اليومية⁽³⁵⁾، ثم جدها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (712هـ / 1312م) وعمل لها أربع سواق على النيل لنقل الماء في مجرة فوق قناطر إلى القلعة⁽³⁶⁾، ثم شيد سنة (741هـ / 1343م) عدة سواق أخرى عند ساحل النيل، بعدما حفر بئرا ثانية ركب عليها هذه السواقي حتى اتصلت مياهها عبر القناطر المملوكية بالقناطر الأيوبية في بئرين ويصير ماؤها واحدا يجري إلى القلعة⁽³⁷⁾، وظل الحال على ذلك حتى أمر السلطان الغوري سنة (912هـ / 1506م) بإبطال مجرى المياه القديم، وشرع في بناء مأخذ ذي ست سواق على النيل عند فم الخليج تسير مياهها في مجرة فوق قناطر لتلتقي مع بقايا قناطر الناصر محمد بالقرب من مشهد السيدة نفيسة ثم بسور صلاح الدين القديم حتى القلعة.

(35) فريد شافعي : المرجع السابق ص 111.

(36) - المقريري : المصدر السابق، ج 2 ص ص 229-230،

- عبد الرحمن زكي : المرجع السابق : ص 43.

(37) - المقريري : المصدر السابق ج 2 ص ص 229-230،

- عبد الرحمن زكي : المرجع السابق : ص 45.

(2) نبذة عن مأخذها :

لما أنشأ السلطان الناصر محمد بن قلاوون القصور والخانقاة بناحية سرياقوس، رأى أن يحفر خليجا يخرج من بحر النيل عند موردة البلاد ببركة الحبش ويصب في الخليج الكبير عند أرض الطبالة لتمر المراكب فيه من القاهرة إلى سرياقوس محملة بكل ما تحتاجه الضاحية الجديدة من الغلال وغيرها، وقد بدأ حفر هذا الخليج الذي عرف بالخليج الناصري - نسبة إليه - في جمادى الأولى سنة (725هـ/1325م) وانتهى بعد شهرين في جمادى الثانية من السنة المشار إليها⁽³⁸⁾.

وكان الخليج الكبير الذي يصب فيه الخليج الناصري بجوار مدينة الفسطاط غرب القاهرة، وهو خليج قديم حفره - على ما قيل - بعض ملوك الفراعنة، ثم تعهده أباطرة الرومان بالرعاية من بعدهم، غير أنه ما لبث أن أهمل خلال العصور التاريخية التالية حتى كان الفتح العربي لمصر سنة (21هـ/641م) فجدد عمرو بن العاص حفره بإشارة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكان هذا الخليج يصب حينذاك في بحر القلزم، وتسير فيه السفن إلى البحر المالح ومنه إلى الحجاز واليمن وبلاد الهند، وقد عرف هذا الخليج أولا بخليج مصر حتى أنشأ جوهر الصقلي مدينة القاهرة سنة (358هـ/969م) إلى الشرق منه فعرف بخليج القاهرة⁽³⁹⁾، وظل منتزها لأهلها إلى أن حفر الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري، فظل مستعملا لعدة قرون إلى أن تم ردمه سنة (1315هـ/1897م) بعد أن أصبح مصرفا لفضلات البيوت المطللة عليه وبؤرة للأمراض والأوبئة التي تصيب الناس.

وقد عمرت على هذا الخليج الناصري خمس قناطر هي قنطرة الفخر، وقنطرة قدا دار، وقنطرة الكتبة، وقنطرة باب البحر (التي عرفت بقنطرة الليمون)، وقنطرة المدبولي، وقنطرة الحاجب التي كانت توصل إلى أرض الطبالة التي أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب سنة (725هـ/1325م) وعرفت بقنطرة البكرية، وجرت فيه السفن، وأنشأ الناس على شاطئيه السواقي وزرعوا من حوله البساتين والأشجار،

(38) المقرئزي : المصدر السابق، ج 2، ص 145

(39) نفس المصدر، ج 2، ص 139.

فقامت العمائر على جانبيه فيما بين المقس وساحل النيل في بولاق، حتى اتصلت هذه العمائر من أوله عند موردة البلاط ببركة الحبش إلى حيث يسير في الخليج الكبير عند أرض الطبالة ومن ثم إلى سرياقوس، ثم أنشئت بين تلك العمائر الحمامات والمساجد والأسوار، وصار الخليج موطن افراح ومترل أنس لأهل القاهرة والجيزة⁽⁴⁰⁾.

(3) نبذة عن عمارتها :

لما أنشأ صلاح الدين الأيوبي قلعة الجبل (572-589هـ/ 1176-1193م) أمر بإجراء المياه إليها من النيل عبر مجرى مائي فوق قناطر تدفع فيه المياه بواسطة السواقي حتى تصل إلى القلعة، ويتم تخزينها في الآبار التي تم حفرها لهذا الغرض، ولكن هذه القناطر العتيقة ما لبثت أن اندثرت ولم تعد صالحة للقيام بوظيفتها حتى اهتم بها الناصر محمد بن قلاوون⁽⁴¹⁾، وقام بتجديد عمارتها على مرحلتين كانت أولاهما سنة (712هـ/ 1312م) وأنشأ خلالها أربع سواقي على النيل عند فم الخليج من جهة بركة الحبش تأخذ الماء من النيل وتدفعه عبر مجرى مائي هائل يجري من فم الخليج إلى القلعة فوق مجموعة ضخمة من العقود الحجرية المدببة حيث يتم تخزينها في مجموعة كبيرة من الآبار لا زالت باقية فيها حتى اليوم، وعمل نقالة (رافعة) من المصنع (خزان المياه) الذي عمله الظاهر بيبرس (658-676هـ/ 1260-1277) عند زاوية تقي الدين رجب التي بالرميلة تحت القلعة إلى الاسطبل السلطاني بجوار قصره الأبلق، وكانت ثانيهما سنة (741هـ/ 1340م) وفيها أمر بحفر بئر عند بركة الحبش تنقل مياهه عبر خليج صغير- يخرج من البحر عند حائط الرصد الذي يعرف اليوم باصطبل عترة تجاه مسجد زثر النبي بمصر القديمة بعد أن تنقر في الحجر تحته (أي تحت الرصد) عشرآبار يصب فيها الخليج المشار اليه، فتجمع الماء من البئرين ويصير ماء واحدا يجري إلى القلعة.

(40) نفس المصدر ، ج 2 ص ص 146-، 151

(41) - نفس المصدر، ج 2 ص 239،

- علي باشا مبارك: المصدر السابق، ج 1 ص 93

وفي عصر السلطان الغوري (905-920هـ / 1501-1512م)⁽⁴²⁾ أقيم لهذا المجرى مأخذ مياه آخر ثم توصيله بالمجرى القديم بالقرب من السيدة عائشة لتقوية تيار المياه الواصلة الى القلعة، وما لبثت يد التخریب أن امتدت لهذا السور العظيم ولا سيما عندما اتخذت الحملة الفرنسية على مصر بعض أجزاءه للمراقبة، وجعلت فيها فتحات كبيرة لمدافعها، وها هو المجلس الأعلى للآثار يقوم اليوم جاهدا لترميم هذه القناطر وإعادة بنائها إلى ما كانت عليه لتظل شاهدة على عظمة العمارة الإسلامية في مصر⁽⁴³⁾.

(42) المقرئزي : المصدر السابق، ج 2 ص 241.

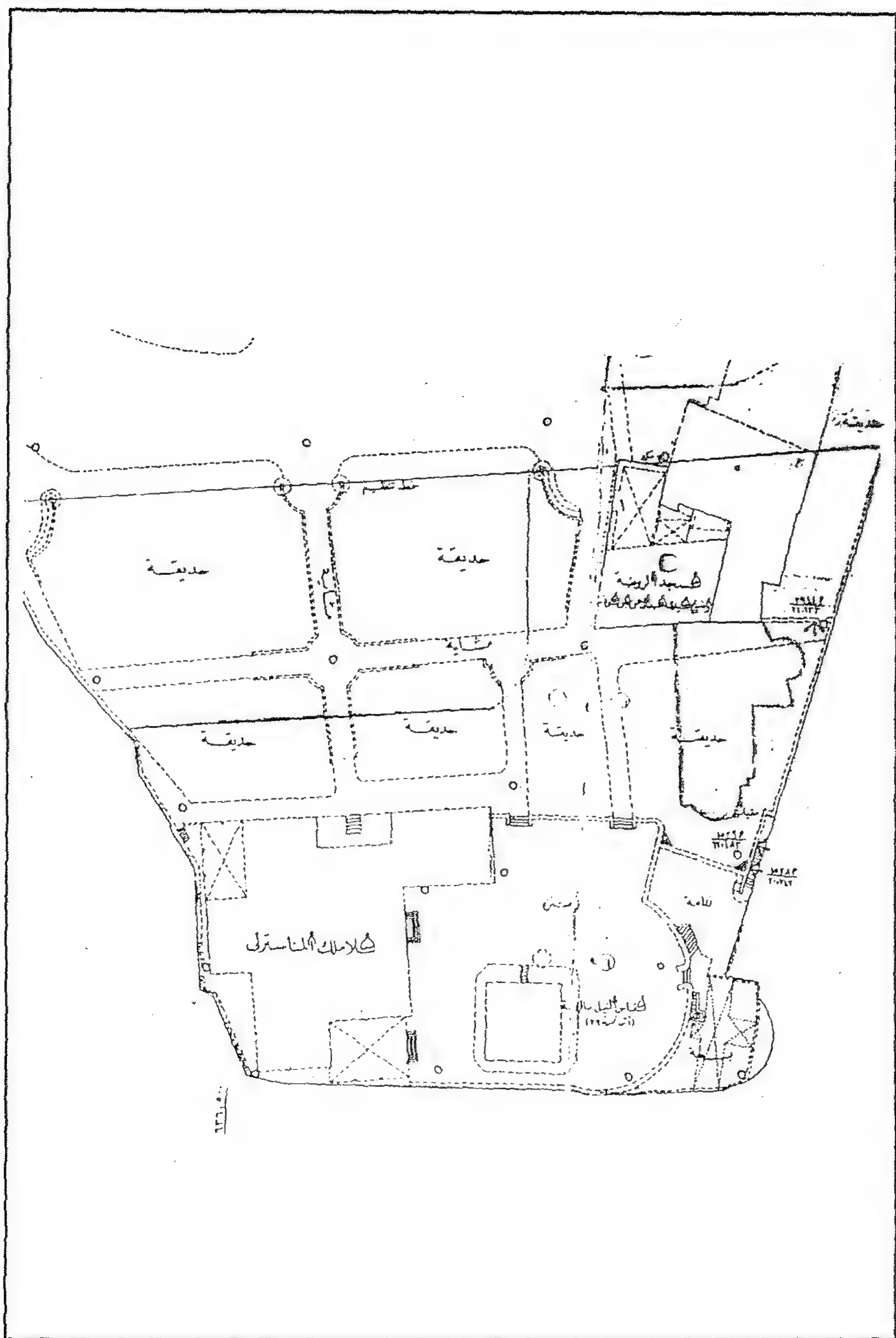
(43) معلومات أخرى عن قناطر مياه القلعة، انظر :

— عبدالرحمن زكي : القاهرة، تاريخها وآثارها من جواهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ (القاهرة 1966) ص ص 108-111 .

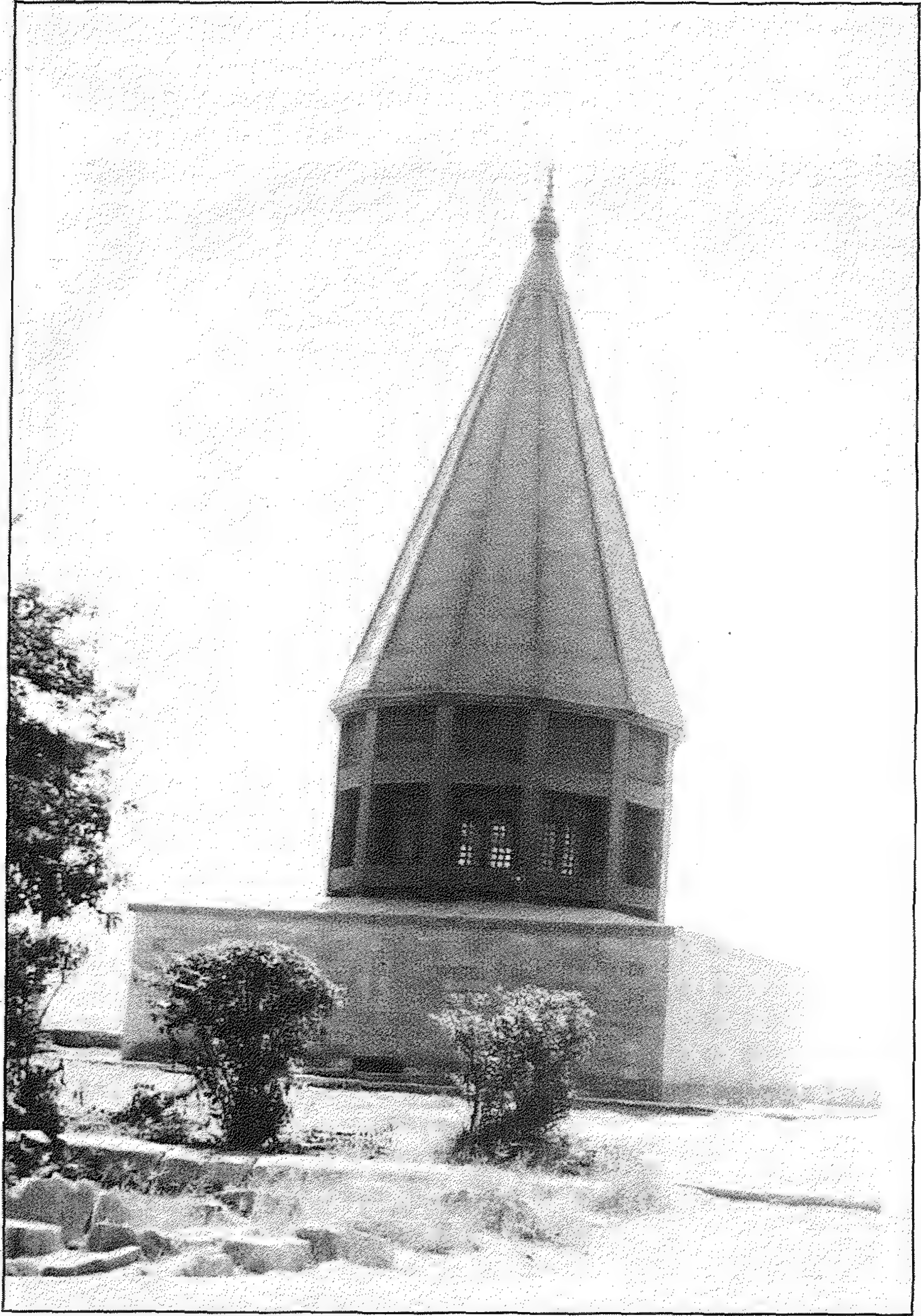
— كراسات لجنة حفظ الآثار العربية : من الكراسة (5) عن سنة (87/ 1888 م) إلى الكراسة

- Creswell (K.A.C.) : The Muslim Architecture of Egypt (Oxford 1952-9) part 1, pp. 250-264

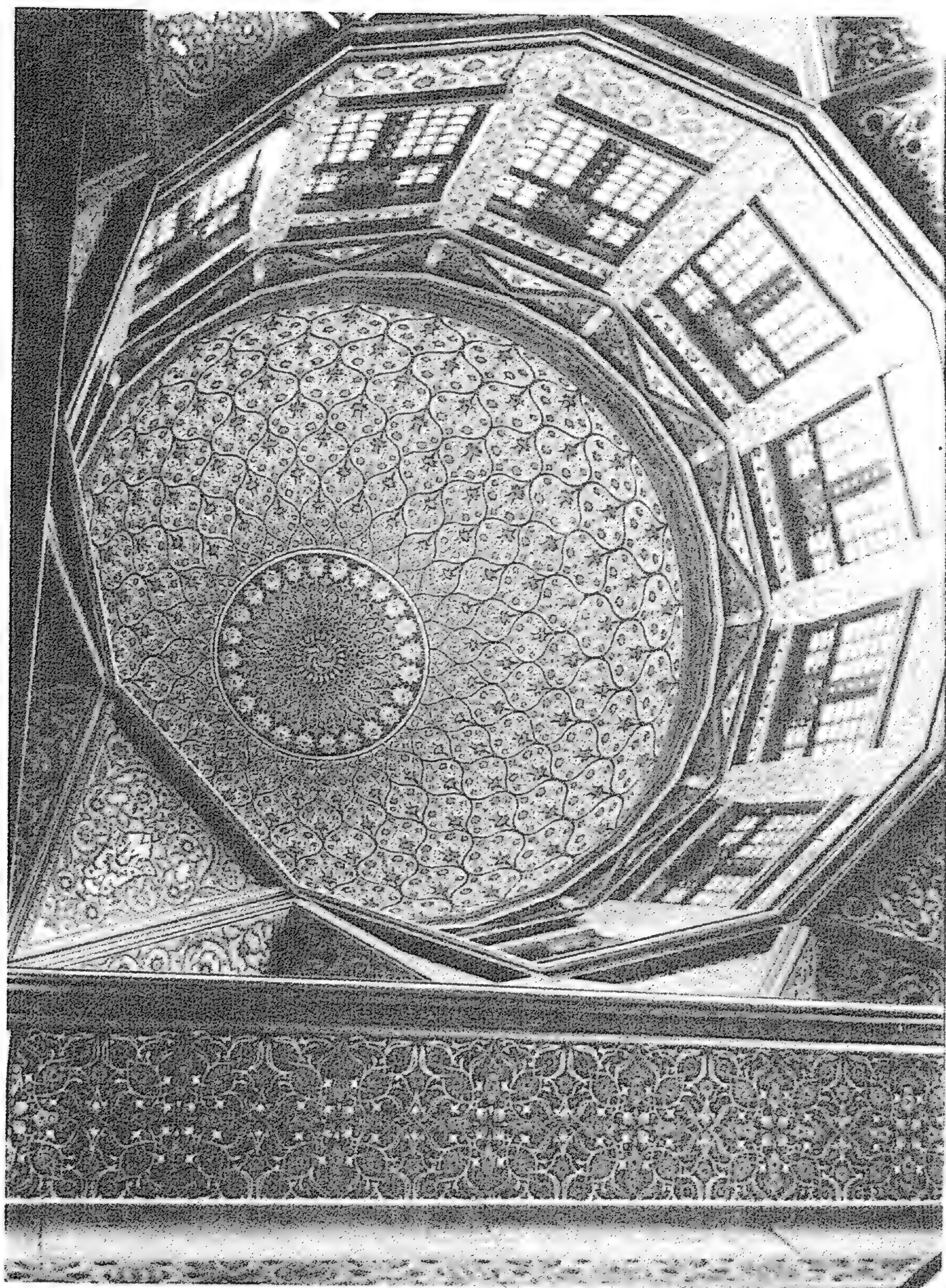
- Van Berchem (M.) : Op. cit. T. 10, pp. 5, 88.



4 - مقياس النيل بالروضة - خريطة موقع



٥ - مقياس النيل بالروضة - قبة المقياس المرصصة من الخارج



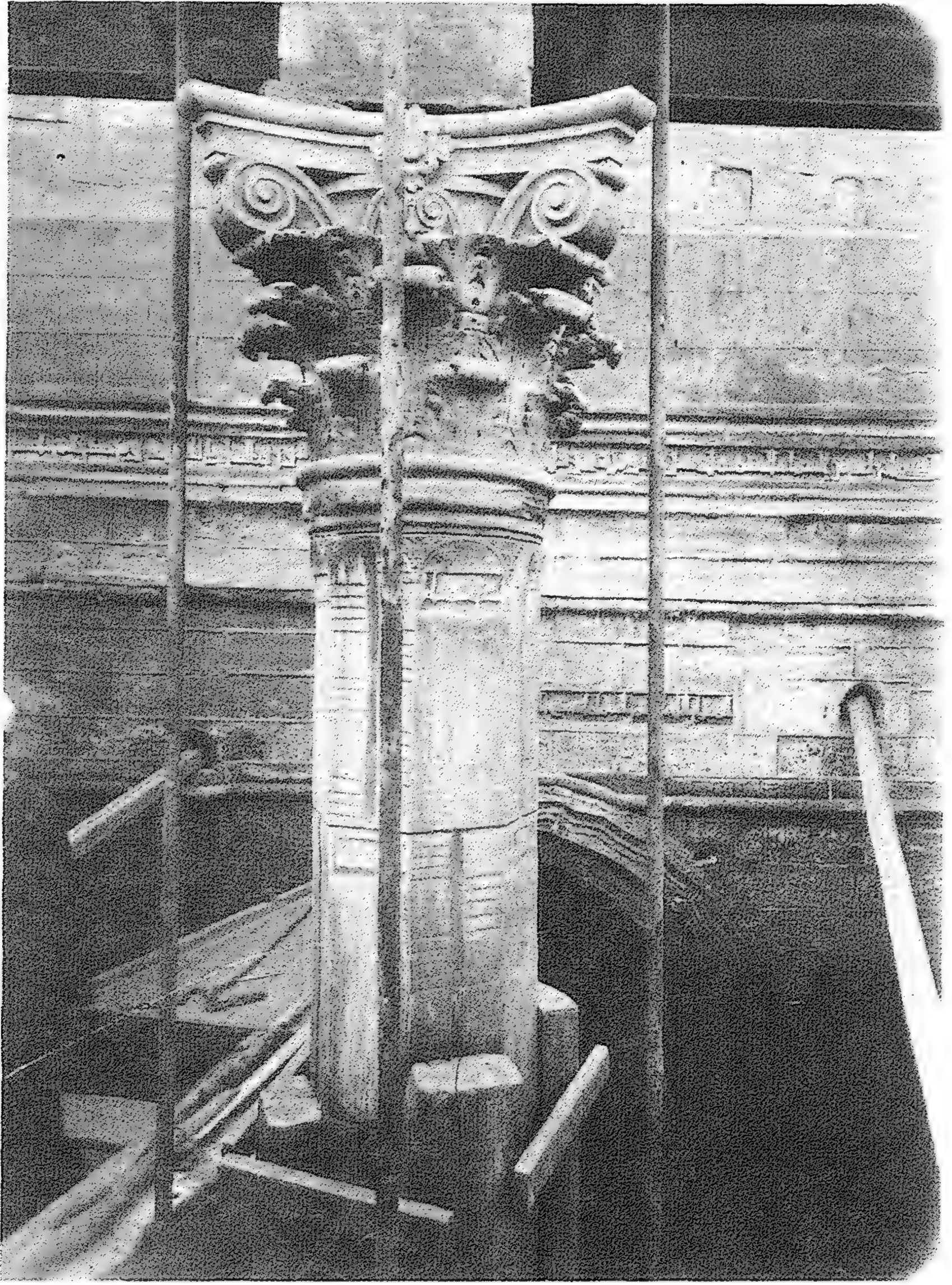
٦٠ — مقياس النيل بالروضة — زخارف القبة من الداخل



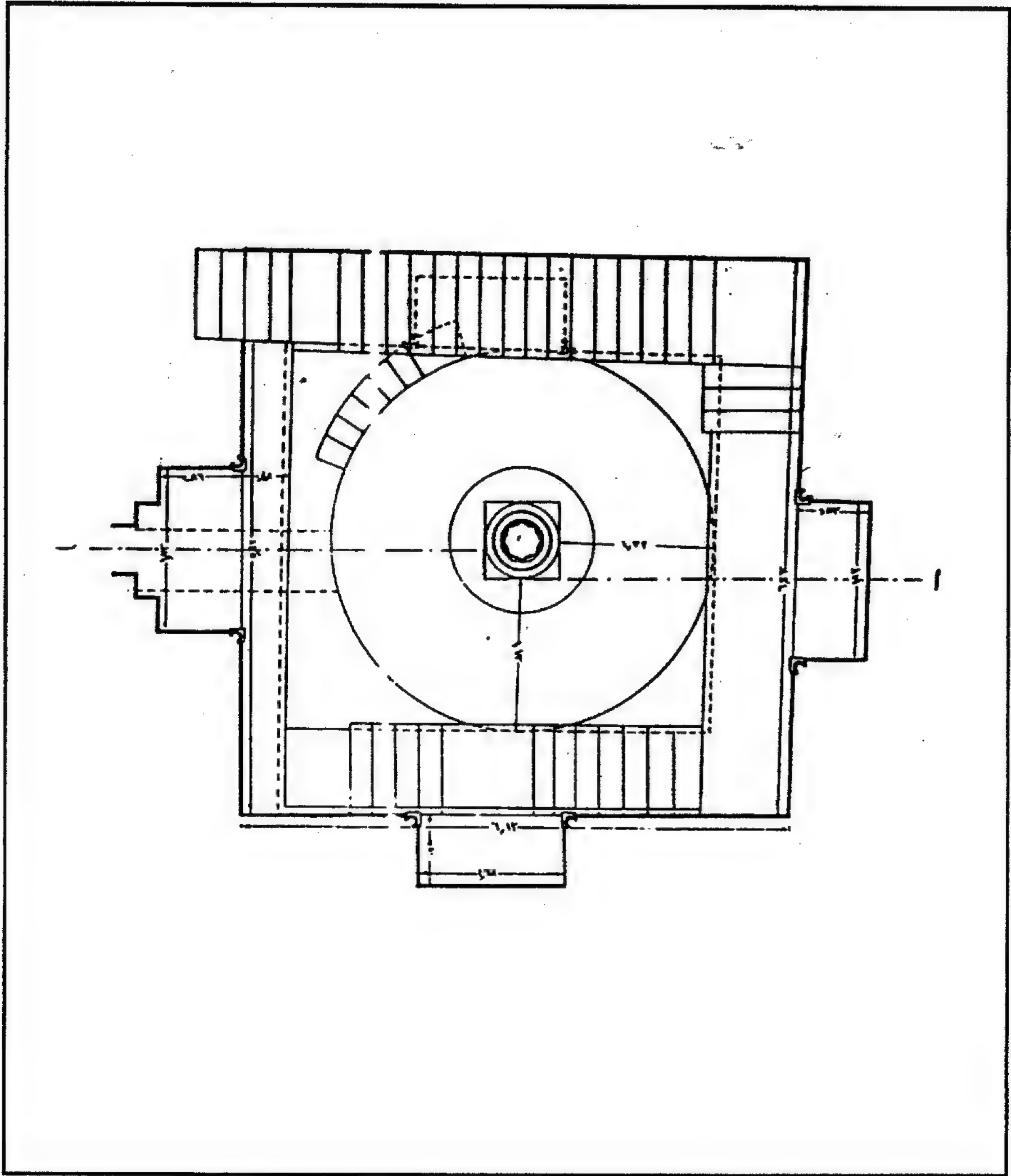
7 - مقياس النيل بالروضة - داخل البئر



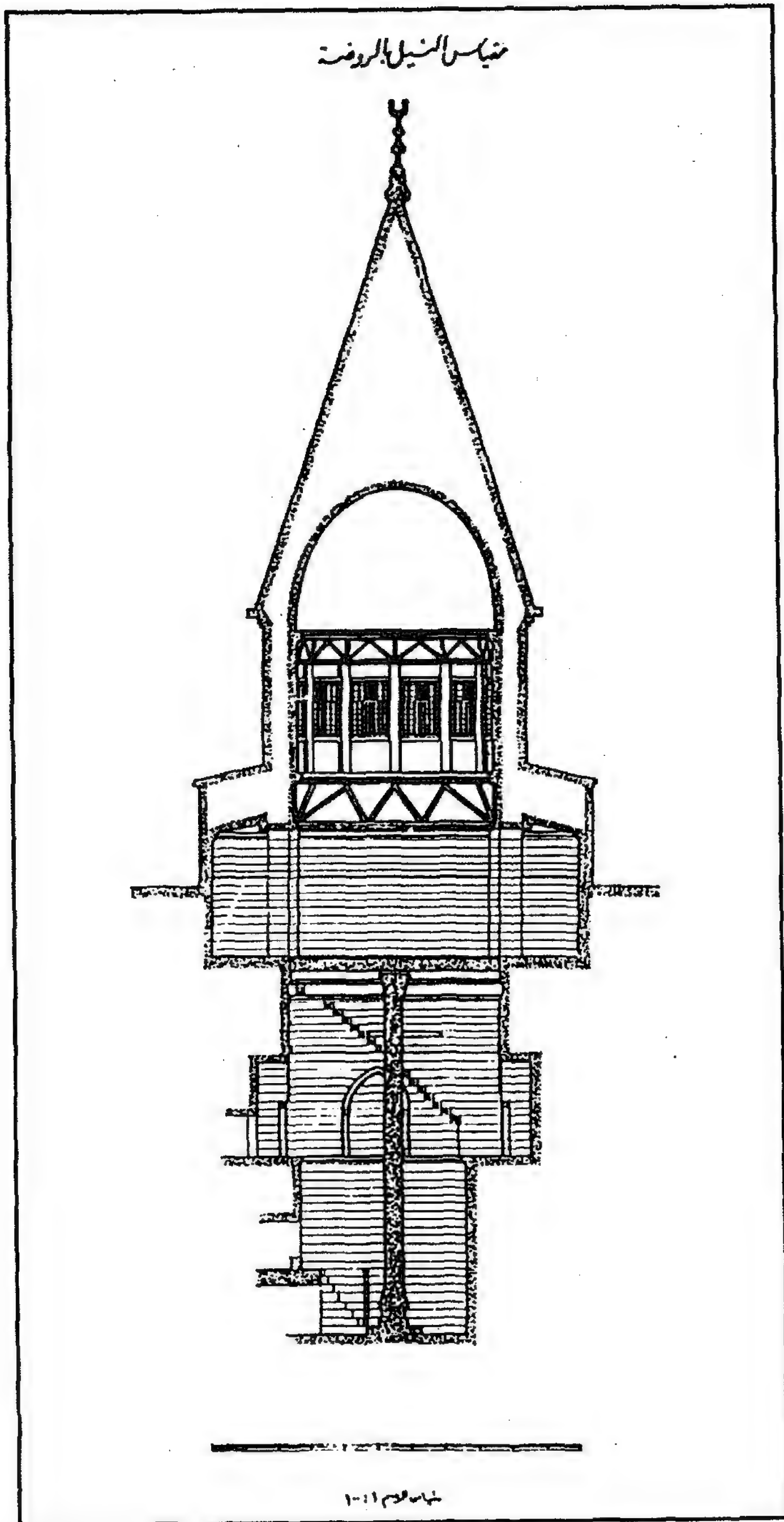
٤٨ — مقياس النيل بالروضة — منظر من داخل البئر به بعض الكتابات الكوفية



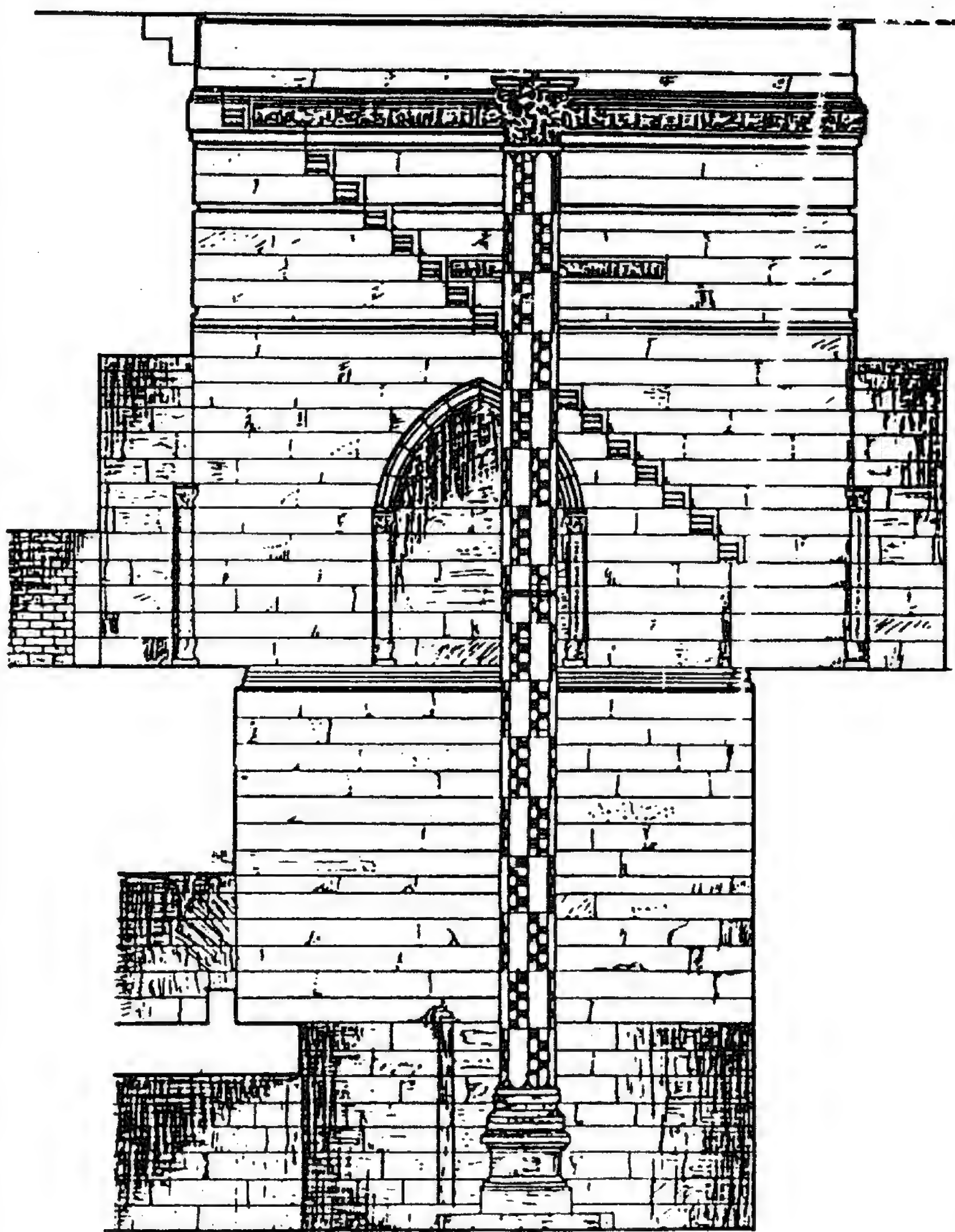
9 - مقياس النيل بالروضة - عمود المقياس



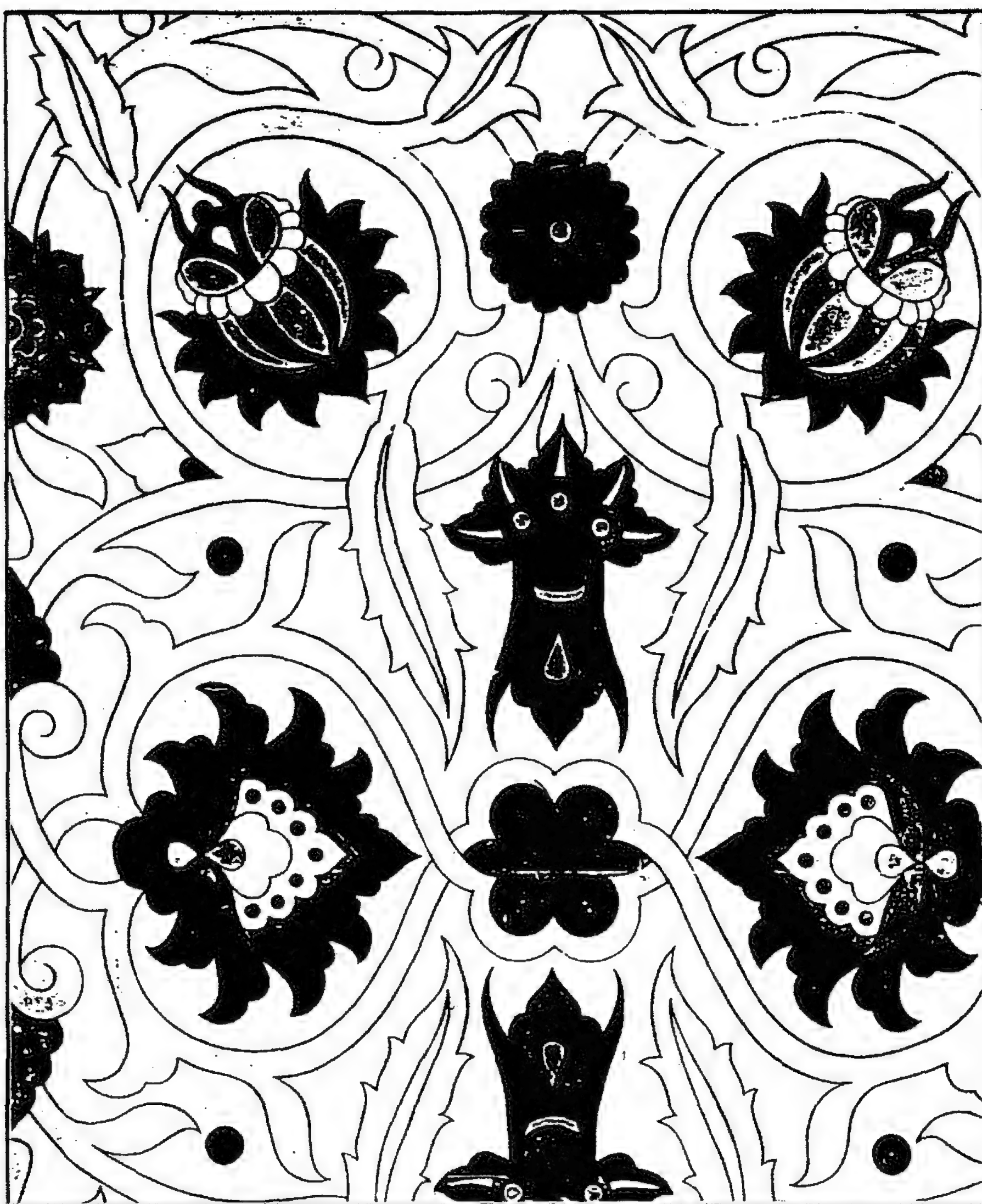
10 - مقياس النيل بالروضة - مسقط أفقي



11 - مقياس النيل بالروضة - قطاع رأسي مع القبة

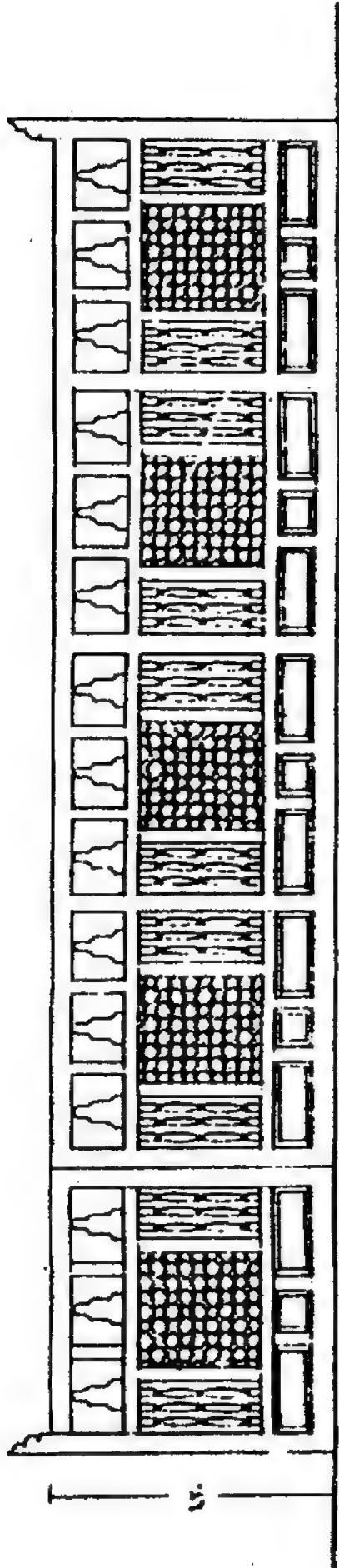


12 - مقياس النيل بالروضة - قطاع رأسي

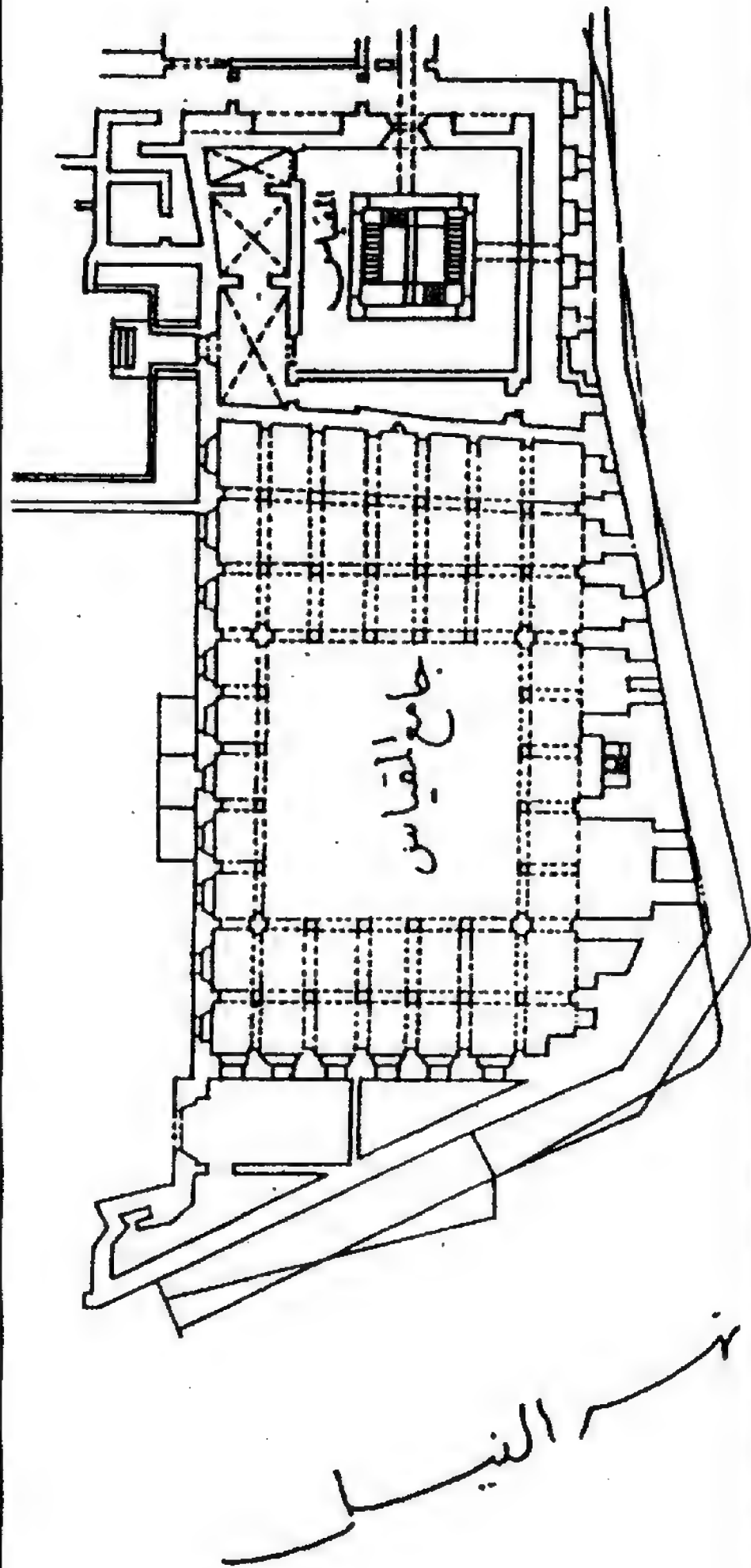


13 - مقياس النيل بالروضة - زخارف نباتية عثمانية بالقبة

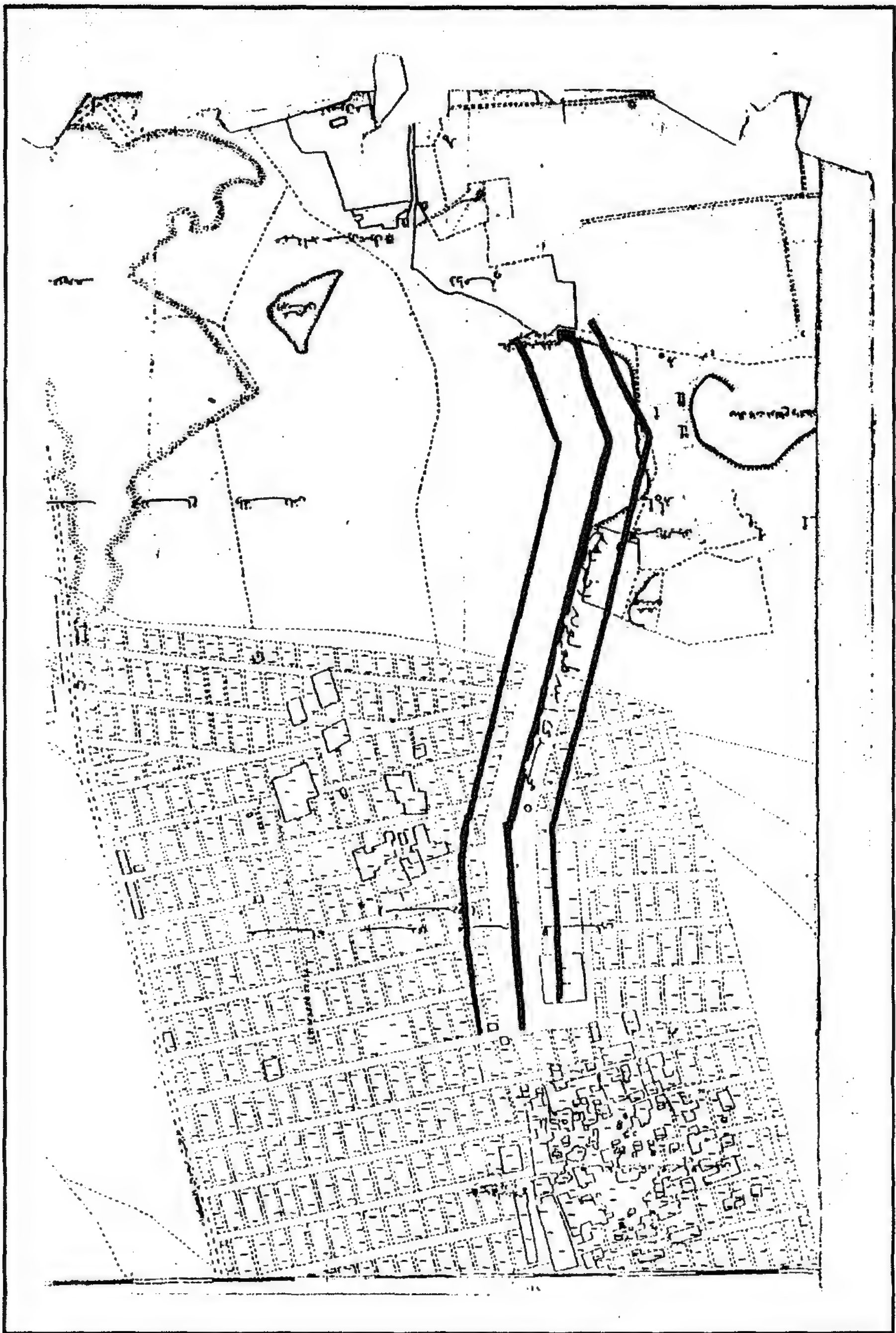
مركز الحرف اليدوية
إدارة منطقة القاهرة الجديدة
مركز الفنون والثقافة
لجنة التخطيط والتنمية
مركز الدراسات والبحوث
مركز الدراسات والبحوث
مركز الدراسات والبحوث



14 - مقياس النيل بالروضة - الدرايزين الخشبي



15 - جامع المقياس المتدور - مسقط أفقي



16 - قناطر ابن طولون بالبساتين



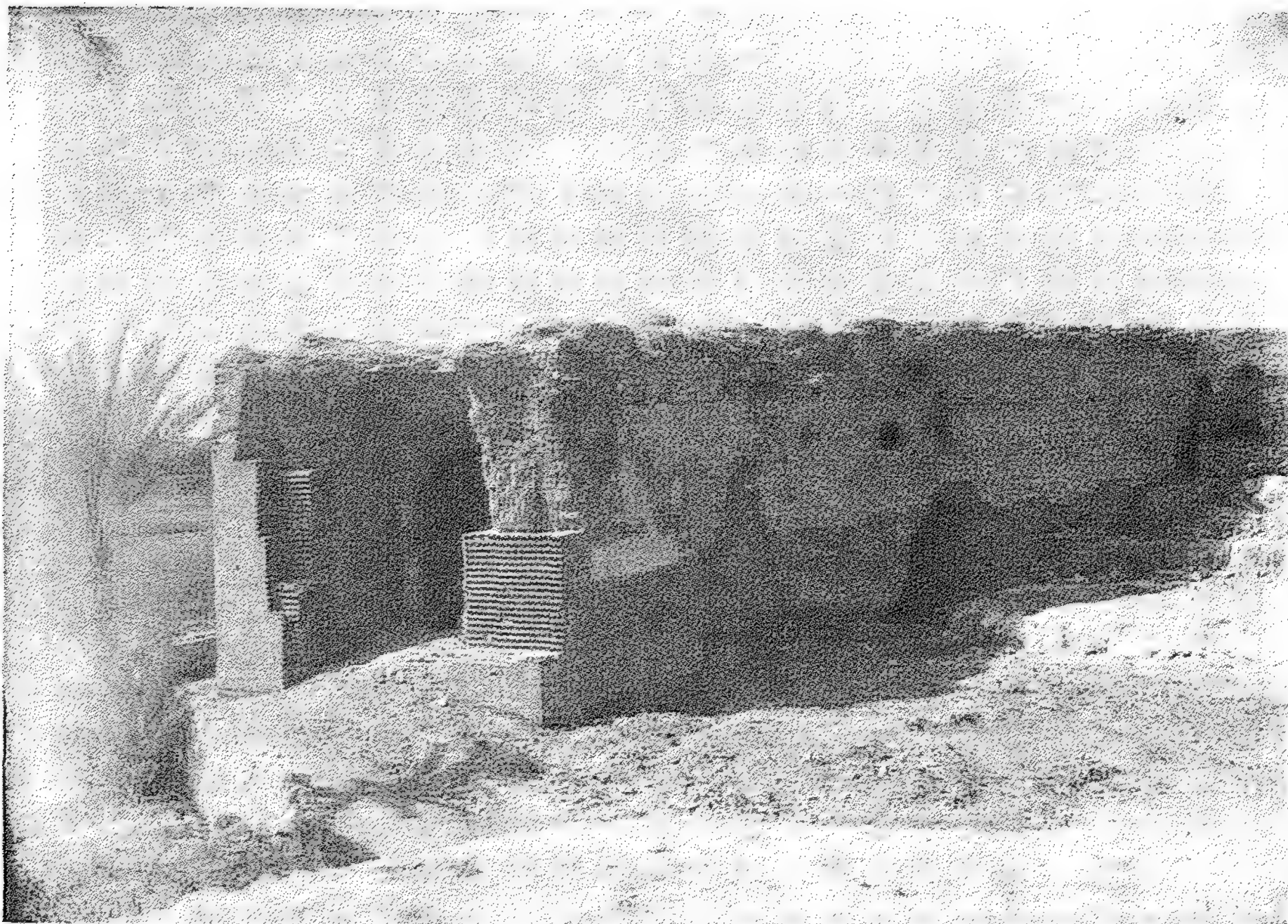
17 - قناطر ابن طولون بالبساتين - منظر عام من الخارج



18 - قناطر ابن طولون بالبساتين - جزء من القناطر



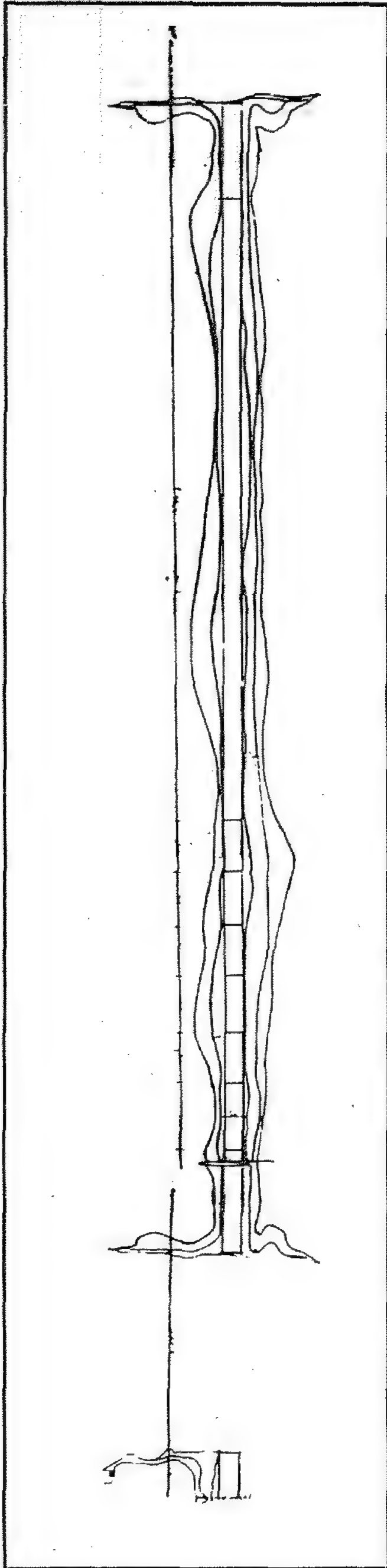
19 - قناطر ابن طولون بالبساتين - جزء من القناطر



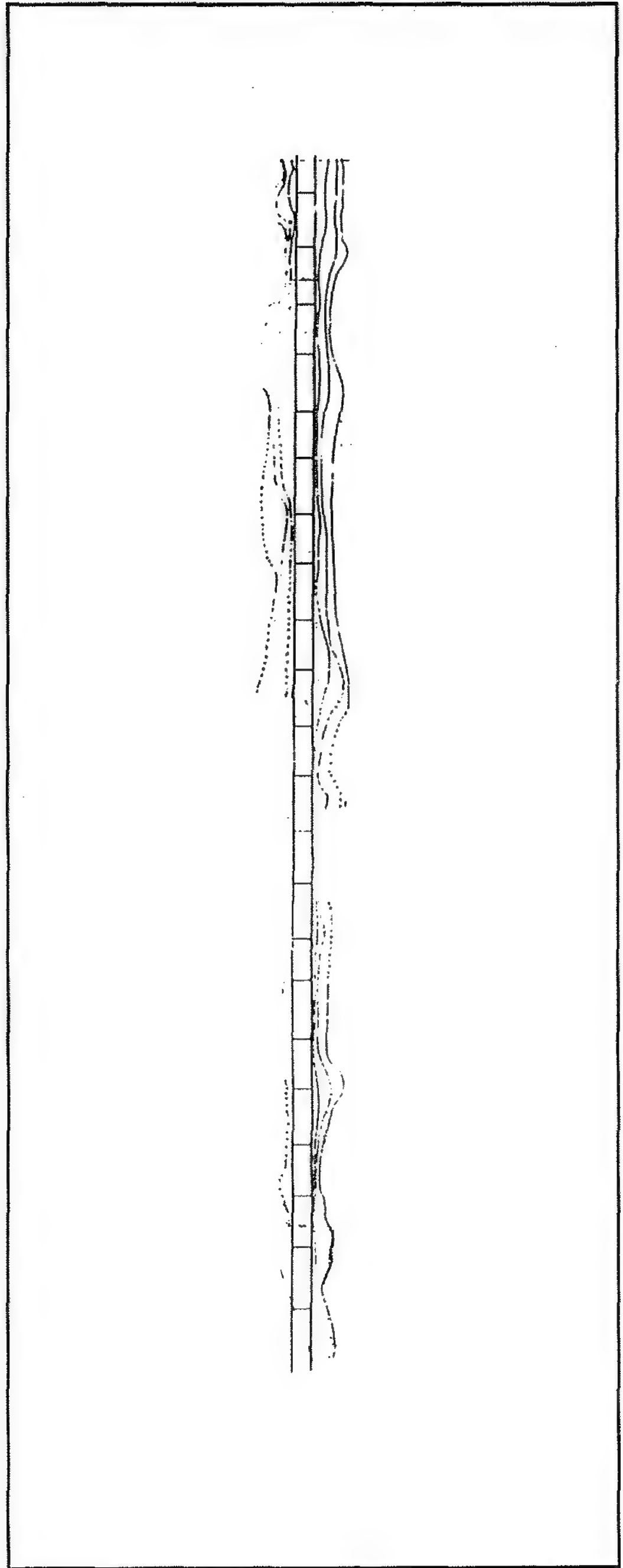
20 - قناطر ابن طولون بالبساتين - مدخل بئر الساقية



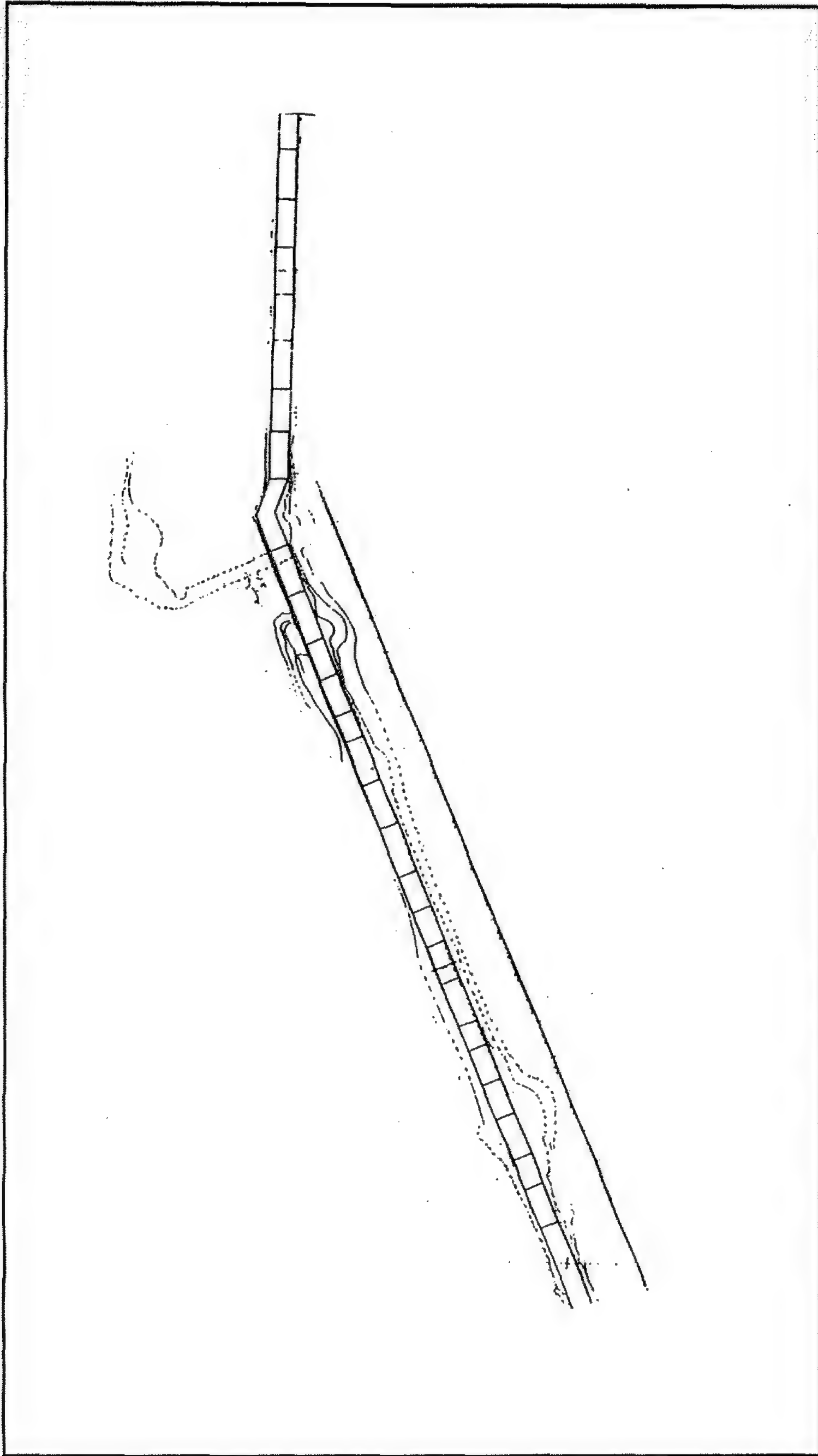
21 - قناطر ابن طولون بالبساتين - مدخل بئر الساقية



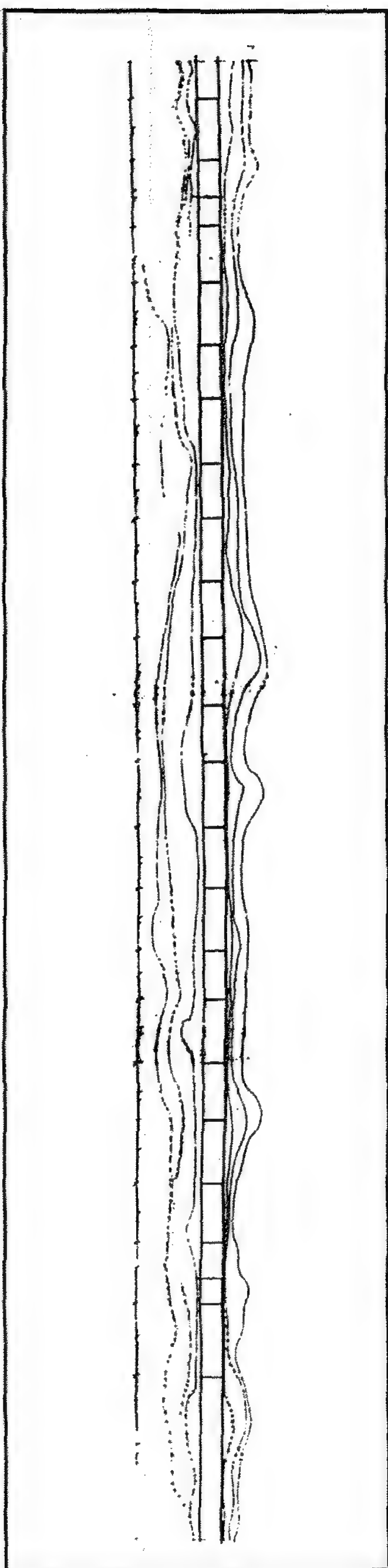
23 - قناطر ابن طولون بالبساتين
- مسقط أفقي لجزء من القناطر



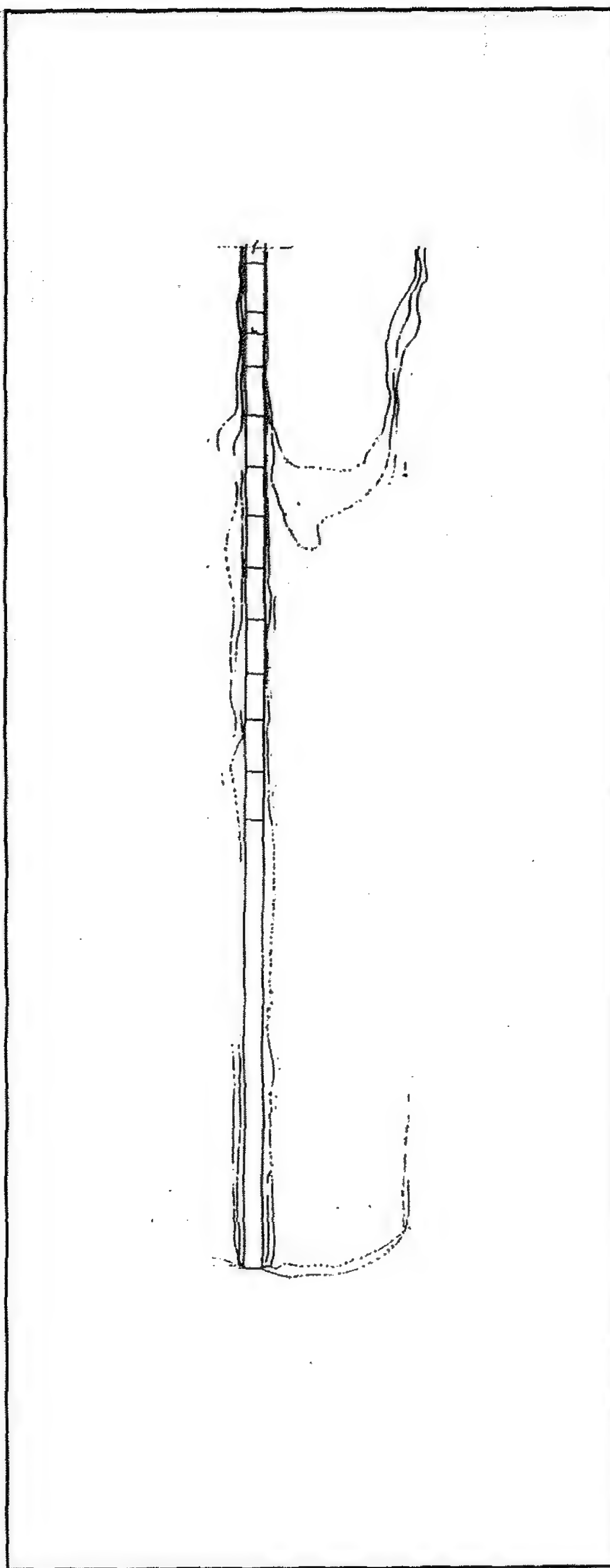
22 - قناطر ابن طولون بالبساتين -
مسقط أفقي لجزء من القناطر



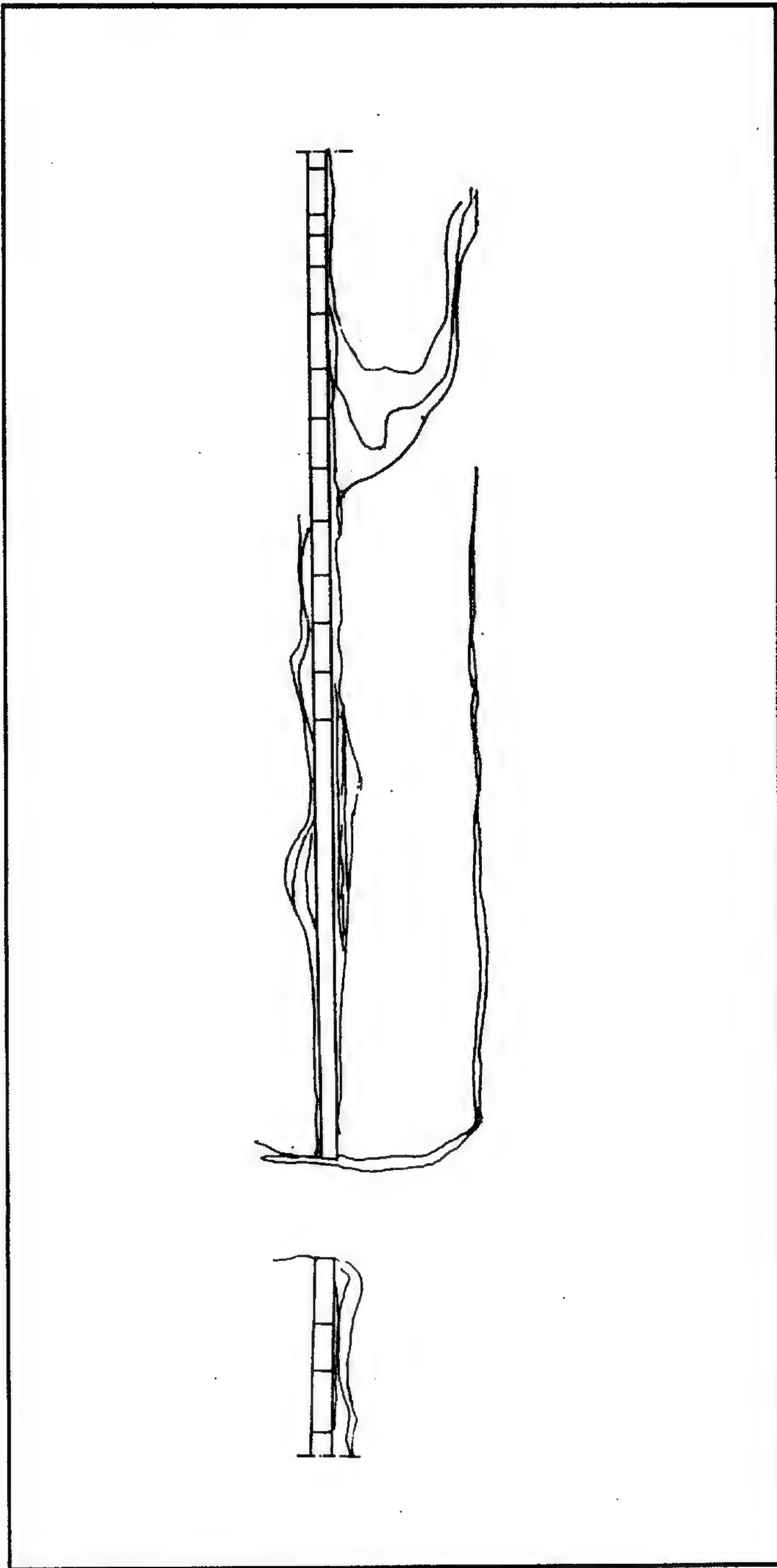
24 - قناطر ابن طولون بالبساتين - مسقط أفقي لجزء من القناطر



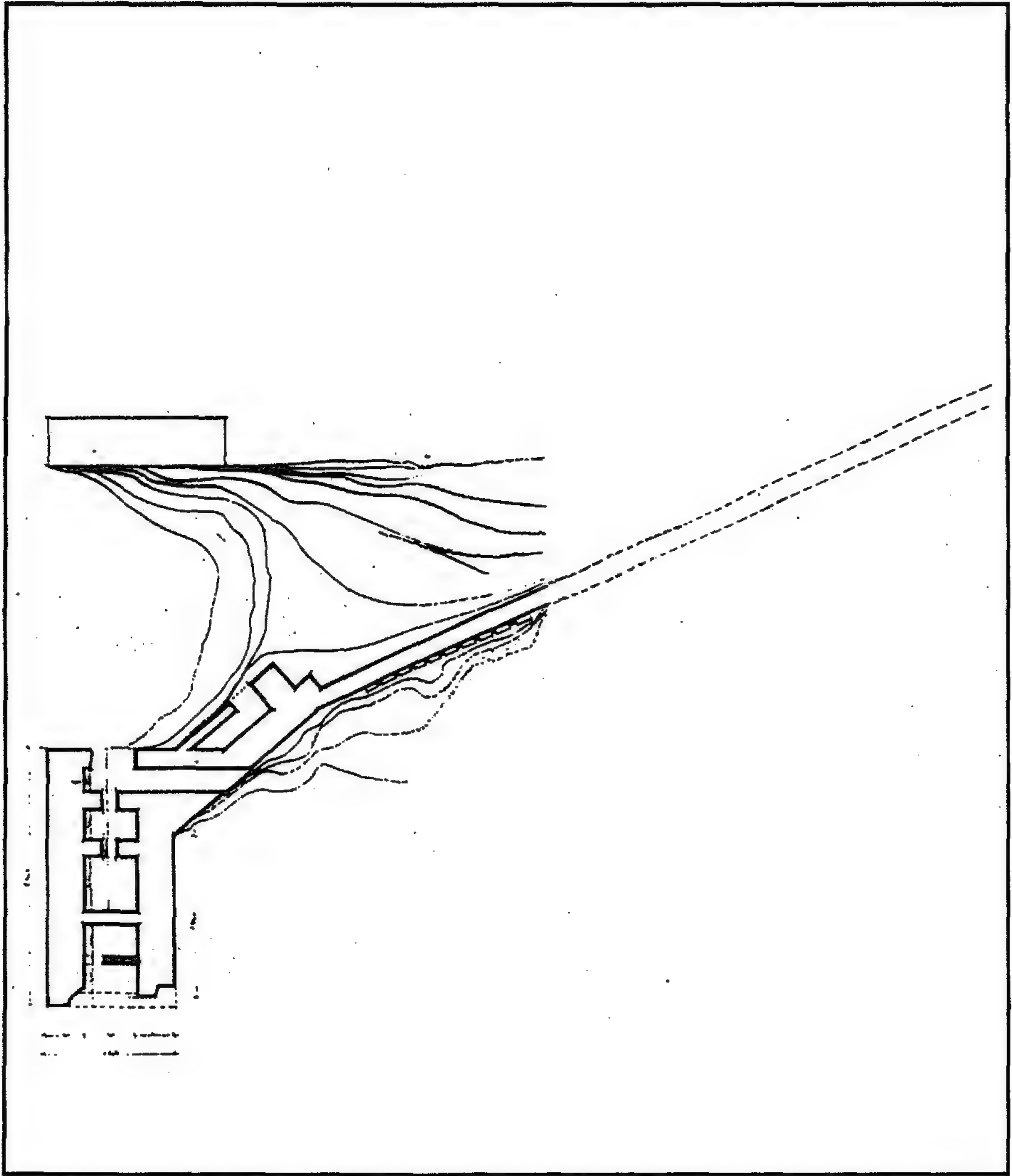
26 - قناطر ابن طولون بالبساتين
- مسقط أفقي لجزء من القناطر



25 - قناطر ابن طولون بالبساتين -
مسقط أفقي لجزء من القناطر

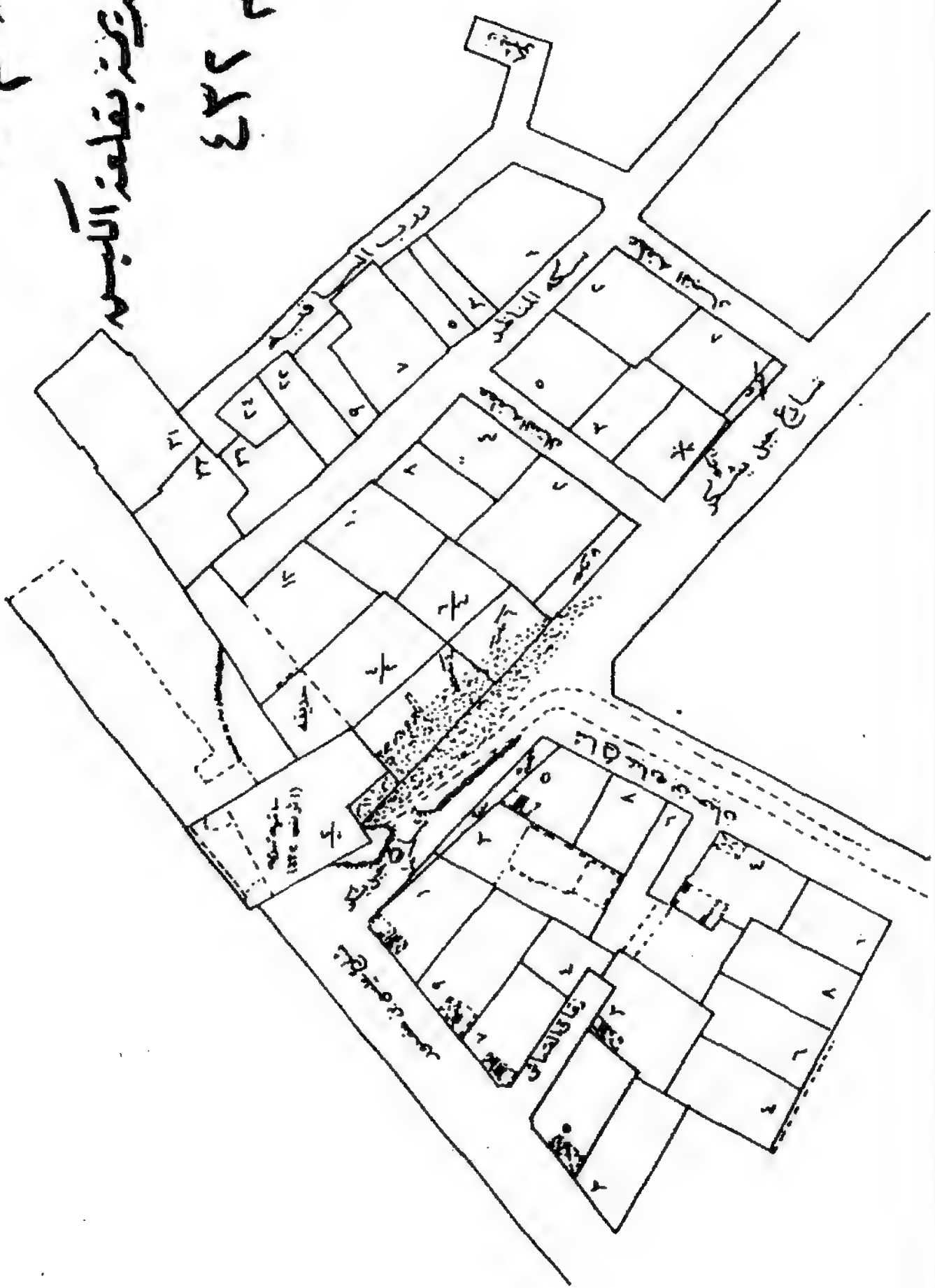


27 - قناطر ابن طولون بالبساتين - مسقط أفقي لجزء من القناطر

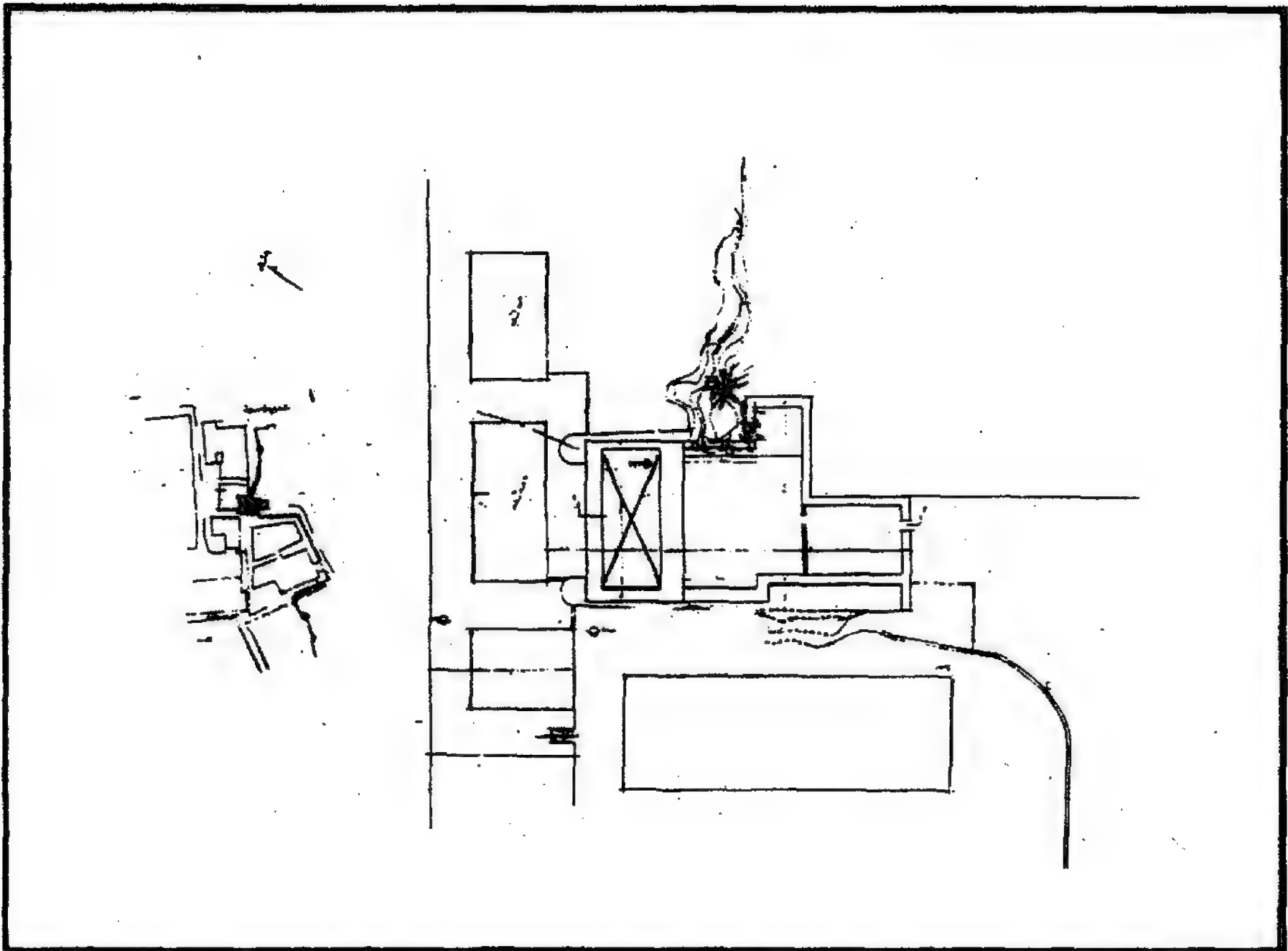


28 - قناطر ابن طولون بالبساتين - مسقط أفقي لجزء من القناطر

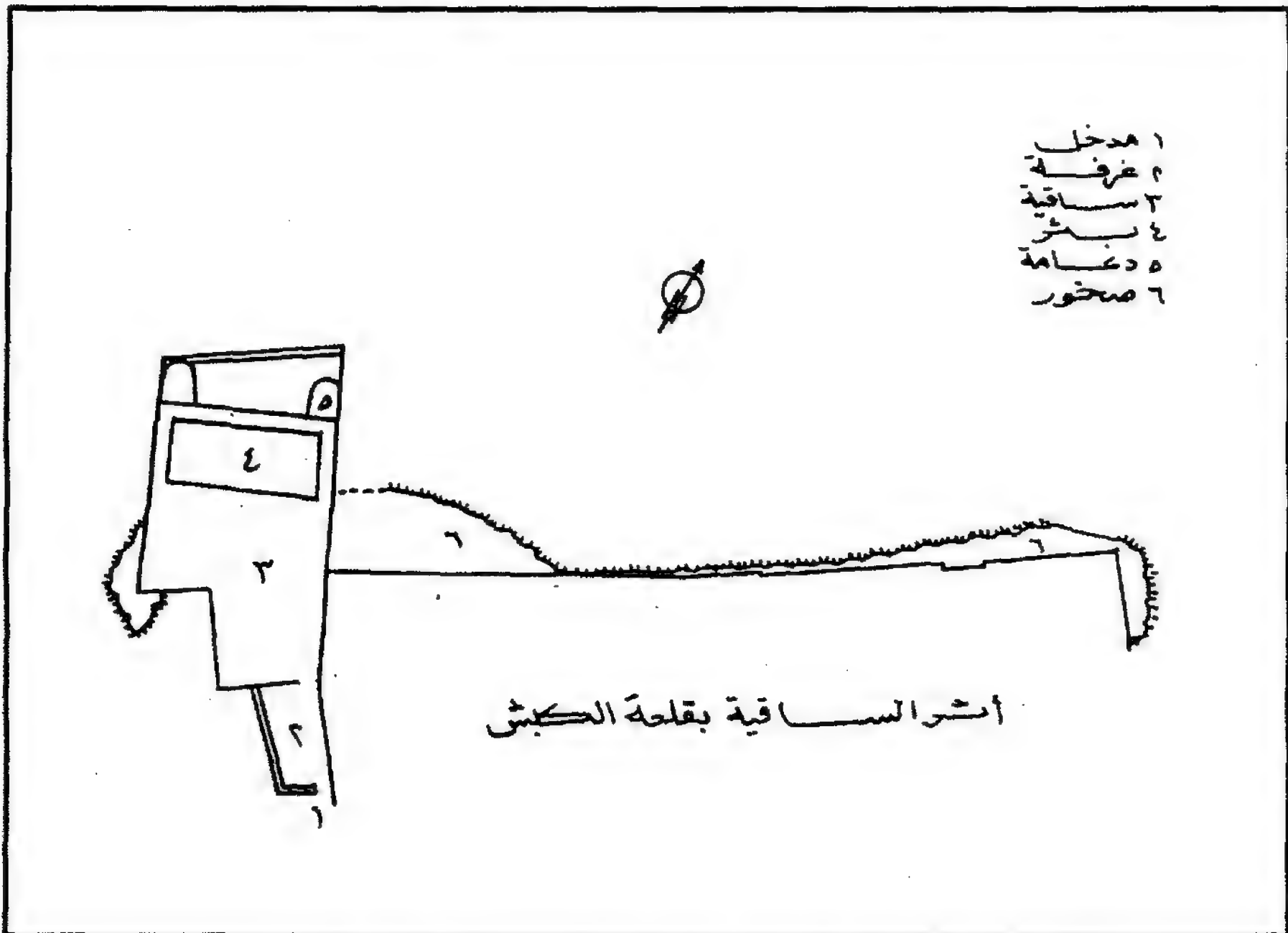
تخطيط مدينة زرينب
 منطقة تضم ١٤٠
 ساقية حديثة بقلعة البسمه
 اشراف ٤٣٢



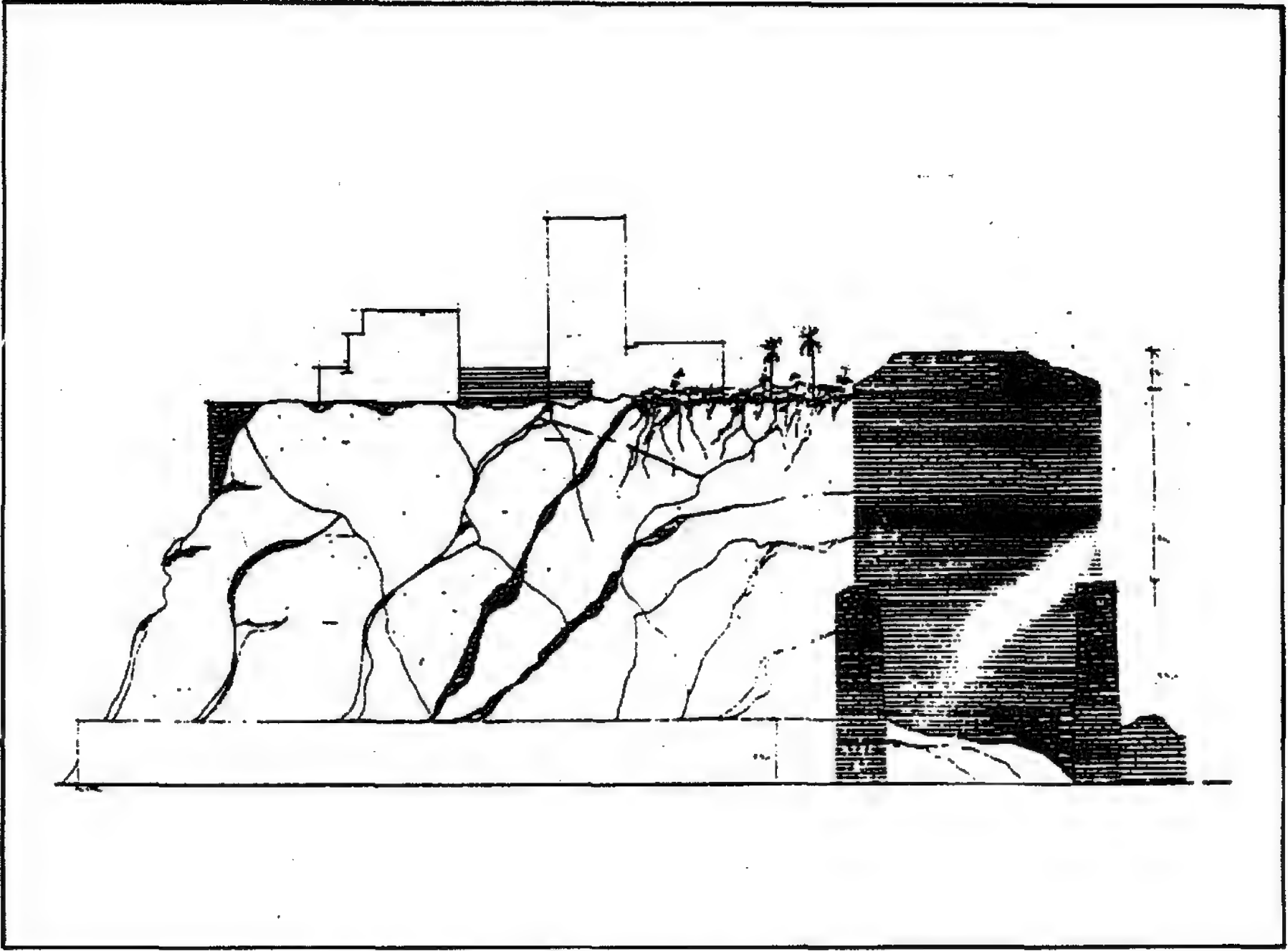
29 - بقايا الساقية بقلعة الكباش - خريطة موقع



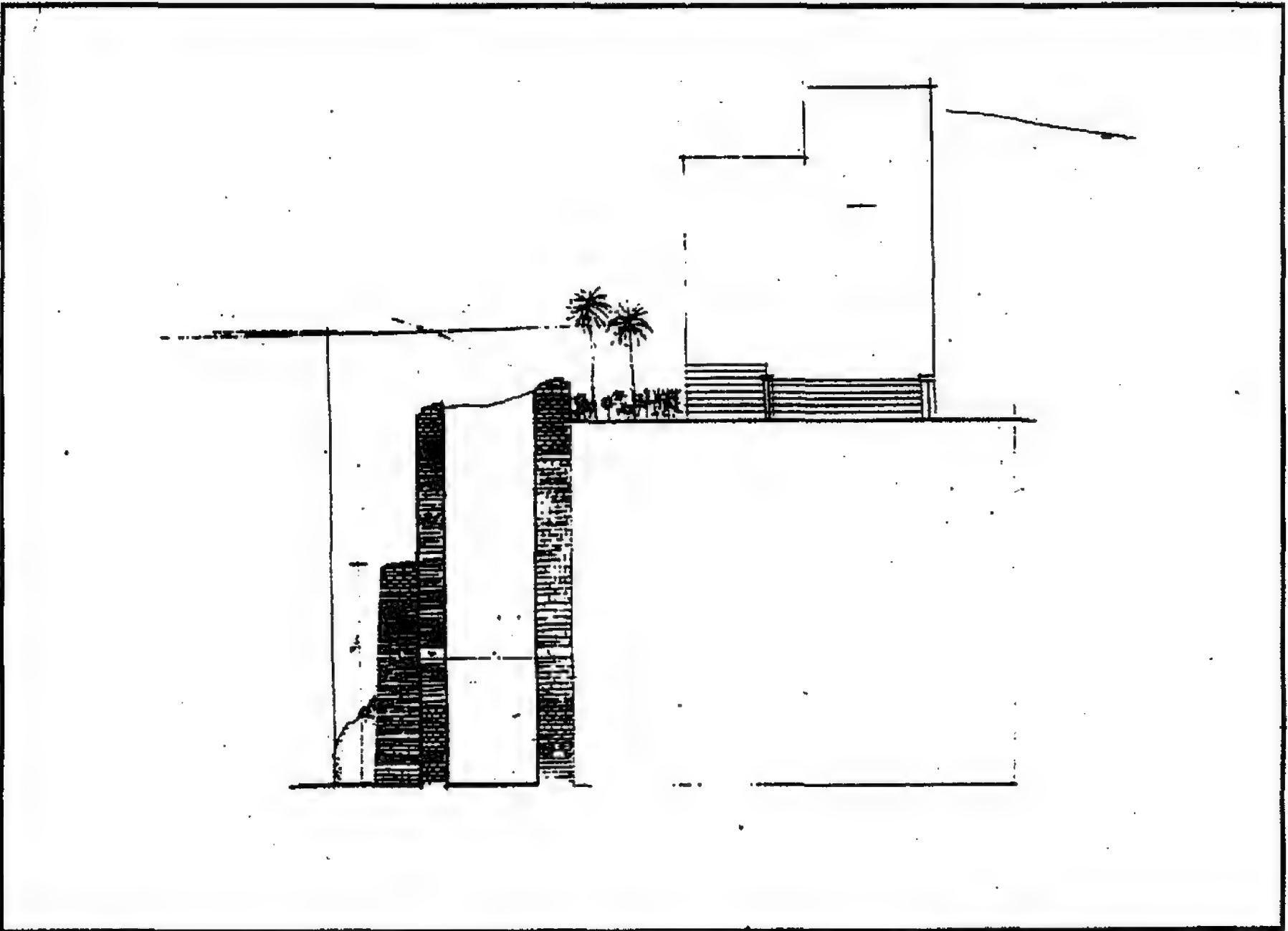
30 — بقايا الساقية بقلعة الكبش — مسقط أفقي وخريطة موقع



31 — بقايا الساقية بقلعة الكبش — مسقط أفقي للساقية



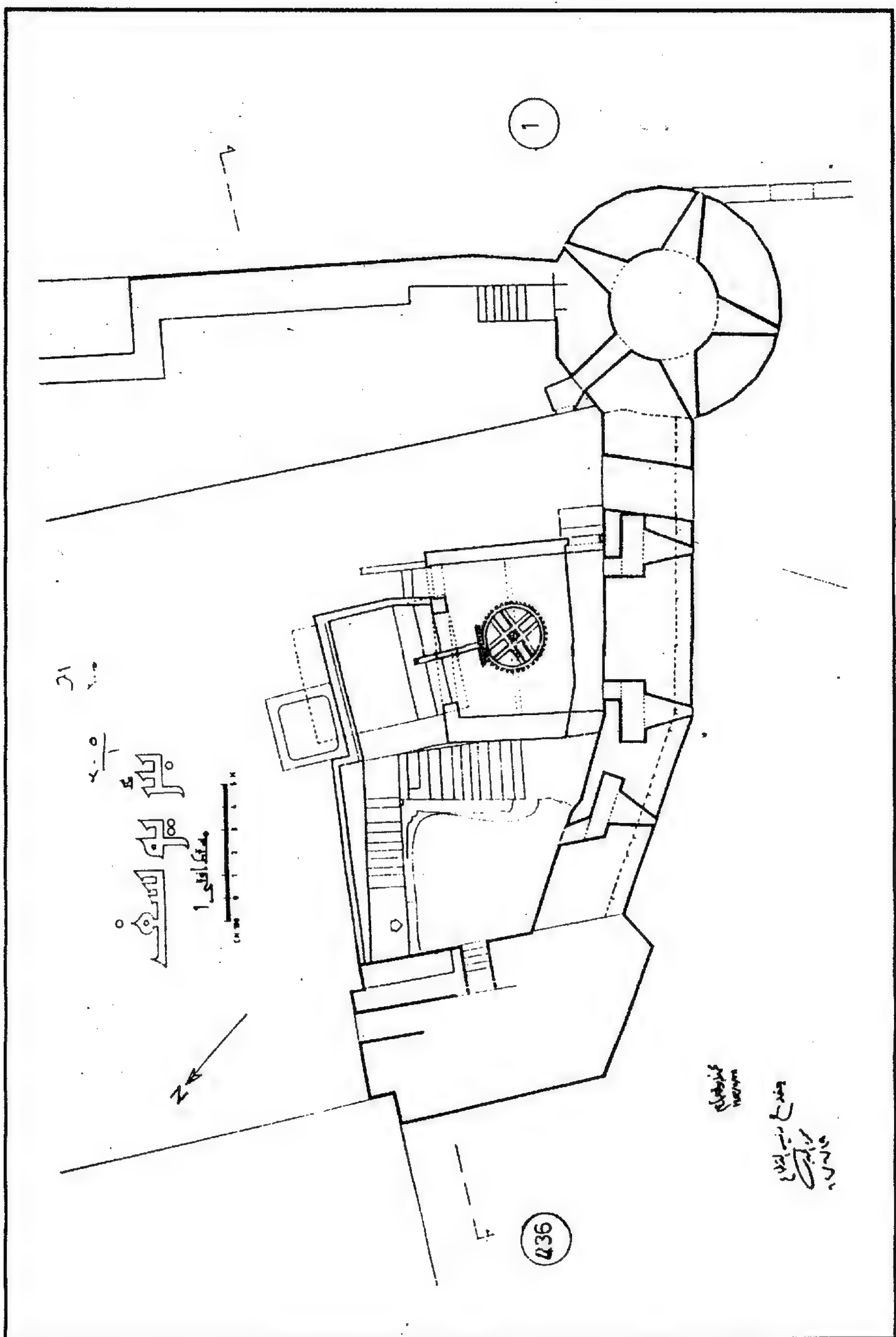
32 — بقايا الساقية بقلعة الكباش — واجهة بحرية



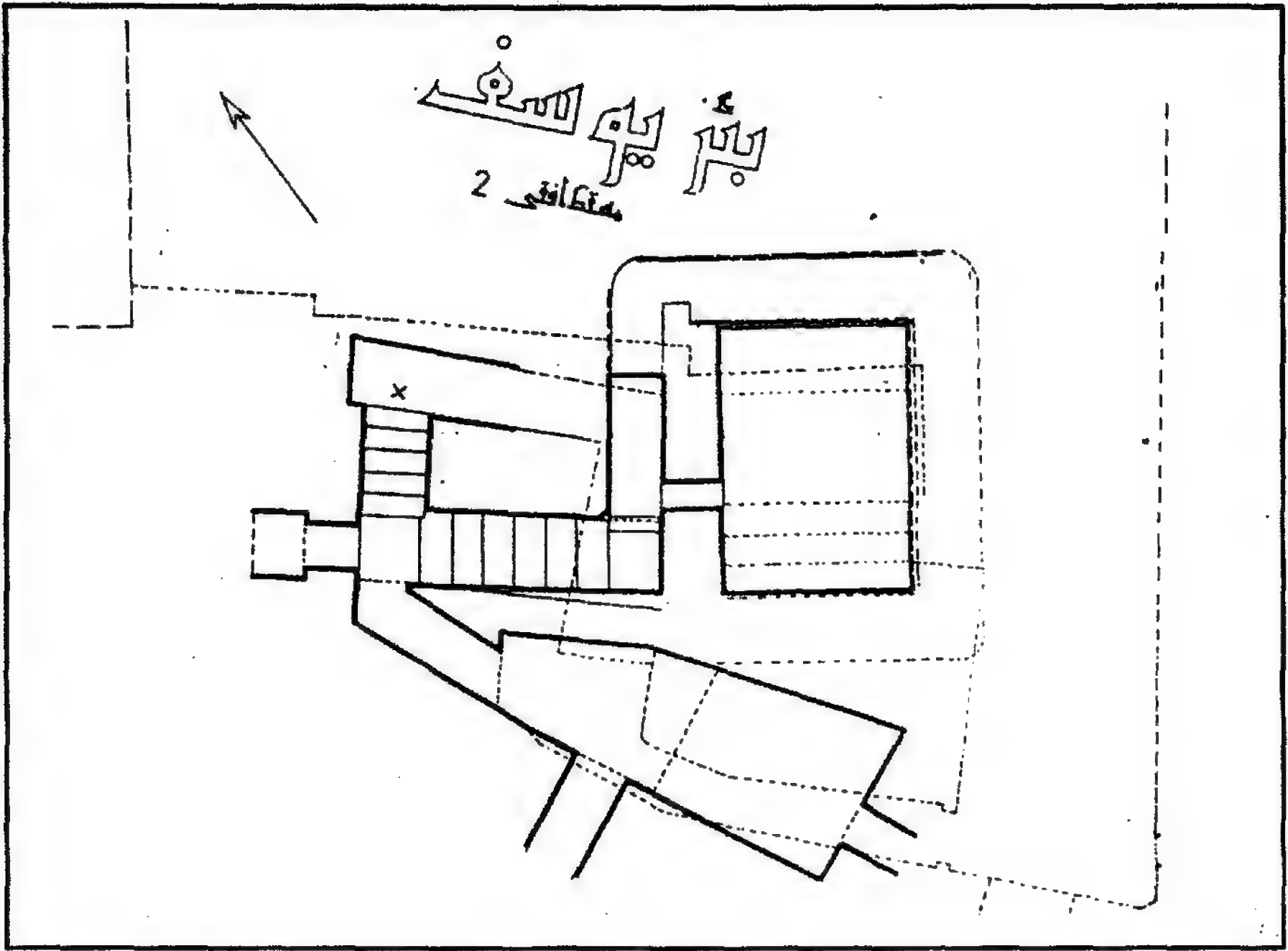
33 — بقايا الساقية بقلعة الكباش — قطاع رأسي

ش

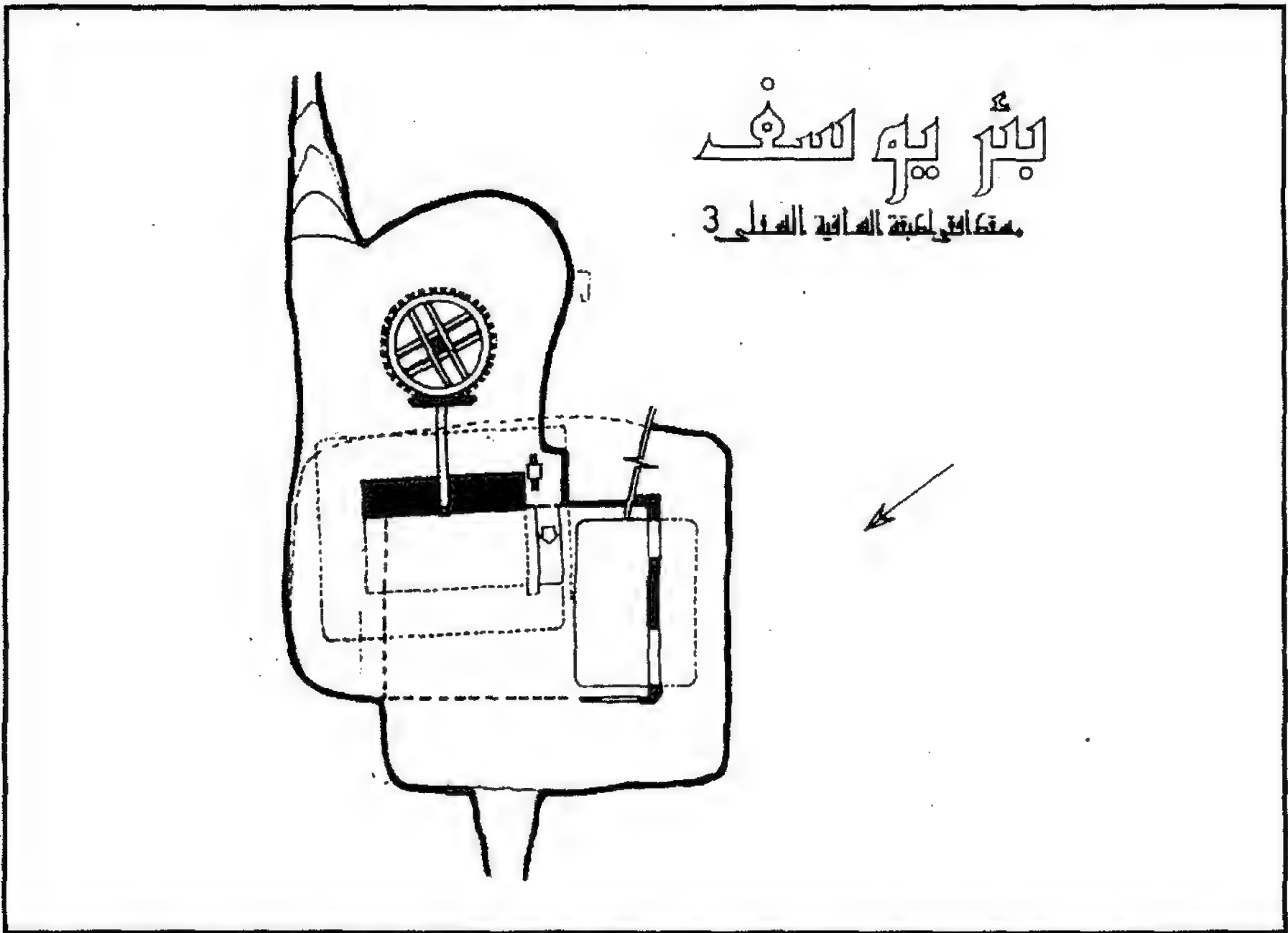




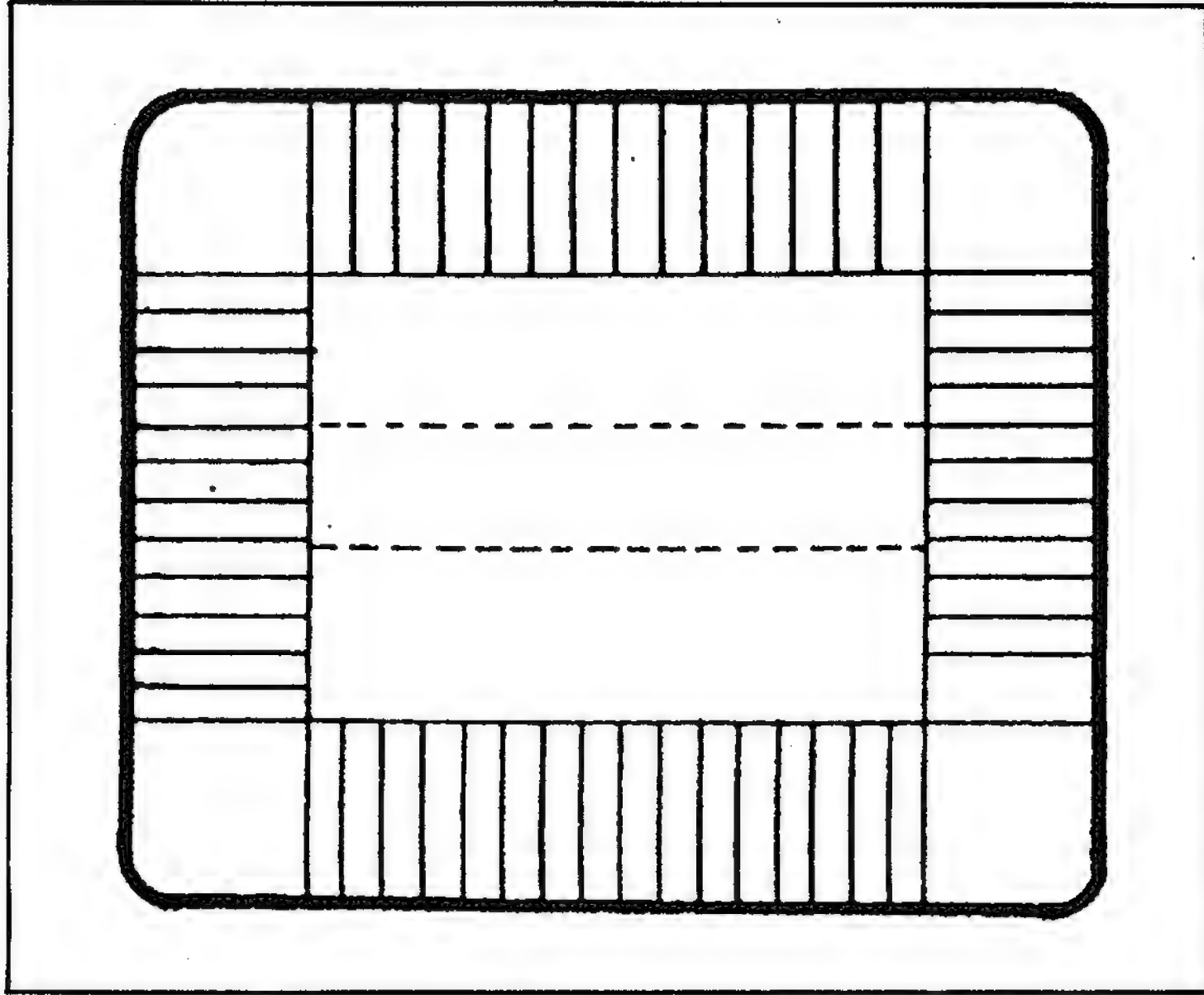
35 - بئر صلاح الدين (بئر يوسف الحلزون) بالقلعة - مسقط أفقي (1)



36 - بئر صلاح الدين (بئر يوسف - الحلزون) بالقلعة - مسقط أفقي (2)

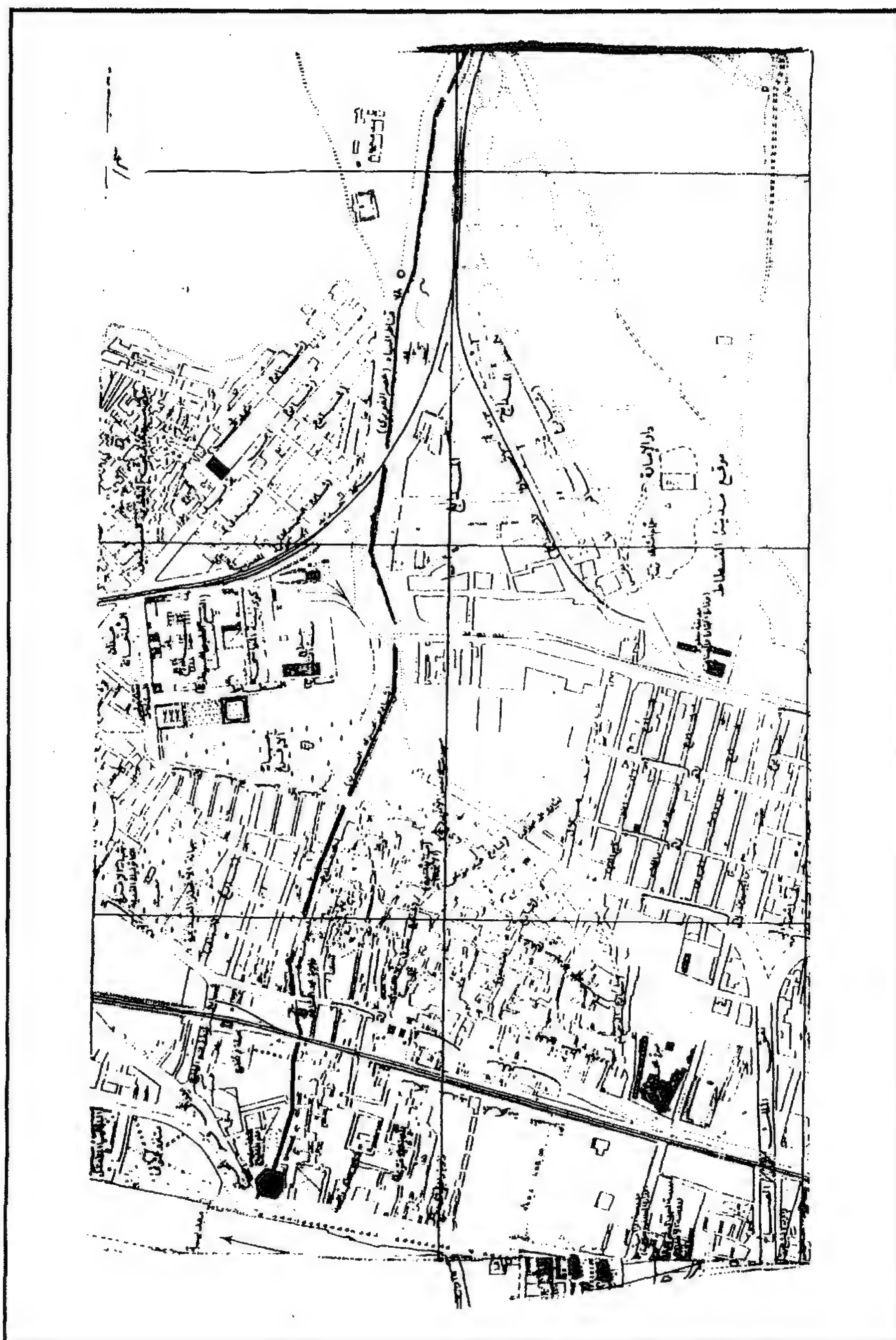


37 - بئر صلاح الدين (بئر يوسف - الحلزون) بالقلعة - مسقط أفقي للساقية السفلية (3)

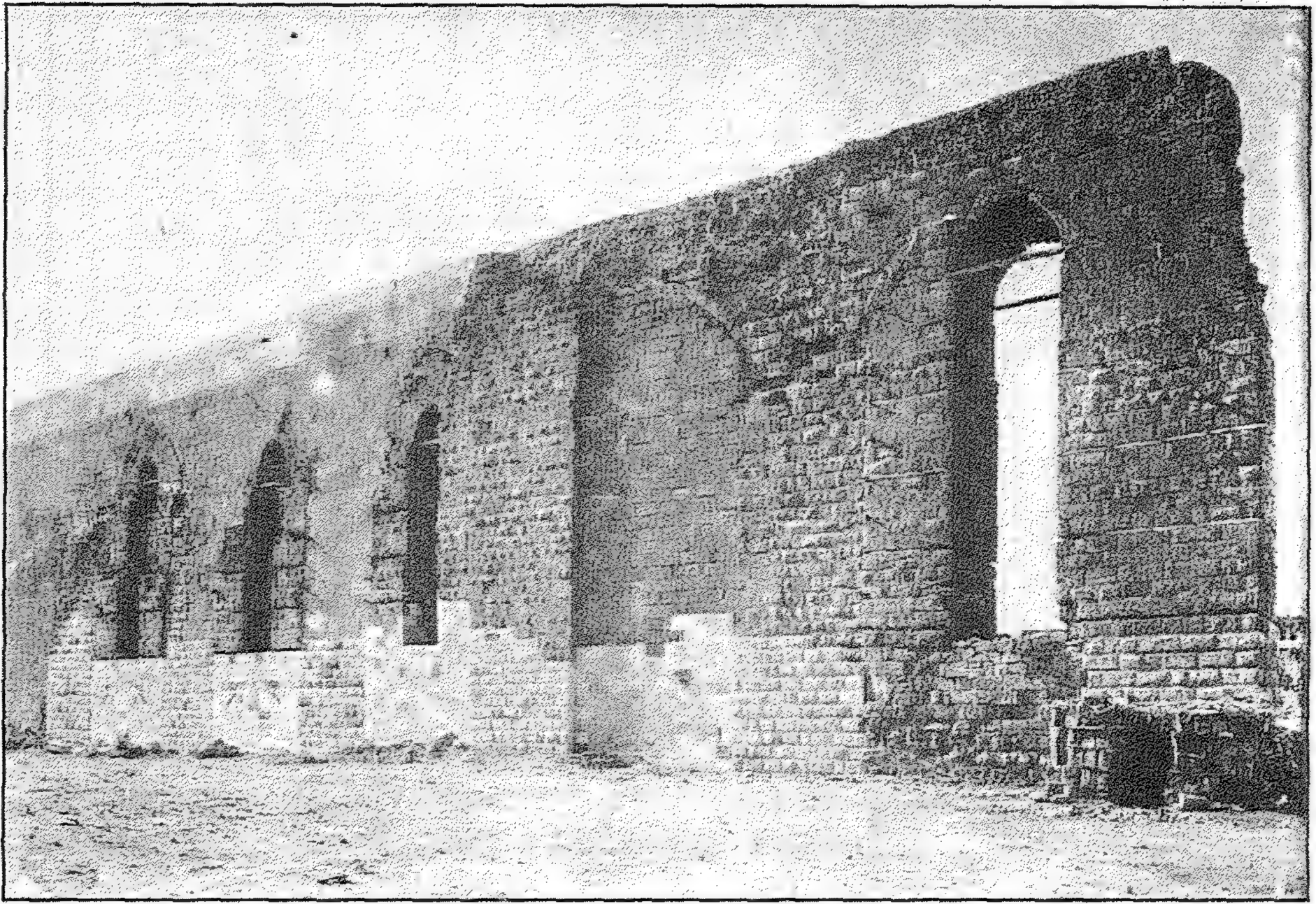


مسقط أفقي للبئر السفلية 4

38 - بئر صلاح الدين (بئر يوسف - الحلزون) بالقلعة - مسقط أفقي للبئر السفلية (4)



39 - قناطر المياه (سور مجرى العيون) - خريطة موقع



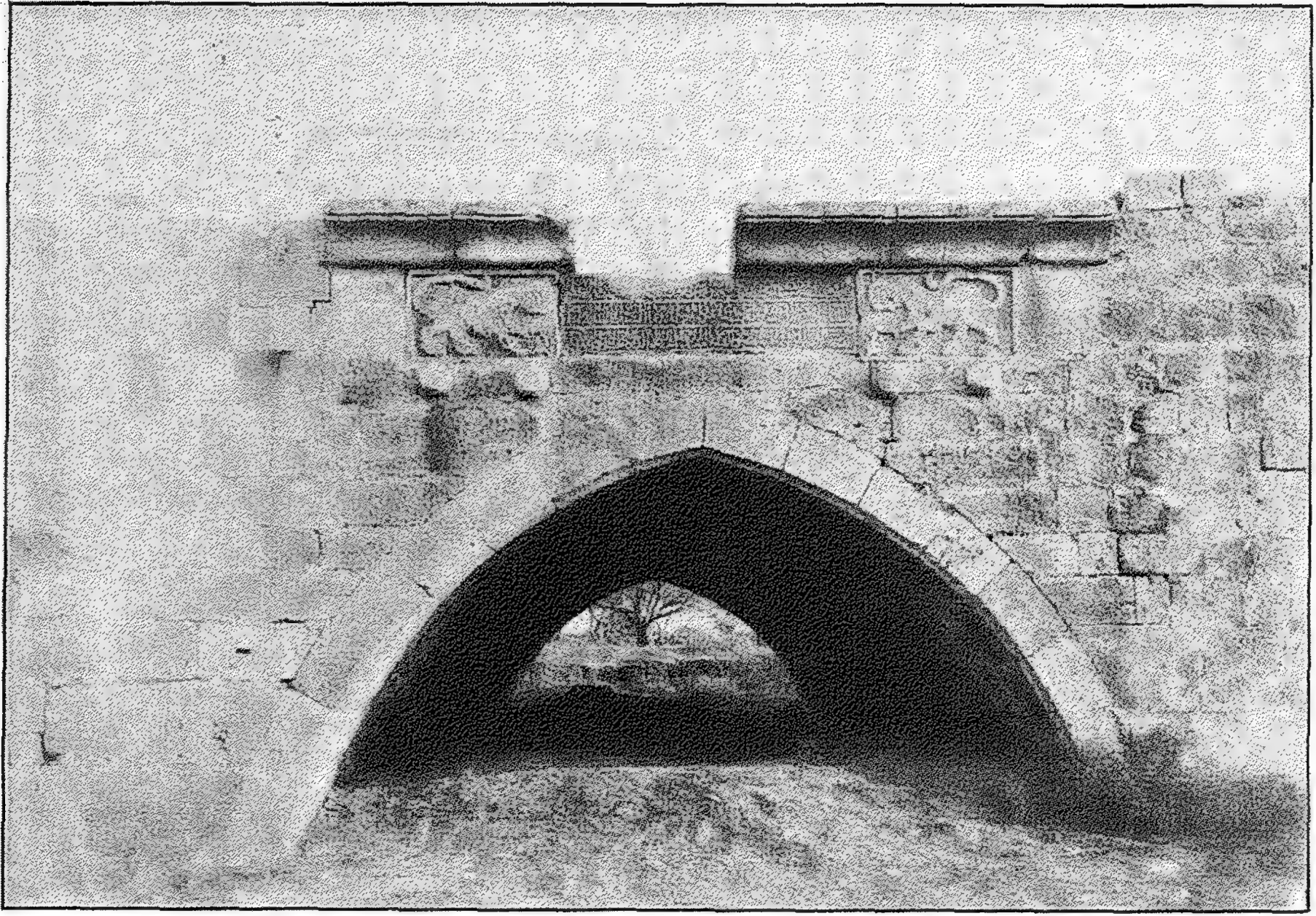
41 - قناطر المياه (سور مجرى العيون) - جزء من القناطر بعد ترميمه



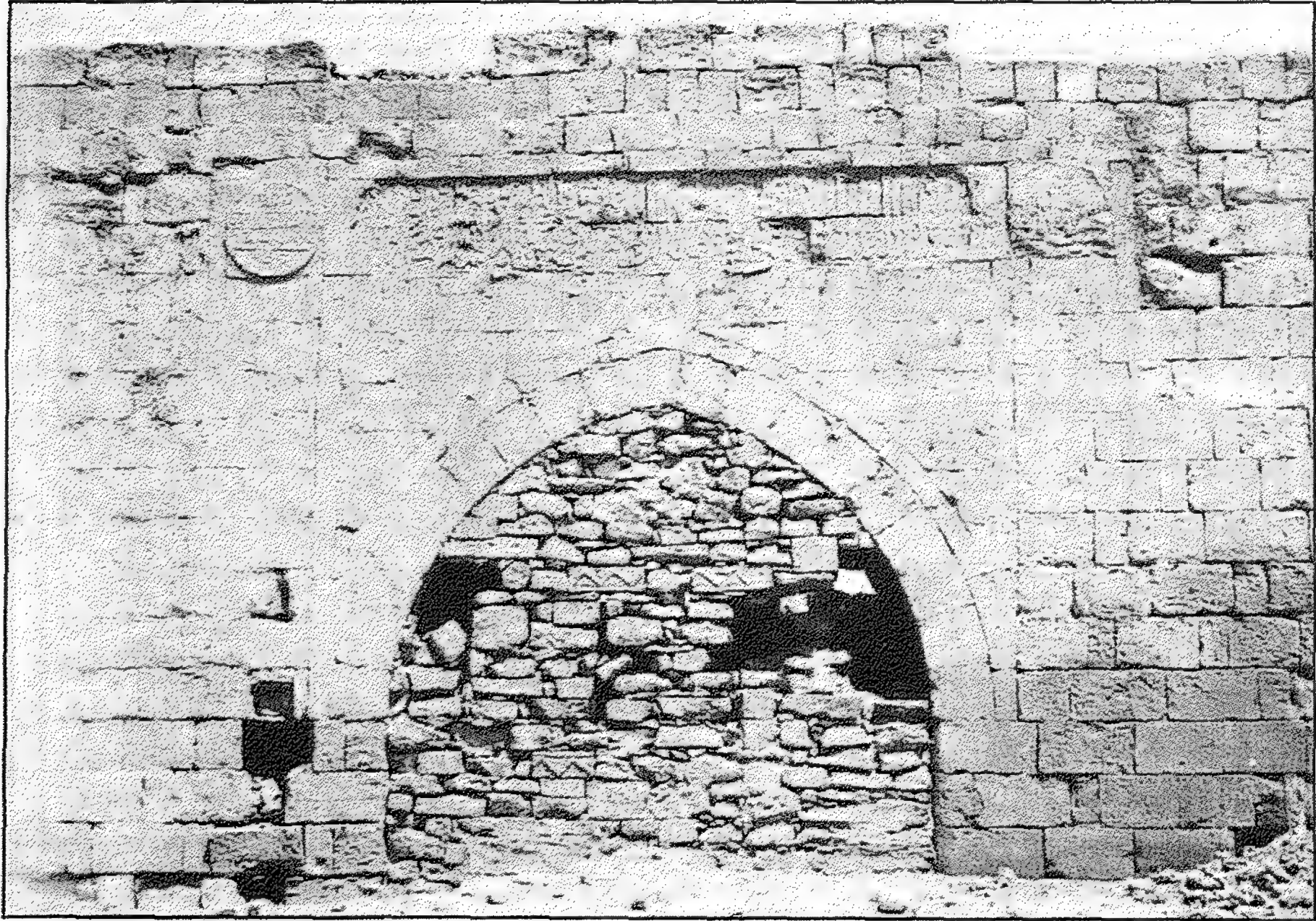
42 - قناطر المياه (سور مجرى العيون) - جزء من القناطر بعد ترميمه



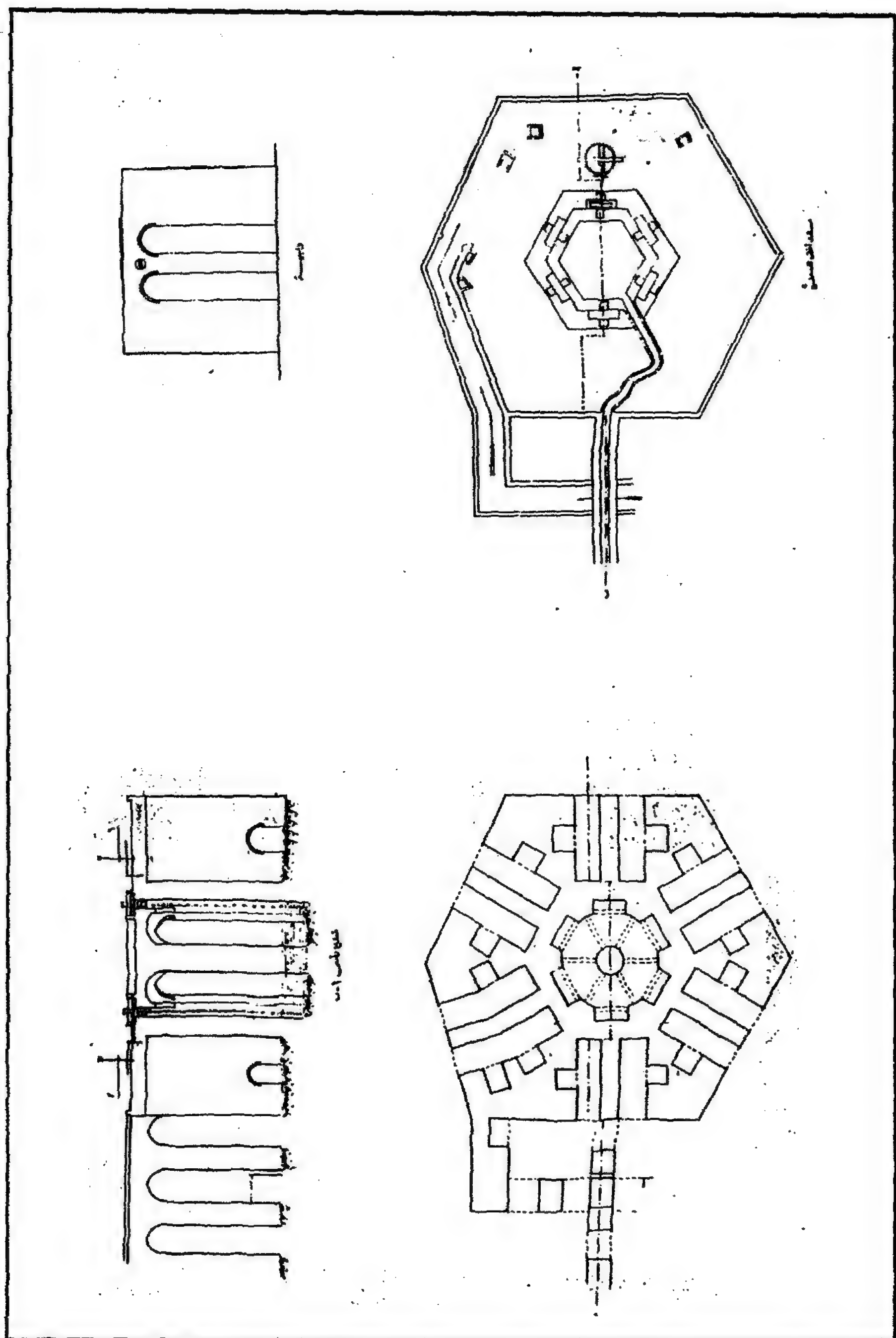
43 – قناطر المياه (سور مجرى العيون) – احدى الدعامات القديمة الساندة للسور



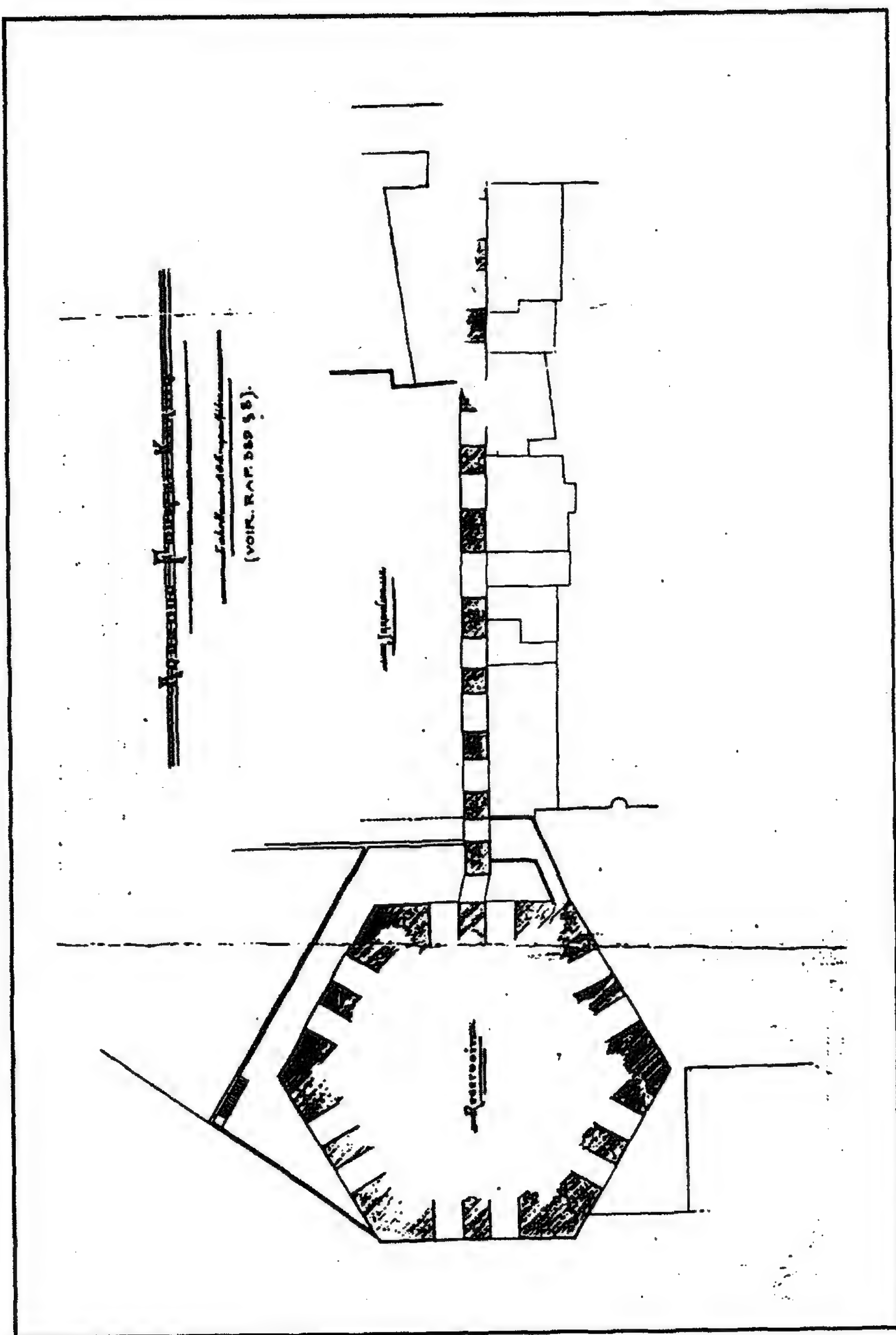
44 - قناطر مياه القلعة (سور مجرى العيون) - إحدى قناطر الظاهر بيبرس



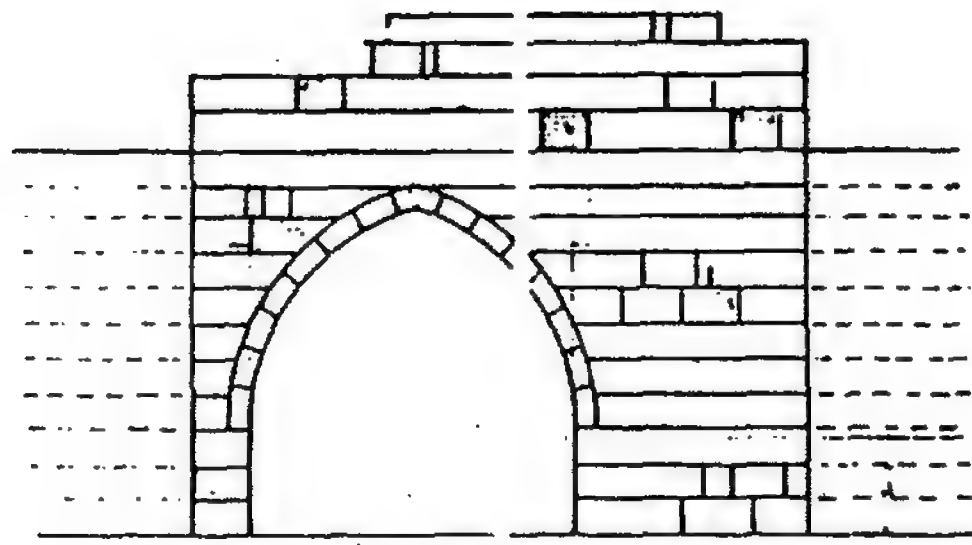
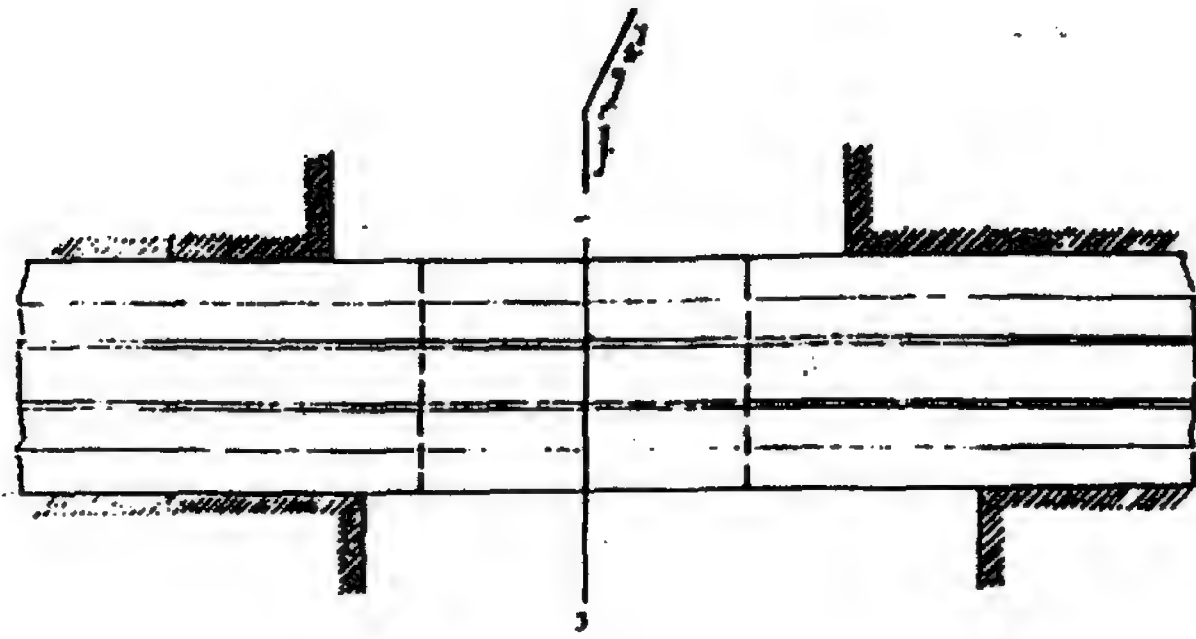
45 - قناطر مياه القلعة (سور مجرى العيون) - إحدى قناطر الغوري



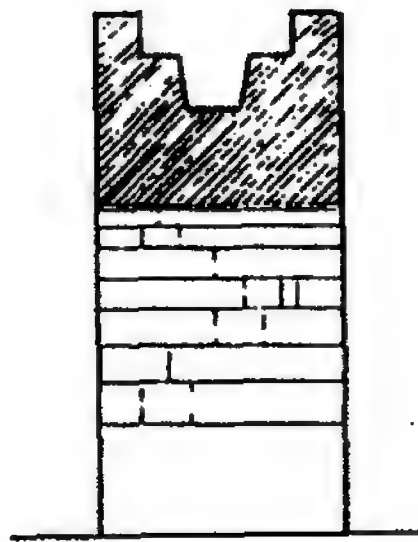
46 - قناطر المياه (سور مجرى العين) واجهة ومسقط أفقي وقطاع رأسي للسواقي



47 - قناطر المياه (سور مجرى الميون) - مسقط أفقي للساقية



باب القرب



قطاع رأس حبل القوار

48 - قناطر المياه (سور معجرى العيون) - واجهة ومسقط وقطاع رأسي عند شارع السيدة نفيسة

ملاحظات حول تاريخ المنشآت المائية بأفريقية في العهد الاسلامي المبكر

د. مراد الرماح(*)

يجمع أهل الاختصاص على أن أغلب الحضارات القديمة التي عرفتھا الانسانية قد ارتبطت فترات ازدهارها بمدى قدرة أهلها على حل معضلة الماء وتوفيره وحسن استغلاله وترويضه.

وتتناسب التقنيات المائية المتخذة عادة مع العوامل المناخية والتضاريس الطبيعية ونوعية الطبقات المائية وتوزيع مياه الأمطار حسب الفصول والأعوام. وهي تعكس في تطورها مدى تبحر هذه الحضارة أو تلك في العمران ومدى قدرتها على حل المشاكل المعبرة عن معركتها ضد العطش وانعدام الماء.

وتستوقف مختلف هذه الظواهر الدراسة للمنشآت المائية بأفريقية في العهد الاسلامي المبكر حيث أن المتفحص لكتب التاريخ والجغرافيا والطبقات يمكنه انتقاء مجموعة من الاشارات المبعثرة التي تسمح ببسط بعض الفرضيات والنظريات حول مرحلة اعتماد افريقية التقنيات والحلول الفنية التي اتخذت خلال العهد الاسلامي المبكر أي قبل الزحفة الهلالية لحل معضلة الماء. فهل أن مختلف التقنيات المائية التي تشير إليها المصادر من حفر للآبار وبناء للصهاريج والبرك واحداث لقنوات جلب المياه قد تزامن اعتمادها بأفريقية أم أنها تعود لمراحل وحقب زمنية مختلفة يمكننا ضبط كل تاريخ منها؟

ثم هل أن مختلف هذه التقنيات هي استمرار لتقاليد هندسية ومعمارية سابقة أو أنها ابتكارات افريقية تستجيب للمقتضيات المناخية ولتطلبات التطور العمراني الذي عرفته البلاد في تلك الفترة؟

(*) مكلف بصيانة مدينة القيروان بالمعهد الوطني للتراث بتونس.

فالبرك والفسقيات الممتدة الأبعاد التي تميّزت بها الهندسة المائية الإفريقية من بين الأقاليم الإسلامية في ذلك العهد، هل يمكن ضبط تاريخ نشأتها وخريطة امتدادها والتأثيرات المعمارية التي شهدتها؟

وان الإجابة عن مختلف هذه التساؤلات والفصل فيها تمكنا من بلورة مسألة نسبة بعض المنشآت المائية للقائمين بها من الدول التي تعاقبت على الحكم بإفريقية.

(1) مرحلة احتفار الآبار :

لما استقر المسلمون بإفريقية كان قد تراجع عمرانها ولم تعد تزخر بكامل المنشآت المائية التي عرفت بها في العهد الروماني وان تواصل اعتماد بعضها في العهد البيزنطي.

وان مختلف المواضيع ذات المنشآت المائية التي أشارت إليها المصادر خلال الفتح وبعده على امتداد ما يربو عن القرن لم تعمّر بوصول المسلمين إليها بل أنها كانت تزخر بمعالها المائية منذ العهد الروماني. وقد تواصل الانتفاع بها إلى مجيء الفاتحين. من ذلك فان أول المواقع التي تذكرها المصادر وهي ساقية ممّس التي كانت مسرحا للمواجهة بين كسيلة وزهير بن قيس البلوي سنة تسع وستين للهجرة، يستشف من سرد الأحداث المتعلقة بها أنها لم تكن انجازا إسلاميا وكانت تعرف بغزارة مياهها منذ ذلك التاريخ أي قبل توطد قدم المسلمين بإفريقية، وهو ما يفسّر اختيار كسيلة النزول بها للتربص بجيش المسلمين. اذ يذكر المالكي في رياض النفوس أنه لما بلغ كسيلة دنو جيش زهير بن قيس البلوي من القيروان شاور أصحابه وقال لهم : " أرى أن نزل بممّس لئلا يركبنا من بالقيروان اذا التحم القتال فنهلك فيكون عسكرنا بممّس لأن ماءها كثير فان هزمناهم دخلنا معهم طرابلس وقطعنا آثارهم وان هزمونا كان الجبل منا قريبا فتحصنا به " (1).

(1) " كتاب رياض النفوس " تأليف أبي بكر المالكي، تحقيق بشير البكوش، 3ج، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان 1983، 45/1، انظر كذلك " ابن عذاري "، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان واليقي بروفنسال، 4ج، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، بيروت 1983. 32/1.

وساقية تمس هي في الأصل من المدن الرومانية وتعرف في العهد البيزنطي بـ: Mammes أو Mamma⁽²⁾ وأصبحت في العهد الاسلامي مكن القرى العامرة التي توجد في الطريق بين القيروان وسبيبة⁽³⁾.

وكذلك كان الأمر بالنسبة لقصر الماء الذي كان يوجد على بعد ميلين قبلي القيروان⁽⁴⁾ ويستشف من تسميته أنه كان يحتوي على منشآت مائية هامة، ويذكر ابن عبد الحكم أن أبا المهاجر دينار قد أساء عزل عقبة وحبسه ثم افلت من قيده وأقام بقصر الماء منقطعا للعبادة قبل تحوله الى المشرق⁽⁵⁾.

كما تذكر المصادر أن موسى بن نصير قد عسكر بالموقع ثلاثة أيام عند شخوصه من الأندلس إلى القيروان سنة خمس وتسعين⁽⁶⁾.

والنصان واضحان في التدليل على أن قصر الماء كان يعرف بذلك من قبل استتباب الأمر للمسلمين بافريقية، وقد أصبح فيما بعد محط رحال القوافل السالكة عبر الجادة العظمى نحو طرابلس والمشرق.

وقد أمكنني من خلال وثائق الملكية والخارطة العسكرية⁽⁷⁾ التعرف على الموقع وأثبتت الحفريات الأولية أن الأمر يتعلق بوجود عيون تنبع من الطبقة الجوفية المحيطة بالقيروان عند مستوى وادي مرق الليل، وكان صبيها إلى عهد قريب يتزاد وينقص بقدر تكاثر الأمطار وسيلان الأودية. وقد أمكن التعرف هنالك على بقايا صهاريج يبدو أنها كانت تتجمع فيها المياه المناسبة من العيون.

وتتسم المصادر التي بين أيدينا بالصمت الكامل حول وجود منشآت مائية اسلامية متطورة أقيمت في الفترة الممتدة من أواسط القرن الأول إلى أواخر القرن الثاني

M. Solignac: "Recherches sur les installations hydrauliques de Kairouan et des steppes Tunisiennes (2) du VII au XI^{eme} siècle (J.C.). "A.I.E.O. (Faculté des Lettres de l'Université d'Alger) Tomes X-XI. Années 1952-1953, I/155.

(3) البكري: "المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" من كتاب "المسالك والممالك" تحقيق دي سلان - مكتبة المثنى - بغداد، ب. ت. ص 146.

(4) الرقيق القيرواني: قطعة من "تاريخ افريقية والمغرب"، تحقيق د. عبد الله العلي الزيدان ود. عز الدين عمر موسى، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان 1990، ص 54.

(5) ابن عبد الحكم: "فتوح افريقية والأندلس"، تحقيق أ. قاطو، الجزائر 1942، ص 65.

(6) الرقيق: "تاريخ افريقية والمغرب..." ص 55.

(7) انظر: سولونياك: "المنشآت المائية" ص 19 وما يليها، وأقوم حاليا ببحث مدعم بالخرائط والصور حول الموقع لابرار المنشآت المائية التي كان يزخر بها.

هجري . وقد اكتفى المسلمون بمواصلة استعمال ما توفر منها منذ العهدين الروماني والبيزنطي⁽⁸⁾ وربما تعطل استعمال بعضها مثل الحنايا الموصلة للماء من زغوان إلى قرطاج كما يؤكد ذلك نصّ للقاضي النعمان⁽⁹⁾ .

إلا أن الحاجة للماء لا بد مبسّطة بالنسبة للجيش الاسلامي عند تقدمه في فتح افريقية وعند اختيار قواده اقامة معسكر لم يكن محلّ تعمير من طرف الحضارات السابقة وهو موقع القيروان . وقد وردت في المصادر اشارات تؤكد أن الحل الذي اتخذ لتجاوز ذلك تمثّل في احتفار الآبار والأحاسي وفي اقامة الصهاريج المجمّعة لمياه الأمطار المناسبة على السطوح وفي الصحون بالنسبة للدور والمؤسسات العموميّة . وتأكد هذا التوجّه منذ أن عسكر المسلمون عند مشارف افريقية فقد احتفر عقبة بن نافع عند وجوده بفزان سبعين حسيّا لما أصاب جيشه العطش وسمّي الموقع بماء الفرس⁽¹⁰⁾ .

كما تفيدنا المصادر أن معاوية بن حديج " دخل افريقية غازيا ثلاث مرّات وكانت له بها مقامات جليلة ومشاهد مشهودة شريفة ، وكان قد اختط مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة " للقيروان " ، وأقام بها مدة اقامته بافريقية وحفر آبارا عند باب تونس

(8) من ذلك فان العيون التي تنسب في المصادر لأبي المهاجر وهي توجد على مقربة من تلمسان لم يتم حفرها أو استغلالها من طرف المسلمين بل أنه أطلقت عليها هذه التسمية بمجرد وصول أبي المهاجر اليها . انظر : المالكي : " رياض النفوس " 33/1 . كما أن العيون التي كانت توجد بباجة التي أصبحت خلال العهد الاسلامي احدى أهم المدن الافريقية هي عيون أزلية استعملت من طرف جميع الحضارات التي تعاقبت على افريقية منذ القدم . انظر : البكري : " المسالك والممالك " ص 56 .

(9) انظر ما سيأتي ذكره .

(10) المالكي : " رياض النفوس " . . . 98/1 ، وهو يذكر عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال : لما فتح عقبة بن نافع " ودان " و " فزان " وأسلموا على يديه ، سألهم : " هل من ورائكم أحد ؟ " قالوا : " نعم ، أهل جاوران " وهو قصر عظيم على رأس المفازة في وعورة على ظهر الجبل ، وهو قصبة " كوار " فسار اليهم خمس عشرة ليلة ، فحاصروهم فلم يستطع فتح الحصن ، فصالحهم ثم انصرف راجعا . فأقام بموضع اسمه اليوم " ماء فرس " ، ولم يكن به ماء فأصابهم عطش شديد أشرف منه عقبة وأصحابه على الموت ، فصلى عقبة ركعتين ، ودعا الله تبارك وتعالى ، فجعل فرسه يبحث بيديه في الأرض (حتى) كشف عن صفاة ، فانفجر منها الماء ، وجعل الفرس يمحس من ذلك الماء ، فانصرف عقبة فنادى في الناس أن احتفروا ، فاحتفروا سبعين حسيّا ، فشربوا وسقوا وصار ذلك ماء معينا ، فسمى لذلك " ماء فرس " إلى اليوم .

في ناحية الجبل منه منحرفة للشرق بالقرب من " مصلى الجنائز " تسمى للآن "آبار حديج" غلب عليها اسم أبيه حديج، وذلك قبل تأسيس القيروان⁽¹¹⁾.

ولعلّ من أبرز الأسباب التي جعلت عقبة بن نافع يحولّ موضع القيروان الذي اختاره معاوية بن حديج إلى الموضع الحالي عدم توفّر طبقة مائيّة عند موقع القرن وهو ما أكّده الاكتشافات العلميّة في مجال الهندسة المائيّة في العصر الحديث. في حين يميّز موقع قيروان عقبة بتواجد طبقة مائيّة جوفيّة ثريّة قريبة من وجه الأرض وهي ان كانت على درجة من الملوحة فانها ليست أجاجا ويمكن أن تتخذ للشرب أو أن تستعمل للحاجات اليوميّة والسقي. وخلافا لأمّهات المدن الاسلاميّة التي كانت تتمتع بأنهار أو بعيون تزودها بالماء الصالح للشراب فان القيروان تفتقد لجميع ذلك. في حين بدأ المعسكر يعمر باتّخاذه قاعدة أساسيّة لاتمام فتح افريقيّة والمغرب وبتأكّد نية استقرار المسلمين الدائم بالمنطقة. وتؤكد المصادر على أن الاستراتيجية التي اتبعتها المسلمون في حل مشكل تزويد العاصمة الجديدة بالماء خلال هذه المرحلة اقتصر كذلك على حفر الآبار وبناء الصهاريج أو المواجل المغطاة. وكان من أول الآبار التي احتفرت بالقيروان.

وعرّجت عليها المصادر بئر أم عياض⁽¹²⁾. وهي توجد غربي الجامع، كما يوجد بجنان لبني فهو بئر كان بجوفي الجامع⁽¹³⁾. وتبدو النية واضحة في تجميع المنشآت المائيّة العموميّة في أول الأمر قرب الجامع لوجوده في صرة البلد.

ويذكر البكري أنه لما كانت خلافة هشام بن عبد الملك " كتب اليه عامله على القيروان يعلمه أن الجامع يضيق بأهله وأن بجوفه جنة كبيرة لقوم من فھر فكتب اليه هشام يأمر بشريها وأن يدخلها المسجد الجامع ففعل وبني في صحنه ماجلا وهو معروف بالمجل القديم بالغرب من البلاطات وبني الصومعة في بئر الجنان ونصب

(11) المالكي: " رياض النفوس " 93 / 1. وهو يذكر في موضع آخر (30 / 1) أنه لما وصلت الغنائم إلى معاوية بن أبي سفيان أعان معاوية بن حديج بجيوش الشام ومصر إلى افريقيّة، وذلك في سنة 50 وكان عبد الملك ابن مروان معه فوصلوا إلى افريقية، واحتفروا الآبار التي تسمى اليوم "آبار حديج، بباب تونس، وانما احتفرها اذ كان عسكره هناك".

(12) المصدر نفسه 170 / 1.

(13) البكري: " المسالك والممالك " ص 23.

أساسها على الماء" (14). وتواصل هذا المجهود مطردا بقدر تعمير المدينة وتزايد عدد سكانها ويفيدنا الشاطبي نقلا عن الرقيق أنه " في مدة اقامة هرثمة (بن أعين) بالقيروان حفر بها بئرا واسعة الفم لها سفرة رخام غزيرة الماء بالقرب من سوق الأحد" (15) ولا يستبعد أن تكون هذه البئر هي بئر روضة التي اشتهرت بها القيروان وورد ذكرها في قصائد شعرائها كابن شرف وأترابه (16). وقد شملت هذه العناية ضواحي القيروان وأجنتها ومنتزهاتها حيث يفيدنا الرقيق القيرواني أن يزيد بن حاتم والي افريقية من قبل العباسيين (155-170هـ) هو الذي حفر البئر العذبة التي تعرف بمنية الخيل (17) وبنائها وجعل خيله هنالك في اصطبلات أمر ببنائها (18).

وتثبت مختلف هذه الأمثلة أن حفر الآبار كان يعدّ من الأعمال الجلييلة التي تسجل للقائمين بها وكانت من مآثر الولاة والأمراء خلال تلك الحقبة الزمنية. ويستشف من خلال تصفح واستقراء المصادر التي بين أيدينا أن عملية حفر الآبار تمثل التقنية المائية الهامة الوحيدة التي كانت سائدة بافريقية إلى أواخر القرن الثاني على الأقل (19) وان صمت المصادر ثم افصاحها عما سوى ذلك خلال الفترات الموالية تجعلنا نكاد نجزم بهذا الأمر. ولا ينفي ذلك امكانية القيام باصلاح بعض المنشآت المائية الرومانية أو البيزنطية البسيطة واعادة استعمالها وهو ما لم تسجل ذكره المصادر لقلة أهميته ولا يمكن اعتباره من الاضافات الاسلامية.

(2) مرحلة بناء المواجهل خارج الأسوار والمناطق العمرانية :

الا أن فترة الازدهار التي ستعرفها افريقية خلال العهد الأغلبي والتطور العمراني التي شهدت أهم التجمعات السكنية بها وخاصة منها عاصمتها القيروان كانت تقتضي البحث عن حلول أيسر تستجيب للحاجة.

(14) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(15) حسن حسني عبد الوهاب : " ورقات " 49 / 1.

(16) المصدر نفسه والصفحة نفسها، ومن قصيد لابن شرف بعد خراب القيروان :

يا بئر روضة وشوارع حولها معمورة أبدا تغص وتمتلي

(17) وهي من المنتزهات والأجنّة المحيطة بالقيروان، انظر: المالكي : " رياض النفوس " 190 / 1.

(18) الرقيق : " تاريخ افريقية والمغرب " ، ص 121.

(19) ولم يشذ عنها الا البكري : " المسالك والممالك " ، ص 26، حين ذكر أن بعض المواجهل من بين

الخمس عشرة التي كانت خارج أسوار القيروان سقايا لأهلها هي من بناء هشام بن عبد الملك.

وهو ما سنفنده في مقامه . انظر ما سيأتي ذكره

أ- نشأة المواجهل الكبيرة

يبدو أن إقامة المواجهل الضخمة المتخذة لتجميع مياه الأمطار يعود إلى تلك الفترة، إلا أنه يعسر ضبط ذلك بصفة مدققة، فالمصادر تتميز بالغموض في الإفصاح عن نشأتها. وإن أوضح النصوص المتعلقة بذلك تشير إلى أن في سنة 245هـ . أخرج أبو ابراهيم أحمد " مالا كثيرا لحفر المواجهل وبنیان المساجد والقناطر لكلمة كانت منه على سكر " (20) وقد أمر سنة بعد ذلك خادمه خلف " بحفر المواجهل الكبير الذي بباب تونس " (21).

وقد سلم هذا المعلم من غوائل الزمن وهو يدلّ بأبعاده الشاسعة وتناسق هندسته وأحجامه واستيفائه لجميع العناصر المتممة لحسن قيام المواجهل بمهمتها في خزن المياه واستغلاله من حيث تواجد ثلاثة عناصر أساسية به (22)؛ ويثبت كل ذلك أن المهندسين الأفارقة قد تجاوزوا مرحلة الدّرية في إقامة المواجهل ووصلوا إلى مرحلة النضج. ولا شك أن آية هندسة جديدة ومبتكرة تحتاج إلى بعض العقود الزمنية لتأخذ شكلها المتناسق والمتكامل. والثابت أن المصادر لم تدوّن من بين مآثر الأمراء الأغالبة الذين سبقوا أبا ابراهيم أحمد مواجهل. ثم إن ابراهيم الأول الذي أنشأ العباسية سنة 186هـ لم يقم بها ماجلا وتولى ذلك كما يذكر ابن الخطيب أبو ابراهيم أحمد الذي لم يهنا له بال إلا لما أتاه خبر سيلان الماء بداخله (23). ولعل في ذلك دليلا على أن المواجهل لم يكن قد تواتر استعمالها بعد في عهد مؤسس الدولة الأغلبية الذي ما كان ليتوانى عن محاربة عاصمته بذلك. كما أن زيادة الله الأول (201-226هـ) الذي كان من أكبر الأمراء الأغالبة عناية بالبنیان والذي عدّدت كتب التاريخ مناقبه في بناء الرباطات والقناطر وتوسيع الجوامع وتشبيدها، لم تذكر من بينها بناء المواجهل في حين أن ذلك يعد من أهم الأعمال الخيرية في الاسلام (24). ولا يعني صمت المصادر انتفاء امكانية حدوث ذلك إلا أنه يمثل حجة اضافية على ما ذكرنا. وقد أورد المالكي في كتابه " رياض النفوس " نصا هاما قد يؤكد ما ذهبنا اليه، فقد ذكر في ترجمة سحنون أن

(20) ابن عذاري : " البيان المغرب... " / 113، يراجع في ذلك كذلك: ابن ناجي: " معالم الايمان... " / 147-148.

(21) ابن عذاري : " البيان المغرب... " / 113.

(22) انظر وصفنا لهذا المعلم فيما سيأتي ذكره.

(23) ابن الخطيب (لسان الدين) : " كتاب أعمال الأعلام " القسم الثالث، تحقيق ابراهيم الكتاني وأحمد مختار العبادي، دار الكتاب، الدار البيضاء 1964، ص 23.

(24) ابن عذاري : " البيان المغرب " / 106.

زيدان ابن اسماعيل قال: "سمعت سحنونا يقول - وقد ذكر بعض هذه المواجل التي بناها هؤلاء الولاة فقال: "انما هي حجارة، جمعوا ذلك فبنوا به ماجلا، فدخل فيه ماء ساقه الله اليه، فما أرى بشرب ذلك الماء بأسا" قال: فحدثت بذلك سعيد بن اسحاق فقال لي: ما شرب سحنون من ماجل بناه لأمرأى حتى لقي الله عز وجل، تورعا ونزاهة" (25).

والنص هام في التدليل على أن الفترة التي انتصب فيها سحنون للقضاء كأحد كبار فقهاء افريقية أي فيما بين أوائل القرن الثالث وقبل وفاته سنة 240هـ لمدة زمنية لا يستهان بها كما نستشف ذلك من آخر الخبر كانت ساعة افتاء في مدى شرعية استعمال ماء المواجل أي أن الظاهرة حديثة وقد أصبح هذا الابتكار الجديد في مجال الهندسة المائية محل اهتمام الفقهاء ودعت الحاجة لانارة السبل لجمهور المسلمين حول الاستفادة به ولو كان الأمر عكس ذلك لثم الفصل في شأنه منذ مدة ولم يعد محل اجتهاد ومراجعة. من ذلك فان المشكل لم يطرح من بعد للفقهاء الذين تلوا سحنون وفترة نشأة المواجل ولم يعد له أي ذكر في كتب الطبقات والفتاوي (26).

ويدعم هذا العنصر تخميننا بأن نشأة المواجل الكبيرة بافريقية تعود الى العقدين الثاني والثالث من القرن الثالث هجري وهو ما لا تنفيه المصادر الا ما ذكره البكري أنه كان بخارج مدينة القيروان خمسة عشر ماجلا للماء سقايات لأهلها منها من بنيان هشام بن عبد الملك وغيره (27) وهو ادعاء خاطيء لأسباب عدة أهمها:

1- أنه يستبعد أن تكون نشأة المواجل الكبيرة تعود إلى بداية القرن الثاني بدون أن يرد أي ذكر لها في المصادر الافريقية.

2- ان البكري معروف بميوله الأموية وقد دأب في كامل مؤلفه على نسبة العديد من الأعمال افتراء الى هشام بن عبد الملك وغيره من الخلفاء الأمويين من ذلك فانه ينسب إلى هشام بن عبد الملك بناء مأذنة جامع القيروان وهو ما يتعارض مع المعطيات التاريخية والمعمارية المتعارفة لدينا حولها (28).

(25) المالكي: "رياض النفوس" 1/ 357.

(26) بل أننا نجد في "المعيار" إشارة إلى فتوى أخرى تتعلق ببيع موضع أحد المواجل بالقيروان وهي منسوبة كذلك لسحنون. انظر: الونشريسي: "المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والمغرب" دار الغرب الاسلامي - بيروت 1981، 571/XI.

(27) البكري: "المسالك والممالك" ص 26.

(28) البكري: "المسالك والممالك" ص 23.

3- أن البكري ربما يخلط بين المواجه التي كانت توجد خارج الأسوار ومواجه الجامع الأعظم بالقيروان وهو الصهريج الذي سبق أن نسب بناءه هو بنفسه لهشام بن عبد الملك. ولم تكن ثقافته الأندلسية تسمح له بالفصل بين نمطي الماجلين لاعتماد نفس التسمية لشكلين متباينين من الهندسة المائية.

ب - تموين المواجه بالماء

تتفق المصادر على أن تموين المواجه الكبيرة كان يتم عن طريق سيلان مياه الأودية فكانت تحفر على مقربة من مجاريها بحيث تنساب إليها المياه عند فيضان الأودية عبر مجرى يربطها بحوض لطيف يتخذ للتصفية وهو متصل بماجل كبير تجمع فيه المياه المصفاة. وقد تستكمل هذه العناصر بصهريج يحفظ فيه قسم من الماء يتخذ للشرب. وهذه الطريقة التي تبدو واضحة من خلال هندسة المواجه تتدعم بما ورد في النصوص التاريخية حيث يذكر اليعقوبي الذي زار المغرب في أواسط القرن الثالث هجري عند حديثه عن القيروان " إذا كان الشتاء وقعت الأمطار والسيول دخل ماء المطر من الأودية إلى برك عظام يقال لها المواجهن " (29).

وهو ما يؤكده وصف البكري لعملية تموين بركة ابن ابراهيم أحمد بالماء (30). ويذهب مارساي إلى أنها كانت الى جانب مواجل رقادة تمون بفضل القناة التي تجلب المياه من الشريشيرة إلى القيروان (31).

وسنبيّن في مقامه أن هذه القناة قد أقيمت في عهد المعز لدين الله الفاطمي وكانت تجلب المياه من عين زيوب إلى قصره بصبرة المنصورية ثم منها إلى مواجل القيروان (31).

ج- ماجل أبي ابراهيم أحمد ومؤثراته المعمارية :

يشير البكري في كتابه " المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب " متحدثا عن مصادر مياه القيروان بقوله " وأعظمها شأنا وأفخمها منصبا ماجل أبي ابراهيم أحمد بباب تونس " وكانت هذه المواجه بأبعدها الشاسعة وتناسق كتلها ودقة تنفيذها تشير الاعجاب واعتبرت من عجيب البناء.

(29) اليعقوبي: البلدان، ترجمة Gaston Wiet، طبع المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة 1973، 1/ 269.

(30) البكري: " المسالك والممالك " ص 26، انظر كذلك، المالكي: " رياض النفوس " 49/ II.

(31) G. Marçais: "l'art musulman: l'Architecture" Paris 1926, I/ 53.

ويتكون هذا الماغل من ثلاثة عناصر أساسية:

* بركة كبيرة مستديرة الشكل يبلغ قطرها 127,7 مترا، عمقها 1,8 متر تتوسطها صومعة مئنة الأضلع كنت تعلوها قبة. ويسند جسم الفسقية 6+ كتلة من الدعائم الداخلية و118 من الدعائم الخارجية، وتبلغ حمولتها 57,500 م³.

* بركة صغيرة وهي ماغل صغير، قطرها 3+ مترا، تسندها 17 دعامة داخلية و 26 خارجية وتتصل البركة الصغيرة بالماغل عن طريق فتحة تسمى "الشرح" وتبلغ سعتها 100+ م³.

* صهريجين متصلين بالماغل الكبير وقد بنا على طريقة الأقبية المحمولة على العقود وقد وصفهما البكري بقوله: " تقع في قبلي الماغل، وهي أقباء طويلة معقودة أزاجا على أزاج ". ويفوق حملها 900 م³.

وتتميز هندسة هذه المنشآت المائية بصلابتها وتناسق أحجامها رغم اتساع رقعتها، وتعتبر عمارة الماغل التي كانت وليدة الحاجة نموذجا فريدا من بين المنشآت المائية في العصر الاسلامي المبكر.

ولا ريب أن مبدأ تجميع مياه الأمطار في برك قد اعتمد في مختلف البلاد الإسلامية كما يدل على ذلك الماغل الموزعة على طول طريق درب زبيدة. كما أن مصر كانت تزخر بالبرك الممونة بمياه النيل وكان من أهمها بركة الفيل⁽³²⁾ إلا أنها متواضعة في حجمها، كما أن المصادر تشير إلى أن العباسيين قد أقاموا في نفس الفترة بركا عظاما بقصورهم من ذلك بركة القادسية التي يبلغ طولها 220م وعرضها 90م وعمقها ثلاثة أمتار⁽³³⁾ إلا أنها كانت تختلف من حيث الحاجة والهندسة عن الماغل الإفريقية خاصة بافتقارها لعضائد وأكتاف تكتفها. ويبدو جليا أن إفريقية قد استطاعت من خلال تأثيرات مختلفة صياغة نمط من الماغل يكتسي شخصية متميزة ويستجيب لمقتضيات المناخ والتطور السكاني، ويبدو ذلك جليا من خلال توزيع الماغل بإفريقية نفسها، فقد أمكن لسولينياك دراسة ما يزيد عن المائة وسبعة وثمانين ماغلا⁽³⁴⁾.

(32) سولينياك: " المنشآت المائية... " 28/X وما يليها.

(33) المصدر نفسه، ص 254 وما يليها.

(34) المصدر نفسه، وفي الحقيقة فإن عددها يفوق ذلك بكثير كما تؤكد الاستكشافات الأثرية.

فقد ثبت أن جلّها موزّع بمنطقة السباسب جنوب الوطن القبلي وعند مستوى قفصة فيما عدا السواحل ، وتتميّز هذه المنطقة بتقبّلها كمية من الأمطار غير منتظمة تتراوح بين 400مم و180مم سنوياً.

وان الناحية التي توجد شمالها وهي تشمل باجة وتونس وبنزرت وغيرها تتمتع بنصيب سنوي منتظم من الأمطار يقيها الحاجة لتخزين كميات وافرة من المياه في حين أن المنطقة التي توجد أسفل السباسب هي منطقة صحراوية لا يرجى من تجميع مياهها في برك عظام فائدة نظرا لقلّة الأمطار بها وسرعة التبخر فيها.

وقد انتشر مثال هندسة المواجهل الافريقية فيما بعد في المغربين الأوسط والأقصى ووصل قلعة بني حماد ومراكش.

3- مرحلة بناء المواجهل وسط النسيج العمراني :

ان بنيان المواجهل الافريقية كان خلال هذه المرحلة يأخذ بعين الاعتبار طوبوغرافية الموقع والحاجة إلى مكان منخفض يسهل جريان السيول نحو المواجهل ، ويكون في منطقة انتشار الأودية التي قد تكتسحه مياهها اذا فاضت جوانبها. لذا فقد دأب المهندسون الأفارقة على اقامة المواجهل خارج مناطق العمران وعلى مقربة من الأسوار حتى لا تغمر الفيضانات الدور والمساكن.

وان تجاوز هذه المرحلة واقامة المواجهل الكبيرة لتجميع مياه الأمطار داخل النسيج العمراني يقتضي اقامة سدود عند مجاري الأودية وتصفية مياهها من الرواسب واستدراجها عبر قناة تتدارك الاختلافات الطوبوغرافية وتستطيع النفاذ حسب صبيب معقول وغير جارف إلى وسط العمران. ويقتضي ذلك تقنيات أكثر تقدماً لحسن ترويض المياه واستغلالها.

ويبدو حسب المصادر أن المهندسين الأفارقة قد وصلوا هذه المرحلة الفنية في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري. ونحن نجد صدى لأول مثال منها بمدينة سوسة حيث يذكر المالكي في رياض النفوس أن الفقيه السوسي أبا الأحوص المتوفي سنة 284هـ قد سأله ابراهيم الثاني عند احدى زيارته لمدينة سوسة أن يكلفه حاجات يقضيها له فقال له: هذه الدواميس الأولية التي وسط المدينة تجري اليها ساقية من

خارج المدينة وتوصل إليها ماء السماء، فينتفع بذلك الناس والأرامل والأيتام ويجد فيه راحتهم أهل الموسم من الغرباء والمرابطين المنقطعين إلى رب العالمين لحله وقدم أجله " (35).

وفي هذا النص إشارة لأول مرة لاقامة قناة تمتد على بعض الكيلومترات لاستجلاب مياه الأمطار نحو مدينة سوسة والماجل المذكور يعرف حاليا بماجل السفرة وهو يوجد وسط نسيج مدينة سوسة العمراني. ويتمثل في مستطيل يبلغ طوله حوالي تسعة وعشرين مترا وعرضه ما يفوق العشرين، في حين يبلغ ارتفاع الصهريج أحد عشر مترا وهو يتسع إلى حوالي 3000 م³ من الماء. وهو عبارة على صهريج مبني بالدبش المطلي بملاط يحمل نسبة كبيرة من الرماد والفحم ويبلغ سمك جدرانه حوالي السبعين سنتيمترا. ويشتمل المعلم على خمس بلاطات طولاً وأربع عرضاً تتخللها أعمدة مربعة الشكل، يبلغ ضلع الواحدة منها 1,5م، ثم يتراجع سمكها على ارتفاع أربعة أمتار من العرض فلا يتجاوز المتر وتبعد الواحدة عن الأخرى بما يناهز الثلاثة أمتار. وهي تحمل أقباء طولية ونصف دائرية مبنية من الحجارة المصقولة، تستند الجانبية منها إلى الجدران حيث تتلقى العقد ناتئة بارزة. ويتخلل سقف الأقباء فتحات لايراد الماء مربعة الشكل. وقد فرش الصهريج بنفس الملاط المستعمل في تغطية البناء. ويلاصق الماجل من ناحية الجنوب بركة صغيرة كانت تصلح لتصفية الماء وهو مستديرة الشكل ويبلغ قطرها ثلاثة أمتار ويربط بين الجهازين قنة مستطيلة وقع طمسها حالياً.

ولا يستبعد حسب النص المالكى والدراسة التي شملت الماجل أن يكون عمل المهندسين الأغالبة قد تمثل في اصلاح جذري لشبكة مائية رومانية كما توحى به اللقى الأثرية التي وجدت بالمنطقة⁽³⁶⁾. وربما مثلت هذه الحلقة أحد مجالات التمرس بالنسبة لهم قبل أن يتمكنوا من حذق ذلك كما يبدو واضحاً من خلال ماجل زيادة الله الثالث برقادة. اذ يذكر ابن الأبار أن في سنة 293 هـ عاد زيادة الله الأغلبى من تونس إلى رقادة فبنى بها قصراً سمّاه البحر " وحفر بها حفيراً بناه صهريجاً طوله خمسمائة ذراع وعرضه أربعمائة ذراع وأجرى إليه ساقية وسمّاه البحر. وبنى فيه قصراً سمّاه العروس على أربع طبقات أنفق فيه سوى عشر اليهود والعجم، مائتي

(35) المالكى: "رياض النفوس" 486/1.

(36) انظر دراستنا حول: "سوسة في العهد الاسلامي المبكر" بحث مرقون 359/1 وما يليها.

ألف دينار واثنين وثلاثين ألف دينار⁽³⁷⁾. وماجل زيادة الله ما زال قائما الى اليوم بموقع رقادة وهو مترامي الأطراف مضلع الشكل ويبلغ أقصى طوله 182م وأقصى عرضه 130م. وثبتت الدراسة التي قام بها سولينياك أنه كان يمّون بفضل مجموعة من الأجهزة المائية تنتهي بقناة مقببة تحمل مياه الأمطار المناسبة في مجرى وادي مرق الليل القريب من رقادة نحو الماغل المذكور⁽³⁸⁾ وبذلك تمكن المهندسون الأفارقة من "ترويض" مياه الأمطار و"استدراجها" إلى وسط مدنهم. وهو ما سيؤهلهم إلى المرحلة الفنية القادمة.

د - مرحلة مدّ القنوات وإقامة الحنايا :

لا شك أن التجربة قد أثبتت لأهل افريقية بعد تداول سنوات القحط والخصوبة أن تواصل فترة انحباس الأمطار التي قد يطول أمدها تشكل خطرا يهدّد حسن تموين الأهالي بالماء الذي يحتاجون اليه في حياتهم اليومية. وقد عرفت افريقية في أواخر القرن الثالث فترة ازدهار وأصبحت ترنو الى رفاهة العيش بقدر تبحّر أهلها في العمران وميلهم للبذخ. وقد وافق ذلك تجذّر في السيطرة على الفنون المائية تواصل ما يربو عن القرن مرورا بالمراحل التي ذكرناها. فمن البديهي أن يقع التفكير في هذا الاطار في استغلال المياه الجوفية وجلبها نحو مواطن العمران باعتبارها مصدرا مضمونا لتموينها بالماء الصالح للشراب. وان أول اشارة في المصادر لاعتماد هذه التقنية بافريقية تعود إلى أوائل القرن الرابع، وهو ما لا يخل بالتسلسل الزمني الذي ضبطناه بالنسبة لمراحل تاريخ المنشآت المائية بافريقية. ويتعلق الأمر بجلب المياه من طرف عبد الله المهدي لعاصمته الجديدة المهدية التي أسسها في حدود سنة 308 هـ.

وتوجد المهدية عند هضبة صخرية جعل منها قصبة تعوزها المياه الصالحة للشراب اذ أن الطبقة المائية الجوفية بعيدة ويصعب الوصول اليها نظرا لصلابة أرضية الموقع. فاستلزم ذلك بناء مواجل لتجميع مياه الأمطار. ويذكر البكري أنه كان بالمهدية من المواجل العظام ثلاثة مائة وستون⁽³⁹⁾.

(37) محمد الطالبي : "الامارة الأغلبية" ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1985، ص 608-609.

(38) سولينياك : " المنشآت المائية " 247/X وما يليها.

(39) البكري : " المسالك والممالك " ص 30.

ولم يقتصر تمويل المهدية بالماء الصالح للشراب على ما توجد به الأمطار بل "جلب لها المهدي -حسبما يذكره البكري- الماء الجاري من قرية "ميانش" على مقربة من المهدية في أقداس ويصب في الصهريج داخل المهدية عند جامعها ويرفع من الصهريج إلى القصر بالدواليب وكذلك يستقي أيضا بقرب ميانش من الآبار بالدواليب ويصب في محبس يجري منه في تلك القناة" (40). وقد اندثرت أغلب معالم هذه المنشآت المائية إلا أننا يمكن أن نتبع خطها من خلال بعض الآثار التي ما زالت قائمة بالجهة فقد حافظ موقع ميانش على تسميته القديمة وهو يوجد حالياً على بعد ستة كيلومترات غربي المهدية وبه غابة للزيتون يطلق عليها اسم هنشير ميانش. وتوجد بالجهة طبقة جوفية مائية تستغل حالياً كذلك لتزويد المهدية بالماء الصالح للشراب وقد تم العثور هناك على آثار فسقية نفترض أنها المحبس الذي يتحدث عنه البكري وهو يوجد على حافة الطريق في النقطة الكيلومترية عدد 195,200 بين تونس والمهدية. وتبدو الفسقية من خلال جزئها المتبقي مستديرة الشكل يبلغ قطرها 23 م ولم يسلم إلا ربعها تقريباً ويبلغ سمك جدارها 0,68 وتستند من الداخل ومن الخارج إلى أكتاف متخالفة وهي نصف دائرية ويبلغ شعاع الواحدة منها 0,40 م ويحيط بها افريز من البناء. ويستوقفنا التطابق في الآراء في كيفية استعمال الطبقة المائية الجوفية بين مهندسي المهدي والمهندسين المعاصرين، فقد اهتموا إلى ضرورة استغلال نفس الطبقة المائية وإلى ضرورة استعمال الدواليب لآخراج المياه، وقد اختاروا نفس الموقع لاقامة صهريج تجميع مياه الآبار الجوفية. وما من شك أن هنالك قناة تنطلق من المحبس وتستعمل لسقي الأراضي الفلاحية والحقول التي كانت توجد بالموضع حسبما يفيدنا به أبو منصور العزيزي الذي يذكر في سيرة سيده جوذر أن عبد الله قد اقتطع رجال كتامة عدة سواقي بضواحي المهدية مما نتج عنه مشاجرات بينهم (41) وهو ما يؤكد أن مياه ميانش كانت تستعمل كذلك لأغراض فلاحية إلا أنه ليست لنا أية فكرة حول كيفية تقسيم الضياع وحول التقنيات المائية التي كانت مستعملة لذلك. ولم يبق أي أثر للقنوات التي كانت تجري فيها المياه حتى تصل المهدية. أما في المهدية نفسها فقد عثر بعض الأهالي، بصفة عفوية، على بقايا بعض القنوات إلا أن هذه الاكتشافات ليست لها أي قيمة علمية يمكن أن نعتمد عليها في

(40) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(41) الجوذري (أبي علي منصور) : "سيرة الأستاذ جوذر"، تحقيق د. محمد كمال حسين ود. عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر 1954.

رسم خط مجرى المياه حتى تصل الصهريجين اللذين كانا يوجدان عند الزاويتين الشرقية الشمالية والغربية الشمالية لواجهة جامع المهدية. وقد درس ليزين⁽⁴²⁾ أحدهما وهو الذي كان يوجد عند الزاوية الغربية وهو مقبي الشكل ويبلغ عرضه 8,20 م وعمقه تسعة أمتار ويشتمل على ثلاثة أجزاء تستند إلى جدار الصحن الشرقي. ويرى ليزين⁽⁴³⁾ أن بناءه ليس معاصرا لأقدم أجزاء الجمع إذ أن جوانبه ليست لها أية صلة بجدار الصحن ويفترض أن الصهريج قد استعمل في الفترة الأولى كما جل لحفظ مياه الأمطار إذ تعذر على مهندس المهدى إقامة صهاريج جوفية لأن مستوى الأرض للجامع كان قريبا جدا من مستوى البحر. ثم استعمل في فترة لاحقة لتجميع مياه مياش التي تصل الى المدينة. وتوجد قرب الصهريج قاعة مستديرة الشكل يبلغ قطرها أربعة أمتار وسمك جدارها 1,50 م وهي تحمل قبة وقد تكون استعملت لايواء الجهاز الذي كان يرفع الماء من الصهريج إلى القصر⁽⁴⁴⁾. وقد كان مستواه أعلى من مستوى الجامع بـ: 13 م تقريبا مما يستلزم إقامة حنايا عند جانبي الجامع لنقل المياه عند دخولها أو عند خروجها من الصهريج. ونحن نلاحظ عند التدقيق في صورة للمهدية تعود إلى منتصف القرن السادس عشر وهي من رسم Sceppere وجود بناء على قنطرة يشابه تماما الحنايا ينطلق من الجامع ويصعد في هضبة حتى يصل إلى عمارة في شكل برج. فهل تمثل هذه الحنايا نفس القناة التي كانت ترفع الماء من صهريج الجامع إلى قصر عبد الله؟

ويستنتج من جميع ذلك أن الفاطميين قد تمكنوا من جلب المياه المتواجدة بالطبقة المائية المحيطة بالمهدية بفضل قناة مقبية واستطاعوا باستعمال تقنيات متطورة تتمثل خاصة في الدواليب والصهاريج تدارك الصعوبات المرتبطة بأرضية الموقع حتى أوصلوا الماء إلى قصر المهدى الذي يوجد في مكان شامخ.

وتوجت هذه المرحلة بالأعمال المائية الضخمة التي أنجزها المعز لدين الله الفاطمي بصبرة المنصورية في حدود سنة 348 هـ. ويورد القاضي النعمان في كتابه " المجالس والمسائرات " نصا بليغا حول الحثيات والصعوبات التي حفت بذلك: " قال: واعتزم المعز لدين الله على اجراء نهر عين أيوب إلى المنصورية، وقد كان القائم (عم) ابتداء

(42) Lézine "Mahdiya", Recherches d'archéologie islamique, Paris 1965, p. 95-96.

(43) Lézine : "Mahdiya" op. cit. p. 96.

(44) G. Marçais: "L'architecture musulmane d'occident": Paris 1954, p. 93.

العمل فيه على أن يجريه إلى مدينة القيروان ثم جاءت الفتنة فقطعت ذلك، وهم المنصور بذلك فهوّل عليه أمره. ثم اعتزم المعزّ (عم) على اجرائه. وبدأ بالعمل فيه أول يوم من المحرم سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة وذلك يوم الأحد. وقيس ما بين المكان الذي بلغ به القائم إلى المنصورية فوجد طوله ثلاثة وسبعين ألف ذراع. فأمر بأن يجري قناة تبنى بالجير تأخذ في اسناد جبال وتمرّ على أودية وأوطئة يحتاج فيها إلى آراج يجري الماء من فوقها. واستهال ذلك بعض من حضر. فقال المعزّ (عم): قد هوّل مثل هذا التهويل على القائم (عم)، وقيل له: والله لو جعلت في ساقية من زجاج ما جرت. وقيل للمنصور (عم): يحتاج أن ينفق فوق مائة ألف دينار، ثم الله أعلم هل يصحّ جريها أو لا. وكان ذلك سبب تركها. ولا والله لا أتركها ولو أنفقت فيها أضعاف ما قيل. والله لو علمت أنّ الزجاجين يستطيعون بناءها من الزجاج لأمرت بعملها ولأجريتها فيها، ليعلم من يهوّل ذلك أنه لا يهوّلني ولا أستعظمه. وأتما تهيّأ ما تهيّأ لمن تقدّم من ملوك الأرض من مثل هذه الأعمال، بالعزم عليها والخزم فيها. ثم ذكر ماء جبل زغوان الذي كان يجري في قناة قرطاجنة فقال: أما والله لو كان لنا هناك ما نستقي به لأصلحت تلك القناة ولأجريته فيها. وإن كان الناس يتعاضمون أمرها ويرون أن أحدا لا يقدر على ذلك، فليت شعري كيف جاز ذلك عندهم لمن تقدّم ولا يجوز لمن تأخّر؟! اللهم إلا أن يصحّ في عقولهم الفاسدة أنهم كانوا في القوة وعظم الأجسام في خلاف ما عليه اليوم الأنام. وكما زعموا أنّ المرأة كانت تأتي بأعظم صخرة، يرونها تحملها على رأسها ومغزلها في يدها. فإن كان بمثل هذا من المحال تصوّب هذا عندهم، فنعم.

ثم قال: والله لقد صرت إلى ناحية تونس ومالي نظر إلا إلى ذلك الماء وكيف ينتهي جريه إلى المنصورية، فلقد رأيته ممكنا. وائي لأرجو، إذا أعاننا الله على هذه القناة وأوصلها، أن أجريه بعونه وتأييده وتوفيقه. وما يتعاضم من مرام مثل هذه الأعمال إلا أن يكون الأجل يقطع دونها، فيأتي، بعد من رام ذلك وابتدأه، من أهل العجز من يقعد عنه فينسب مبتدئ ذلك إلى تعاطي ما لا يقوم به والهمّ بما لا يتهيأ له فينتقصه بذلك، والنقص أولى بمن قال ذلك فيه ونسبه إليه⁽⁴⁵⁾.

(45) القاضي النعمان: "المجالس والمسائرات" تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبّوح ومحمد العلاوي، المطبعة الرسمية، تونس 1978، ص 331 وما يليها.

وقد أنجز المعز هذه القناة في أو شك مدة وبأيسر مؤونة. بل أن المقدسي يفيدنا بأنه قد أجرى لأهالي القيروان قناة من الجبل تملأ مواجلهم بعدما تدخل قصره بصبرة⁽⁴⁶⁾. وتشتمل هذه المنشآت المائية الفاطمية على ثلاثة عناصر أساسية :

1- شبكة لجذب مياه الطبقة الجوفية والعيون المناسبة منها

2- شبكة لنقل المياه

3- شبكة لتجمع وتوزيع المياه

وقد قام سولينياك بدراسة اضافية لهذه القناة الا أنه ينسبها إلى عهود مختلفة لا يسمح المجال بمراجعته فيها⁽⁴⁷⁾.

وقد وافق احداث هذه الأعمال المائية الجبارة أوج الحضارة الافريقية في العهد الاسلامي في زمن أمكن للفاطميين فيه السيطرة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وتسكين المغرب وفتح مصر وبناء القاهرة.

وتتسم المصادر بالصمت المريب حول الانجازات المائية التي تمت في العهد الصنهاجي رغم أنه يمثل كذلك فترة ازدهار لافريقية قبل الزحفة الهلالية ولا يسعنا الا التوقف في انتظار فك رموز ذلك.

وخلاصة القول، فان المتأمل في مرحلة تطوّر المنشآت المائية الافريقية في العهد الاسلامي يسترعي اهتمامه توصل المسلمين بعدما يربو عن السبعة قرون إلى اكتساب نفس التقنيات المائية التي اعتمدت في العهد الروماني بعد أن اندرست التقاليد والمعارف المتعلقة بأهمّها خلال العهدين الوندالي والبيزنطي - وان بدت الأعمال المائية الرومانية أكثر اتقانا وجودة - الا أن الفترة الاسلامية تتميز بتوصلها لابتكار حل عملي وهو بناء المواجل الضخمة لتجميع مياه الأمطار. وتعبّر هذه الطريقة عن عبقرية فذة وهي تتميز بجذواها وقلة كلفتها. وتمثل هذه السمة احدى أهم سمات الحضارة الاسلامية في عهد عزّها.

(46) المقدسي : «أحسن التقاسيم» ص 226 .

(47) سولينياك : «المنشآت المائية» 32/X وما يليها.

ظاهرة النقوش الفينيقية الجديدة - اللاتينية في اقليم طرابلس

Latino Neo-Punic inscriptions

د. عبد الحفيظ فضيل الميار

قبل الاحتلال الروماني كان هناك لغتان تستعملان من قبل السكان في طرابلس وهما اللغة الليبية والفينيقية.

وبطبيعة الحال فان سكان المناطق الريفية كانوا يتكلمون اللغة الليبية، بينما يتحدث من يعيشون في المدن باللغة الفينيقية والتي استمرت طيلة العهد الروماني⁽¹⁾.

ان الأدلة الأدبية تقدم لنا صورة عن انتشار هذه اللغة في شمال افريقيا الرومانية، بينما الدليل الوثائقي كالعملة مثلا فهو محدود جدا ذلك ان العملة المعدنية التي عليها نقوش فينيقية التي ضربتها كل من لبدة الكبرى واويا وصبراتة وهي مدن حرة (Liberae civitates) استمر ظهورها من بداية عهد الامبراطورية حتى منتصف القرن الأول الميلادي⁽²⁾.

والأدلة الأثرية هي بدورها تؤكد على استمرارية مواصلة سكان المدن الثلاث لنشاطهم الحضاري ويدل على ذلك وجود العديد من الآثار ذات الطابع الفينيقي يرجع تاريخها إلى العهد الروماني⁽³⁾، ويذكر سالوست (Sallust) ان اللغة الفينيقية المستعملة في لبدة كانت صرفة ما عدا كلمات قليلة دخلت عليها بسبب الاختلاط بالبربر (أو الليبيين)، Conubio, Numadarum⁽⁴⁾ "Eius civitatis lingua modo Convorsa legum cultursque pleraque Sidonica" وكانت اللغة الفينيقية هي لغة الحديث حتى بين

(1) Muller L., Numismatique de l'ancienne Afrique, Copenhagen (1880), p. 2ff.

(2) Ibid.

(3) Bartocini, R. Africa Italina 1 (1927), 232; cf. IRT.852.

(4) Bell. Lug.

أفراد الطبقة الارستقراطية، وهذا واضح مما ذكره الشاعر الروماني ستاسيوس (Stasius) عن الخطيب سبتموس سويروس جدّ الامبراطور الذي يحمل نفس الاسم⁽⁵⁾.

"Nascius africae, non Sermo Poenus, non habitus Tibi externa, non mens, itafus"

وهذا قد يدل على ان اللغة الفينيقية لم تكن مصدر للفخر كما ان من يتكلمها يصبح موضع سخرة خصومه وقد تسبب الاحراج لأصدقائه وأقاربه⁽⁶⁾.

وهذا يتضح جليا مما ورد في اعتذار أبوليوس (A Pology) عندما تحدث في محكمة صبراته رافضا تصديق ادعاء ابنه بالتبني ومعيرا اياه بانه لا يفهم الا الفينيقية⁽⁷⁾ "Loquitur numquam nisi Punice... Enim Latine Loqui neque potest" ولا شك ان الثقافة الفينيقية - القرطاجية كان لها تأثيرها في المنطقة الساحلية من اقليم طرابلس حيث المراكز التجارية الثلاث (لبده الكبرى - أويا صبراته) (emporia) ثم انتشرت في المناطق الداخلية عن طريق الأهالي.

ان آثار هذه الثقافة واضحة في لغة الاقليم وهذا يؤكد نقوش مكتوبة باللغة الفينيقية الجديدة على بعض الأواني الفخارية التي جرى اكتشافها في لبدة و كذلك نقوش البروقنصل لاميا الذي تم اكتشافه عند رأس الحداجية بترهونه باقليم طرابلس⁽⁸⁾.

ويرى البعض ان اللغة الفينيقية قد استعملت بصورة رسمية في عهد الأباطرة الرومان الثلاثة اغسطس، تيبيريوس ودومشيان وأن النقوش المكتوبة باللغتين اللاتينية والفينيقية والمكتشفة في لبده تظهر لآخر مرة في عهد الامبراطور الأخير⁽⁹⁾.

وهكذا وبسرعة أوقف الرومان اللغة الفينيقية في المعاملات الرسمية ففقدت بذلك مركزها الرسمي، الذي كان لها في افريقيا ولكنهم اتخذوا هذا الاجراء بطريقة توفر الانسجام بين المدن والسلطات المركزية، ففي الحياة الخاصة والمعاملات التجارية استمر استعمال هذه اللغة بصورة واسعة ولمدة طويلة وخاصة في اقليم طرابلس وظلت لغة

(5) Silvae, Iv. 5

(6) HA. VIT. Ser.5

(7) Apology 98.

(8) Romanelli, P. "La Tripolitania nel Quadro dell' archeologia Nord Africana", Libya in history, 1968, 133-142.

(9) Millar f., " Local cultures in the Roman Empire: Liban, Punic and latin in Roman Africa", JRS, 58,1968, 126-134.

الحديث إلى جانب اللاتينية حتى بين المثقفين وهذا واضح مما قيل عن الامبراطور سيبتيموس سويروس (septimus severus) من انه كان يجيد هذه اللغة وانه كان فصيحاً وبليغاً⁽¹⁰⁾ (punica elquenta promitor quippe gratus apud leptim) وفي موضع آخر يوصف ببلاغته وطلاوة حديثه ليس في افريقيا بل في كل مكان (Canorus voce,) (sed Afrum quiddam usque ad Senectutem sonnans)⁽¹¹⁾.

وهذا قد يدل على أن اللغة الفينيقية ازدهرت من جديد ولو لفترة قصيرة على الأقل في عهد هذا الامبراطور الافريقي الأصل. ولقد سبق ايضاح ان استعمال اللغة الفينيقية لم يكن قاصراً على الحياة الخاصة وانما في مظاهر معينة عامة وهو ما يؤكد قوة وحيوية هذه الأمة واستمرار الثقافة الفينيقية في اقليم طرابلس حتى بعد الاحتلال الروماني، وكذلك الاحترام الذي أظهره الحكام الجدد تجاه العادات المحلية والمؤسسات الفينيقية التي استبدلوها بعاداتهم وقوانينهم الرومانية⁽¹²⁾.

ولم يتم ذلك باجراءات عنيفة وانما عن طريق التسرب والاستيعاب⁽¹³⁾. ويجدر بالملاحظة ان هذا التعايش بين اللغتين الفينيقية واللاتينية، واستمرارية استخدام اللغة الفينيقية ليس كلغة حديث وانما في الكتابة أيضاً لم يحدث الا في اقليم طرابلس، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على انه في بداية عهد الامبراطورية الرومانية كان عدد السكان الفينيقيين كبيراً وكان لهم ثقافتهم الخاصة وایمانهم باستقلالهم الوطني الذاتي ومثل هذا الايمان أو الاعتقاد وجد الاعتراف به من جانب حكومة الرومان المركزية. وعليه فان حضارتين فينيقية ورومانية عاشتا جنباً إلى جنب في سلام طيلة عدة قرون⁽¹⁴⁾.

وإلى جانب اللغة هناك بقية بعض العناصر الأساسية للحضارة الفينيقية مثل الدين، ومؤسسات سياسية معينة وعادات.

وتسجل النقوش الفينيقية بعض المؤسسات السياسية مثل السوفيتس (Sufetes) والموحازيم (Muhzm) (IRT, 599)، وكان السوفيتس ومساعدوهم من الشخصيات البارزة ومن الأغنياء ومن ارسقراطية لبدّة. وكانوا حكاماً (أو قضاة) ينتخبون

(10) Aurel voc. Epit. 207.

(11) HA. VIT. SEV. 19.

(12) Levi della Vida, Riv. Trip.3 (1927), 91-2.

(13) Victor; HA. ibid.

(14) Levi della Vida, OP. CIT.

سنويا. ويبدو ان للموحازين وظائف أخرى مثل سد شمر ديمن (Sd Shmr dymn)، وهو أمين الخزانة والمسؤول عن الأسعار وشؤون الاسواق. ويظهر مصطلح سد شمر ديمن في النقش (IRT 559). سد = خزانة، شمر = مراقب، ديمن = سعر وهي في العادة واجبات لمحازيم. وهناك وظيفة أخرى للمحازيم وردت في نقوش لبدّة وهي يقمك (Ygmck)، وهو المحازيم المسؤول عن النشاط الرياضي العام وقد ورد في أحد النقوش التي عثر عليها في اقليم طرابلس (IRT, 559)، ويبدو ان هذه التسمية مشتقة من المصطلح الاغريقي قيمانازيارخ (Gymnasirch) - وهو منصب هام يكون شاغله مسؤولا عن الأنشطة الرياضية العامة. وربما كان هو المسؤول عن المباني الخاصة بذلك في المدينة مثل المسارح (Theatres) والمسارح المدرجة (amphitheatres) ومضمار السباق (circus) ويوجد منصب آخر (Shhm) كما يظهر في النقش (IRT, 319) وكان يشغله سوفيت مسؤول عن الشؤون الزراعية، وهناك وظائف أخرى خاصة بالشؤون الدينية ادر عزريم (Adr azrm) وهي باللاتينية تعادل وظيفة (Praefectus Sacrorum) (IRT, 319, 321, 322, 323) وكذلك ادر كوهينم (adr kohenum) التي تعادل في اللاتينية (Phontifex Maximus = الكاهن الأعظم)⁽¹⁵⁾. وتخبرنا النقوش أن بعض المباني العامة في المدن كانت قد أقيمت على نفقة بعض الشخصيات القيادية، مثلا سوق لبدّة بني في السنة الثامنة قبل الميلاد على حساب أحد أبناء لبدّة البارزين وهو طبابوس روفس (IRT, 319)، والمسرح في السنة الأولى أو الثانية ميلادية (IRT 332) والسوق الثانية في 11-12 م (IRT, 324). وكاعتراف بالجميل منح أهالي لبدّة هؤلاء الأشخاص ألقابا شريفة مثل محب وطنه (amator Patriae) ومزين موطنه (Ornator Patriae) (IRT 318,321,347). وفيما يتعلق بالدين فقد اظهرت النقوش الفينيقية الجديدة أسماء بعض الالهة التي كانت تعبد وتبجل في الاقليم (rend. del. naz. linc. 8.x, 1955, 55-) وبعض هذه الالهة فينيقية مثل شادراف (Shadrafe) وملك اشتارت (malk Ash-) (tart) (راعية مدينة لبدّة). وكذلك الالهة الليبية مثل قورزل (Gurzil) الذي سوى بالاله الروماني ساتورن، وجوبتر هامون اله طرق القوافل. وعلاوة على ذلك فان الالهة الفينيقية مثل بعل وتانيت وعلوس (Hellios) ظلت تكرم وتبجل حتى وقت متأخر من العصر الروماني متطورة من رموز بسيطة إلى أشكال انسانية (Tertullian). والليبيون الذين قلدوا الفينيقيين في عاداتهم عبدوا الالهة الفينيقية وقدموا لها الضحايا

(15) Renolds, J.M. and Ward-perkins, J.B. 1952 - Inscription of Roman Tripolitania. Roman and London = IRT. 79,80; DISO, 6n.4,51 n.2, 310

وذلك اعتقاداً منهم بأن الضحية والتي تسمى ملك (mlk) كان لها تأثير على الالهة فهم يقدمون الأضاحي الحيوانية معتقدين بأنها ستغفر لهم خطاياهم⁽¹⁶⁾. وكانوا يعتقدون ان الاضحية ستجعل روح من يقدمها في اتصال مع معبوده وتؤمن له ما كان يصلى من أجله.

وفي بعض الحالات لا تكفى الأضاحي الحيوانية أو تكون غير مقبولة فنجد ان النوميديين في المناطق المعزولة أو النائية من شمال افريقيا الرومانية كانوا يمارسون عادة تقديم الأضاحي الانسانية. وتدلنا النقوش الفينيقية الجديدة - اللاتينية (IRT 893) على ان هذه العادة كانت تمارس في اقليم طرابلس. فالأضاحي البشرية (ملك عدم mlk 'dm) كانت مثل غيرها من الأضاحي التي تقدم عادة للوفاء بنذر أو تكريماً للاله بعل أو في وقت الازمات⁽¹⁷⁾.

وكان المؤمنون بهذه الالهة يقدمون لها النقود أو يشيدون المباني الدينية، كالمعابد، المذابح، الأروقة، الأعمدة والتماثيل (IRT, 877,893).

وهذه النقوش ترجع إلى أواخر القرن الأول قبل الميلاد أو القرن الثاني الميلادي وان آخر ما عثر عليه من النقوش الفينيقية الجديدة (التي يطابقها نقوش لاتينية) كان قد ظهر في لبدة في عهد الامبراطور دوميشيانوس (IRT, p. 80, nos. 318, 349 a)، وبالمثل النقوش الفينيقية الجديدة التي جرى اكتشافها في وادي العمود، بير جيرييه ومسلاته يبدو ان تاريخها يرجع إلى القرن الأول الميلادي⁽¹⁸⁾. غير أن القبر الذي عثر عليه في سهل الجفارة بطرابلس فهو بالاضافة إلى أنه يحمل مناظرة ريفية مستمدة من الأساطير القديمة يصور بوضوح رومنة عائلة ثرية تعيش في الريف فقد وجد به نقش باللغة اللاتينية مع مثيله باللغة الفينيقية الجديدة وأهميته ترجع إلى أن تاريخه يعود إلى آخر القرن الثاني وربما أوائل القرن الثالث الميلادي⁽¹⁹⁾.

ان عدم العثور على نقوش فينيقية بعد نهاية القرن الثاني الميلادي جعل البعض يعتقد بان اللغة الفينيقية المكتوبة قي اختفت منذ القرن الثاني وبصورة عامة بعد القرن الثالث الميلادي⁽²⁰⁾، إلا أنه بعد ذلك ظهر نوع جديد من النقوش في طرابلس فقط

(16) Picard, G.CH. 1954. Les Religions de l'Afrique ". Paris; El Mayer, A. " The Libyan studies 13, 1982, 49; Rebuffat, R. 1973, LA 9-10: 167.

(17) Jacob Hoftizer, 1965, "Dictionnaire inscriptions simitiques de l'ouest" = DISO, 154.

(18) Levi della Vida, G. 1964, " Le iscrizioni neopuniche di wadi El- Amud" Libya antiqua 1:57.

(19) Millar, F. 1968, op. cit. 132.

(20) Cortois, C. "S. Augustine et le probleme de la Survivance du punique", dans 20 Revue Africaine, t.94 (1950), p. 270.

دون غيرها . فقد عثر في هذا الاقليم على عدد من النقوش مكتوب بحروف لاتنية لكن لغتها ليست لاتنية . من الأماكن التي وجدت فيها هي : لبد (IRT.826) ، زلتين ، فبرزدو⁽²¹⁾ (Zdu) ، سرت ، قبر بير الواعر (أولاد بريش IRT.865) ، قصر دوغة (IRT. 873) ، حوض وادي سوف الجين (IRT.884) . وهناك نقش عثر عليه في قرزة واعتقد البعض ان لغته ليبية ولكن بعد دراسته تبين لنا أنه مكتوب باللغة الفينيقية الجديدة (انظر شكل 3) . وأكبر مجموعة جاءت من موقع بئر دريدر (تسعة عشر نقشا) نشر بعضها في مجلد نقوش طرابلس الرومانية (IRT. a,b,c,d,e,f,g,h) . وجاءت المحاولة الأولى لترجمة هذه النقوش على يد قودشايلد⁽²²⁾ .

وقد خرج من دراسته لها بنتائج أولية منها : أولا - أن لغة هذه النقوش على الرغم من وجود اثر فينيقي واضح فيها الا أنه من المحتمل جدا أن تكون لغتها ليبية . ثانيا - ان هذه النقوش يجب أن تكون متأخرة عن النقوش الفينيقية الجديدة التي عثر عليها في نفس المنطقة ، كما يجب ربطها بعملية تأسيس مليشيات الحدود (Limitanei) من بداية القرن الثالث الميلادي وصاعدا ، وقد رأى قود شايلد في تكرار كلمة تريبونس (Tribunus) في نقوش بئر دريدر ما يدعم فرضته بمسألة ربطها بالتنظيمات العسكرية في منطقة الحدود .

وهكذا نرى أنه علي الرغم من كتابة اللغة الفينيقية بالحروف اللاتينية قد ظهرت في وثائق مؤكدة مثل قطعة أدبية في بوينولوس (Poenulus) لبلاوتوس (Plautus) وكذلك الاشارات الواردة عند القديس اوغسطين فان بعض الباحثين لم يستطيعوا فهم لغة النقوش الفينيقية الجديدة المكتوبة باحرف لاتينية ولا زالت ترجمة بعض هذه النقوش صعبة .

وبعد ذلك توالى عملية اكتشاف ونشر المزيد من هذه النقوش ففي عام 1955 نشر نقشان من وادي سوف الجين ووادي زمزم⁽²³⁾ وفي عام 1960 نشرت ثلاثة نقوش من أودية أخرى⁽²⁴⁾ . وفيما بعد بين ليفي ديلافيدا أن أجزاء من العديد من هذه النقوش

(21) Bartocini 1927, loc. cit.

(22) Good child, R.G. the Iaino- libyan inscriptions of tripolitania, Antiquaries journal 30 (1950), 135.

(23) Renolds J.M. 1955 " Inscription of Roman Tripoltania " a suppl. PBSR 23 : 124, nos 20,24.

(24) Brogan, O. renolds J.M.1960, "new inscrption from Tripolitania " PBSR 28: 51f. nos 5-6.

يمكن قرائتها على أنها فينيقية أو بالأحرى فينيقية ركيكة⁽²⁵⁾ وعلى ضوء هذه المعلومة التي قدمها نشرت ثلاث نقوش أخرى جرت محاولة لفهمها على هذا الأساس⁽²⁶⁾.

ان حقيقة اكتشاف هذه النقوش باللغة الفينيقية دعت البعض إلى القول بان سكان المناطق الداخلية من اقليم طرابلس كانوا مزارعين جاءوا من أصول ليبية فينيقية مختلطة ولكن لغتهم وثقافتهم كانت فينيقية وهم ولا شك كانوا قد استقروا في تلك المناطق منذ القرن الأول الميلادي وقبل اقامة القلاع الرومانية في الجنوب لتغطي منطقة الحدود منذ بداية العهد السفيري⁽²⁷⁾. والمشكلة التي تواجه الباحث هنا هي معرفة تاريخ النقوش ذلك انه في ضوء المعلومات المتوفرة يصعب تحديد تاريخ معين لها. ان ظهور أسماء رومانية مثل فلافيوس ويوليوس في نقوش ترابنة بئر دريدر جعل قودشايلد (1954) يرجع تاريخها إلى عهد يوليوس كونستانس (Constans) وفلافيوس يوليوس كونستاتيوس (340-350 م)⁽²⁸⁾.

ومع ذلك يبدو أن بعضها يرجع إلى فترة متأخرة فنقش زليطن المشار اليه أعلاه وهو عبارة عن رسم محفور (graffito) يرجع إلى القرن الثالث الميلادي؛ وكذلك النقش (IRT 877) الذي عشر عليه في جنوب غرب لبدة قيل انه يرجع الى القرن الرابع - الخامس الميلادي.

ويشير ميلر⁽²⁹⁾ إلى ندرة النقوش الفينيقية المطولة سواء ما دون منها على الآثار العامة أو الخاصة بعد نهاية القرن الأول الميلادي، ويرى انه من غير الثابت استمرارية كتابة الصيغ الغير موجزة حتى القرن الأول الميلادي بينما في طرابلس نجد الدليل على استمرارية كتابة اللغة الفينيقية حتى القرن الرابع. ويبدو ان الأدلة الوثائقية المتمثلة في نقوش طرابلس الفينيقية - اللاتينية تؤكد صحة ما ذكره أوغسطين من أن اللغة الفينيقية كانت لغة الحديث في نوميديا في أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس بل ويمكن القول بان الأدلة الأدبية والوثائقية تشير إلى أن اللغة الفينيقية كنت واسعة الانتشار كلغة حديث في افريقيا الرومانية ولكن اذا قبلنا بان الفينيقية لغة المجتمع

(25) Levi della Vida, 1963, "Sulle iscrizioni" latino libiche "della Tripolitania" Oriens Antiquus 11: 65; idm, parerga neopunica ibid. 4 (1965), 59.

(26) Brogan O. 1964, Lib. Ant. 1: 43

(27) A. di Vita, 1964 II "Limes" romano di Tripolitania nella sua concretesa archeologica e nella sua realta storica, Libya Antiqua 1: 65.

(28) Goodchild 1967; Libyan studies, ed. J. Renolds, 70.

(29) Millar, F. op. cit. 133.

الزراعي في المناطق الداخلية في اقليم طرابلس حيث عثر على النقوش الفينيقية الجديدة المكتوبة بالأحرف اللاتينية فستواجهنا مشكلة هنا: وهي لماذا كتبت هذه النقوش بالحروف اللاتينية؟

بما ان بعضا من هذه النقوش وجد بسيوت المزارع المحصنة وان هذه المزارع جرى اقامتها بعد القرن الثالث الميلادي وان اللغة الفينيقية كان معترفا بها رسميا في القرن الأول كلغة للتعامل مع سكان المناطق الداخلية الا أن اضمحلال هذه اللغة في المدن الساحلية وانتشار النفوذ الروماني في جنوب الاقليم كنتيجة لعاملتي الهجرة والرومنة أدى إلى انتشار اللغة اللاتينية على حساب اللغة الفينيقية وشیوع الترجمة للأخيرة إلى الحروف اللاتينية في القرنين الرابع والخامس.

ولا شك أنه بوصول الرومان الذين مدوا نفوذهم في داخل اقليم المحطات التجارية الثلاث (لبة - أوبا - صبراتة) جعل الليبيين في اتصال مباشر مع الحضارة الرومانية كما ان السياسة الرومانية خلال هذه الفترة سعت إلى نشر اللغة اللاتينية والتي أصبحت اللغة الرسمية في المحاكم والمجالس والمراسلات الادارية. وهذه حقيقة أكدها القديس أوغسطين عندما قال ان روما التي عرفت كيف تحكم الشعوب: " لم تكف بفرض سيطرتها على الشعوب الخاصة لها وانما أيضا لغتها"⁽³⁰⁾. ويستنتج جوليان مما قاله أوغسطين ان عددا كبيرا من الليبيين اضطروا لتعلم اللغة اللاتينية حتى يستطيعوا استعمالها في المعاملات الرسمية و يشاركون في الحياة العامة، بينما اغلبيتهم يتحدثون فيما بينهم باللغة الليبية وفي بعض الأحيان باللغة الفينيقية، وأضاف قائلا أن سكان الدواخل ظلوا يجهلون اللغة اللاتينية لمدة طويلة. وعليه يبدو ان عدم انتشار اللغة اللاتينية في المناطق الداخلية هو السبب في اكتفائهم باستخدام حروفها فقط كتابة النصوص باللغة الفينيقية الجديدة التي هي لغة الحديث في دواخل الاقليم بالاضافة إلى أن تريبونيات بير دريدر كانوا من أهالي منطقة الحدود الرومانية وان اتصالهم بالسلطات الرومانية جعلهم يقلدون الرومان في استعمال الحروف اللاتينية في كتابة لغتهم الفينيقية مثلما فعل الفرس والهنود (الباكستان) والأتراك في العصر الحديث في كتابة لغاتهم بالحروف العربية واللاتينية. هذا وكما توقع قودشايلد فان للنقوش الفينيقية الجديدة - اللاتينية التي تم اكتشافها في دواخل طرابلس أهمية خاصة فيما يتعلق بدراسة تاريخ منطقة التخوم الطرابلسية (Limes Tripolitanus)، ذاك

(30) Julien, Ch. A.1931, Histoire de l'Afrique du Nord, Tunisie-Algérie - Maroc. Paris.

ان ترجمة البعض من هذه النقوش القت مزيدا من الضوء على تاريخ المنطقة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والنظم الادارية والعسكرية في منطقة الحدود الطرابلسية وساعدت على فهم بعض النقاط التي كان يشوبها الغموض خاصة فيما يتعلق بيوت المزارع المحصنة الكنتوناريا (Centenaria) والتي يسميها الليبيون بالقصور ولا زالت أثارها باقية في منطقة الحدود الطرابلسية الممتدة شمال خط القلاع الرئيسية الثلاث قولايا (بونجيم)، القرى الغربية وحصن غدامس (Cydamae).

عندما درس قودشايلد (دراسات ليبية، 1976) هذه القصور لا حظ متانة جدرانها الخارجية وقلة النوافذ بها وصغرها ولها مداخل محمية مع احاطتها بخنادق لسهولة الدفاع عنها واقامتها في أماكن مرتفعة كلما أمكن ذلك. كل هذا جعله يقرر أهميتها كمواقع دفاعية أنشأها مهندسون تابعون للجيش الروماني لسكنى جنود فلاحين (Limtanei) معتمدا في ذلك على التشابه والتصميم بين هذه القصور وقصر دويب العسكري (في قاطع حدود منطقة الزنتان) وكذلك تسميتها بكنتناريا التي رأى فيها دلالة على الصفة الرسمية، الا أن الدراسات التي اعقبت ذلك أظهرت ان هناك عوامل بيئية واقتصادية ربما كان لها دور في انشاء هذه القصور وان بعضها ربما كان بيوتا خاصة. هذا وقد ثبت من ترجمة النقوش الفينيقية الجديدة - اللاتينية⁽³¹⁾ ان بعضا من هذه القصور كان بيوتا خاصة أقامها أصحابها من رجال القبائل على أرضهم الخاصة حيث قاموا بتحصينها وبنائها في أماكن معينة يسهل منها مراقبة طرق الاقتراب من مزارعهم وحماية حدودها من تعديات رجال هذه القبائل القاطنين خارج منطقة الحدود والذين اطلق عليهم الرومان اسم البربر تمييزا لهم عن رجال القبائل الموجودين داخل الحدود بما فيهم سكان هذه القصور الذين كانوا يسمون (بالجنطيلز gentiles) وهي باللغة اللاتينية تعنى رجال القبائل⁽³²⁾. أما كلمة بربر (Barbari) فيقصد بها الأجانب أو الغرباء الذين تنتشر مضاربهم خارج منطقة النفوذ الروماني. وتشير مصادر العصر الروماني لهذه الفترة إلى أن الرومان كانوا يضعون القبائل الخاضعة لهم تحت اشراف ضباط رومانيين ولو ان هذا النظام قد يصلح للقيام بالحفاظ على الأمن وواجبات الشرطة الا أنه لا يكفي لمواجهة الغزوات الخطيرة كما كانوا يعينون مشائخ هذه القبائل كأمرأء مواقع وهذا ما أثبتته النقوش

(31) El Mayer, A. 1985, "The Centenaria of roman Tripolitania", Libyan studies, 16: 77,84.

(32) Jones A.H.M. 1968, "Frontier defence in Byzantine Libya", in History, 293-94.

الفينيقية الجديدة - اللاتينية التي عثر عليها في مقبرة تريونات بير دريدر (كم جنوب شرق مزدة) حيث قام الرومان بتعيين بعض رؤساء القبائل المنتشرة في منطقة حدود طرابلس والداخلتي في خدمتهم، قادة وذلك منهم رتبة عسكرية عالية " نقيب " مع تخويلهم السلطات الادارية وشؤون العدالة في مناطق الحدود المتواجدة بها قبائلهم وهو ما يؤكد بأن سكان بيوت المزارع المحصنة كانوا من رجال القبائل الليبيين⁽³³⁾. وبما أن هؤلاء التريونات الذين هم رؤساء القبائل كانوا من الليبيين فقد ساعد ذلك على حل المشاكل التي قد تحدث بين القبائل وتوطيد الأمن والاستقرار، كما ان الليبيين البربر الذين يدخلون منطقة الحدود الواقعة شمال خط القلاع الثلاث قولايا، القرى الغربية، وحصن غدامس وذلك لغرض البحث عن عمل أو لأي أمر آخر، كانوا يجدون سهولة في أداء القسم بآلهتهم الوثنية وفقا لمعتقداتهم الوثنية حيث يتعهدون فيه بالمحافظة على حسن السلوك خلال تواجدهم بمنطقة الحدود. وكان رؤساء القبائل يتقبلون منهم ذلك اذ انهم في الواقع منهم وغير بعيدين عن ثقافتهم. وكان يعتمد على هذا القسم سلامة المسافرين وملاك الأراضي من سكان منطقة الحدود⁽³⁴⁾.

خاتمة :

ان ترجمة هذه النقوش ليست عملا سهلا وذلك لصعوبة لغتها وكثرة الاختصارات فضلا عن اندثار بعض أجزائها وهو عمل يصعب حتى على المختصين في هذا المجال. ومن خلال محاولتنا لترجمة هذه النقوش ظهرت لنا بعض المصاعب منها :

أولا: ندرة وقلة مفردات اللغة الفينيقية المعروفة جعلتنا نعتد في ترجمة هذه النقوش على بعض اللغات السامية الأخرى مثل العبرية - الارامية والعربية.

ثانيا: ان كتاب هذه النقوش ارتكبوا الكثير من الأخطاء النحوية واللغوية كما ان ضياع بعض أجزاء من هذه النقوش بسبب الاضرار التي أصابت الأحجار التي كتبت عليها وهذا واضح من النقوش التي عثر عليها في بعض المواقع خاصة بير دريدر (IRT 886 b,e,h,f).

(33) El Mayer,A. 1983, "The reinterpretation of latino-punic inscriptions from Roman Tripolitanian" Lib-
yan studies 4: 86-95.

(34) Augustine, letters, 119.4; Ibid.46; Orosius, 1, 11.90.

ثالثاً: أنه خلال فترة الحكم الروماني لا يتوفر أي دليل على وجود عمل أدبي ذي أهمية كتب باللغة الفينيقية التي لم تكن أبدا وسيلة لنقل ثقافة أدبية هامة أو ترجمة إليها، وحتى الأناشيد المسيحية المقدسة التي قال أوغسطين أنها تُولف باللغتين الفينيقية واللاتينية لا يوجد ما يدل على كتابتها باللغة الفينيقية وأنه لو حدث شيء من ذلك لربما ساعد على فهم لغة هذه النقوش.

هذا وإلى جنب اللغة الفينيقية واللاتينية اللتين استعملتا في الاقليم كن هناك اللغة الاغريقية والتي ربما كانت مستعملة كلغة حديث في المناطق الساحلية خاصة المدن التي يوجد بها نشاط اقتصادي حيث المواني البحرية (لبدة - أويا - صبراتة). وهذا واضح مما ذكره الشاعر الروماني سيليوس الايطالي عندما وصف لغة نساء في لبدة الكبرى وقال انهن يتكلمن لغة اغريقية ولاتينية بلهجة ركيكة تبدو غريبة بالنسبة للرومان. وبسبب كثرة المهاجرين الاغريق وضع السكان أسطورة ذكرها الشاعر بان لبدة أنشأها الاغريق⁽³⁵⁾. ولا بد وان أويا كانت مثل لبدة يسكنها اغريق الأمر الذي جعل الشاعر يصفها بالمستعمرة الاغريقية (Ibid, 295). وهيرودوتس هو الآخر أشار إلى انشاء مستعمرة في حوض نهر كنيس (Cynips) (وادي كعام) القريب من لبدة حوالي عام 520 ق.م. وقد جرى تدمير هذه المستعمرة على يد الليبيين من قبيلة المكاي (Macaе) بمعاونة القرطاجيين.

هذا ومن وجود هذه المستعمرة وما ذكرته المصادر القديمة وقرب الاقليم من برقة الاغريقية يمكننا أن نستنتج ان اللغة والثقافة الاغريقية كانت منتشرة في اقليم المدن الثلاث. وهذا ما تؤكدُه النقوش المكتوبة بثلاث لغات متحدة أو منفصلة اغريقية، لاتينية وفينيقية جديدة والأسماء الواردة في النصوص الأدبية أو المنقوشة⁽³⁶⁾. ويبدو أنه كان هناك ارتباطا وثيقا بين استعمال اللغة الاغريقية ومهنة الطب ذلك ان الطبيب بونكار مكراسي (Boncar Mcrasi) الذي اتخذ لنفسه اسم كلاوديوس وكتب نقشا (IRT 654) بلغات الثلاث اللاتينية والاغريقية والفينيقية وقد يدل هذا ولا شك على ممارسة الطب الاغريقي الروماني. كما عثر على نقش آخر (IRT 655) في نفس المكان الذي عثر فيه على نقش الطبيب مكراسي في لبدة وقد كتب بطريقة مماثلة باللاتينية والاغريقية والفينيقية ويبدو أن صاحبة هذا النقش هي أم الطبيب المذكور.

(35) Reid J.S. 1913, the municipalities of the Roman Empire, Cambridge, 256, 294.

(36) Romanelli, p. 1927, Lepcis Magna, p. 22, n2.

وفي المقبرة الكاثوليكية بالخمس عشر على نقش لشاهد قبر لأحد المفكرين ويدعى دي لارخس (أو لارخس) سجل في هذا النقش احتفاله بعيد الحكمة العالمي⁽³⁷⁾.

ومن الصعب تحديد أصله نظرا لورود اسم كل من الاسكندرية وكريت في النقش وهو ربما جاء من كريت بسبب العلاقات الادارية التي كانت توحد بين جزيرة مينوس والساحل الافريقي عن طريق قوريني. وآخرون مثل تيموقراطيس (IRT 749) ربما جاء من قوريني واستقر في لبدة الكبرى. وهذا يدل على أن التأثير الثقافي لمستوطنة قوريني الاغريقية على اقليم طرابلس كان كبيرا وقد يرجع ذلك إلى قرب هذين الاقليمين من بعضهما.

وفي مجال الفن نجد أن التأثير الاغريقي واضح ذلك أن الخطة العظيمة لتزين وتجميل لبدة السفيرية أدت إلى استقرار عدد كبير من العمال الاغريق في هذه المدينة⁽³⁸⁾.

ان الأدلة النقشية متوفرة وبكثرة حيث يوجد مجموعات كبيرة من النقوش محفورة على قطع من الرخام عشر عليها في الميدان السفيري (Forum) والبازيليكا السفيرية (Basilica) (IRT 799-807). هذه النقوش ولو أنها تتباين بالشكل العام والعمق الا أنها تتشابه في أنها مكتوبة بحروف اغريقية وتحمل اسما واحدا يختصر في بعض الأحيان، وهو كما يبدو اسم العامل الذي قام بعملية نحت تيجان الاعمدة (Capitals) أو قواعدها في الموقع (ibid. 545).

ان دراسة تحليلية للفن اللبدوي تظهر ان أغلبية عمال الرخام شأنهم في ذلك شأن المهندسين المسؤولين عنهم كانوا ولا شك من الشرق بصفة عامة واليونان واتكا بصفة خاصة⁽³⁹⁾.

أما بالنسبة إلى اللغة الليبية فانه لم يرد ذكر لها عند الكتاب اللتين وربما كان ذلك لعدم أهميتها كما انها لم تستعمل في الكتابات المدونة على العملة حتى تلك التي ضربت في عهد العائلات الحاكمة من أهل البلاد⁽⁴⁰⁾ ومع ذلك فقد عثر على العديد من النقوش المكتوبة بهذه اللغة في عدة مناطق من شمال افريقيا خاصة سرتة - عنابة ودواخل اقليم طرابلس في مواقع مثل قصر خنافس (وادي شطاف) قصور القارة

(37) Garducci, 1948, Epigraphica 10, 74-80, IRT 690.

(38) Ward -perkins, J. 1954, "Tripolitania and the marble trade", JRS, XLIV : 94.

(39) ibid. 59, 72.

(40) Merighi A. 1940 " storia della Libya", vol. 2.

(وادي غزلان)، عصر شديوه وقصر نقازة (وادي سوف الجين) وهناك مجموعة أخرى وجدت شمال بئر بو غراب (على طريق مزدة)⁽⁴¹⁾. وعلى الرغم من الانتشار الواسع للغة الفينيقية كلغة حديث فقد استمر في استعمال اللغة الليبية في المناطق الواقعة فيما وراء خط الحدود الرومانية، ونظرا لأهميتها وحيويتها في المناطق التي تنتشر فيها مضارب القبائل الليبية خاصة في المنطقة التي تقع خارج خط الحدود جنوب القلاع الرومانية الثلاث (بونجيم ، القريات الغربية ، حصن غدامس)، فقد عاشت هذه اللغة سنين عديدة خلال فترة مليئة بالأحداث والاضطرابات التي تعرضت لها منطقة شمال افريقيا وهي لا زالت في شكل لهجات كما هي في لغة الليبيين القاطنين في منطقة الجبل وزوارة في اقليم طرابلس⁽⁴²⁾.

(41) Brogan O. and Smith D.J. GHIRZA, 1984, p. 252.

(42) Gascou, J. "La politique municipale de l'Empire, 1972, p.51; cf. Goodchild, Antiquaries journal, 3à (1950), 135

ملحق خاص ببعض النقوش الواردة في البحث

- 1- نقش اهدائي-للاله أمون براس الحداجية .
 - 2- نقش اهدائي للاله الليبي قرزل (Gurzil) من لبدته .
 - 3- نقش من قرزه (IRT 901) .
 - 4- نقش قصر وادي البتر (IRT 889) .
 - 5- بعض من نقوش بئر دريدر (IRT 886 a,b,e,f) .
 - 6- نقش قصر العزيز بوادي مردم (IRT 893) .
- نقش اهدائي باللغة الفينيقية الجديدة للاله أمون في رأس الحداجيه (قودشايلد - دراسات ليبية، 1967، 93-96).

عثر ماثيزويزو على هذا النقش عام 901م عند رأس الحداجيه .

وقام بترجمته كليرمونت قانيو ومن بعده ليفي ديلافيدا على النحو التالي :

- 1- الى الاله امون، هذا التمثال الجميل (?) (حرفيا : تمثال للاله) وحررم معابده والأروقة المعمدة، التي بنيت واهدت .
- 2- في سنة بروقنصل افريقيا (حرفيا : أرض الليبيين)، لوكيوس اليوس لاميا، (اقامها) تكصوف بن
- 3- شاسيدواسانت بن نت مرار ، الذي يتسبب الى أبناء ماسينكو، مع ملحقاتهم، على نفقته .

شرح مفردات النقش :

امن = وتعني هنا الاله امون وليس (بعل) امون

ماش = تمثال حيث وردت في نقوش أخرى (Cooke G.A. "A text book of north

(semitic inscriptions", 1903, 158

شفير = غير معروفة

صت = اسم اشارة للمؤنث والمذكر

وخيرفات = قد تكون صيغة محرفة لعرفات = أروقة معمدة

بنى ويقدس = بنيت واهديت

تحت = وهي تعنى هنا برفقنصل ولا بد وانها تعنى مصطلح في لغة الادارة وقد وردت في نقش آخر من طرابلس (neo punic 27= IRT 319) ويوجد اختلاف بسيط بين هذا المصطلح ونظيره في اللغة اللاتينية (tribunica potestate).

رب متتح = رئيس الأركان العامة للجيش

سد لوييم = أرض الليبيين وهنا تعنى ولاية افريقيا.

بنو ماسينكو = من بنى ماسينكو

بت صاتم = قد تعنى مع ملحقاته أو على نفقته الخاصة.

النقوش الفينيقية الجديدة في اقليم طرابلس :

الالهة الليبي قرزل Gurzil في نقش من طرابلس الرومانية (انظر شكل 2)

في عام 1846 عثر على نقش فينيقي جديد سياج مبني دير مسيحي (كنيسة البربر) بطرابلس. وهو في الأصل من مدينة لبدة.

وقد قامت راهبات هذا الدير بتسليمه إلى قنصل نايولى في طرابلس الذي سمح للرحالة الفرنسي ف فرسفل بأخذ نسخة عنه حيث قام الأخير بنشرها في مجلة الدراسات الآسوية (Fresnel, 1846) ولم يعثر عليه بعد ذلك.

ويتكون النقش من ثلاثة أسطر حيث اندثر جزء منه بسبب الاضرار التي حدثت للحجر الذي كتب عليه.

وقد جرت عدة محاولات لترجمته (Levy 1846; Levi del.vida,1972). ولم يلاحظ أحد أن الحروف الأربعة الأخيرة تعطى اسم الاله الليبي قرزل الذي وصفه الشاعر اللاتيني كوريبوس بالاله العظيم المقدس، كما تحدث عن محاربي قبيلة "لواته" فوصفهم بالشجاعة والقسوة وأنهم كانوا ينشرون الرعب في الاقليم كله معتمدين على الههم ليحقق لهم النصر. وطبقا لما ذكره الشاعر فقد قامت هذه القبيلة بالتعاون مع قبيلة الاستورى (Austurii) بقيادة إتحاد القبائل الليبية في ثورة 546 م ضد البزنطيين.

وقد دخلت قبيلة لواته أرض المعركة وهي تحمل صورة تمثل الههم قرزل والذي يعتبرونه ابنا للاله أمون من بقره . وبعد أن هزم الليبيون وتفرق اتحادهم سقط جيراننا قائد الاتحاد ذلك الشيخ العظيم وكاهن لواته صريعا على أرض المعركة عندما كان يحاول انقاذ تمثال اله لواته قرزل الذي هو على شكل ثور . هذا وقد استطاع ليفي ديلافيدا (1972) قراءة الحروف الأربعة الأولى من السطر الثاني على أنها " ساتور " وهنا نتساءل : هل يعنى هذا التعاقب أن الاله الليبي قرزل كان يعادل بالاله الروماني ساتون وذلك على الرغم من عدم توفر أي دليل آخر على أن الليبين كانوا يعادلون الهتهم .

إن الحروف التي تسبق قرزل يمكن قراءتها على أنها تكملات (Tklat) وهي ربما جاءت من كلمة تكله (Tklah) " نفقه ، حساب " (Diso, 1965, 328) . أن قراءة م . أ . ليفي (M.A. levy 1864) للحروف الثلاثة الأولى على أنها تعنى " نذر " تستحق الاهتمام ، على الرغم من أن أشكال حرف الدال في الفينيقية الجديدة والتي رسمها فريدريش (Fredrich) لا تبدو منحنية الظهر .

إما بقية النقش فيصعب قراءته . وعليه فإنه يفهم : أن هناك مالا تم إنفاقه كنذر من أجل الاله ساتورن " .

وهكذا نرى أن هذا النقش به معلومات هامة وجديدة تتعلق بالديانة الليبية القديمة وانتشار اللغة الفينيقية في الاقليم واستعمالها في تأدية الشعائر الدينية .

المراجع

Bibliography :

- Fresnel F. 1846, journal asiatique 2: 353-355.
- Friedrich J. and Rolig, W. 1970. phoniziche Grammatik; rome, appended table of scripts.
- Jean, C. and Hoftijzer. 1965. dictionnaire des inscriptions Semitiques de l'ouest. Leiden.
- Levi della Vida G. 1927. Le iscrizioni Neo puniche della Tripolitania. Rivista della Tripolitania 3.
- Levy, M.A. 1864. phonizische studien 2:91-93.
- Lexicon Totius Latinaatis , vol. 5, 1940. Appendix.
- Paul- Wissowa. 1912. Real.- Encyclopadie der Classischen Altertumswissenschaft 7.

نقش - لاتيني من قرزه (- Brogan, Smith, Ghirza - IRT 901 = CIL VIII 10991
(1984, 181,263).

عثر على هذا النقش ضمن مجموعة أحجار نقوش قرزه التي كانت موجودة في اسطنبول وقد أخذ عنه Dethier نسخة قبل عام 1873 وكذلك Tissot ثم صوره Rein- ach. وقد اعتقد البعض ان لغة هذا النقش ليلية ولكن بعد دراسته تبين لنا انه مكتوب باللغة الفينيقية الجديدة وترجمته هي: " نصب للذكرى الذي أقامته فيليثوالاث ابنة ناصف لوالديها الثنين " .

ترجمة مفردات النقش :

1-MEMORIA = M: M قد تكون للكلمة الفينيقية MSBT = نصب أو شاعد قبر
(IRT. 828) . (CIS 159; 778; DISO, p. 164 n) (30 !)

MEMORIA : وهي كلمة لاتينية تعنى ذكرى.

MV : أداة وصل = التي وقد وردت في نقوش أخرى من اقليم طرابلس (IRT
(828, 873, 877)

2-FELYTHVALATH : اسم وقد ورد في نقوش أخرى بصيغ مختلفة
(Bartoccini, Al 1, 1927, 232).

3- BYTH : ابنة وهي صيغة محرفة عن الكلمة الفينيقية بت = ابنة وقد وردت في نقوش أخرى عشر عليها في اقليم طرابلس (IRT = CIL VII 16, Garbini, LA 12, 1982; 19,20, 655).

4/3 - NASIF : اسم ورد في نقوش أخرى من اقليم طرابلس (IRT 886f).

+ - MV = التي

FELA: FELA = اقامت وهي تصريف للفعل FEL = أقام

5- LY BYTHIA : LY = ل (من أجل)

BYTHIA : BYTHIA = والديها.

LISENM: LISEN = للاثين وقد وردت في نفس آخر من اقليم طرابلس (

(Bartoccini, Al, 1927, 232

(Kra hmalkov, MOS, 1976, 57-64).

نقش قصر وادي البئر (TRT.889).

عثر على هذا النقش فوق مدخل باب قصر وادي البئر قرب شيمك في حوض وادي سوف الجين. والآن مودع بمتحف ليد. ويتألف هذا النقش من ثلاثة أسطر كالآتي:

1- فلابيوس داساما وابنه FLABI DASAMA VY BINIM

2- مكرين مالكي الأرض أقاما (هذا) الكنتاريوم

MACRINE FELV CENTE NARI BAL ARS

3- لحراسة وحماية كل المنطقة (حدود مزروعتهما).

SVMAR NAR SABARE SAUN

الترجمة "فلافيوس داساما وابنه مكرينوس مالكي الأرض من أقاما هذا الكتنا ريوم Centenarium (البيت) لحراسة وحماية جميع حدود أرضهم"

شرح المفردات :

1- داساما DASAMA: م. سينزر (SZYNCE, 1965) قرأ هذا الاسم " Flavi Dasama v binim " ، بينما قرأها فاتيونى (Vattioni) : " فلابيوس داساماوينم " "FLABI DASAMA VY BINIM"

2- مكرين مالكى الأرض أقاما (هذا) الكتتاريوم

MACRINE FEL CENTE NARI BALARS

3- لحراسة وحماية كل المنطقة (حدود مزوعتهما)

SVMAR NAR SABARE SAUN

الترجمة " فلافيوس داساما وإنه مكرينوس مالكى الأرض من أقاما هذا الكتتاريوم Centenarium (البيت) لحراسة وحماية جميع حدود أرضهم "

شرح المفردات :

1- داساما DASAMA: م. سينزر (SZYNCE, 1965) قرأ هذا الاسم " Flavi Dasama v binim " ، بينما قرأها فاتيونى (Vattioni) : " فلابيوس داساماوينم " "FLABI DASAMA VY BINIM " . وحيث أن حرف العطف U=UY ، فإن كلا القراءتين مقبولة . كراهملكوف (1973) رأى أن الحرفين الأولين من كلمة داساما (DA) كأداة عطف ليبية ، إلا أن راية لا يدعمه دليل . ونجد ليفى ديلافيدا (Levi dei, vide, 1967) تبع م. سينزر في قراءته وترجمته لهذا النقش ووافق قاريبنى على ذلك (Garbibi, 1974) . وفي الحقيقة أن هناك بعض العائلات الليبية خاصة " البربر " لا زالت تحمل أسماء مشابهة لاسم داساما مثل نيسامو وتسامو ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نقول أن داساما ليس اسما صحيحا .

1- بنم BINIM = V.V. و ويمكن أن تجد تفسيراً لها فيما أورده بونيولوس (Poenulus) في هذه العبارة ALONIM U ALONUTH = باللاتيني = does deagur = الهة والهة (709+5) .

BINIM = "إنه" والاسم هنا في حالة الرفع ، والاضافة الأخيرة IM- كانت تضاف إلى الاسم " فقط عندما يكون في حالة الاضافة " (Krahmalkov, 1970) .

2- ماكرين MACRINE: اسم = ماكرينوس (MACRINUS)

2- فيلو FELV : " هم أقامو أو صنعوا " اشتقت من الجذر FEL = فعل ، صنع والذي نجده في نقش آخر من نقوش طرابلس (IRT 906,1,989,2) = FEL " صنع " (IRT 826.1/2.3) = FELA ، " صنعت "

2- كيتري CENTENAR = وهو منزل خاص ارتبط اسمه بأسم حصن لمائة جندي الذي كان يسمى بهذا الاسم . إن آثار بعض هذه البيوت لا زالت باقية حتى الآن في منطقة الحدود الطرابلسية (Limes Tripolitanus) . وحصون الكتوناريا هذه يطلق عليه الليبيون " القصور " وكلمة قصر ربما جاءت من الكلمة العربية " قصر " ونجد أيضا الكلمة اللاتينية (Castrum) التي تعني الحصن . وهذه القصور أطلق عليه قود شايلد بيوت المزارع المحصنة (goodchild, 1976) .

2- BAL ARS : ليفي ديلافيدا (1976) قال انها تعني مقاول (Contractor) وفي مكان آخر نجد أنها تعني فنان (DISO, p. 40) و لكن هذا يبدو غير صحيح لعدة أسباب منها :

أولا : لا يبدو أن فلافيوس داساما أو ابنه كان أمر الوحدة عسكرية أو أميرا (شيخ) مثل تريونات بثر دريدر (IRT, 886 a,b,d,f) .

ثانيا : ان اشتراك أب وابنه في تشييد بيت محصن يدل على أن هذا البيت خاص بالعائلة وانهما اقاما على أرضهما التي يملكانها .

ثالثا : نجد في نفس الفقرة ان هناك بعض ملاك الأراضي في منطقة الحدود بنو بيوتا مشابهة على أرضهم وذلك لحماية سكانها المقيمين فيها = من تعديات الليبيين المقيمين خارج منطقة الحدود (IRT. 8949) ؛ قودشايلد ، دراسات ليبية ، 1976 ، 112 ؛ اولوين بروقان ، ليبيا القديمة 13-14 (1983) ، 127 .

وعليه فان BAL يمكن ترجمتها على انها (مالك) (DISO, p. 40) و ARS قد تكون صيغة محرفة لكلمة RS = أرض (DISO, p.25 n47) . لذلك فان BAL ARS تترجم (مالكي الأرض والتي تناسب المعنى .

3- SVMR : يحرس (CF. DISO, p. 310) NAR : يبدو انها صيغة محرفة لكلمة NSR الصيغة = يحمى (DISO, p. 185 n24) . وعليه فإن شومر ونشر (SVMR (W) NSR يحرس ويحمى (RES 20.1) .

3- شابر SABARE : قد تكون صيغة محرفة لكلمة الفينيقية SBRT-SBR ، التي تعطي معنى " كحل " (DISO, 290. N.22) .

3- SAVN : في هوفتزر Hoftizer (DISO, pp.30-35) نجد أن هذه الكلمة تعنى مكان فمثلا :

- سون بيجرت (SAVN BjRr) = حصن بيجرت (DISO,p.35.5) وفي مثال آخر بيسون بيجرت (BSAVN BjRT) = في حصن سوف (DISO,p.30. n.33) .

وفي مثال آخر : رب هجل زج سون SAVN ز. Z. — د RB H = أمر حامية سون (DISO p.271, n.12) .

في ترجمتي السابقة مشار إليها أعلاه رأيت سون SAVN = ZONE والتي تعنى في اللاتينية وجود حزام أو حد حول أرض المالكين .

نقوش بئر دريدر

النقش (رقم 1, IRT 886a) (بئر دريدر) 65 قودشايلد، دراسات ليبية 1976 ص 65

ترجمة النقش :

"فلافيوس سيقام بن مكراكوم، سونمون تريبونوس، أمير (أو شيخ قبيلة)، هذا
النصب أقامه ماكروس" .

الشرح :

بما أن الأسطر الأربع الأولى هي عبارة عن مجموعة من الأسماء فإن ترجمتها لا
تشكل أية صعوبة والكلمة BN= ابن وهي من الصيغ النادرة في مثل هذه النقوش
حيث الصيغ المستعملة هي BVN, BYN, BEN (على سبيل المثال IRT 892, TRT) 906 IRT (886f, IRT 906) .

الأسطر 5/ 6 : تريبونوس (Tribunus) وهي في اللغة اللاتينية تعنى شيخ قبيلة،
رقيب، قائد عسكري، وهو لقب يطلق على ضابط روماني مخول بسلطة الاشراف على
الشؤون الادارية والعسكرية في احد قواطع الحدود الطرابلسية (Limes Tripolitanus) .

وتدل أسماء هؤلاء الترابنة الواردة في النقوش التي عثر عليها في مقبرة بئر دريدر على أنهم من الأهالي وربما كانوا من بين مشايخ القبائل التي تنتشر مضاربها في منطقة الحدود (IRT. 886 a,b,c,d,e,f, IRT.889, 865; Good child 1976, 68-69,70) وقد امتدت سلطتهم في منطقة الحدود هذه لتشمل الاشراف على الشؤون الدينية و القضاء (انظر EL Mayer 1983,86-95, IRT. 886f, 877). و يرى قودشاييلد (, 1976 70) أن التربيون كان يشغل وظيفة مساعد أمر قاطع الحدود في منطقة (Praepositus Limitus).

السطر 6/7 : بمسير BYMYSIYRIR قرأ ليفى ديلا فيدا هذه الكلمة على النحو التالي : BYMYST على أساس انها لهجة أو صفة محرفة لكلمة MYNSYST= نصب.

أما فاتيونى (Vattioni, 1976, 545) فيرى انها كلمة BYMYFET وقد تبعته بولسيلي (Polselli, 1979) في ذلك ونسبت كلمة BYMYFET إلى الكلمة الفينيقية MPT= الرفع والاحترام "dignity" ولكنني أعتقد انها تقرأ BYMSIYRIR حيث نجد هذه الكلمة تكرر في نقوش فينيقية على نصب تذكارية أخرى عثر عليها في موقع بئر دريدر. وقد ظهرت في صور مختلفة على النحو التالي:

1 - BYMYSIYRIR (IRT 886a)

2 - BMSIR (IRT 886b)

3 - SIR (IRT 886d)

4 - BYMSIR (IRT 886f)

5 - BYMSIYRIR (IRT 886h)

ومن دراستنا لهذه النقوش نلاحظ ان هذا المصطلح بمسير، بمسيرير وسير يكون في بعض الأحيان مسبقا بكلمة تريبونوس (Tribunus) ومتبوعا بكلمة عين ABAN (IRT 886f). وهذا دفعنا إلى الاعتقاد بان مصطلح Tribunus BMSIR معادل للمصطلح اللاتيني (Praepositus Limitis) والذي يرد في نقوش طرابلس الرومانية (انظر : IRT. 880) وكان من واجب البريوزيستوس ليميتس العمل على حماية قاطع الحدود المكلف بالاشراف عليه مثل قصر ذويب الموجود في منطقة الزنتان باقليم طرابلس.

وكانت منطقة حدود طرابلس مقسمة إلى اثنتي عشر قاطعا وذلك كما جاء في تاريخ الاشراف (Notitia Dignitatum, occ, 25, 31) ولكن كلمة (BYMSIR) لم تكن دائما مسبقة بكلمة تريبونوس (Tribunus) مما جرنا إلى الاعتقاد بأنها تعني نصب (Stele) (الميار 89, 1983) غير ان هذا الاقتراح لم يكن مقنعا لعدة أسباب منها:

أولا : اننا نجد في هذه النقوش مصطلحات أخرى تعني أننا نجد في هذه النقوش مصطلحات أخرى تعني نصب مثل (Cooke 1903, n! 58) (ABAN)، وارس (ERS) كما في بوينولوس (Poen. V. 947) و لا يوجد ما يدعو لتكرار كلمة نصب بصورة متعاقبة في بعض هذه النقوش مثل :

(IRT 886a) BYMSIYRIR ABAN

(IRT 886f) BYMSIR ABAN

(IRT 886h) BYMSRIR ABAN

ثانيا: وإذا لم ترد كلمة عين ABAN في أي نقش من هذه النقوش نجد كلمة ERS) IRT. 886b) بدلا منها واللذان تعنيان نصب وعليه فلا يوجد ما يدعو إلى الاعتقاد بان كلمة BYMSIR تعني نصب .

ثالثا: ان ترجمة BYMSIR ABAN على أنها نصب من الحجر غير مقنعة ولا يوجد ما يسنده .

وعليه يبدو ان مصطلح BYMSIR, BYMSIYRIR . . . الخ يتكون من كلمتين (أ) BYM-BM-BYN ابن (قارون CIS i,1126، هوفتزر 1960، 37) . (ب) SIR أو SIYRIR: وهي قد تكون صيغة لكلمة sr وهي تعني أمير (أو شيخ قبيلة)، (انظر هوفتزر، 287.5، CIS؛ CIS i,294.5). وفي العبرية نجد أن كلمة (SR) تعني شيخ قبيلة، أمير، حاكم وكذلك كلمة سيرر (SIYRIR). وقد يؤكد ذلك أنه عندما تدخل إحدى القبائل في خدمتهم كانت توضع تحت اشراف ضباط رومانيين برتبة (Praefecti, Tribuni, decuriones) (Theod. xi,30.62; Amm.Marc.xxiv.21,35;cod. St.Austine,epist.199; epist.46; Dig.occ. xxxiv.24). ومثل هؤلاء الضباط كان البعض منهم من رجال القبائل الليبية مثل ترابنة بئر دريدر خاصة مشايخ القبائل الكبيرة التي تنتشر مضاربها في منطقة الحدود قرب أعالي وادي سوف الجين مثل قبائل ميزيركار

وميكنى وبابار الواردة أسماؤها في هذه النقوش (IRT. 886b, 886f, 886h). ونجد أن قبائل غدامس عندما تغير وضعها من قبائل مسالمة (Pactae) الى قبائل حليفة-foedera- taе اطلق على مشائخها أمراء (Princepes) أو صغار الملوك (reguli) وعلى الرغم من أن ألقابهم كانت وراثية الا أنهم كانوا يعينون من قبل الحكومة الرومانية (قارن Tacit- us, Annals, iv; Plotemy, 1,8,5,1,10,2; Procop., Buildings, iv, 3, wars, iv, 7 . وحيث ان هذا اللقب وراثي فعادة ما يحمله الابن الأكبر لشيخ القبيلة (principis) والذي ربما كان يطلق عليه لقب أمير (BMSIR) = (BYMSIYRIR) = ابن الأمير. وعندما يخلف والده يبدو أنه يستمر في الاحتفاظ بهذا اللقب BMSIR.

وفي هذه النقوش نجد ان مصطلح SIR, BYMSIRIR قد استخدمها بنفس الطريقة:

(أ) - ما سيقاما بن إزاكوتريبيونوس أمير (أو شيخ) MASICAMA BYN ISHV TRIBUNUS SIRB (IRT 886d)

(ب) - جوليوس نصيف تريبيونوس، أمير (أو ابن أمير) JULIUS NASIF. TRI- BUNUS BMSIR (IRT.886f) وقد يدل هذا على أن مصطلح SIR, BYMSIYRIR = " أمير " أو " ابن الأمير " .

. وتدل نقوش بئر دريدر (IRT. 886b) على أنه قد يتم تنصيب شيخ القبيلة كأمر حتى ولو لم يعين كزيبونوس (Tribubus). غير أن هناك احتمالاً بتحويله سلطات التريبون.

السطر 8: عبر = حجر (ABAN) (cooke 1903, 142)

السطر 8/9: VSEB- مشتقة من كلمة نصب، أقام، رفع (levi della vida, 1963a, 90 n° 49).

النقش رقم 2 (= IRT 886b) (بئر دريدر) قودشايلد، دراسات ليبية 1976، 65.

ترجمة النقش :

" يوليوس ماستوالول بن كرديدرى، الأمير (أو الشيخ) النبيل المحتد، (الحائز) على جميع الفضائل، من قبيلة (أو : عائلة) مزيروخان رئيس الشؤون الادارية والقضائية، أقام له هذا النصب مكائيل " .

الأسطر 1-4: عبارة عن مجموعة من الأسماء.

الأسطر 4/5: BMSIR = أمير (أو شيخ).

الأسطر 5/6: BL:BL SAMEIVV = سيد، زعيم (هوفترز، 1960، 40). SA-NEM = (أو SEM) (IRT.886f)؛ وردت في بوينولوس في صيغة سام (Poenulus, v. 1006) وهذه كلها صيغ محرفة عن SM الفينيقية والتي تعنى سام أو رفيع وكذلك وردت في بوينولوس (Poen.v. 1006) بمعنى رجل كامل (SAM = IS) (Szyner 1967, 142). وفي اللغة العربية رجل سام = رجل رفيع المقام. وفي النقوش اللاتينية وردت في صيغة سامو BAL SAMO = الفينيقية BL SM (CIL. 1,2407).

الأسطر 6/7: SABA/RE: هذه الحروف تقرأ ككلمة واحدة SABARE حيث وردت في نقوش فينيقية أخرى عثر عليها في طرابلس الرومانية (IRT. 886e, 889). SBRT = SBR (El Mayer, 1983, 91) حيث تعنى "كل" أو "جميع" (هوفترز 1960، 90 رقم 22).

الأسطر 7/8: MASDYTH: قد تكون صيغة محرفة للكلمة الفينيقية MST "ميزه" (هوفترز 1960، 163 رقم 9)، وقد وردت في نقش فينيقي آخر من طرابلس M' S' (IRT. 318).

الأسطر 8/9: LE MISAIE RVCHAN: الاداة LE اتخذت صيغ مختلفة (LI, LY, LU) خلال حقبة زمنية مختلفة حيث تغيرت من LI كما في بوينولوس (Poen. v. 932) إلى LU التي استخدمت في العبرية وردت في صيغة LUL = "من" كما في (IRT.886h) "LVL BABAR". ويمكن استخدام LVL بدلا من بن (BYN) مثل بن صديق "byn sdq"، وهي تعنى "من أسرة أو قبيلة بن صديق (Levi della Vida 1963b) بن مكى: Mycnei (IRT.886f). والصيغة الفينيقية LUL تستخدم في العربية في الصيغة LYL = LEL = لل = من، يخص = للعائلة، للأولاد.

السطر 10: DNI: من الواضح انها منسوخة من كلمة DNY الفينيقية والتي وردت في بوينولوس في صيغة DNNI (Poen.v.998,1001) وترجمتها سيد (Master) (Szyner, op. cit. 141) وهنا تعنى رئيس.

وقد وردت في نقش آخر DNY = رئيس (CIS 1,121.2).

الأسطر 11/10 : MSARASTHIE : وهي صيغة محرفة للكلمة الفينيقية =Msrt =
خدمة (أو إدارة) خاصة رعاية الشؤون والمؤسسات الدينية (هوفتزر، 196، 170،
رقم 40).

الأسطر 12/11 : VY MYSORTHIM : وهي عبارة عن حرف عطف = و
(Poenulus, v. 930). =MYSORTHIM قد تكون صيغة محرفة للكلمة الفينيقية
=MYSRT عدل، قضاء (Poen.v. 935؛ هو فتزر 1960، 150) ونجد أنها تتكرر في
نقوش فينيقية من بئر دريدر (IRT. 886e; 886f).

السطر 13 : MCHYL : اسم (Cooke, 1903, 76 n!25,).

السطر 14 : ERSS : ربما كانت صيغة محرفة للكلمة ERS = نصب تذكاري
جنائزي (Poen.v. 917).

الأسطر 15/14 : V (SEB) : تعني أقام رفع، "نصب" (Levi dela vida,) n
1963a,90!49,) وهي هنا تعني "قد أقيمت".

قودشايلد دراسات ليبية 1976، 76

النقش رقم 5 (=IRT, 886e- بئر دريدر)

ترجمة النقش:

"جوليوس ابتواتيف ميزركار بن امرر بن كرديدرى، أمير (أو : ابن أمير) النيل
المحدد (أو : الحائز على جميع الفضائل) من قبيلة (أو : عائلة) ميزيرو خان، رئيس
الإدارة والقضاء... الرجل الذي... باركه الرب.

أقام (هذا) النصب ماخروس بن روقاتوس".

السطر 1: هذا الاسم يتكرر في نقوش أخرى عشر عليها في موقع بئر دريدر
(IRT. 886b; TRT. 886f).

السطر 3/2 : IBITUATIF : سم.

السطر 3/+ : MISI : هذه الأربعة حروف قد تكون جزءا من اسم MISIRKAR
وهو يظهر في صور مختلفة في نقوش أخرى وجدت في موقع بريفلجيري قرب
سیدی علی بن زاید (MASIERIKAR, IRT. 887a).

السطر 4/5 : AM : هذان الحرفان قد يكونان جزءا من اسم Amr والذي تكرر في صيغة YMRR في نقش فينيقي من وادي العمود في منطقة الحدود الطرابلسية (Levi della vida, 1964, Tripol.38.2-60-57) Limes Tripolitanus .

السطر 5/6 : CHYDIDRY اسم .

السطر 6/7 : BYMSIYRIR : = أمير (انظر أعلاه).

السطر 8 : عین (ABAN) وهي تعني نصب تذكاري جنائزي .

السطر 8/9 : BA- ربما تكون الجزء الأول من كلمة BAL = رئيس أو رجل (هو فتزر (Poen.v. 1027, 40, 1960) والصفة اللاحقة له SM = سام، رفيع وعظيم (Poenulus, v. 1006, 1027) .

السطر 9 : ARE : يبدو أن هذه الحروف الثلاثة هي الجزء الأخير من كلمة SA-BARE وقد وردت نقوش فينيقية أخرى عشر عليها في منطقة الحدود الطرابلسية (IRT, 886b, 889) وهي قد تكون صيغة محرفة للكلمة الفينيقية SBR (El Mayer 1983, 91) وهي تعني "كل" (هوفتزر 1960، 290، رقم 22) .

السطر 10/11 : MASADYTH : ربما تكون صيغة محرفة للكلمة MS = فضيلة (هوفتزر 1960، 163 رقم 9 = 32.6 Tripol.) وظهرت في نقش فينيقي آخر (IRT 886b) .

السطر 11/12/13 : LE MISAIERVCHAN + LE : MISAIERVCHAN = من + "قبيلة" (أو : عائلة) ميزيروكان (انظر IRT. 886b) .

السطر 13 : DNI : وهي الكلمة الفينيقية DONNI كما وردت في بوينولوس (Poen.v. 898) وتعني رئيس وقد جاءت في نقش فينيقي آخر (IRT 886b) .

السطر 13/14/15 : MSARASTHIE : ويبدو أنها صيغة محرفة لكلمة MSRT الفينيقية = ادارة (هوفتزر 1960، 171، رقم 10+) وقد وردت في نقش فينيقي آخر (IRT. 886b) .

السطر 15/16 : VYMYSORTH : VY : MYSORTH + و = العدل .

الأسطر 16/17/18 : SY : SY SY : = "رجل" (Poenunus, v. 935) SY = ضمير وصل (= الذي، التي) (Poen.v. 935) .

BARRECILIM : تتكون من مقطعين BARREC + BARREC.ILIM : مشتقة من
=BRK " يبارك " (قارن 44, 1960, Hoftzer, Poen.v. 931).

=elim= ILIM " آله " (Levi della vida, 1927, 92-93 = 349a). وعليه فهي تعطي
المعنى " باركه الرب " .

السطر 19 : VSEB = " أقام " ، " نصب " (Levi della vida, 1963a, 90 n) !49

السطر 19 : SYLO : SYLO = له (Cooke, 1903, 220 Poen.v. 933 n) !6, 80.

السطر 20 : MACHRVS : Machrus : سم (انظر 869, IRT).

السطر 21 : BEN ROGATE : ben:ben Rogatus = ابن . Rogatus - اسم ورد في
نقش آخر من طرابلس الرومانية (Levi della vida, 1963a, 83; 1927, 108).

النقش رقم 6 (= TRT. 886f بئر دريدر).

قودشايلد (دراسات ليبية 1976، 67).

ترجمة النقش:

"جوليوس نصيف تريبونوس أمير (أو شيخ) بن جيهان ريركان رئيس الادارة
والقضاء، السيد النبيل المحتد المقاتل العظيم بن مكنى المحاربة بن عبد اشمون العظيم
عاش سنة " .

السطر 1 : JULIUS NASIF - اسم .

السطر 2 / 1 : BYMSIR: BYMSIR ABAN = أمير (أو شيخ قبيلة) (انظر أعلاه).

=ABAN نصب (انظر أعلاه نقش رقم 1).

السطر 3 / 4 / 5 : ابن جيهان ريركان : اسم .

السطر 5 / 6 : BAL = رئيس MSARASTHIE - من الواضح ان THI هي جزء من
الكلمة MSARATHIE والتي هي بدون شك صفة محرفة عن كلمة MSRT - "ادارة"
(أو: خدمة) (انظر هوفتزر 1960، 171 رقم 40).

السطر 6 / 7 : VY:VY MYSYRTHIM = و (Poen.v. 930) MYSYRTHIM = عدالة
(Poen.v. 933; Vattieni, 1976).

السطر 7: BAL وهي تعني "رئيس" و"سيد" (CIS i,122؛ هوفتزر 1965، 40+)

SEM (أو : SAM,SANEM) - كما ورد في بوينولوس (Poen.v.1006, 1007) فان جميع هذه الصيغ محرفة عن كلمة SM- "سام"، "رفيع الشأن" (المرجع نفسه؛ هوفتزر، 1965، 306). سنزر (142، 1967) ترجم SAM IS التي جاءت في بوينولوس (Poen.v. 1006) على أنها تعني "رجل كامل" (Homme parfait). وأيضا في العربية كلمة سام تعني السمو وعلو النفس. وفي النقوش اللاتينية نجد ان BAL SAMO = الفينيقية BLSM (CIL,2407). RM- : "عظيم" أو "بارز" (انظر SMM RMM) (في هوفتزر، مرجع سابق 280 رقم 32).

Ben Mycnei: BEN MYCNEI = اسم القبيلة أو العشيرة.

السطر 8: SABSI : "جيس" أو "جندي" (Vattioni,1976, 547).

السطر 8/9: BEN MYCNEI : من عائلة أو قبيلة مكنى - مثل بن صديق BEN SDQ من قبيلة أو عائلة صديق كما جاء في نقش آخر انظر (Levi della vida 1933, 468-469).

ان اسم قبيلة ميكنى قد يكون مشتقا من اسم قبيلة المكاي الليبية التي شاركت القرطاجيين في طرد الاغريق من وادي كعام الذي كان يسمى في القديم بنهر "كنبس" "Kins" حسبما يذكر هيرودوتس (v. 42).

السطر 9: Sabsy:SABSY = قد تصف هذه الكلمة أفراد هذه القبيلة لما أبدوه أثناء خدمتهم العسكرية أو لحبهم للقتال وهم لا شك قد ورثوا ذلك عن أسلافهم الجرمنت والنامونيس الذين اشتهروا بعدوانيتهم ومهاجمتهم المستمرة لمعقل الغزاة من رومان ووندال شأنهم في ذلك شأن القبائل التي عاشت في نفس المنطقة في فترة متأخرة حيث نجد الشاعر اللاتيني كوريبوس Corippus يصف المحاربين من قبيلة هواره (Johannidos Ilagus) (2. 109) بالقسوة والشجاعة والذين أشاعوا الرعب في الاقليم كله معتمدين على بركات الههم قرزل GURZIL في تحقيق النصر على أعدائهم البزنطيين خلال ثورتهم عام 346م (انظر عبد الحفيظ الميار 1982). V: FATHSY : - و (Poen. v. 930).

FATHSY قد تكون صيغة محرفة لكلمة FHST = 'ساحق' أو 'قوي، مدمر' (انظر هوفتزر، 40 . 226).

السطر 10/9 : BEN AABS (MUN) = BEN: BEN ابن، =AASMUN =Abd-ESMUN عبد، اشمون - اسم.

السطر 10 : ROSA : قد تكون مشتقة من الجذر RS = راس = وهي تعني العظمة والرفعة (هوفتزر، مرجع سابق 283 رقم 15).

السطر 10/11 : وهي عند هوفتزر (المرجع السابق، 163 n 2!) تعني 'قضى وقتاً' وهي تعني هنا 'عاش' (انظر POLSELLI, 1979, 41).

السطر 11 : (SAN) قد تعني سنة... " والباقي غير واضح.

نقش قصر العزيز - وادي مردم (جنوب طرابلس) (CIL 8. 22664 = IRT. 893) (شكل 9). عثر على هذا النقش في قصر العزيز بوادي مردم في منطقة الحدود الطرابلسية الرومانية قام بالمحاولة الأولى لترجمة هذا النقش ليفي ديلا فيدا (AUG.16 (A2,(1963),900) الذين أقر الصعوبة ترجمته. وأخيراً نشرت أولوين بروفان (LA 13-14) صورة واضحة لهذا النقش. وعليه نقترح أن تكون قراءة وترجمة النقش على النحو التالي:

VATIBAZCCFE -1

LNDRIITLDBI -2

AEMVLYBAIAE -3

BVNIODOSILIM -4

SEBIDITAMVSISAN -5

SILVAN USATIVXE -6

BCALAMDASMEN -7

VARIATZICAVRAM -8

الترجمة:

"ويوا شبعوص قدم هذا القربان لوالده ولابنه عبد سليم، وأقام شيشان سيلوانوس هذه الأعمدة الثمانية والأروقة المعمدة التذكارية".

الشرح:

السطر 1: VIVA، اسم وقد تكرر في نقش آخر من طرابلس (IRT. 892.1)

السطر 1: SIBAVS، اسم.

السطر 1/2: FEL = أقام، عمل. هذا الفعل، هو عبارة عن ترجمة حرفية لفعل (P>L) (DISO, pp. 231-32) وقد ورد في عدة نقوش من طرابلس (IRT. 929.1, 3; 873.2; 877.2).

السطر 2: NDR = "نذر" أو "قربان" (DISO 1965, 175 n).

السطر 2/3: LOBVHEM = L، من أجل (Levi della vida 1963, p. 78, 131) (DISO, 1965, 131) وقد وردت في نقش فينيقي جديد - لاتيني من دواخل طرابلس (IRT. 826.1; 828; Reynolds, 1955, 141).

OBVHEM : OBVHEM = "والده" تكررت في نسخ مختلفة في نقوش فينيقية أخرى مثل (OBVHYM) (IRT. 828.1/2). كراهملكوف (JSS 15, 1970, 184) بين أن صيغة الاسم AB = اب في الفينيقية يظهر فيها الحرف المتحرك الطويل [-U]. كما في (ABUHOM) في اللغة الآرامية. ونضيف هنا أيضا كما في العربية (أبوهم). وهنا اللاحقة الدالة على الملكية (-em) في (ABUHEM) تشبه (-IM)، في BINIM - ابنه. (انظر Poen.v. 936; IRT. 889.1)

وهكذا تترجم LOBUHEM = "والده" مثل LMM "لامه" (CIS 1, 151.5).

السطر 3: VIY : VIY = لاجل (ل) (Poen.v. 930, 938) وهي تكرر في نقوش أخرى فينيقية جديدة - لاتينية (IRT. 827.1 866.2; 906.2).

السطر 3/4: BANEM = ابنه، وهي عبارة عن نسخة مختلفة من BINIM "ابنه" (Poen.v. 936; IRT. 889.1).

السطر 4: BVNI: ليفي ديلافيدا (1963, 74) قرأ هذه الكلمة على أنها BVNY "بنى" كما في (IRT.906) إلا أن هذا يحتاج إلى إعادة نظر.

واعتقد فاتيونى (1976, 552) انها تعني "ابنى" الا أنها لا تتسق مع المعنى العام للنص حيث ان مقدم الاهداء شخص ثالث. وهذا ربما يؤكد حقيقة ان البناءون في العادة يذكرون في الشواهد الجنائزية والاهداءات الفينيقية (Levi della vida, ibid.).

السطر 4: ABDSILIM = اسم مثل عبد ملكارت ورد في نقوش أخرى من طرابلس (IRT.246). ABD = خدم (DISO, 1965, 201).

ILIM = "الهي، مقدس" تكررت في نسخ مختلفة مثل ALM (IRT.349) و LM (IRT.318). وفي العربية ALIM = "اسم الاله". ويرد في النقوش الفينيقية الجديدة التي عثر عليها في طرابلس أسماء أخرى مثل:

MYTHUNILIM (IRT.873)

MUTHUNBAL (CIL 8, 1677b)

MUTHUMBAL (CIL 8, 1729b; IRT.294)

وهي صور مختلفة لكلمة MUTHUNBAL والتي وردت في نقوش فينيقية جديدة من طرابلس (IRT.294 = RIV.TRIP.3, p. 111) وهي تعني "عطية الله" وبالمثل NASI-LIM التي تعني "قربان للرب" كما جاءت في نقش عثر عليه في حرم عين تونقا في تونس (CIL 8, 14950, 14987, 15078).

السطر 5: SE = ضمير وصل وهي تعني الذي في حالة النصب (Sznycer, 1967, 127).

السطر 5: BVD قد تكون صيغة محرفة للكلمة الفينيقية BODI كما جاءت في بوينولوس (Poen.v, 939) والتي تعني "بينما أنا". وفي اللغة العبرية نجد AD "نيابة عن" و لكننا نعتقد أنها تعني "بواسطة" التي تناسب المعنى (قارن, Sznncer 1967, 101, 108).

السطر 5: TM قد تكون مشتقة من جذر الفعل يتمم (DISO, 1965, 331, 339)، ففي بوينولوس نجد كلمة YTHMVM = يتمم (v.931).

السطر 5: V SYSAN + V: V SYSAN = و (Poen.v. 930). =SYSAN اسم ورد
في نقش فينيقي جديد - لاتيني آخر من اقليم طرابلس (Renolds, 1955, 141).

السطر 6: [vs] ILVAN [s] ربما SILVANVS ، وهو اسم لشخص ورد في نقش
فينيقي جديد - لاتيني من طرابلس (IRT. 338; 715).

الأسطر 6/7: VXEVS صيغة محرفة لفعل نصب = أقام - شيد (Levi della vida.
1963, 90, n° 49).

السطر 7: CAL = "كل" (DISO, 1965, 118, 14 = NP.32.9-IRT.318) ونجد في
بوينولوس CHL = "كل" (v. 945).

السطر 7: ST = "هذه" (Poen.v. 930, 937).

السطر 8: VARIAT : V = و ، ARIAT = قد تكون صيغة محرفة لكلمة - ARFAT
رواق معمد (NP.13.2; IRT.p.12; DISO, 1965, 222, n) (16!).

السطر 8: SICAVRAN = زكرن = سكرن الفينيقية = للذكرى
(DISO, 1965, 78) وعليه فان ARFAT SICAVRAN مثل MSBT SKR = شاهد قبر
للذكرى (CIS 1, 116.1).

المراجع الخاصة بالنقوش الفينيقية الجديدة الواردة في البحث

Bbliography

- Bartoccini, R. 1927. *Africa Italiana* 1: 232-236.
- Beguinot, F. 1949. Di alcune iscrizioni in caratteri latini e in lingua sconosciuta, trovante in Tripolitania. *Rivista degli Studi Orientalia* XXIV: 14-19.
- CIL. *Corpus Inscriptionem Latinarum*.
- CIS. *Corpus Incriptionem Semitricarum*.
- Cooke, G.A. 1903. *A Text Book of North-Semitic Inscriptios*. Oxford.
- di Vita, A. 1964. Il limes romano di Tripolitania nella sua concretezza archeologica e nella sua storia, Elmayer, A.F. 1983. The Reiteration of Latino-Punic inscriptions from Roman Tripolitania. *Libyan Studies* 14: 85-95.
- Freidrich, J. 1970. *Phonizische grammatik*. Rome.
- Garbini, G. 1975. Dieci anni di epigraphia punica nel Magreb (1965-1974). *Studi Magrebini* 6: 1-13.
- Goodchild, R.G. 1950. The Latino-Libyan inscriptions of Tripolitania. *Antiquaries Journal* 30: 135-144.
- Goodchild, R.G. 1951. Roman sites of the Tarhuna plateau of Tripolitania. *Papers of the British School at Rome* 19: 43-77.
- Goodchild, R.G. 1954; la necropoli Romano-Libica di Bir Ed-Dreder. *Quaderni di Archeologica della Libia* 3: 91-107.
- Goodchild, R.G. 1976. *Libyan Studies: Selected Papers of the Late R.G. Goodchild* (Edited by J.M. Reynolds), London, Elek.
- Gratwick, A.S. 1971. Hanno's Punic speech in the *Poenulus* of Plautus. *hermes* 99: 24-45.
- Hoftijzer, Ch. F.J. 1960. *Dictionnaire des Inscriptions Semitiques de l'Ouest*. Leiden. IRT. See Reynolds and Ward-Perkins 1952.
- Krahmalkov, C.R. 1970. Studies in Phoenician and Punic grammar. *Journal of Semitic Studies* 15: 185-188.
- Krahmalkov, C.R. 1972. Comments of the vocalisation of the suffix of pronoun of the third feminine singular in Phoenician and Punic. *Journal of Semitic Studies* 17: 73-74.
- Krahmalkov, C.R. 1973. A reinterpretation of the Neo-Punic inscription IRT 889 from Tripolitania. *Journal of the American Oriental Society* 93: 61-64.
- Krahmalkov, C.R. 1976. A neopunic shaft tomb inscription from Roman Tripolitania. *Michigan Oriental Studies*: 57-63.
- Levi della Vida, G. 1927. le iscrizioni neopuniche della Tripolitania. *Rivista della Tripolitania* 3: 91-116.

- Levi della Vida, G. 1949. le iscrizioni neopuniche della Tripolitania. *Rendiconti della Accademia Nazionali dei Lincei* 8,4: 399-412.
- Levi della Vida, G. 1951. The Neo-Punic dedication of the Ammonium al Ras el-Haddagia, *Papers of the British Schoole at Rome* 19: 65-68.
- Levi della Vida, G. 1963a. Le iscrizioni neopuniche della Tripolitania. *Oriens Antiquus* 2: 3-94.
- Levi della Vida, G. 1963b. Le iscrizioni neopuniche della Tripolitania. *Rendiconti della Accademia Nazionali dei Lincei* 8, 18: 407-410.
- Levi della Vida, G. 1964; Le iscrizioni neopuniche di wadi el-Amud. *Libya Antiqua* 1: 57-63.
- Levi della Vida, G. 1967. le iscrizioni neopuniche della Tripolitania. *Annali dell'Instituto Orientale di Napoli* 17: 257-259.
- Polsell, G.C. 1976. Atti del I Convegno Italiano sul vicino oriente antico. Coll. XIII, Roma (22-25 Aprile, 1976): 231-41.
- Polsell, G.C. 1979. A proposit di alcune iscrizioni Latino-puniche. *Studi Magrebini* 11: 37-49.
- Reynolds, J.M. 1955. Inscriptions of Roman Tripolitania: a supplement. *papers of the British Schoole at Rome* 23: 124-47.
- Reynolds, J.M. and Brogan, O. 1960. Seven new inscriptions from Tripolitania. *Papers of the British school at Rome* 28: 51-54.
- Reynolds, J.M. and Ward-Perkins, J.B. 1952. *Inscriptions of Roman Tripolitania. Rome and London (=IRT).*
- Schroder, P. 1869. *Punischest texte poenulus dans die phonizische sprache*, Hale.
- Sznycer, M. 1965. *Groupe Linguistique d'Etude Chamito-Semitiques Comptes rendus* 10-37-55.
- Sznycer, M. 1967. *Les passagers Puniques en Transcription Latine dans le Poenulus de Plaute*. Paris.
- Vattioni, F. 1966. *Annali del' Universita di Napoli* 16: 39-41.
- Vattioni, F. 1971. *Excerta aramaica, Frustula epigraphica II. Epigraphica Aramaica* 11: 173-90.
- Vattioni, F. 1976. *Glosse Puniche. Augustinianum* 16: 536-566.

مقررات

مؤتمر الآثاريين العرب الثالث عشر

(12-6 جمادي الأولى 1416هـ / 1-7 أكتوبر 1995 ميلادي)

طرابلس - الجماهيرية العظمى

متابعة للسنة الحميدة التي درجت عليها مؤتمرات الآثار في الوطن العربي في الحرص على انتظام عقد دوراتها، وتلبية لدعوة كريمة تفضلت الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى بتوجيهها إلى الدول العربية، احتضنت مدينة طرابلس المؤتمر الثالث عشر للآثاريين العرب الذي انعقد بتعاون وثيق بين إدارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومصلحة الآثار في الجماهيرية خلال الفترة (12-6 جمادي الأولى 1416هـ / 1-7 أكتوبر 1995 ميلادي).

استجابت لحضور المؤتمر المذكور (15) خمس عشرة دولة عربية، وحضرته (11) إحدى عشرة دولة منها، في حين تعذر على باقي الدول حضور المؤتمر، وقد مثلت هذه الدول وفود من المتخصصين في مجال الآثار، وتحديدًا في الموضوعين الرئيسيين للمؤتمر حيث قدمت هذه الوفود دراسات قيمة ساهمت بفعالية ونجاعة في المناقشات التي دارت خلال جلساته. (انظر قائمة الدول والوفود المشاركة).

تم افتتاح المؤتمر في قاعة الاجتماعات بالفندق الكبير بطرابلس من طرف الأستاذة فوزية بشير شلابي، أمينة اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة والتعبئة الجماهيرية، والأخ الأستاذ محمد المليي، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبحضور الأخ م. البخاري حودة، أمين اللجنة الشعبية العامة للسياحة وثلة من أعضاء السلك الدبلوماسي العربي ورجال الصحافة والإعلام والمثقفين والمفكرين العرب وخبراء الآثار.

وقد ألفت الأخت أمينة اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة والتعبئة الجماهيرية كلمة في الجلسة الافتتاحية رحبت في مستهلها بالوفود المشاركة في فعاليات هذا المؤتمر من أساتذة وخبراء ومهتمين بالآثار والتراث الحضاري بالوطن العربي من مختلف أنحاء الوطن العربي رغم المشاق والمتاعب التي واجهتهم من جراء الإجراءات الظالمة المفروضة على الجماهيرية العظمى والتي كانت سبباً في عدم وصولهم في الموعد المحدد . .

وقالت الأخت الأمينة في كلمتها لعل إنعقاد هذا المؤتمر في هذه الأيام بالذات على أرض الجماهيرية العظمى إذ يتزامن مع إحتفالاتنا بالعيد السادس والعشرين لثورة الفاتح العظيم يجعلنا نؤكد وبحق أن ما يميز إحتفالات هذا العام هو الجانب الثقافي ، فقد إحتفلنا خلال الأسبوع الأول من شهر الفاتح بالانتهاء من المرحلة الأولى من مشروع المكتبة القومية المركزية هدية الأخ قائد الثورة للمثقفين والمفكرين العرب ، وقد سعدنا بحضور الأخ المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لهذا الحفل واستلامه لمفاتيح هذه المكتبة .

وأشارت الأخت الأمينة إلى أهمية مناقشة المؤتمر لموضوع المنشآت المائية التاريخية في الوطن العربي مشيرة إلى أنه بإمكان المشاركين في هذا المؤتمر الإطلاع على التجارب الحضارية التاريخية التي تؤكد قدرة المواطن العربي على مواصلة دوره الحضاري .

وألقى الأستاذ محمد الملي ، مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كلمة في افتتاح المؤتمر عبّر فيها عن الشكر والتقدير للجماهيرية العظمى لاستضافتها أعمال هذا المؤتمر والدعم والمساندة التي تقدمها للمنظمة من أجل أداء دورها بالرغم من الإجراءات الظالمة ، موضحاً أن هذا المؤتمر يعد من أهم المؤتمرات التي انعقدت على امتداد نحو نصف قرن .

وأضاف أن انعقاد هذا المؤتمر يتزامن مع الذكرى 25 لتأسيس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والتي إحتفلنا بها من خلال الندوات والمعارض التي أقيمت بالمناسبة . وأضاف أن انعقاد هذا المؤتمر يأتي بعد أن صادق المؤتمر العام للمنظمة على خطة تحديث وتطوير للنهوض بهذا المجال بمشاركة الخبراء والأساتذة المتخصصين في مجال الآثار من مختلف بلدان الوطن العربي .

وتمنى في ختام كلمته النجاح والتوفيق لأعمال المؤتمر .

ألقى بعدها الدكتور فهد عبد الرحمن الوهبي مدير إدارة الآثار والمتاحف بالكويت كلمة أوضح فيها أهمية انعقاد هذا المؤتمر للتباحث في شؤون الآثاريين العرب، والعمل على إرجاع الآثار العربية التي نهبت ودمرت خلال المراحل التاريخية المختلفة. وطالب في كلمته البلدان العربية بالتضامن لاعادة الممتلكات الأثرية والقطع والنقوش التي يزخر بها وطننا العربي والتي تعرضت للنهب والسرقة لإرجاعها إلى المتاحف العربية.

وألقى الدكتور فوزي إبراهيم زيادين مساعد المدير العام لدائرة الآثار بالأردن كلمة في الجلسة الافتتاحية شكر فيها الجماهيرية العظمى لاستضافتها أعمال المؤتمر وقال اسمحوا لي بنقل تحيات الشعب الأردني إلى الشعب العربي الليبي وقائد ثورته.

وأضاف أن الأمة العربية تواجه تحديا ثقافيا من مختلف الدوائر في محاولة استعمارية للنيل من النهضة الثقافية التي تزخر بها الأمة العربية.

وأشاد بصلابة الشعب العربي الليبي وقوة عزمته في مواجهة الصعاب ومقاومة الغزو الإيطالي بعزيمة الإيمان القوي وقال لقد قاوم الاستعمار وبرز من بين صفوفه المجاهد عمر المختار الرمز المهم في الجهاد ضد الاستعمار.

وأشاد في كلمته بمجمع المتاحف بطرابلس موضحا بأنه مجمع ثقافي هام يبرز معالم الجماهيرية العظمى التاريخية.

وقدم الأخ رئيس مصلحة الآثار في الجلسة درعا يحمل شعار المؤتمر ومصلحة الآثار بالجماهيرية العظمى إلى الأستاذ محمد الملي، مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وخلال الجلسة الاجرائية تم انتخاب مكتب جديد للمؤتمر من السادة:

* الأستاذ علي إمام الخضور (رئيس وفد الجماهيرية) رئيسا للمؤتمر

* الأستاذ متاصر حسين العبودي (رئيس وفد دولة الإمارات) مقررا عاما

وعضوية كل من السادة:

* الدكتور فهد عبد الرحمن الوهبي (رئيس وفد دولة الكويت)

* الدكتور محمد المنجي النيفر (رئيس وفد الجمهورية التونسية)

* الدكتور فوزي زيادين (رئيس وفد المملكة الأردنية الهاشمية)

* الدكتور محمد عبد الحليم رزق (رئيس وفد جمهورية مصر العربية)

ثم عقد المؤتمر بعدئذ جلساته وفق (جدول الأعمال المرفق) واستمع إلى كل الدراسات والبحوث المقدمة وناقش القضايا المطروحة في جدول أعماله التالي:

- (1) في مجال المنشآت المائية التاريخية.
 - (2) في مجال الرسوم والنقائش الصخرية.
 - (3) مشروع النظام الأساسي لإتحاد الأثريين العرب.
 - (4) المشروعات المقترحة على المنظمة للدورة (97-98).
 - (5) توصيات عامة.
 - (6) ملاحظات حول التصور المستقبلي.
- وقد توصل المجتمعون إلى التوصيات التالية:

الموضوعان العلميان للمؤتمر

1 - المنشآت المائية التاريخية في الوطن العربي:

- 1- المحافظة على المنشآت المائية القديمة بتوثيقها وبالمخططات والصور ثم تسجيلها ضمن التراث الوطني وإثباتها على الخرائط والمخططات الحضرية الحديثة.
- 2- اتخاذ التدابير العملية لصيانة هذه المنشآت وترميمها ودراساتها ثم توظيفها في مشاريع ثقافية - سياحية تسمح بتمويلها.
- 3- المحافظة على الموارد المائية وخاصة الحمامات المعدنية وذلك بحماية منابعها من التلوث.
- 4- تبادل الخبرات والوثائق بين الدول العربية فيما يتعلق بالمنشآت المائية وتنظيم ندوات متخصصة تبحث في المياه العلاجية ونشر دراسات عنها.

2 - النقائش والرسوم الصخرية:

- 1- دعوة المنظمة والدول العربية إلى استحداث مراكز للنقائش والرسوم الصخرية في الدول التي لا تتوفر فيها مثل هذه المراكز، وتطوير المراكز القائمة في الدول العربية الأخرى.

2- دعوة الدول العربية إلى اعداد مسح شامل ، وعمل خرائط مفصلة لتحديد أماكن النقائش والرسوم ، وتزويد المنظمة بها للقيام بتخزينها في بنك المعلومات لديها لتستفيد منها الدول العربية عند الطلب .

3- دعوة الدول العربية إلى اعطاء الأولوية عند تنفيذ مشروعات خاصة بموضوع النقائش والرسوم إلى الاستفادة من الخبرات العربية وكذلك عند تنفيذ الحفريات المشتركة مع الخبراء الأجانب .

4- دعوة دوائر الآثار في الدول العربية إلى موافاة المنظمة بملاحظات حول (معجم ومصطلحات الآثار والتاريخ) فيما يخص النقائش والرسوم الصخرية للاستفادة من ذلك عند اعادة طباعة هذا المعجم .

5- دعوة الدول العربية لاستخدام وتوظيف أشكال وصور النقائش والرسوم الصخرية في مجالات الاعلان والدعاية والتعريف بالتراث الحضاري في المناسبات التي تستوجب ذلك .

3 - التصور المستقبلي لعمل المنظمة في مجال التراث الحضاري :

درس المؤتمر التصور المستقبلي لعمل المنظمة في مجال الآثار والتراث الحضاري في ضوء الوثائق المقدمة في هذا الصدد .

وهو يوصي بتنفيذ هذه الخطة المعتمدة من المؤتمر العام للمنظمة ومجلسها التنفيذي .

4 - الحفاظ على التراث الحضاري في فلسطين :

1 - التنسيق بين جميع الدول العربية ومنظماتها ، وهيئاتها الثقافية بقصد القيام بحملة مضادة للإدعاءات الصهيونية وإبلاغ هذا البيان إلى جميع المؤسسات والمنظمات العالمية المختصة في مجال التاريخ والتراث والحضارة .

2- عقد ندوة علمية حول القدس وأصولها التاريخية العربية .

3- حث الدول الأعضاء على تدعيم مشروع صيانة القدس ومعالمها لتثبيت عروبة القدس والحيلولة دون نجاح العدو الاسرائيلي في مخططاته .

4- المحافظة على المخطوطات الفلسطينية والعمل على دراستها وبالتالي نشرها من قبل أصحابها الشرعيين .

5- المحافظة على المتاحف الفلسطينية، وتشكيل لجنة لتسجيل مقتنياتها ومن أهمها مخطوطات البحر الميت ومنع تسريبها إلى متاحف العدو الاسرائيلي.

6- إيقاف الحفريات غير المشروعة في القدس والمدن الفلسطينية المحتلة لحماية آثار القدس الشريف.

7- المحافظة على آثار أريحا في تل السلطان، وقصر هشام وترميمها وكذلك المسجد العمري في غزة.

3 - مشروع (النظام الأساسي لاتحاد الآثاريين العرب):

1- يوافق المؤتمر على انشاء اتحاد للآثاريين العرب الذي يعتبر مطمحاً من مطامحهم دعت الى انشائه المؤتمرات السابقة.

2- تكوين لجنة تأسيسية للاتحاد، للاعداد لجلسة يتم الدعوة اليها وتحديد مكانها وموعد انعقادها بالتعاون بين المنظمة ومكتب المؤتمر، تهتم بدراسة المشروع الأساسي للاتحاد بعد استشارة الوفود المشاركة للجهات المعنية في أقطارهم والحصول على تفويض منهم بذلك.

3- تتألف الهيئة الاستشارية من مكتب المؤتمر، ومن يرغب في الانضمام إلى هذا المكتب من الدول الأعضاء.

6 - التوصيات العامة:

1- دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى تشكيل لجنة دائمة من الخبراء العرب لوضع نظام أساسي " لقائمة التراث العربي " على غرار اللجنة الدائمة لقائمة التراث العالمي، وتكون مهمتها النظر في الملفات المقدمة من الدول العربية لقبول مواقعها ضمن قائمة التراث العربي ومن ثم الدفع بها إلى قائمة التراث العالمي لتسجيلها.

2- يوصي المؤتمر المنظمة العربية بتزويد مشروع ترميم وصيانة المدينة القديمة في طرابلس بالجاهزية العظمى بقائمة الأساتذة والفنيين المتخصصين في مجال الترميم والصيانة لامكانية الاستفادة منهم في تدريس بعض المواد المتخصصة بالمعهد.

3- دعوة الدول العربية لاستحداث جوائز لتشجيع العاملين في قطاع الآثار والمتاحف والمدن القديمة حفزا للباحثين في هذا الميدان.

4- دعوة المنظمة العربية إلى تحديث الدراسة التي قدمتها والخاصة بتوثيق خمسين سنة على مؤتمر الآثار، وازافة المؤتمر الثالث عشر اليها والعمل على طباعتها.

ويقدم المؤتمر الشكر للمنظمة العربية على ما بذلته من جهد في اعداد هذه الدراسة التوثيقية وما قامت باعداده من وثائق أخرى للمؤتمر.

5- دعوة المنظمة العربية إلى اصدار دليل جامع شامل لمراكز التراث الحضاري بالوطن العربي بغية توفير مرجع يفيد منه المختصون عند الحاجة إلى ذلك، والاستفادة من عمل هذه المراكز.

6- دعوة الدول العربية للانضمام إلى المنظمات الدولية التي تعنى بشؤون الآثار والمتاحف مثل أيكوم - أيكوموس - أيكروم، وغيرها من المنظمات الدولية.

وحث الدول العربية غير المنضمة إلى اتفاقية التراث العالمي إلى الانضمام إليها.

7- دعوة المنظمة العربية للعمل على ادخال اللغة العربية كلغة رسمية في المنظمات الدولية التي تهتم بالآثار والتراث مثل أيكوم - أيكوموس - إيكروم - واعتماد اللغة العربية كلغة عمل في مؤتمر (أيكوم) الذي سيعقد في استراليا عام 1997.

دعوة منظمة اليونسكو إلى الحرص على استخدام اللغة العربية كلغة أساسية في جميع الندوات والمؤتمرات والدورات التي تعقد بالدول العربية.

8- دعوة المنظمة العربية لرصد اعتماد مالي في ميزانية دورتها القادمة (1998-97) لعقد اجتماع لمكتب المؤتمر بكافة أعضائه، تتحمل الدول تكاليف سفر ممثليها في المكتب، على أن يكون ذلك خلال النصف الأول من سنة 1997 لمتابعة تنفيذ توصيات المؤتمر الثالث عشر، والاعداد لوثائق المؤتمر الرابع عشر.

9- الالحاح على دوائر الآثار في الدول العربية لايلاء ما يردها من المنظمة من مراسلات، والاجابة عنها في المواعيد المحددة وبالذقة العلمية المطلوبة.

10- يسترعي المؤتمر انتباه الوفود العربية بأن المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) سوف تطرح اتفاقية لاهاي لسنة 1954، والتي تتعلق بحماية الممتلكات الثقافية أثناء نشوب نزاع مسلح، للنقاش بغية تعديلها ابان انعقاد المؤتمر العام لليونسكو الشهر القادم، ونظرا لأهمية هذا الموضوع فان المؤتمر يحث الدول العربية على ندب خبراء عرب مختصين ومتمرسين لحضور جلسات اللجنة المعنية وتنسيق جهودهم بما يكفل حماية الممتلكات الثقافية العربية زمني الحرب والسلم.

11- يوصي المؤتمر العرب بوجوب دراسة الاتفاقية الدبلوماسية لإعادة الممتلكات الثقافية إلى بلادها الأصلية والتي وقعت بالأحرف الأولى في روما بشهر

سبتمبر 1990 ميلادي دراسة عميقة وعدم إعتماها إلا بعد أن تتأكد من عدم مسها لمصالح الدول العربية في إستعادة ممتلكاتها الثقافية .

7 - المشروعات المقترح تنفيذها على المنظمة خلال السنوات 96-97-1998 ميلادي :

1- اقامة دورة تدريبية في التنقيب عن الآثار بمدينة سلطان الاسلامية بالجمهورية العظمى سنة 1996 ميلادي .

- أعرب وفد الجمهورية عن استعداده في تحمل نفقات اقامة هذه الحفريات على أن تتحمل الدول العربية نفقة سفر مشاركيها، ودعوة الدول العربية لترشيح خبراء ومتدربين لهذه الحفريات على أن يحدد موعد اقامة هذه الحفريات بالتعاون بين المنظمة والجمهورية .

2- اقامة دورة تدريبية في التنقيب عن الآثار العربية الاسلامية في القيروان سنة 1997-1998 ميلادي .

- أعرب الوفد التونسي عن احتضان دورة تدريبية في هذا الصدد بتحمل الجانب التونسي نفقات اقامة المشاركين فيها وتتحمل المنظمة تكاليف سفر المدعوين اليها من الدول العربية، ويتم تحديد موعدا بالاتفاق بين المنظمة والجمهورية التونسية .

3- تكوين فريق عربي لترميم واجهة قصر المشتى في المملكة الاردنية الهاشمية يتكون من أساتذة متخصصين ومتدربين من البلاد العربية في سنة 97-1998 ميلادي .

- أعرب الوفد الأردني عن استعداده لاحتضان فريق الخبراء والمتدربين المذكور على أن تتحمل المنظمة نفقات سفر الخبراء والمتدربين في حدود 3 خبراء و 5 متدربين، ويتحمل الاردن نفقات اقامة الفريق .

4- إقامة ندوات علمية في أكثر من دولة عربية في مواضيع مختلفة في مجال الآثار والصيانة وما إلى ذلك .

8 - مكتب المؤتمر :

انتخب المؤتمر مكتباً دائماً له يتألف من كل من :

- الأستاذ على إمام الخضوري رئيساً

- الأستاذ ناصر حسين العبودي مقرراً عاماً

- الدكتور فهد عبد الرحمن الوهبي عضواً

- الدكتور محمد المنجي النيفر عضواً

- الدكتور فوزي زيادين عضواً

- الدكتور محمد عبد الحليم رزق عضوا

على أن يستمر انعقاد هذا المكتب لمدة دورة كاملة إلى أن يقع انتخاب مكتب جديد.

9 - مكان وزمان عقد المؤتمر الرابع عشر للآثار:

أ- الموضوع المقترح:

* الاستفادة من التقنيات الحديثة في علم الآثار في الوطن العربي (المسح - التنقيب - الصيانة والترميم - المتاحف - المدن القديمة والمباني التاريخية)

* يقام على هامش المؤتمر معرض للأجهزة الحديثة المستخدمة في هذه التقنيات.

ب - مكان وزمان المؤتمر :

كلف المؤتمر المنظمة باجراء الاتصالات اللازمة مع الدول العربية لتحديد مكان عقد الدورة القادمة للمؤتمر.

ج - الوفود المشاركة :

يدعو المؤتمر إلى أن يكون مستوى تمثيل الدول بثلاثة أعضاء على الأقل من المتخصصين في الموضوع العلمي الرئيسي للمؤتمر وأن يرأس وفد الدولة المسؤول الأول عن قطاع الآثار في البلد، لضمان المستوى المطلوب للمؤتمر.

هذا وقد اختتم المؤتمر أعماله صبيحة يوم السبت الموافق 12 جمادي الأولى 1416هـ / 7 أكتوبر 1995 ميلادية، بكلمات من قبل الدكتور محمد صالح الجابري، مدير إدارة الثقافة، ممثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الذي تقدم بالشكر الجزيل للمشرفين على المؤتمر وأعضاء الوفود المشاركة وتمنى لهم عودة ميمونة إلى أوطانهم، كما ألقى الدكتور محمد المنجي النيفر كلمة الوفود المشاركة شكر فيها الجماهيرية العظمى على ما وفرت من حفاوة الاستقبال وطيب الإقامة واختتم المؤتمر بكلمة الأخ علي إمام الخضوري، رئيس المؤتمر ورئيس وفد الجماهيرية العظمى عبر فيها عن سعادته باستضافة الجماهيرية للمؤتمر منوها بالوفود المشاركة في هذا المؤتمر. ووجه الحاضرون في خاتمة لقائهم برقية شكر وامتنان للأخ قائد ثورة الفاتح العظيم كما وجهوا بيانا دعوا فيه إلى رفع الحصار الظالم على الجماهيرية العظمى وبيانا آخر يشجب احتفالات الكيان الصهيوني بما يزعمه احتفالاته بالذكرى الألف الثالثة لإنشاء القدس.

بيان المؤتمر الثالث عشر للآثاريين العرب

حول الاحتفالات الإسرائيلية في القدس

إن علماء الآثار العرب المشاركين بمؤتمرهم الثالث عشر المنعقد في طرابلس العرب في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى في الفترة من 1 إلى 7 أكتوبر 1995 ميلادي يؤكدون بأن الاحتفالات التي ستقام بمناسبة مرور ثلاثة آلاف سنة على احتلال الملك داود لأورشليم القدس يوضحون ما يلي :

إن هذه الاحتفالات تعتبر تحديا للعالم والشرائع الدولية لأن دخول العبرانيين في المدينة المقدسة وخروجهم منها يعتبر فترة وجيزة بالنسبة لتاريخ المنطقة، إذ أنهم ساكنوا عددا من القبائل اليهودية الكنعانية المستقرة فيها منذ عهد بعيد وتكلموا «بشفتهم» أي بلغتهم وكتبوا بحرفهم كما يدل على ذلك العهد القديم، ورغم محاولاتهم اليائسة لاكتشاف أي دليل أثري لهيكل سليمان في الحرم الشريف فإنهم لم يتوصلوا لأي دليل علمي.

إننا اليوم نواجه تزييفا صهيونيا استعماريا جديدا بكل أبعاده وبناء على الاتفاقيات والقرارات الدولية ونخص منها معاهدتي لاهاي ونيودلهي وقرارات اليونسكو بشأن القدس الشريف.

فإننا ندعو جميع الدول والهيئات والجمعيات والمنظمات العالمية لمقاطعة هذه الاحتفالات ونهيب بجميع الأوساط العلمية والمؤسسات الأثرية - التاريخية في العالم لاستنكار هذه المغالطة التاريخية.

إن علماء الآثار العرب الذين يعقدون مؤتمرهم الثالث عشر للآثار من 1 إلى 7 أكتوبر 1995 ميلادي، إذ يحيون وقفة الشعب العربي الليبي وتلاحمه وصموده في وجه الحصار الظالم المسلط عليه من قوى البغي والعدوان المعادية لمصالح الأمة العربية، يفتنمون مناسبة اجتماعهم هذا على أرض الجماهيرية العظمى للتوجه إلى

جميع مناصري العدل في كل مكان وإلى دعاة الحرية وحقوق الانسان وإلى كل الأثارين في العالم، والمشتغلين بقضايا التراث والحضارة البشرية لمساندة شعبنا العربي في الجماهيرية والقيام بما من شأنه أن يعري النوايا السيئة المقصودة من هذا الحصار.

وإنهم إذ يعلنون مساندتهم المطلقة للشعب العربي الليبي الشقيق، ويبدون إعجابهم بشجاعته وقدرته على التحدي والمجابهة ينددون بكل من يقف وراء هذا الحصار الذي حال مع الأسف الشديد دون مشاركة زملاء لنا في هذا المؤتمر، وحال دون حصول الشعب العربي الليبي ودوائره العلمية والفكرية على المواد الثقافية اللازمة لتنفيذ مشاريعه وتحقيق تقدمه العلمي.

هذا ويعبر المؤتمر عن ارتياحه وتقديره لكل الدول العربية والأجنبية التي أعلنت مساندتها للجماهيرية في المحافل الدولية، ويدعو هذه الدول إلى بذل المزيد من السعي والجهد للاسراع برفع هذا الحصار الذي لا يستهدف الجماهيرية وحدها وإنما يستهدف في أبعاده الكبرى الأمة العربية كلها والحيلولة دون تلاحمها وتوحيدها وتقديمها.

مندوبو الدول العربية المشاركة في أعمال المؤتمر الثالث عشر للآثار في البلاد العربية

مصر	مدير عام آثار الوجه البحري	د. محمد عبد الحليم رزق
سورية	أمانة المتحف الاسلامي متحف دمشق	أ. منى المؤذن
الكويت	مدير إدارة الآثار المتاحف	د. فهد عبد الرحمن الوهيبي
الكويت	رئيس قسم المسح - المتحف الوطني باحث	أ. هادي محمد عبد الله الأمير
الكويت	باحث رئيس قسم التقنيات الأثرية	أ. سلطان مطلق الدويش
تونس	مدير بحوث والمدير العام المساعد للمتاحف	د. محمد المنجي النيفر
تونس	ممثل المعهد الوطني للتراث مكلف بالبحوث	أ. خالد المودود
تونس	ممثل المعهد الوطني للتراث ومكلف بصيانة القيروان	د. مراد الرماح
الجزائر	مختص بالآثار الاسلامية ومكلف بالبحث الأثري	د. علي الخلاصي
العراق	مدير المركز الاقليمي لعناية الممتلكات الثقافية	د. منير يوسف طه
فلسطين	مستشار بالسفارة الفلسطينية بالجماهيرية العظمى	أ. عبد الكريم عوده شفليه
الإمارات	مدير إدارة الآثار بالشارقة	أ. ناصر حسين العبودي
الإمارات	المدير العام لدائرة الثقافة والاعلام	أ. عبد الرحمن حسن عبيد
الإمارات	المدير العام المساعد لدائرة الثقافة والاعلام	أ. ماجد عبد الله بوشليبي
الأردن	مساعد المدير العام لدائرة الآثار العامة	د. فوزي زيادين
تونس	مدير جمعية الحفاظ على مدينة جربة	أ. فريد القاضي
الجماهيرية	رئيس مصلحة الآثار	أ. علي إسماعيل الخضورى
الجماهيرية	المستشار الفني	أ. جمعة محمد العناق
الجماهيرية	القيب العام للسياحة والآثار	أ. محمد الطاهر عريبي
الجماهيرية	مدير إدارة البحوث والمحفوظات	أ. عبد العال مفتاح عون
الجماهيرية	مدير الشؤون الإدارية والمالية	أ. عبد الله سعيد طروم
الجماهيرية	مدير الشؤون الفنية والمتاحف	أ. جمعة السيفاو فرصع

أ. المبروك عبد الله الزناتي	مراقب آثار صبراتة	الجماهيرية
أ. إبراهيم الصالحين الطواحي	مراقب آثار بنغازي	الجماهيرية
أ. فضل علي محمد	مراقب آثار شحاب	الجماهيرية
أ. محمد إبراهيم المشاي	مراقب آثار الجنوب	الجماهيرية
أ. إشتوي محمد مصطفى	مراقب آثار لبدة	الجماهيرية
أ. سعيد علي حامد	رئيس قسم البحوث التاريخية	الجماهيرية
أ. حسن شرلاله	اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم	الجماهيرية
أ. مصطفى حقية	مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة طرابلس	الجماهيرية

وفد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للمؤتمر الثالث عشر للآثار

أ. محمد الملي	مدير عام المنظمة	الجزائر
د. محمد صالح الجابري	مدير إدارة الثقافة بالمنظمة	تونس
أ. فايز عمار	رئيس قسم الاعلام بالمنظمة	سورية
أ. علي محمد السوري	مدير الشؤون المالية والإدارية	ليبيا

مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
